الدكتور الخطيب الشيخ
محمد باقر المقدسي

دور المنبر الحسيني في التوعية الإسلامية

دار الكاتب العربي

دور المنبر الحسيني
في
التوعية الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحیم

دَور المنبر الحسيني

في

التوعية الإسلاميّة

الباحث

الدكتور الخطيب الشيخ محمّد باقر المقدسي

رسالة دكتوراه PHD في الدراسات الإسلامية

من الجامعة العالمية للعلوم الإسلامية

لندن



الطبعة الأولى
١٤٣٢هـ - ٢٠١١م





للطباعة والنشر والتوزيع
هاتف: ٠٣/٢٥٧٩٨٤ - فاكس: ٠١/٥٥٣٤٥٦ - ص.ب: ٢٥/٣٥٥ - غبيري - بيروت
Daralkatebalarabi@hotmail.com

مقدمة الطبعة الثانية

١ ـ فـي ٢٥ / ٩ / ٢٠٠٠ م حـصلت عـلى شـهادة الدكـتوراه PHD فـي الدراسات الاسلامية من الجامعة العالمية للعلوم الاسلامية في لندن على كتابي (دور المنبر الحسيني فى التوعية الإسلامية) وفي سنة ٢٠٠٣ م طُبع الكتاب في مدينة قم المقدسة. وتقبّله العلماء والخـطباء والمـثقفون والإعـلاميون بـقبول حسن، وحصل على جائزة كتاب سنة الحوزة العلمية فى مدينة قم المـقدسة لسنة ١٣٨٣ هـ. ش ٢٠٠٤ م، وتلقيتُ التأييد والتشويق من كثير من رجـال العلم والفكر والأدب والتاريخ ومنهم سماحة آية الله الشيخ المـهدوي الكـني رئيس جامعة الامام الصادقعليه‌السلام في طهران وذلك في رسالته الكريمة التى عبّر فيها عن اعجابه بالكتاب وموضوعه الجديد وطريقة البـحث، كـما حث فـي رسالته رجال المنبر والجامعيين على الاستفادة من المنهج الفني والعلمي المتّبع فى الكتاب.

٢ ـ كان للكتاب أثر جيّد في تعلّم الخطابة وكيفية الاستفادة مـن المـنهج الخطابي الصحيح حتى قال لي بعض الفضلاء إنني تعلمت الخطابة من كتابك، ومارست ذلك بنجاح، كما قال ايضاً كشفتَ الاستار عن سر مهنة الخطابة في كتابك، فكيف هذا والناس عادةً يمتنعون عن ذكر سرّ مهنتهم وفنّهم وتجاربهم؟ فقلت له: إنني كتبت كتابي هذا لاصلاح المنبر الحسيني وتبيين معالم الخطبة

الحسينية، وطريقة أداء الخطاب الديني بصورة جيدة ومفيدة وهادفة. ليكون المنبر الحسيني منبراً علمياً وفنّياً صحيحاً، والخطيب هادياً ومرشداً ومربّياً ومعلّماً، والمجلس الحسيني مدرسة للتربية والتعليم، والتوعية والتثقيف.

٣ ـ كثر الطلب على الكتاب فصممت على اعادة طبعه وقد استجاب لذلك مشكوراً الأستاذ الفاضل الحاج علي عز الدين صاحب مؤسسة الكاتب العربي للطباعة والنشر في بيروت فجزاه الله تعالى خيراً. وكنت قد قدّمت الكتاب الى بعض الأساتذة والفضلاء للاستفادة من رأيهم فى تنقيح واصلاح ما يجب، فوافوني بآرائهم مشكورين، كما قمت باصلاح الاخطاء المطبعية فى الطبعة الاولى فخرج الكتاب منقّحاً مصححاً محققا، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على رسوله الامين وعلى آله الهداة الميامين.

محمد باقر المقدسى

مدينة قم المقدسة

١٧ / جمادي الاول / ١٤٣٠

تقريران عن الرسالة

الأوّل: ورد في تقرير الأُستاذ الدكتور إبراهيم العاتي رئيس قسم الدراسات العليا والبحوث في الجامعة العالمية للعلوم الإسلامية، ومدير اللجنة العلمية للمناقشة مايلي:

«لقد واكبتُ عمل الشيخ المقدسي في بحثه عن (دور المنبر الحسيني في التوعية الإسلامية) من بدايته حتىٰ نهايته. فقد كان المشرف العلمي علىٰ رسالته العالم الجليل الدكتور مرتضىٰ الشيرازي الأُستاذ بكلّية الإلهيات في جامعة طهران، وكان يوافيني ـ بحكم مسؤوليتي عن قسم الدراسات العليا في الجامعة ـ بتقاريره الدورية عن مسيرة الباحث العلمية، ولمّا انتقل الدكتور الشيرازي إلىٰ الرفيق الأعلىٰ قُبيل موعد المناقشة بقليل، شكّل ذلك لنا صدمة كبيرة وخسارة فادحة، فتولّيت العمل بالنيابة عنه، وكنتُ عضواً في اللجنة العلميّة التي أقرّت منحه شهادة الدكتوراه في الدراسات الإسلاميّة.

لا شك أنّ هذا البحث ينمّ عن جهد علمي كبير تدعمه الخبرة والتجربة. فالقضايا التي تُثار هنا ليست عطاءً نظرياً وحسب، بل هي جُهد عمليّ محصّته

التجارب والخبرات المتراكمة عبر السنين التي قضاها الشيخ المقدسي خطيباً يُشار إليه بالبَنان، وخرج منها بنتائج تصبّ في خدمة المنبر الحسيني وسبل تطويره. وليس ذلك عليه بغريب، فقد كان إبّان دراسته في كلّية الفقه في النجف الأشرف تلميذاً للمجتهد المجدّد الشيخ محمد رضا المظفر (طيّب الله ثراه) الذي كان له فضل الريادة في محاولة تطوير المنبر الحسيني حينما أسّس كلّية الخطابة في النجف منذ نصف قرن، بهدف إيجاد ضوابط علميّة تحكم عمل الخطيب وتؤسّس قواعد الخطابة، فجُوبه بمعارضة أهل الجمود وأعداء الإصلاح الذين وَأَدوا المشروع في مهده؛ لِمَا لهم من مهارة في تحريك العوام، وتهييج العواطف، وتغييب العقل والمنطق.

ولكنّ الشيخ المظفر ومَن ناصره علىٰ فكرته الإصلاحية عاد فأسّس كلّية الفقه التي ضمّت الكثير من الشباب النجفي التوّاق للمعرفة، وتخرّج منها مجموعة من العلماء والأُدباء والخطباء الواعين الذين أَثْرَوا الساحة الإسلاميّة بالمضمون العلمي في محاضراتهم وبحوثهم وكتبهم ومنهم الباحث الشيخ المقدسي.

أدعو الله جلّت قدرته أن يوفّق الباحث ويسدّد خطاه علىٰ طريق الهدىٰ والرشاد، وأن يثبّتنا جميعاً علىٰ الطريق الذي اختطّه سيد الشهداء الحسين بن علي عليه السلام إنّه سميع الدعاء».

الثاني: جاء في تقرير الأُستاذ الدكتور حميد النجدي عضو اللجنة العلميّة للجامعة مايلي:

«١ ـ الموضوع جديد في بابه، وفيه تأسيس وتنظير للركائز التي يستند إليها المنبر الحسيني، والدور الذي يمارسه في عملية التوعية الإسلاميّة، ورغم أن

الباحث قد سبقه آخرون في هذا الفن ولكن ليس علىٰ مستوىٰ التقعيد.

٢ ـ ضمّت أبوابُ وفصولُ الرسالة الموضوعاتِ الأساسيّة تقريباً لعنوان البحث، وكان الباحث موفّقاً في كثير من فصوله، وخاصّةً في الباب الثالث الذي هو جوهر رسالته، وخاصّةً في الفصل الأوّل منه.

فالبحث مهمّ للمكتبة الإسلاميّة، وقد وُفّق فيه الباحث كثيراً، أسأله تعالىٰ له التوفيق والسداد، والله وليّ التوفيق».

كلمة الباحث

بسم الله، والصلاة والسّلام علىٰ رسول الله، وعلىٰ آله آل الله.

وبعد: أحمدُ الله سبحانه علىٰ عونه وتوفيقه في إنجاز رسالة (دور المنبر الحسيني في التوعية الإسلاميّة) ثم أُقدّم شكري وامتناني للأُستاذ الدكتور السيّد محمد علي الشهرستاني رئيس الجامعة، والأُستاذ الدكتور إبراهيم العاتي مدير اللجنة العلميّة ورئيس قسم الدراسات العليا والبحوث في الجامعة، والأُستاذ الدكتور حميد النجدي والأُستاذ الدكتور قاسم البريسم عضوي اللجنة العلميّة، علىٰ ما قدّموه من توجيه وملاحظات في سبيل تكامل الرسالة.

كما أطلب الرحمة والغفران للأُستاذ الدكتور السيّد مرتضىٰ الشيرازي الأُستاذ المشرف علىٰ إعداد الرسالة، والّذي وافاه الأجل قبل اجتماع اللجنة العلميّة للمناقشة بأيام، وأسأل العزيز الحكيم أن يجزيه جزاء المحسنين.

وأتوجّه بالشكر والتقدير للإخوة الأفاضل: الدكتور السيّد فاضل الميلاني والدكتور محمود البستاني والأُستاذ صلاح العبيدي علىٰ مراجعتهم الرسالة

وإبداء التوجيهات والملاحظات.

وأُقدّم خالص شكري للأُستاذ الدكتور السيّد خليل الطباطبائي لحثّه وترغيبه إيّاي علىٰ مواصلة دراساتي العليا بعد ما شُغِلتُ عنها بدروس الحوزة والخطابة.

إنّ الذي زادني غبطةً وسروراً ما لقيته من العلماء والأُدباء والخطباء والأساتذة الكرام، والرأي الشيعي العامّ، من تشويق وتشجيع وتأييد علىٰ مشروع الرسالة.

فما أن وصلت أنباء الرسالة إلىٰ أسماع المؤمنين الحسينيّين حتىٰ بادروا إلىٰ إعلان ابتهاجهم، وذلك بتقديم التهانىء للباحث مباشرةً أو عبر الهاتف، أو بإرسال رسالة أو قطعة شعرية، أو بالتعريف بالرسالة في الصحف أو المجلّات.

وإليكم بعض مظاهر التفاعل مع الرسالة والباحث:

١ ـ مجلّة الغدير التي يصدرها مركز الإمام الخوئي الإسلامي في لندن، في العدد ٣٠ لشهر رجب ١٤٢١ هـ الموافق لتشرين الأوّل ٢٠٠٠م تحت عنوان «المقدسي ينال الدكتوراه».

٢ ـ صحيفة المنبر التي يصدرها المعهد الإسلامي بلندن في العدد ٧٠ بتاريخ رجب ١٤٢١هـ الموافق لتشرين الأوّل ٢٠٠٠م.

٣ ـ جريدة الوطن الكويتية في عددها ٣٣٤٨/٨٩٠٢ بتاريخ ٢٨ شعبان ١٤٢١ هـ الموافق لـ ٢٤ نوفمبر ٢٠٠٠م، تحت عنوان «أعدّ أوّل رسالة دكتوراه حول المنبر الحسيني».

٤ ـ صحيفة المبلّغ الرسالي الصادرة عن مكتب شئون المبلّغين في قم، العدد ١٨٤ بتاريخ ١٣ شوال ١٤٢١ هـ الموافق لـ ٨ كانون الثاني ٢٠٠١ م، تحت

عنوان: «سماحة الخطيب الشيخ محمّد باقر المقدسي يُمنح شهادة الدكتوراه علىٰ أُطروحته (دور المنبر الحسيني في التوعية الإسلامية)».

٥ ـ مجلّة الفجر الصادق الصادرة في الكويت، حوزة النورين النيّرين، مكتبة جامع الإمام الصادق عليه‌السلام في العدد ١٦ بتاريخ ربيع الثاني ١٤٢٢ هـ الموافق ليوليو ٢٠٠١م.

كما وصلتني رسائل كريمة تحتوي علىٰ كلمات جميلة أو أشعار رقيقة، هي:

١ ـ رسالة كريمة من الأُستاذ الخطيب الدكتور الشيخ أحمد الوائلي:

الأُستاذ الخطيب الباقر المقدسي دام محترماً

تحية مباركة ودعاء لكم بالسداد والتوفيق

وبعد: لقد وصلتني نسخة من شهادتين إحداهما من الباكستان، والثانية من الجامعة الإسلاميّة بلندن يشهدان بمنحك درجة الماجستير في الأُولىٰ والدكتوراه في الثانية، فكان ذلك مبعث سروري وفرحي بأن يتوفّر للمنبر الحسيني كادر من حملة الشهادات العليا، يضفي الأجواء العلميّة علىٰ معالجات المنبر، ويعزّز ثقة السامعين بمحتوياته.

أرجو لك التوفيق وآمل أن تضاعف جهدك في إثراء المضمون العلمي في طرحك للمواضيع علىٰ منبر سيد الشهداء صلوات الله عليه، فإنّ في ذلك المجد في الدنيا، والأجر في الآخرة.

ودمت بخير

أحمد الوائلي

دمشق ٧ شوال ١٤٢١ هـ

٢ ـ رسالة أخوية من الأُستاذ الخطيب الشيخ إبراهيم النصيراوي، وقطعة أدبية تتضمّن تأريخ الرسالة:

سماحة العلّامة الحجّة الشيخ المقدسي حفظه الله

مع كامل اعتزازي وافتخاري بنيلكم شهادة الدكتوراه المؤيّدة ببركات سيد الشهداء الحسين عليه السلام وأنتم أهلٌ لكلّ فضيلة ومكرمة، تقبّلوا تاريخي المتواضع:

أيّها (الباقر) فينا ... لك تاريخ أغرْ
حُزتَ فضلاً ومقاماً ... وعُلاً بين البشرْ
كربلا دمعُ عيونٍ ... فإذا تشدُو انْحَدرْ
نِلتَ (دكتورا) فأرّخْ ... (بحسينٍ زِدْتَ فَخرْ)

أخوكم إبراهيم النصيراوي
٢٨ رجب ١٤٢١ هـ

٣ ـ أبيات رقيقة جادت بها قريحة الأُستاذ الدكتور جودت القزويني في لندن بعد إجراء المناقشة وإعلان النتيجة مباشرة:

أُهنّيك يا شيخَنا (المقدسي) ... فإنّك تاجٌ على الأرؤسِ
بيومٍ، ثمارك قد أينَعَتْ ... بثوبِ نضارتها تَكتسي
خطيبٌ بكفّيك سحرُ البيان ... يفيض زلالاً على الأنفُس
وصوتُك ذاك الشجيُّ الحزين ... بذكر (سباياك) لم يحبس
وروحك يستاف عطر الندىٰ ... حَكىٰ طيبةَ الذات والمَغرس
وليس يزيدُ نجومَ السماء ... نوعٌ جديدٌ من الملبسِ
فأنت كما كنتَ في كلّ حال ... ستبقىٰ لنا زينةَ المجلسِ
وصوتُ محبّيك في لهفةٍ ... يذوبُ مع الآسِ والنرجس
بلندَن أرّخ (يرقّ نداه ... يَنالُ شهادته المقدسي)

٤ ـ بيتان من الشعر تفضّل بهما سماحة حجّة الإسلام والمسلمين السيّد حسين الصدر في لندن، وطلب من السادة الأُدباء تشطيرهما أو تخميسهما:

السبط قلّدك الوسام فصرتَ مفخَرة المنابرْ
فاهْنَأ بموصول النجاح من الأوائل للأواخر

فشطّرهما أحد الأُدباء قائلاً:

(السبط قلّدك الوسام) فأنتَ للمظلوم ذاكرْ
وسَمَوتَ في فنّ الخطاب (فصرتَ مفخرةَ المنابر)
(فَاهْنَأْ بموصول النجاح) فللعلوم غدوتَ (باقر)
وَابْشِرْ بموفور الثواب (من الأوائل للأواخر)

٥ ـ قطعة شعريّة جميلة من الأُستاذ الخطيب السيّد داخل السيّد حسن:

أيّها (الباقرُ) الذي خَفّ رُوحاً وعلاه فوقَ الجبينِ وضوحاً
أنتَ للمنبر الحسينيِّ فخرٌ تُدهش السامعين نَصّاً وروحاً
أيّها اللائم الذي ضاق ذرعاً لا تلمني إنْ قلتُ فيه مديحاً
زاده الله بسطةً في المعالي خُلُقاً فاضلاً ووجهاً صبوحاً
لو تراه يرقى المنابر فذّاً منطقاً ساحراً وصوتاً صدوحاً
لا يداجي في قولة الحقِّ لكن يعلن الرأيَ صائباً وصريحاً
ليس يروي علىٰ المنابر إلّا خبراً مسنداً وقولاً صحيحاً
لم تزده عُليا الشهادات مجداً فهو في المجد قد أشاد صروحاً
نال في خدمة الشهيد وساماً لذرىٰ النجم قد تعالىٰ طموحاً

٦ ـ قطعة أدبية رائعة من الأستاذ الخطيب الشيخ جعفر الهلالي:

نظرتُ سِفركَ أستجلي روائعه فكان لي مُغنياً عن أيّما نَظَرِ
فرحتُ أُزجي الدعا مِن دُونِما مِدَحٍ بما كتبتَ وذا يُغني عن الأثرِ
لمنبر السِّبط وافت منكَ بادرةٌ حلَّقتَ فيها بطيب الغرسِ والثمرِ
حقّاً لِمَن واكبَ الأيّامَ فيه بأنْ تُجنىٰ مساعيه كي تبقىٰ مع العُصُرِ
ومنبرُ السِّبطِ منهاجٌ ومدرسةٌ أفادَ منها الورىٰ ما كان من عِبَرِ
إنْ كانَ للفاتحين الصِّيد مأثرةٌ في نشرِ دين الهدىٰ في البدوِ والحضَرِ
فللخطابةِ دورٌ حين تَنشُرُ ما وافىٰ به الرُسْلُ في صافٍ من الدُررِ
فكَمْ رقىٰ هذه الأعوادَ نابغةٌ شهمٌ خطيبٌ خبيرٌ من ذوي الفِكَرِ
(موسوعةٌ) قد بدت تَزْهُو معارفُها للناس من كلّ فنٍّ رائعٍ نَضِرِ
أو روضةٌ من رياض الأُنس مُعشبةٌ تَزْهُو بما يُبهجُ الأرواح مِن زَهَرِ
مُهمّةٌ قد يراها البعضُ هَيِّنَةً وفي الحقيقة فهي البحرُ في الخَطَرِ
ما كلُّ مَن صارعَ الأبطالَ يَفرُسُها وقَلْبُهُ راجفٌ تلقاهُ مِن ذُعُرِ
كذا الخطابة لا يَسمُو بها أحدٌ إلىٰ النجاح بلا فنٍّ ومُصْطَبَرِ
فهي الشجاعةُ في أسمىٰ مواقعها وهي الحصافةُ في رأيٍ وفي خُبُرِ

* * *

(أبا زهير) وأنتَ ابْنٌ لِبَجدَتِها طلعتَ كالبدرِ معروفاً لذي بَصَرِ
قد كنتَ للمنبر السامي مثالَ تُقىً وللفضيلة مفتاحاً لمُختبَرِ
وكَمْ بِذلَكَ قد طوّفتَ مُنتقلاً في كلّ قطرٍ وذا فتحٌ لِمُنتصرِ
ولَنْ تَضيعَ جهودٌ رُحْتَ تَبذُلُها باسْم الحسين قرين الآي والسُّوَرِ
وفي الختامِ تقبّلْ مِن أخي ثقةٍ هذا الشعور ودُم في أطيب العُمرِ

٧ ـ أبيات بديعة من الأُستاذ الخطيب الشيخ محمّد سعيد المنصوري:

لِـــباقر قـــلبٌ بـــالمحبّةِ عـــامرٌ ووجـــهٌ بَـــهيٌّ بـــالبشاشة زاهـــرُ
ومُـــيّزَ فـــي عـــلمٍ وذوق وصـــورةٍ وصوتٍ له كالسحب تهمي النـواظـرُ
فإنْ قـامَ فـي التأليـف عـرضاً لمـنبرٍ بـــه تـــلتقي للـــمخلصين المشـــاعرُ
فـــذاك أبـــو التأليـــف وابـن بـلاده ومَـن هـو مـن عـين الثـقافة صـادرُ
خـــطيبٌ له البـاعُ الطـويل بكـلّ مـا هـــنالك مـــمّا تـــقتضيه المـــنابرُ
فـــمِن سَـعيهِ أنْ جـاءنا بـمؤلّفٍ بـــيانٌ بـــه للـــعقل والفكـــر ســـاحرُ
إذا امـــتازت الأشـياء فـي مـعطياتها فـــذلك بـــحرٌ بـــالفوائـــد زاخـــرُ
مـــضامينه فـــي مـــا حـــوته حَـرَيّةٌ بأن تـــرتقي مـــا حـــرّرتهُ المـــزابرُ
سيبقىٰ مـدىٰ الأيّـام والدهـر يـهتدي بـــه النـــاس إلّا الحـــاسد المـتجاهرُ
خـــصيبٌ بـــه للـنفس والروح سـلوةٌ إذا ما استقىٰ منه الخـطيب المـحاضرُ
فـــقل للأخ (الدكـتور بـاقر) بـوركت يـــمينٌ بـــها دبّـــجت مـــا لا يُـناظَرُ
أجـــدتَ بـما ألّـفتَ مـعنىً ومـقصداً ستجزىٰ عـليه يـوم تـبلىٰ السـرائـرُ
ستُعطىٰ من السبط الشـهيد جـوائـزاً عن البـعض مـنها كـفّ حـاتم قـاصرُ
وقد قـلتُ والانـصاف أرّخـها: (مـعي تُـــزَفُّ إليكـــم بـــالقبول البشـــائرُ)

ذو الحجّة الحرام ١٤٢٣ هـ

إنّي لا أرىٰ نفسي مستحقّاً لهذا المديح، ولكن غمرتني الرحـمة وشـملني اللطف من بركات صاحب المنبر سيدي ومولاي الحسينعليه السلام، وعلىٰ قـاعدة: لأجل عينٍ ألف عينٍ تكرم.

إنّني أشكر جميع العلماء والخطباء والأُدبـاء والأسـاتذة والمـثقّفين الذيـن غمروني بألطافهم.

وأخيراً: استجابة لطلب عشّاق الإمام الحسين عليه السلام ومنبره الشريف في طبع الرسالة ونشرها، أَعدتُ النظر في الرسالة فقدّمتُ فيها وأخّرت، وغيّرتُ وعدّلتُ، وأضفتُ إليها بعض الشواهد المساعدة علىٰ توضيح المقاصد. وحاولت في رسالتي جهد الإمكان أن أستعمل الكلمات والعبارات السهلة، وأُقدّم الآراء الواضحة المفهومة والبعيدة عن التعقيد والإبهام، وأن أتجنّب مهما أمكن ما يفعله بعض الكتّاب من التلاعب بالألفاظ والأفكار، واللفّ والدَوران، باستعمال الألفاظ المزوّقة والعبارات المنمّقة، فيأخذ القارئ إلىٰ النهر ظمآناً ويعود به عطشاناً، فتقرأ له صفحات متعدّدة لم تستفد معرفةً أو فكرةً، ولم تَكتسب تجربةً أو خبرةً، ومثاله قول الشاعر:

كأنّنا والماء من حولنا قومٌ جلوسٌ حولَنا ماءُ

أسأل الله تعالىٰ التسديد والتوفيق لما يحبّ ويرضىٰ، كما أرجو من سيدي ومولاي الإمام الحسين عليه السلام قبول مودّتي و خدمتي، وغفران تقصيري وزلّتي بجوده وكرمه.

سَيّدي يا حسينُ يا مُنيَةَ النفسِ ويامَن سَناكَ في القلبِ نَوَّرْ
يا دليلي إلىٰ الهُدىٰ في حياتي وملاذي وشافعي يوم أُحشر
أنتَ أُنشودَتي وذِكْرُك دَوْماً في ضميري ومنطقي يَتَكرّر
حزتُ فخراً بخدمةِ السّبطِ مَن قَدْ كانَ نُوراً بالعرشِ مِن عالَم الذرْ
فَاقْبَلَنْ خِدْمَتي وذِكْري لِمَأْ ساتكَ يا سيّدي و(دورَ المنبرْ)

خادمك وذاكرك

محمّد باقر المقدسي

قم المشرّفة ١٤٣٠ هـ

تسلّمت رسالةً كريمة من سماحة آية الله الشيخ المهدوي (دامت بـركاته)، رئيس جامعة الإمام الصادقعليه السلام في طهران:

بسم الله الرحمن الرحيم

سماحة الحجة الشيخ محمد باقر المقدسي دامت إفاضاته..

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

مع الشكر والتقدير تسلّمتُ كتابكم الثمين «دور المنبر الحسيني...».

إنّ موضوع البحث مهم جداً وجديد، آمل أن يستفيد منه الخطباء الأعـزاء استفادة تامة، وكذا طلّاب الدراسات الإسلامية والإرشاد والتبليغ.

وأن يُتّخذ نموذجاً يُحتذىٰ به في إعداد رسائل الدكتوراه إنشاء الله تعالىٰ.

ملتمس الدعاء

أخــوكم مـهــدوي

ثامن ذي الحجة ١٤٢٤ هـ

١١ / ١ / ١٣٨٢ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام علىٰ خاتم النبيين، وسيّد المرسلين، وعلىٰ آله الطيبين الطاهرين.

السّلام عليك يا أبا عبدالله وعلىٰ الأرواح التي حلّت بفنائك، عليك منّي سلام الله أبداً ما بقيت وبقي الليل والنهار.

السّلام علىٰ الحسين وعلىٰ علي بن الحسين وعلىٰ أولاد الحسين وعلىٰ أصحاب الحسين.

اللهمّ ارزقني شفاعة الحسين عليه السلام يوم الورود، وثبّت لي قدم صِدْقٍ عندك مع الحسين وأصحاب الحسين، الذين بذلوا مهجهم دون الحسين عليه السلام.

اللهمّ اجعلني عندك وجيهاً بالحسين عليه السلام في الدنيا والآخرة.

سيّدي أبا عبد الله:

لقد عظم مصابي بك فأسأل الله الذي أكرم مقامك وأكرمني بك أن يرزقني طلب ثارك مع إمامٍ منصور من أهل بيت محمّد صلى الله عليه وآله.

المقدّمة

- أسباب البحث
- هدف البحث
- الدراسات السابقة
- خطّة البحث
- منهج البحث

المقدّمة

مؤسّسة المنبر الحسيني من المؤسسات الدينية والاجتماعية والتربوية والتثقيفية التي غطّت مساحة كبيرة من العالم الشيعي، عقيدة وفكراً وثقافة وسلوكاً، فالمجتمع الإسلامي الشيعي ببركة المنبر الحسيني تعرّف علىٰ الإسلام المحمّدي الأصيل، وعلىٰ مدرسة أهل البيت، واحتفظَ بولائه لآل الرسول صلى الله عليه وآله، ولَولاه لذابت العقيدة الشيعيّة، ولم يبق منها إلّا الاسم دون المحتوىٰ، وهذا ما نراه جليّاً في المجتمعات الشيعية التي لم تعتمد علىٰ المنبر الحسيني، ولا تُقام فيها مجالس حسينية.

إنّ المنبر الحسيني هو القلبُ النابض الذي يضخّ مبادئ الثورة الحسينيّة باستمرار في جسد المجتمع الشيعي، فيمنحه الحياة ويحفظه من التوقّف والموت.

ورسالة المنبر هي: نشر الثقافة الإسلامية الأصيلة، وإحياء مدرسة أهل البيت عليهم السلام وذلك بإظهار علومهم ومناقبهم، والتذكير بحقّهم وولائهم، والإشادة بمواقفهم وتضحياتهم من أجل الإسلام والمسلمين.

ومن رسالة المنبر أيضاً: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة إلىٰ الله بالحكمة والموعظة الحسنة، والدفاع عن الديـن، وردّ كـيد المـعتدين، وحثّ الناس علىٰ الالتفاف حول العلماء الأبـرار، وتـقليد مـراجـع الديـن، والقـيام بالوظائف الشرعية.

إنّ حفظ التراث الإسلامي الشيعي يقع معظمه علىٰ عاتق المنبر، ولولا المنبر لضاع التراث وانقطعت الصلة بين جيلنا والأجيال السابقة خصوصاً عصر النبي وأهل البيت عليهم السلام؛ لأنّ الجمهور يفضّل الاستماع على المطالعة.

▣ أسباب البحث:

إنّ الذي دعاني للبحث عن (دور المنبر الحسيني في التوعية الإسلامية) عدّة أسباب أهمّها اثنان:

الأوّل: أعتقد أنّ الوعي هو الأساس في السلوك، وأنّ المنبر الواعي يوجِد مجتمعاً واعياً، وإذا أردنا أن نثقّف المـجتمع ونـمدّه بـالوعي فـعلينا أن نـبدأ بالخطباء؛ لأنّ وعي الأُمة يساير وعي المنبر وبينهما ملازمة وثيقة، فإذا أردنا أن نرفع مستوىٰ الأُمّة علينا أن نرفع مستوىٰ المنبر والخطباء. فالاهتمام بالمنبر اهتمام بالإسلام وبالتشيّع عقيدة وسلوكاً وعلماً وعملاً.

الثاني: هو أنّ عصرنا عصر المنهجية والتنظيم، وكلّ العلوم والفنون وُضعت لها أُصول وقواعد ومنهج ونظام، وفُتحت من أجلها كلّيات ومعاهد. أمّا المنبر فلا يزال يعتمد علىٰ ذوق الفرد ومواهبه وذكائه وتوفيقه.

وهنا لا تفوتنا الإشارة إلىٰ فضل جمعيّة منتدى النشر في فتح كـلّية الفـقه لغرض تطوير المنبر وما تحمّلته في هذا المضمار من صـعوبات ومشكـلات،

وظهور بعض المعاهد للخطابة والتبليغ في الآونة الأخيرة، نسأل الله التوفيق للقائمين بها، ولكنّها غير كافية كمّاً وكيفاً؛ لأنّ مؤسسة المنبر ذات أبعاد كثيرة، فإذا أردنا للمنبر أن يواكب العصر، ويؤدّي دوره بصورة صحيحة، ينبغي أن يكون الخطيب دائرة معارف، وموسوعة ثقافيّة، بالإضافة إلىٰ مؤهّلاته ومواصفاته الذاتيّة والأخلاقيّة.

▣ هدف البحث:

أمّا الهدف من هذه الرسالة فهو القيام بدراسة منهجيّة علميّة للمنبر الحسيني، ووضع قواعد وأُصول للخطبة الحسينيّة، وبيان المؤهّلات والمواصفات الضرورية للخطيب؛ ليعرفها مسبقاً من يريد التشرّف بخدمة سيد الشهداء عن طريق المنبر، فمن كان مؤهّلاً لذلك يسلك هذا الطريق، ومن فقد المؤهّلات لا يتعب نفسه في عمل لا يوفَّق فيه، فإن العامل الماهر خيرٌ من الخطيب الخاسر.

▣ الدراسات السابقة:

كُتبت عن الخطابة العامّة كتبٌ كثيرة، وأُجريت دراسات مفيدة. و أمّا عن الخطابة الحسينية، فقد كُتبت بعض الكتب والبحوث، أهمّها:

١ ـ (اللؤلؤ والمرجان في آداب أهل المنبر): ـ فارسي ـ للشيخ محمد حسين النوري الطبرسي ـ طبعة مؤسسة نشر عابدي في طهران ـ لم تذكر سنة الطبع.

ألّف الشيخ النوري هذا الكتاب بعد ما تلقّىٰ رسالة من بعض علماء الهند يذكر فيها تمادي بعض أهل المنبر في نقل الأخبار غير الصحيحة، وطلب منه

أن يكتب في ذلك كتاباً لينتفعوا بـه، فكـتب الشـيخ النـوري كـتاب (اللـؤلؤ والمرجان)، وجعل له مقدمة وفصلين.

ففي المقدمة تحدّث عن ثواب إقامة المآتم والرثاء والبكاء والإبكاء عـلىٰ الحسين عليه السلام.

وفي الفصل الأوّل تحدّث عن الإخلاص في العـبادة واسـتشهد بـالآيات والأحاديث الشريفة ثم تخلّص إلىٰ: أن العمل الذي يُقبل ويُثاب عليه صاحبه هو العمل الذي يصدر من المؤمن بإخلاص، وما لا إخلاص فيه لا ثواب فيه، وأكّد علىٰ الخطباء أن يُخلصوا في عملهم لأنّه من العبادات.

وفي الفصل الثاني تحدّث الشيخ النوري عن الصدق وأورد بعض الآيـات والأحاديث في الحثّ علىٰ الصدق ومدح الصادقين، وحذّر من الكذب، ثم بيّن أنواعه وأحكامه، واستشهد بالآيات والأحاديث الناهية عن ذلك، وذكر أربعين ضرراً للكذب.

ثم أورد الشيخ بعض الرُؤىٰ والقصص المحذّرة من استعمال الكـذب فـي المنبر الحسيني.

٢ ـ (الكبريت الأحمر في شرائط المنبر): فارسي ـ لمحمد بـاقر الخـراسـاني القائني البيرجندي ـ المطبعة الإسلامية ـ طهران ـ سنة ١٣٧٧ هـ.

والكتاب يحتوي علىٰ مقالتين: المقالة الأُولىٰ تتضمن مقدّمة وأربعة فصول وخاتمة.

في الفصل الأوّل يذكر فضيلة الموعظة والإرشاد، وبيان الأحكام الشرعيّة.

وفي الفصل الثاني يذكر شروط الواعظ والخطيب، ويـوصلها إلىٰ عشـرين شرطاً، أكثرها شرعيّة وبعضها فنيّة.

والفصل الثالث يخصّ المستمعين.

والفصل الرابع في شروط المنبر وهي ستّة، منها: أن لا يكون المنبر أو المكان الذي يقام فيه المجلس مغصوباً...

وفي الخاتمة يبيّن أسماء مجموعة من الكتب الموثوقة التي ينبغي للخطيب أن يعتمد عليها في النقل.

وأمّا المقالة الثانية ففيها ثلاثون مجلساً علىٰ الطريقة القديمة[١]، مع خاتمة تحتوي علىٰ نوادر وحكايات.

٣ ـ (ثورة الحسين أو فاجعة كربلاء في الوجدان الشعبي): للشيخ محمد مهدي شمس الدين ـ طبع الدار الإسلامية ـ بيروت ـ الطبعة الأُولىٰ ـ سنة ١٤٠٠ هـ، ١٩٨٠م.

استعرض المؤلفُ المواقفَ المختلفة من الثورة الحسينيّة قبل الثورة وبعدها، ثم تأثير فاجعة كربلاء في الوجدان الشعبي، وتحدّثَ عن المسارب التي دخلت منها الثورة إلىٰ الوجدان الشعبي، وطوّرتها وصعّدتها فيه، وحَصَرها في أربعة مسارب هي: العامل العقيدي، دعوة أهل البيت، طبيعة المأساة، الوضع النفسي للمسلم الشيعي.

وكَتَبَ مختصراً عن هذه المسارب، ثم ختم ذلك قائلاً: «هذه فيما نرىٰ العوامل الأساسية ذات التأثير الكبير في كينونة ثورة الحسين في الوجدان الشعبي»، وأضاف: «وسنتعرّف علىٰ مساهمة كلّ واحد منها عندما ندرس في الفصول التالية ثورة الحسين في الوجدان الشعبي في المظاهر التالية:

---

(١) أي طريقة ما قبل النهضة العلمية الحديثة التي بدأت في العالم الإسلامي في أواسط القرن العشرين الميلادي والرابع عشر الهجري.

الف ـ الزيارة.

ب ـ شعر الرثاء الحسيني.

ج ـ مجالس الذكرىٰ.

د ـ ظاهرة البكاء»[١].

ودرس كلّ واحد من هذه المظاهر دراسة موضوعيّة.

أمّا صلة الكتاب بدراستنا عن دور المنبر الحسيني في التوعية الإسلامية، فبينهما كما يقول علماء المنطق: عموم وخصوص من وجه؛ إذ يتّفقان في بعض البحوث والفصول، ويختلفان في البعض الآخر، وللتوضيح نقول:

أوّلاً: إنّ الأُستاذ المؤلف درس ثورة الحسين عليه‌السلام أو فاجعة كربلاء من حيث تأثيرها في الوجدان الشعبي، سواءً كان التأثير مقصوداً أو عفوياً، ثم ذكر المسارب التي دخلت منها، والمظاهر التي تجلّت بها.

أمّا دراستنا فهي عن دور المنبر الحسيني في التوعية الإسلامية، والأدوات والوسائل والأساليب التي استخدمت أو يمكن استخدامها في التوعية، وأهمّها المنبر الحسيني.

ثانياً: تحدّث المؤلّف عن الزيارة والشعر والمجالس والبكاء باعتبارها مظاهر للمسارب التي دخلت منها الثورة الحسينية في الوجدان الشعبي.

أمّا دراستنا عن الزيارة والشعر الرثائي والمجالس الحسينية فباعتبارها أساليب للتوعية استخدمها الأئمة عليهم‌السلام لإيصال مفاهيم الثورة الحسينية إلىٰ الناس، وجذبهم إليها، ولإيجاد ترابط نفسي وعاطفي وفكري بين الناس وبين الإمام الحسين عليه‌السلام.

---

(١) ثورة الحسين في الوجدان الشعبي: ٤٦.

ثالثاً: بَحَث المؤلف في الفصل الرابع من كتابه عن المأتم الحسيني وتاريخه وأنواعه وأدواره وتطوّره، وتناول خلال ذلك المنبر الحسيني.

أمّا دراستنا فتنصبّ علىٰ دور المنبر الحسيني كوسيلة فعّالة ومهمّة في التوعية الدينية، ونشر الثقافة الإسلامية؛ ومن أجل ذلك بَحَثنا بصورة مفصّلة عن: الخطابة والخطيب والخطبة، وعن أهمّ الطرق المساعدة في التوعية، وغير ذلك ممّا له صلة بالدور التثقيفي للمنبر الحسيني.

وعلىٰ العموم فإنّ الكتاب فريد في بابه، ومفيد جداً في موضوعه، وقد استفدت منه كثيراً.

٤ ـ (فنّ الخطابة الحسينية): للباحث ـ طُبع في كرّاس خاصّ لطلّاب معهد الرسول للخطابة والتبليغ الذي افتتح في مدينة قم المشرّفة سنة ١٤٠٦ هـ.

لقد طُلب منّي تدريس فنّ الخطابة الحسينيّة في المعهد، ولم أجد كتاباً أو بحثاً عن فنّ الخطابة الحسينيّة لاستعين به في إعداد مادّة الدرس، ماعدا كُتب عن الخطابة عامةً، فكَتبتُ هذا الكرّاس مستفيداً من كُتب الخطابة العامّة، ومستعيناً بتجاربي وتجارب إخواني الخطباء، محاولاً استنباط ما أمكن من قواعد وأُصول وآداب للخطابة الحسينية، ووضع توصيات وإرشادات وتوجيهات نافعة في العمل الخطابي.

وقد صادف البحث إقبالاً كبيراً من قبل طلّاب معهد الرسول، ومعاهد ومدارس أُخر، ومؤسسات ثقافية.

٥ ـ (البيان وفنّ الخطابة): للأُستاذ الخطيب الشيخ محمد تقي الفلسفي رحمه الله ترجمة عباس حسين الأسدي مؤسسة البعثة بيروت ـ سنة ١٤١٢ هـ١٩٩٢م.

والكتاب كما يقول المؤلف في المقدمة: «يحتوي علىٰ نقاط فنّية لازمة في

فنّ الخطابة. والهدف من كتابتها وذكرها إرشاد السادة الوعّاظ والخطباء الإسلاميين لبعض المواقف والنقاط الفنّية في الكلام، لو رُوعيت في أثناء الإلقاء لأصغىٰ المستمع للخطاب برغبة أشد، وتلقّاه بقبول حسن».

والكتاب يتضمّن مجموعة توصيات وإرشادات وتوجيهات نافعة لكلّ خطيب ومبلّغ، بل لكلّ متحدّث وكاتب وباحث، خاصةً وأنّ المؤلّف كان أقوىٰ وأنجح خطيب حسيني باللغة الفارسية.

٦ ـ (دروس في الخطابة الحسينية): للسيد مجتبىٰ السويج ـ مطبعة فروردين ـ قم ـ سنة ١٤١٥ هـ.

يشتمل الكتاب علىٰ ست حلقات، وسبعة فصول، وملاحق.

يتحدّث المؤلف عن الخطابة بصورة عامّة وتاريخها وأهميّتها، وعن الخطابة في النصوص الدينيّة، وعن الشخصيّة الخطابيّة، وأحكام اللسان والصوت في الإسلام، ودعائم نجاح الخطيب، وعن أنواع الأدب والأطوار والألحان، وعن موضوع الخطيب وكيفية الإلقاء. كما يقدّم بعض الإرشادات، ويَعرض نماذج خطابية لبعض الخطباء. والكتاب علىٰ العموم مفيد خصوصاً للمبتدئين، وإن كان يعوزه المنهج العلمي، وهو محاولة نافعة في طريقة تنظيم الخطابة علىٰ الأُصول الصحيحة.

٧ ـ (تجاربي مع المنبر): للأُستاذ الخطيب الدكتور الشيخ أحمد الوائلي ـ طبعة دار الزهراء ـ بيروت ـ سنة ١٤١٩ هـ.

والكتاب يشتمل علىٰ تجارب الأُستاذ المؤلّف عبر أكثر من ستين سنة عاشها مع تغيّر الأوضاع السياسية والاجتماعية، وتبدّل الأفكار والاتّجاهات الثقافية والفكرية. وقد عاصر الشيخ الوائلي العصرين القديم والحديث للخطابة،

بل ساهم في تسريع الحركة التطوريّة للمنبر، وهو صاحب مدرسة خطابيّة حديثة، وممّا ساعده علىٰ ذلك ـ بَعد التوفيق الإلهي ـ ما امتاز به من موهبة وعبقرية وذوق سليم وعلم غزير وبيان جذّاب.

إنّ الكتاب المذكور يتضمّن الكثير من التجارب المنبريّة التي مرّ بها المؤلف، ونقاط الضعف والقوة فيها، ويعالج أُموراً متعدّدة هي في صميم العمل الخطابي، ويتحدّث عن وضع المنبر وموقف الفئات المختلفة منه، وأصناف الخطباء، وما يتربّص بالمنبر من أخطار. ويستعرض المواقف العدائية ضدّ مذهب أهل البيت عليهم‌السلام قديماً وحديثاً، ومحاولات بعضهم تبريرَ أعمال يزيد وأمثاله من حكّام الجور في قتلهم لأولياء الله، وظلمهم للعباد، وما يجب علىٰ المنبر من اتّخاذ موقف معتدل ومعقول ومقبول في مواجهة التحدّيات التي تعترضه؛ ضماناً لبقائه واستمراره باعتباره الوسيلة الكبرىٰ للإعلام عند أتباع أهل البيت.

كما اشتمل الكتاب علىٰ كثير من الدروس والإرشادات والتوجيهات التي ينتفع منها الخطيب الحسيني، وهو مفيد لمعرفة أجواء المنبر والأخطار المحيطة به، وما ينبغي أن يتّصف به ليؤدّي رسالته كاملة وافية، وفيه مقتطفات تاريخيّة وأدبيّة واجتماعيّة وفنّية.

وعلىٰ العموم فقد انتفعتُ من الكتاب وتجارب مؤلّفه، وذكرتُ بعض القضايا منه في رسالتي.

٨ ـ (دائرة المعارف الحسينية): للأستاذ محمّد صادق الكرباسي المركز الحسيني للدراسات لندن سنة ١٤٢٠ هـ ـ ١٩٩٩ م.

تحدّث المؤلف في هذا الجزء ـ بمناسبة استعراضه لخطباء المنبر الحسيني ـ عن الخطابة وتاريخها القديم ومسيرتها عبر الأُمم والأديان، وأكّد ارتكاز

الخطابة في الإسلام علىٰ السجع، وقدّم نماذج من السجع في القرآن الكريم وفي خطابات النبي وأهل البيت عليهم السلام، ثم ذكر تاريخ الخطابة الحسينية ومراحل تطوّرها وأدوار المأتم الحسيني معتمداً علىٰ كتاب (ثورة الحسين في الوجدان الشعبي) للمرحوم الشيخ محمد مهدي شمس الدين، وأورد أسماء بعض المدارس والمعاهد الخطابية في العراق والهند وپاكستان. كما تحدّث المؤلف عن الدور الإعلامي للخطابة، والدور التبليغي للخطباء، ومسؤولية الخطيب، وأنواع الخطابة والخطباء.

فالكتاب كما يُفهم من اسمه (دائرة معارف) وموسوعة تحتوي علىٰ معلومات كثيرة عن الخطابة العامّة والخاصّة، يستفيد منها الخطيب والقارئ والباحث. أرجو للمؤلف الكريم التوفيق في تكملة هذه الموسوعة الجامعة والمفيدة. والجدير بالذكر أن هذا الكتاب وصلني بعد مناقشة الرسالة ولم أطّلع عليه قبل ذلك.

بعد هذا الاستعراض لأهم الكتب والبحوث التي سبقت رسالتي هذه والتي لها صلة من قريب أو بعيد بالرسالة أقول:

إنّ هذه الكتب كلّها تساهم في وضع معالم علىٰ طريق المنبر الحسيني ولكنّها غير كافية، بل يحتاج المنبر إلىٰ وضع منهج علمي شامل تُذكر فيه أُصوله وقواعده وضوابطه، وهذا ما نحاول القيام به في رسالتنا هذه؛ مساهمة منّا في مسيرة المنبر التطوريّة لغرض التهذيب والتنظيم. ولا أدّعي الكمال والتمام في محاولتي هذه، بل هي خطوة لتأسيس ضوابط علميّة علىٰ هذا الطريق المقدّس، ونأمل أن تتبعها خطوات لاحقة للآخرين إن شاء الله.

▣ منهج البحث

اعتمدتُ في الرسالة المنهج التكاملي النقلي والعقلي[١]، مستعيناً بالمأثورات الأدبيّة والتاريخيّة. فواكبتُ مسيرة المنبر الحسيني منذ بداية نشوئه وعبر مراحل تطوّره حتىٰ العصر الحاضر، واستعرضتُ الأساليب التي أكّد عليها أئمة أهل البيت عليهم السلام لإيصال مفاهيم الثورة الحسينية إلى الناس، وإيجاد تعاطف وارتباط مع الإمام الحسين عليه السلام.

كما قمت بعمل ميداني، فسجّلت ما رأيت وما سمعت وما جرّبته بنفسي؛ أو جرّبه أساتذتي وإخواني الخطباء.

▣ خطّة البحث

تتضمّن الرسالة بعد المقدمة تمهيداً، وثلاثة أبواب، وتسعة فصول، وخاتمة:

التمهيد:

يجري البحث فيه عن الثورة الحسينية، ودورها في نشر الوعي، وانفجار ثورات سياسيّة واجتماعيّة، وانبثاق مؤسّسات فكريّة وثقافيّة واعية، ومنها مؤسسة المنبر الحسيني التي هي بحق أعظم إنجاز لثورة الإمام الحسين عليه السلام وأهمّ وسيلة لنشر الثقافة والوعي، والعلم والمعرفة في الأُمة الإسلامية، ثم تُذكر مسيرة المنبر والقراءة الحسينية.

---

(١) المنهج التكاملي: «هو استخدام أكثر من منهج في البحث بحيث تتكامل ما بينها في وضع وتطبيق مستلزمات البحث». أُصول البحث للدكتور عبد الهادي الفضلي: ٦١.

الباب الأوّل: المنبر الحسيني والتوعية:

ويتضمّن ثلاثة فصول:

الفصل الأوّل : المقصود من المنبر الحسيني ومن التوعية.

الفصل الثاني: أهمّ أدوات التوعية ووسائلها.

الفصل الثالث : أهمّ أساليب التوعية المعتمدة عند أهل البيت عليهم السلام وهي: الأُسلوب العاطفي، والأُسلوب الاجتماعي، والأُسلوب النفسي.

الباب الثاني: الخطابة الحسينية:

ويشتمل علىٰ ثلاثة فصول:

الفصل الأوّل: الخَطابة.

الفصل الثاني: الخطيب الحسيني: مؤهّلاته و مواصفاته الذاتيّة، والعلميّة، والأخلاقيّة.

الفصل الثالث : الخُطبة الحسينيّة :تعريفها، وشروطها، وأجزاؤها.

الباب الثالث: أهمّ الطرق المساعدة في التفهيم والتوعية:

ويتضمّن ثلاثة فصول:

الفصل الأوّل : التوضيح و التبيين.

الفصل الثاني: دراسة و تحليل روايات الأحداث والأحاديث.

الفصل الثالث : التنبيه علىٰ مقصود المتكلّم.

الخاتمة:

وفيها خلاصة عمّا ورد في الرسالة، ثم ذكر النتائج المترتبة علىٰ الدراسة التي قدّمناها، وذكر بعض التوصيات للنهوض بالمنبر الحسيني إلىٰ مستوىٰ رسالته الإسلاميّة والإنسانيّة، وبعض الاقتراحات المساهمة في تطوّر المنبر.

إنّ المنبر الحسيني له دور كبير في تثقيف الجماهير وتوعيتهم؛ ولأجل ذلك استوجب الاهتمام الكثير به، وكتابة بحوث موسّعة ودراسات ميدانيّة شاملة عنه؛ لمعرفة نقاط القوّة والضعف فيه؛ بُغية تحسينه وتطويره حسبما يتطلّبه العصر الحديث، كي يواصل مسيرته في تربية الأُمّة وتثقيفها، وبثّ الوعي فيها وتوجيهها، فإنّه أفضل وسيلة للتوعية والتربية الدينيّة من بين وسائل التثقيف والتوعية والتعليم والتربية في العصر الحاضر.

أسأل الله العلي القدير أن يُسدّد خطانا، ويجعلنا من الأدلّاء علىٰ مرضاته، والهداة إلىٰ سبيله، ويوفّقنا لخدمة الإسلام العظيم، والأُمّة الإسلامية الكريمة عن طريق المنبر الحسيني الشريف، وخدمة سيد الشهداء عليه السلام، إنّه سميعٌ مجيب.

خادم الحسين عليه السلام
محمد باقر المقدسي

التمهيد

مسيرة المنبر والقراءة الحسينية

التمهيد

أُسّس المنبر الحسيني علىٰ أثر ثورة الإمام الحسين عليه السلام، تلك الثورة العظيمة التي صارت مصدراً للوعي والثقافة، وانبثقت بسببها ثورات سياسيّة، واجتماعيّة كبيرة، وأدّت إلىٰ تحوّلات فكريّة وثقافيّة عظيمة.

إنّ الثورة الحسينيّة مليئة بالمعطيات، وأهمها (مؤسسة المنبر الحسيني) التي هي بحقّ من أنجح المؤسّسات الدينيّة والاجتماعيّة والتربويّة والتثقيفيّة؛ لأنّ المنبر الحسيني يشارك الأُمة الإسلامية في سرّائها وضرّائها وشدّتها ورخائها، وهو مصدر الوعي السياسي والثقافي فيها.

وقد حفل تاريخ المنبر الحسيني بالمواقف الثوريّة والأعمال البطوليّة. ففي ثورة العشرين في العراق شارك مجموعة من خطباء المنبر الحسيني في الدفاع عن استقلال العراق، وفي طليعتهم: الخطيب السيد صالح الحلّي[1]، والخطيب

---

(١) هو أبو المهدي السيد صالح ابن السيد حسين ابن السيد محمّد الحسيني النسب، الحلّي المحتد والمولد. وُلِدَ سنة ١٢٨٩ هـ في الحلّة، وهاجر منها إلىٰ النجف سنة ١٣٠٨ هـ... وتُوفّي ليلة السبت التاسعة والعشرين من شوال سنة ١٣٥٩ هـ، ودُفن بوادي السلام في مقام الإمام المهدي عليه السلام في النجف الأشرف. أدب الطف ٩: ٢٠٤.

الشيخ محمّد علي قسّام[١]، والخطيب الشيخ محسن أبو الحب[٢] وغيرهم.

وفي الثورة الإسلامية في إيران ساهم المنبر الحسيني مساهمة فعّالة في توعية الجماهير لمساندة الثورة والثوّار ضدّ الحكم الطاغوتي، كما شارك أكبر عددٍ من الخطباء في الثورة، وبعضهم الآن من كبار المسؤولين في الجمهورية الإسلامية.

وفي أيام المدّ الشيوعي الكافر في المنطقة الإسلامية، وقف المنبر الحسيني أمام الكفر والإلحاد بصلابة، وواصل الدفاع عن الإسلام ببسالة، وأبلىٰ الخطباء بلاء حسناً في إعلاء كلمة الله ودحض الإلحاد والكفر.

وشاهدت الساحة الإسلامية في السنوات الأخيرة مواقف جليلة للمنبر الحسيني ضدّ الكفر العفلقي والظلم الصدّامي، ممّا حدا بالطغاة أن يخطّطوا لتعطيل المنابر الحسينيّة وتصفية الخطباء؛ ونتيجة لذلك عُطّلت المنابر والمجالس، وسُجن و عُذّب الكثير من الخطباء، واستُشهد آخرون في ظروف غامضة، وشُرّد قسم منهم عن ديارهم[٣].

إنّ خدمات المنبر للأُمّة لا تنحصر في إلقاء المحاضرات والخُطب الثقافية والتربوية، بل تشمل كذلك الإصلاحات الاجتماعيّة والخدمات الإنسانيّة،

---

(١) هو الشيخ محمّد علي قسّام أحد كبار أساتذة المنبر الحسيني ومن رجال الثورة العراقية، وُلِدَ سنة ١٢٩٩ هـ بالنجف الأشرف وتُوفّي في بغداد ليلة الجمعة ٢٤ جمادى الأُولىٰ ١٣٧٣ هـ المصادف ٢٩ كانون الثاني ١٩٥٤ م، ثم حُمل جثمانه إلىٰ النجف فدُفن فيها، أدب الطف ١٠ : ٦٤.

(٢) هو الشيخ محسن بن محمّد حسن الحويزي الحائري المعروف بأبي الحَب. توفّي سنة ألف وثلاثمائة وخمسٍ في كربلاء ودُفن بها. الطليعة من شعراء الشيعة ٢: ١٦٩، الرقم ٢٣٩.

(٣) أُنظر (تراجيديا كربلاء سوسيولوجيا الخطاب الشيعي) لإبراهيم الحيدري: ٧٩، وشهداء المنبر الحسيني في العراق للخطيب الشيخ حمزة الخويلدي.

كترغيب الناس في تأسيس دُور الأيتام والجمعيّات الخيريّة لمساعدة الضعفاء والمحرومين، وإنشاء المؤسّسات الصحّية، وإيجاد المراكز الثقافيّة كالمكتبات وغيرها لنشر العلم والمعرفة.

وليس هذا بالأمر الغريب، فالمنبر منبثق من الأُمّة، وهو في خدمة الأُمّة، وبينهما علاقة عضويّة لا انفكاك لها.

كما أنّ خطباء المنبر الحسيني ساهموا في الحركات الإسلامية والثقافية والأدبية فألّفوا عشرات الكتب الأُصولية والفقهية والأخلاقية والتاريخية والأدبية والإسلامية العامّة، ونظموا مئات القصائد في النبيّ صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام خصوصاً الإمام الحسين عليه السلام. وهذا كلّه من بركات سيّد الشهداء وثورته المباركة ومنبره الشريف.

وقد أجاد الخطيب الشهيد الأُستاذ السيّد جواد شبّر حيث قال في الخطيب والمنبر:

سَنَدُ الشريعةِ في جميع الأعصُرِ ... هذي الروائعُ من خطيب المنبرِ
ذاك الذي يُمسي ويُصبح ناشراً ... عَلَمَ الجهاد كقائدٍ في عسكرِ
أمعلّمَ الأجيال تنثر جوهراً ... فكأنّ صدركَ معدِنٌ من جوهر
يا منبرَ الإسلام دُمتَ متوَّجاً ... بالأنجبين وكلّ ليثٍ قسور
يا منبر الإسلام دمت منوّراً ... طول الزمان بكلّ عقلٍ أنور
يا منبر الإسلام دمت مضمّخاً ... بالرائعات من الفم المتعطّر
ومجالس هي كالمدارس روعة ... أُمٌّ لكلّ مهذّبٍ متنوّر
المنبر العالي رسالة مرشد ... جاءت لعقل النابِهِ المتحرّر
المنبر العالي حكيم مبصر ... يصف الدواء بحكمة المتبصّر(١)

---

(١) أُنظر كتاب مقتل الحسين للسيد جواد شبّر: ٢٧.

مسيرة المنبر والقراءة الحسينية

وضع أئمة أهل البيت عليهم السلام الأساس للمنبر الحسيني، وذلك بحثّهم شيعتهم علىٰ إقامة المجالس والمآتم الحسينيّة، وإحياء القضيّة الحسينية بكلّ الوسائل الممكنة، ومنها: إنشاء الشعر وإنشاده في رثاء الإمام الحسين عليه السلام، وسرد قصة كربلاء وذكر المآسي التي وقعت في يوم عاشوراء وما بعده.

فاستجاب الموالون لنداء أئمتهم الطاهرين، وصاروا يعقدون المجالس والمآتم في بيوتهم، وعندما وجدوا حرّيّةً في التعبير عن عقيدتهم، وإعلان شعائرهم أسّسوا مكاناً خاصّاً للمجلس والمأتم الحسيني أسموه (الحسينيّة أو المأتم)، وأخذوا يقيمون ذكرىٰ سيد الشهداء هناك.

كما نظموا القصائد العديدة في رثاء الإمام الحسين عليه السلام، فبرز منهم شعراء ومُنشدون وقُرّاء ونُوّاح حسينيّون، فكان الشعر المادّة الأُولىٰ التي تُقرأ في المجالس، والمنشدون والنوّاح هم أوائل القرّاء الحسينيّين.

واستمرّ هؤلاء في قراءة الشعر الرثائي في مآتم الحسين ومجالسه عليه السلام.

ثم ظهرت مادّة أُخرىٰ للقراءة وهي سرد قصّة مقتل الحسين عليه السلام، أو حديث

كربلاء، أوالسيرة الحسينيّة، وظهر قصّاصون ومحدّثون، يحدّثون الناس عن مأساة الحسين عليه السلام وأهل بيته، ويقصّون قصّة السيرة الحسينيّة عند قبر الحسين عليه السلام. ووصلت أخبار هؤلاء إلىٰ مسامع الإمام الصادق عليه السلام فقال لعبد الله ابن حماد: «بلغني أنَّ قوماً يأتونه من نواحي الكوفة، وناساً من غيرهم، ونساء يندبنه، وذلك في النصف من شعبان، فمِن بين قارئٍ يقرأ، وقاصٍّ يقصّ، ونادبٍ يندب، وقائلٍ يقول المراثي»[١].

وهذا يكشف عن استخدام الوسائل المألوفة المتّبعة في ذلك اليوم، فمن الوسائل المعروفة آنذاك: الشعر، ثم القصّة. وكان الأُمويون والعباسيون يستخدمون هاتين الوسيلتين لنشر الدعاية لهم بين الأُمّة، وتحكيم مواقعهم، فيما استخدمها أتباع أهل البيت لصالح قضيّتهم الحقّة.

ثم إنّ أخبار السيرة الحسينيّة ورواياتها مِن حين هلاك معاوية ومجيء يزيد إلىٰ الحكم، وحتىٰ استشهاد الإمام في كربلاء، جُمعت في كتاب خاصّ سُمّي بمقتل الحسين عليه السلام، أو حديث كربلاء، أو قصّة عاشوراء، وكان هذا الكتاب يُقرأ في المجالس الحسينيّة خصوصاً أيام العشرة الأُولىٰ من شهر محرم، ولا يزال القسم الخاصّ باليوم العاشر من المقتل يُقرأ في يوم عاشوراء في كثير من المجالس.

وكان كتّاب مقتل الحسين يلتمسون أخبار ما جرىٰ علىٰ أبي عبد الله عليه السلام ممّن حضر واقعة كربلاء.

فمن الذين حضروا الواقعة الأليمة الإمامان السجّاد وابنه الباقر عليهما السلام، لذا أقبل بعض العلماء إلىٰ الإمام أبي جعفر عليه السلام يسألونه عمّا شاهده بنفسه وما سمعه من

---

(١) كامل الزيارات: ٥٣٩، الباب ١٠٨، نوادر الزيارات.

أبيه الإمام زين العابدين عليه السلام من رزايا كربلاء، وما جرىٰ علىٰ العترة الطاهرة من صنوف القتل والتنكيل، وكان عليه السلام يزوّدهم بمعلوماته عنها وهم يدوّنونها.

قال الطبري في تاريخه: «حدّثني زكرياء بن يحيىٰ الضرير، قال: حدّثنا أحمد بن جناب المَصِّيصي ـ ويكنّىٰ أبا الوليد ـ قال: حدّثنا خالد بن يزيد بن أسد بن عبد الله القسري، قال: حدّثنا عمّار الدُهني، قال: قلت لأبي جعفر[عليه السلام]: حدِّثْني بمقتل الحسين حتّىٰ كأنّي حَضَرْتُه، قال[عليه السلام]: مات معاوية والوليد بن عتبة بن أبي سفيان علىٰ المدينة، فأرسل إلىٰ الحسين بن علي ليأخذ بيعته»[1]، وهكذا يستمر الطبري في ذكر قصّة كربلاء ومقدّماتها بصورة متقطّعة وموجزة[2].

وقد أُلّفت كُتُب متعدّدة فيها تفاصيل فاجعة كربلاء ومقدّماتها، سُمّيت بالمقاتل، واحدها مقتل الحسين عليه السلام منها:

مقتل الحسين عليه السلام للأصبغ بن نباتة المجاشعي التميمي الحنظلي من خاصّة أصحاب الإمام علي عليه السلام ومن شرطة الخميس، المتوفّىٰ سنة ١٠٠ هـ.

مقتل الحسين عليه السلام لجابر بن يزيد الجعفي المتوفّىٰ سنة ١٢٨ هـ.

مقتل الحسين عليه السلام برواية عمّار الدُهني البجلي المتوفىٰ سنة ١٣٣ هـ عن الإمام الباقر عليه السلام.

مقتل الحسين عليه السلام لهشام بن محمّد بن السائب بن بشر الكلبي الكوفي، المتوفّىٰ سنة ١٤٦ هـ.

---

(١) تاريخ الطبري ٥: ٣٤٧.

(٢) أنظر تاريخ الطبري ٥: ٣٤٧ وما بعدها.

مقتل الحسين عليه السلام لأبي مخنف لوط بن يحيىٰ بن سعيد بن مخنف بن سالم الأزدي الغامدي، المتوفّىٰ سنة ١٥٨ هـ.

مقتل الحسين عليه السلام لمحمد بن عمر الواقدي المتوفّىٰ سنة ٢٠٧ هـ.

مقتل الحسين عليه السلام لأبي عُبيدة معمّر بن المثنّىٰ التيمي ـ تيم قريش ـ المتوفّىٰ سنة ٢١٠ هـ.

مقتل الحسين عليه السلام لنصر بن مزاحم بن يسار المنقري المتوفّىٰ سنة ٢١٢ هـ.

مقتل الحسين عليه السلام لعلي بن محمّد المدائني المتوفّىٰ سنة ٢٢٤ هـ.

مقتل الحسين عليه السلام لأبي عُبيد القاسم بن سلّار ـ سلّام ـ الهروي، المتوفّىٰ سنة ٢٢٤ هـ.

مقتل الحسين عليه السلام لعبد الله بن محمّد بن عُبيد القرشي بن أبي الدنيا المتوفّىٰ سنة ٢٨١ هـ.

مقتل الحسين عليه السلام لإبراهيم بن محمّد بن سعيد الثقفي الكوفي، المتوفّىٰ سنة ٢٨٣ هـ.

مقتل الحسين عليه السلام لابن واضح اليعقوبي أحمد بن أبي يعقوب صاحب تاريخ اليعقوبي، المتوفىٰ بعد سنة ٢٩٢ هـ.

مقتل الحسين عليه السلام لمحمد بن زكريا بن دينار الغلابي البصري، المتوفّىٰ سنة ٢٩٨ هـ.

مقتل الحسين عليه السلام لعبد الله بن محمّد بن عبد العزيز البغوي، المتوفىٰ سنة ٣١٧ هـ.

مقتل الحسين عليه السلام للقاضي أبي الحسين عمر بن الحسن بن علي بن مالك الشيباني الأشناني البغدادي، المتوفّىٰ سنة ٣٣٩ هـ.

مقتل الحسين عليه السلام للحافظ الطبراني سُليمان بن أحمد بن مطير اللخمي الشامي، المتوفىٰ سنة ٣٦٠ هـ.

مقتل الحسين عليه السلام للشيخ الصدوق محمّد بن علي بن الحسين بن موسىٰ بن بابويه القمّي، المتوفّىٰ سنة ٣٨١ هـ.

مقتل الحسين عليه السلام للشيخ محمّد بن الحسن الطوسي المتوفّىٰ ٤٦٠ هـ.

مقتل الحسين عليه السلام لضياء الدين أبي المؤيّد الموفّق بن أحمد الحنفي المكّي الخوارزي المعروف بالخطيب الخوارزمي وأخطب خوارزم، المتوفىٰ سنة ٥٦٨ هـ.

مقتل الإمام الحسين عليه السلام لأبي القاسم مجير الدين بن محمود بن المبارك علي المعروف بالمجير وبابن بُقيرة الواسطي البغدادي، المتوفىٰ سنة ٥٩٢ هـ.

مقتل الحسين عليه السلام واسمه (مثير الأحزان ومنير سُبُل الأشجان) لابن نما جعفر بن نجيب الدين محمّد بن جعفر بن أبي البقاء هبة الله ابن نما الحلّي، المتوفّىٰ سنة ٦٤٥ هـ.

مقتل الحسين عليه السلام للرسعني عزّ الدين عبد الرزاق بن رزق الله بن أبي بكر بن خلف الجزري، المتوفّىٰ سنة ٦٦٠ أو ٦٦١ هـ.

مقتل الحسين عليه السلام المعروف بـ (اللهوف في قتلىٰ الطفوف) أو (الملهوف علىٰ قتلىٰ الطفوف) لعلي بن موسىٰ بن جعفر بن طاووس، المتوفّىٰ سنة ٦٦٤ هـ.

وعشرات المقاتل الأُخرىٰ(١).

وفي أثناء قراءتي في كثير من المناطق الشيعية وجدتُ أهلَ المجالس يقرأون مقاتل خطّيّة كتبها بعض آبائهم أو علمائهم أو من يثقون به،

---

(١) أُنظر الذريعة إلىٰ تصانيف الشيعة للشيخ آقا بزرگ الطهراني ٢٢: ٢١ ـ ٢٩.

وبعضهم كان يقرأ المقتل المنسوب إلىٰ أبي مخنف، وذلك لوضوح خطّه، وسهولة قراءته.

وفي الآونة الأخيرة صدرت مقاتل جديدة، منها:

مقتل أبي عبد الله الحسينعليه السلام واسمه **(مثير الأحزان)** للشيخ شريف بن عبد الحسين بن الشيخ محمد حسن صاحب الجواهر، المتوفّىٰ سنة ١٣١٤ هـ.

مقتل الحسين عليه السلام واسمه **(لواعج الأشجان)** للسيد محسن الأمين العاملي، المتوفّىٰ سنة ١٣٧١ هـ.

مقتل الحسين عليه السلام للشيخ محمد حسين كاشف الغطاء، المتوفّىٰ سنة ١٣٧٣هـ.

مقتل الحسين عليه السلام **أو واقعة الطف** للسيد محمد تقي بن السيد حسن بن إبراهيم ابن حسين بن محمّد رضا بن محمّد مهدي بحر العلوم، المتوفّىٰ سنة ١٣٩٣ هـ.

مقتل الحسين عليه السلام للسيد عبد الكريم السيد علي خان، المتوفّىٰ سنة ١٤١١هـ.

مقتل الحسين عليه السلام للسيد جواد شبّر[(١)].

مقتل الحسين عليه السلام المسمّىٰ (يوم الطف) لهادي النجفي.

كما ظهرت مقاتل حديثة تمتاز بذكر المصيبة مقرونة بالشعر الفصيح المناسب، منها:

مقتل الحسين عليه السلام **أو حديث كربلاء** للسيد عبد الرزاق بن السيد محمّد بن عباس المقرّم، المتوفّىٰ سنة ١٣٩١.

مقتل الحسين عليه السلام للسيد محمد بحر العلوم.

وبعض المقاتل أضافت إلىٰ الشعر الفصيح الشعر الشعبي، منها:

---

(١) إنّ هذا المقتل كان خالياً من شعر المديح والرثاء عدا الأبيات الأخيرة في الإمام الحسين عليه السلام للسيد حيدر الحلّي، ثم إنّ نجله الخطيب السيد محمّد أمين شبر أضاف إليه الشعر المناسب من الفصيح والشعبي وأخرجه بحلّة جديدة.

مقتل الحسين عليه السلام للشيخ عبد الزهراء الكعبي.

(مقتل السبط الثائر في يوم العاشر) للشيخ عبد الأمير آل سميسم.

مقتل الحسين عليه السلام للشيخ فاضل عباس الحياوي.

مقتل الحسين عليه السلام للشيخ إبراهيم النصيراوي.

(مقتل سيد الشهداء) للشيخ محمود الشريفي[١].

والجدير بالذكر أنّ بعض هذه المقاتل كتبها أصحابها ليقرأها بنفسه في أُسرته وعائلته خصوصاً يوم عاشوراء؛ وذلك امتثالاً لأمر الإمام الباقر عليه السلام حيث أمر بزيارة الحسين عليه السلام يوم عاشوراء حتىٰ لو كان المؤمن بعيداً عن كربلاء ولم يحضر يوم عاشوراء عند قبر الإمام الحسين عليه السلام، وأضاف: «ثم ليندب الحسين ويبكيه ويأمر مَن في داره بالبكاء عليه، ويقيم في داره مصيبته بإظهار الجزع عليه، ويتلاقون بالبكاء، ويُعزّي بعضهم بعضاً بمصاب الحسين...».

قال الراوي: قلت: فكيف يُعزّي بعضهم بعضاً؟ قال: «يقولون: عظّم الله أُجورنا بمصابنا بالحسين عليه السلام، وجعلنا وإيّاكم من الطالبين بثأره مع وليّه الإمام المهدي من آل محمد صلى الله عليه وآله»[٢].

وقام بعض القرّاء بالجمع بين السيرة والشعر، فصار يقرأ السيرة الحسينية مطعّمة بالرثاء، أو يبدأ المجلس بالشعر الرثائي، ثم يذكر أخبار الحسين عليه السلام ومواقفه ومصائبه مستعينا بالشعر المناسب. ومن الكتب الّتي تُمثّل

(١) إنّ كُتب المقاتل أكثر من أن تُحصىٰ، ولمزيد الإطلاع راجع كتاب الذريعة إلىٰ تصانيف الشيعة ٢٢: ٢١ ـ ٢٩، ومعجم ما كُتب عن الرسول وأهل البيت لعبد الجبّار الرفاعي ٨: ٦٥ وما بعدها.

(٢) كامل الزيارات: ٣٢٥ ـ ٣٢٦، الباب ٧١، الحديث ٩.

هذه الطريقة:

مثير الأحزان (للشيخ شريف الجواهري).

ثمرات الأعواد (للخطيب السيّد عليّ الهاشمي).

مناهج البكاء في فجايع كربلاء (للشيخ حسين الفرطوسي الحويزي).

ونظراً إلىٰ أنّ تكرار الشيء يوجب الملل، فقد أُضيف إلىٰ الشعر الرثائي شعر الفضائل والمناقب وشعر الاحتجاج وما شابه ذلك، كما أُضيفت إلىٰ السيرة أخبار الفضائل والمناقب الواردة في أهل البيت عليهم‌السلام ومثالب أعدائهم، مع إضافات أدبيّة نثريّة مسجوعة وغير مسجوعة، ممّا سبّب حدوث تطوّر في مادّة القراءة ونوعيتها، ونستطيع أن نُسمّي القرّاء بهذا الشكل بالخطباء الأوائل[١]، وقد أُلّفت علىٰ هذه الطريقة بعض الكتب، منها:

(المنتخب في جمع المراثي والخطب) للشيخ فخر الدين الطريحي.

(الفوادح الحسينية) للشيخ حسين العصفور.

وهذان الكتابان يُقرءان في بعض المجالس الحسينية خصوصاً في الخليج حتىٰ اليوم.

وبقي الأمر علىٰ هذا الحال إلىٰ أن حدث تغيير آخر أو تطوّر في مادة القراءة، فصار الخطيب يتعرّض إلىٰ تاريخ الإسلام، وتاريخ الرسول الأعظم صلى‌الله‌عليه‌وآله، وتاريخ أهل بيته الكرام، ومواقفهم وصراعهم مع أعدائهم، ثم يتخلّص بذكر واقعة كربلاء ومصيبة الحسين عليه‌السلام، ويفجّر الموقف برثائهم.

وعلىٰ هذا النهج من الخطابة أُلّفت كتب مفيدة أهمّها:

(المجالس السَنِيّة في مناقب ومصائب العترة النبوية) للسيد محسن الأمين

(١) ثورة الحسين في الوجدان الشعبي للشيخ محمد مهدي شمس الدين: ٢٣٩.

العاملي، ألّفه سنة ١٣٤٢ هـ في خمسة أجزاء: الجزء الأوّل خاصّ بالحسين عليه السلام في تاريخ مولده ومقتله وقدر عمره ومدّة خلافته (إمامته)، وكنيته، ولقبه، ونقش خاتمه، وعدد أولاده وصفته، ونبذ من مناقبه، وسيرته وخطبه، وثواب البكاء عليه ونظم الشعر في رثائه، وزيارته، وأخبار النبي وأمير المؤمنين بقتله وشهادته، وما جرىٰ له بعد موت معاوية، وكيفية شهادته، وما جرىٰ بعد قتله إلىٰ رجوع أهل بيته إلى المدينة وما يتعلّق بذلك.

والجزء الثاني والثالث والرابع في جملة من مناقب أهل البيت عليهم السلام، وجملة من الغزوات والمواعظ والآداب، وأخبار السلف المستحسنة، وغير ذلك ممّا فيه فوائد نافعة للمستمع، ثم التعريج علىٰ المصيبة، علىٰ الطريقة المألوفة، بأنسب وجه، وأجمل طريق، ناقلاً ذلك من الكتب المعتمدة المشهورة لمؤرّخي الإسلام.

والجزء الخامس فيما يتعلّق بأحوال النبي صلى الله عليه وآله، والزهراء وباقي الأئمة عليهم السلام ومناقبهم ووفياتهم وأحوال الإمام المهدي وغيبته (عجل الله فرجه)، علىٰ أبسط وجه وأحسن ترتيب[1].

وكتاب (المجالس السنية) كما يظهر من اسمه ومحتواه ـ مرتّب علىٰ شكل مجالس، وإن كانت المصيبة أو التعزية المذكورة في آخر كل مجلس بسيطة، ولكنّ السيد المؤلف رضوان الله عليه معذور؛ لأنّه لم يكن خطيباً حسينيّاً متقناً لفنّ الخطابة وقراءة التعزية، وهذه ظاهرة ملحوظة في كثير من الكتب التي ألّفها غير ذوي الاختصاص علىٰ ترتيب المجالس، ولكنّها علىٰ كُلّ حال عامل مساعد لتكوين مجالس مرتّبة، ولا يزال الخطباء يستفيدون من هذا الكتاب،

---

(١) المجالس السنية ١: ١.

ثقة بمؤلّفه، وبصحّة الأخبار والروايات التي وردت فيه، وما حواه من معلومات مفيدة.

ثمّ إنّ الخُطب الحسينية أخذت بالتطوّر، فأضاف الخطباء إلىٰ مادّتهم نصوصاً من نهج البلاغة، وصاروا يبدأون بقراءة خطبة منه أو رسالة أو حكمة أو وصية ثم يأخذون في شرحها، وبيان مضامينها، وما تتعرّض له من قضايا تاريخية، أو وعظية، أو عقائدية.

وفي هذا العصر حصل تطوّر كبير في عالم الخطابة وذلك بسبب النهضة العلميّة الحديثة، وفَتحِ المدارس الجديدة، وتدريسِ العلوم العصرية، وانتشارِ الكتبِ في سائر العلوم: كالفيزياء، والكيمياء، والطب، والقانون، والاجتماع، والنفس، والفلسفة، والتربية، وانفتاح باب الدراسات والبحوث التحليلية، والنقد والمقارنة، وانتشار الثقافة والوعي بوساطة الكتب والمجلّات والإذاعة والتلفزيون، بسبب كلّ ذلك حصل تطوّر كبير في عالم الخطابة، فصار الكثير من الخطباء يتعرّضون إلىٰ معالجة قضايا اجتماعيّة واقتصاديّة وتربويّة وأخلاقيّة وسياسيّة وثقافيّة، ويقارنون بين قوانين الإسلام والقوانين الحديثة مستعينين بالدراسات الإسلاميّة والعلوم القرآنيّة إلىٰ جانب العلوم الحديثة.

وكثيراً مايفتتح الخطيب خطبته بآية قرآنية ثم يأخذ في ذكر أبعادها ومضامينها ومفاهيمها الواسعة مستفيداً من العلوم قديمها وجديدها، وذلك حسب سعة إطلاع الخطيب وكثرة معلوماته.

وفي أوائل عصر النهضة الحديثة ظهرت بعض الكتب التي تحتوي علىٰ مجالس مرتّبة بأُسلوب جديد، منها:

(إرشاد الخطيب) للخطيب السيد جاسم شبّر.

(كفاية الخطيب) للخطيب السيد مهدي السويج.

(الأخلاق المرْضيّة في الدروس المنبرية) للخطيب الشيخ محمّد علي قسّام.

فكانت مؤشّراً لبدء مرحلة جديدة في عالم الخطابة والمنبر.

وفي الآونة الأخيرة ظهر كتاب (من لا يحضره الخطيب) للأُستاذ الخطيب السيد داخل السيد حسن، يتضمّن مجالس مرتّبة وحديثة تمثّل تطوّراً كبيراً في المنبر الحسيني.

وما زال المنبر في حالة تطوّر مستمر، وعلىٰ رأس هذا النهج التطوري الجديد والمدرسة الخطابيّة الحديثة الأُستاذ الدكتور الشيخ أحمد الوائلي الذي سار علىٰ نهجه الكثير من الخطباء الجدد، وقد احتوت محاضراته علىٰ بحوث قيّمة ألقاها في المجالس الحسينيّة في شهري محرّم وصفر وشهر رمضان، وفي مناسبات أُخرىٰ؛ وهي تبيّن سعة إطلاع الدكتور الوائلي علىٰ العلوم الإسلاميّة والعلوم الحديثة، وتُخبر عن فنّه الجميل وأُسلوبه المتميّز، في الجمع بين الثقافة الإسلامية والثقافات الأُخرىٰ.

هذا عرض سريع لمسيرة المنبر الحسيني والمجالس الحسينيّة(١).

وأودّ أن أذكر هنا بعض الملاحظات:

١ ـ لا يزال الشعر الرثائي الذي كان المادّة الأُولىٰ للمجلس الحسيني يحتفظ بضرورة وجوده في الخطبة الحسينيّة حتّىٰ اليوم، وهو نبعٌ ثرٌّ للمنبر الحسيني لا يُستغنىٰ عنه، فالخطيب لابدّ من أن ينشد شيئاً من الشعر الرثائي في أثناء تعرّضه للمصيبة في آخر المجلس، وذلك لتهييج العاطفة وتحزين القلوب

---

(١) أُنظر تفصيل ذلك في كتاب (ثورة الحسين في الوجدان الشعبي) للشيخ محمّد مهدي شمس الدين.

واستدرار الدموع، كما أنّ الخطيب أحياناً يبدأ بإنشاد قطعة شعريّة أو قصيدة بالفصحىٰ وتُسمّىٰ (القَريض)، وأبيات أو قصيدة باللغة الشعبية وتُسمّىٰ (الحسچه) عند العراقيين، وهذا الدور ربّما يقوم به تلميذ الخطيب أو شخص آخر، ويُسمّىٰ (المقدّمة) أي مقدّمة الخطيب.

٢ ـ ولا تزال السيرة الحسينيّة، ومقتل الحسين عليه السلام، وحديث الطف التي كانت المادّة الثانية للمجلس الحسيني، هي العنصر الأساس في الخطبة الحسينيّة حتىٰ اليوم، ولا يمكن الاستغناء عنها.

٣ ـ أُلحقت سيرة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسيرة أهل بيته ومناقبهم وفضائلهم ومصائبهم بالمجالس والخطب الحسينيّة، كما أنّ الشعر المناقبي قد أُلحق بالخطب والمواد الخطابيّة، وهذه كلّها من مقوّمات الخطبة الحسينيّة قديماً وحديثاً.

٤ ـ ألّف المولىٰ حسين بن علي الكاشفي المتوفىٰ في حدود سنة ٩١٠ هـ كتاب (روضة الشهداء) وهو يحتوي علىٰ عشرة أبواب وخاتمة، يتحدّث فيها المؤلّف عن بعض ابتلاءات وامتحانات الأنبياء والأولياء، وعن بعض الأُمور الأخلاقية، وعن فضائل ومناقب أهل البيت، ويطعّمها بالشعر والنثر والشواهد الأدبيّة المناسبة، ويعرّج في آخرها علىٰ المصيبة الحسينيّة، «وهو أوّل مقتل فارسي شاعت قراءته بين الفرس حتىٰ عُرف قاريه بـ (روضه خون)»[1]. فكان الخطباء الإيرانيون يقرأون مواضيع هذا الكتاب في المجالس الحسينيّة؛ لذا عُرف قارئ كتاب (روضة الشهداء)، بـ(روضه خون) أي قارئ الروضة، وبما أنّ الإيرانيين يلفظون الضاد زاياً قالوا: (روزه خون)، فشاع هذا الاسم حتىٰ أصبح مصطلحاً

---

(١) الذريعة إلىٰ تصانيف الشيعة ١١: ٢٩٤، الرقم ١٧٧٥.

معروفاً لمن يقرأ تعزية الحسينعليه السلام.

٥ ـ ألّف السيد محمد بن أبي طالب الحسيني الموسوي الحائري الكَرَكي من أعلام القرن العاشر الهجري كتاباً سمّاه (تَسلية المُجالس وزينةُ المَجالس). قال في سبب تأليفه: «إنّي عثرت على كتاب[1] لبعض فصحاء اللغة الفارسية، وفرسان البلاغة الأعجمية، أصحاب المجد القديم، والدين القويم، الذين قال الله سبحانه فيهم: ﴿وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[2]،

---

(١) ومقصوده كتاب (روضة الشهداء) للمولىٰ حسين بن علي الكاشفي.

(٢) سورة الجمعة: ٣. قال السيوطي في الدرّ المنثور، عند تفسيره للآية الثانية والثالثة من سورة الجمعة: «أخرج سعيد بن منصور، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، عن مجاهد في قوله [تعالىٰ] ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ﴾. قال: (العرب). ﴿وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾ قال: (العجم)».

وقال أيضاً: «أخرج سعيد بن منصور والبخاري ومسلم والترمذي والنسائي وابن جرير وابن المنذر وابن مردويه وأبو نعيم والبيهقي معاً في الدلائل عن أبي هريرة، قال: كنّا جلوساً عند النبي حين نزلت سورة الجمعة فتلاها، فلمّا بلغ: ﴿وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾ قال له رجل: يارسول الله، مَن هؤلاء الذين لم يلحقوا بنا؟ فوضع يده علىٰ رأس سلمان الفارسي وقال: (والذي نفسي بيده لو كان الإيمان بالثريّا لناله رجال من هؤلاء)» الدرّ المنثور ـ المجلد ٦: ٣٢١.

قال الباحث: وروىٰ مثله أحمد بن حنبل في مسنده ـ المجلد ٣: ٤٩٧، الحديث ٩٣٩٦، والترمذي في سننه، المجلد ٤: ٢٥٥ باب ٦٢ ـ الحديث ٣٣١٠ و باب ٧١ ـ الحديث ٣٩٣٣، والبخاري في صحيحه ـ المجلد ٣: ٥٣٣ باب ٥١٥ ـ الحديث ١٣٢٢ و ١٣٢٣.

وقال السيوطي أيضاً: «وأخرج سعيد بن منصور، وابن مردويه عن قيس بن سعد بن عبادة، أنّ رسول الله قال: (لو أنّ الإيمان بالثريّا لناله رجال من أهل فارس)». الدرّ المنثور المجلد ٦: ٣٢١، تفسير الآية ٣ من سورة الجمعة.

وروىٰ أحمد بن حنبل بسنده عن أبي هريرة أنّه قال: «قال رسول الله: (لو كان الدين عند الثريّا لذهب رجال من فارس ـ أو أبناء فارس ـ حتّىٰ يتناولوه). مسند أحمد، المجلد ٣: ٢٠٩ الحديث ٨٠٦٧.

←

تُزيِّن بتحقيقهم وتدقيقهم المجامعُ والمجالسُ، وكيف لا يكون ذلك كذلك وقد قال سيد المرسلين: «لو كان العلم معلّقاً بالثريّا لناله رجال من فارس»(١).

← وقال الآلوسي: «أخرج عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم والطبراني في الأوسط والبيهقي في الدلائل والترمذي ـ وهو حديث صحيح على شرط مسلم ـ عن أبي هريرة قال: تلا رسول الله هذه الآية ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُم﴾ محمّد: ٣٨ فقالوا: يا رسول الله مَن هؤلاء الذين إن تولّينا استُبدلوا بنا، ثم لا يكونوا أمثالنا؟ فضرب رسول الله على منكب سلمان ثم قال: (هذا وقومه، والذي نفسي بيده لو كان الإيمان منوطاً بالثريّا لتناوله رجال من فارس)» روح المعاني ٢٦: ٨٢. ورواه السيوطي في الدرّ المنثور المجلد ٦: ٥٥. والطبري في جامع البيان ٢٧: ٤٢. والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن ١٦: ١٧٠، والفخر الرازي في التفسير الكبير ٢٨: ٧٦، والترمذي في سننه ـ المجلد ٤: ٢٢٨، باب ٤٧ الحديث ٣٢٦١.

وروى الترمذي أيضاً بسندٍ آخر أنّه قال: «لو كان الإيمان معلّقاً بالثريّا لتناوله رجال من فارس». سنن الترمذي ـ المجلد ٤: ٢٢٨ باب ٤٧. ورواه أكثر المفسّرين والمحدّثين.

(١) روى أحمد بن حنبل بسنده عن شَهر بنِ حَوشَب عن أبي هريرة قال: «سمعته يقول: قال رسول الله: (لو كان العلم بالثريّا لتناوله أُناسٌ ـ ناس ـ من أبناء فارس) مسند أحمد، المجلد ٣: ١٧٨، الحديث ٧٩٣٧، وصفحة: ٥٠٤ الحديث ٩٤٣٠، وصفحة: ٥١٠ الحديث ٩٤٥٤، وصفحة: ٦٣٤ الحديث ١٠٠٥٩.

إنّ الرسول الأعظمﷺ أكّد على حبّ أبناء فارس للإيمان والدين والعلم وهي الأصول الأساسية للإسلام الصحيح، فلا خير في إيمان خال من العلم، ولا في علم خال من الإيمان. كما أنّ التاريخ ذكر لنا حبّ هؤلاء للعلم والدين، فقد روى المُبرَّد في الكامل ٢: ٦٢ «أنّ الأشعث بن قيس أتى [إلى جامع الكوفة] يتخطّى رقاب الناس، وعليٌّ[عليه السلام] على المنبر فقال: يا أمير المؤمنين، غَلَبَتنا هذه الحمراء على قربك، قال: فركض (أي ضرب) عليٌّ المنبر برجله، فقال صعصعة بن صوحان العبدي: ما لنا ولهذا؟ يعني الأشعث، لَيقولنّ أميرُ المؤمنين اليومَ في العرب قولاً لا يزال يُذكر؛ فقال عليٌّ: مَن يَعذِرُني مِن هذه الضياطرة، يَتمرَّغ أحدُهم على فراشه تمرُّغ الحمار، ويُهَجِّرُ قومٌ للذكر، فيأمرني أن أطردهم؛ ما كنت لأطردهم فأكون من الجاهلين، والذي فلق الحبّة، وبرأ النَسَمَة، ليضربُنّكُم على الدين عَوْداً كما ضربتموهم عليه بَدْءاً».

←

ووجدتُه قد رتّبه علىٰ عشرة مجالس لقيام المآتم لمصاب الغرّ الميامين من بني هاشم، شهداء كربلاء وأهل ﴿قُلْ لا أسألكُمْ عَلَيْهِ أجْراً إلَّا ٱلمَوَدَّةَ فِي القُرْبَىٰ﴾(١)، وجعلها خاصّة بالعَشر الأُول من شهر محرّم الحرام الذي فيه هُتكت حُرمةُ الإسلام، وقُتلت ذرّية سيّد الأنام، وجَعل لكلّ يوم من أيامه مجلساً، لقواعد الحزن والتعزية مؤسّساً.

أثابه الله ثواب الصدّيقين، وحشره في زمرة أوليائه الطاهرين.

فَاستخَرتُ الله سبحانه أن أنسخ علىٰ منواله في التصنيف والترتيب، وأقتدي بأفعاله في التأليف والتهذيب، وأُزيّن مجالس أهل الإيمان بمناقب سادتهم

← ورواه ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ـ المجلد ١٠: ٧٣. قائلاً: «إنّ الأشعث قال له وهو علىٰ المنبر: غلبتنا عليك هذه الحمراء، فقال: (مَن يَعذِرُني مِن هؤلاء الضياطرة، يتخلّف أحدهم يتقلّب علىٰ فراشه وحشاياه كالعِير (أي الحمار) ويهجّر (أي يبكّر) هؤلاء للذكر! أأطردهم؟ إنّي إنْ طردتهم لمن الظالمين، والله لقد سمعته يقول: والله ليضربنّكم علىٰ الدين عَوْداً كما ضربتموهم عليه بَدْءاً)».

ثم قال ابن أبي الحديد: «قال أبو عبيد: الحمراء: العجم والموالي، سُمّوا بذلك لأنّ الغالب علىٰ ألوان العرب السمرة، والغالب علىٰ ألوان العجم البياض والحمرة. والضياطرة: الضخام الذين لا نفع عندهم ولا غَناء، واحدهم ضيطار».

وقد أشار إلىٰ هذا الخبر تحت كلمة (حمراء) جماعة من علماء اللغة، كابن الأثير الجزري في النهاية، والزبيدي في تاج العروس، وابن منظور في لسان العرب. والخليل بن أحمد الفراهيدي في كتاب العين.

قال الزبيدي: «والحمراء: العجم، لبياضهم، ولأنّ الشقرة أغلب الألوان عليهم. وكانت العرب تقول للعجم الذين يكون البياض غالباً علىٰ ألوانهم مثل الروم والفرس ومَن صاقبهم أنّهم الحمراء، ومن ذلك حديث علي حين قال له سُراة من أصحابه العرب: غلبتنا عليك هذه الحمراء، فقال: (ليضربنّكم علىٰ الدين عودا كما ضربتموهم عليه بدءا) أراد بالحمراء الفرس والروم. والعرب إذا قالوا فلان أبيض وفلانة بيضاء فمعناه الكرم في الأخلاق لا لون الخلقة، وإذا قالوا فلان أحمر وفلانة حمراء عنوا بياض اللون. تاج العروس ٣: ١٥٥ (حَمَرَ).

(١) سورة الشورىٰ: ٢٣.

ومواليهم، وأُهيّج أحزان قلوب أهل العرفان من شيعتهم ومواليهم، وأُحلّي أجياد اللسان العربي بدُرر نظمي ونثري، وأُجدّد معاهد الأشجان بنواضح بدائع فكري، ورتّبته كترتيبه، وبوّبته كتبويبه، لكن لم أقصد ترجمة كلامه، ولا سلكت مسلكه في نثاره ونظامه، وجعلته عشرة مجالس، وسمّيته بـ(تَسليةُ المُجالس وزينةُ المَجالس) ولم أُورد فيه من الأحاديث إلّا ما صحّحه علماؤنا، ورجّحه أعلامنا، ودوّنوه في كتبهم، ونقلوه عن أئمتهم»[1].

٦ ـ استمرّ الخطباء الإيرانيّون علىٰ قراءة كتاب (روضة الشهداء) في مجالس الحسين عليه السلام، ثم توسّعوا في المنبر الحسيني بالاستفادة من العلوم الإسلاميّة المختلفة، فأدخلوا علم الفلسفة والعرفان والأخلاق في الخطب الحسينيّة.

وفي العصر الحديث استعانوا بالعلوم الحديثة علىٰ كشف أسرار وحقائق الآيات القرآنيّة والأحاديث الشريفة، وقام بعضهم بمعالجة قضايا اجتماعيّة أو أخلاقيّة أو عقائديّة أو تربويّة، وذلك بطريقة علميّة وموضوعيّة، فاختار موضوعاً خاصّاً وأشبعه بحثاً في عدّة محاضرات متواصلة، وممن طبّق هذا الأُسلوب الأُستاذ الخطيب المرحوم الشيخ محمّد تقي الفلسفي، فقد اختار مواضيع متعدّدة تَحدّث عن كُلّ واحد منها في ثلاثين محاضرة أيام شهر رمضان المبارك، ثمّ دُوّنت محاضراته هذه في كتب فأثرت المكتبة الإسلاميّة، منها:

(الطفل بين الوراثة والتربية) جزءان.

(الشاب بين العقل والعاطفة) جزءان.

(الشيخ والشاب بين الأفكار والميول) جزءان.

---

(١) مقدمة تسلية المُجالس: ٥١ ـ ٥٢.

(المعاد بين الروح والجسم) ثلاثة أجزاء.

(الأخلاق من منظور التعايش والقيم الإنسانية) جزءان.

(آية الكرسي نداء التوحيد السماوي).

تحدّثت مرة مع الشيخ الوائلي، فقلت له: حبّذا لو اخترت موضوعاً عقائدياً أو اجتماعياً أو علمياً نافعاً وأشبعته بحثاً في مجالس متعددة بأُسلوب خطابي علمي واضح، ثم يؤلّف منها كتاب ينفع القرّاء ويغني عن كثير من الكتب العلمية المعقدّة، كما فعل الاستاذ الفلسفي.

فقال لي: إنّ المستمع العربي لا يتحمّل ذلك ولا يستسيغه.

فقلت له: إنّك خطيب قدير، والناس تتقبّل منك، فلو جرّبت ذلك، فلم يقتنع.

والجدير بالذكر: إنّني تناولت تفسير سورة يوسف في شهر رمضان سنة ١٩٧٩ م في حسينية الحاج حسن الشمّاسي في الأهواز، وكذلك تحدّثت شهراً كاملاً عن أُصول الدين في مجلس النجفيين في قم المقدّسة، فكان الأُسلوب ناجحاً والإقبال شديداً والموضوع نافعاً.

الباب الأول

المنبر الحسيني والتوعية

الفصل الأوّل: المقصود من المنبر الحسيني ومن التوعية

الفصل الثاني: أهم أدوات التوعية ووسائلها

الفصل الثالث: أساليب التوعية المعتمدة عند أهل البيت عليهم السلام

الفصل الأوّل

المقصود من المنبر الحسيني ومن التوعية

المقصود من المنبر الحسيني ومن التوعية

يُقصد من المنبر الحسيني (الخطابة الحسينيّة) المتداولة في المجالس الحسينيّة لما بينهما من ملازمة.

ويُقصد من التوعية الإسلاميّة نشر الوعي الإسلامي في الأُمّة.

الوعي في اللغة والحديث:

ذكر علماء اللغة والحديث للوعي معانيَ كثيرة أهمّها:

١ ـ **الحفظ**: قال الجوهري: «وعاه أي حفظه، تقول: وَعَيتُ الحديثَ أعِيهِ وَعْياً وأُذنٌ واعية»[١].

وقال الطريحي: «وَعَيْت العلمَ إذا حَفظْتَه، وفي الحديث: (خير القلوب أوعاها)، أي أحفظها للعلم وأجمعها، وفيه[٢]: (الموعظة كهف لمن وعىٰ) أي حفظ»[٣].

---

(١) الصحاح: (وعىٰ).

(٢) أي في الحديث.

(٣) مجمع البحرين: (وعىٰ).

وفي المعجم «يقال: أُذنٌ واعية، أي حافظة»[١].

٢ ـ الحفظ والفهم: ففي النهاية: «يقال: وعيتُ الحديثَ أَعِيْه وَعْياً، فأنا واعٍ: إذا حفظْته وفهمته، وفلان أوعىٰ من فلان أي أحفظ وأفهم، ومنه الحديث: (نضَّر اللهُ امرأً سمع مقالتي فوعاها، [ثم بلّغها عنّي] فربّ مُبَلَّغٍ أوعىٰ من سامعٍ)»[٢].

وفي سُنن ابن ماجه عن أنس بن مالك قال، قال رسول الله: «نضّر الله عبداً سمع مقالتي فوعاها، ثمّ بلّغها عنّي، فربّ حاملِ فقهٍ غير فقيه، وربّ حامل فقهٍ إلىٰ مَن هو أفقه منه»[٣].

وفي الفائق: «نضّر الله عبداً سمع مقالتي فوعاها، ثم أدّاها إلىٰ مَن لم يسمعها»[٤].

وفي رواية الكراجكي الطرابلسي قال ﷺ: «نَضَّرَ اللهُ امرأً سمع منّا حديثاً فأدّاه كما سمع، فربّ مبلَّغ أوعىٰ من سامع»[٥].

فالرسول الأكرم ﷺ لا يكتفي بسماع حديثه بل يريد أن يعيه السامع ثم

---

(١) المعجم الوسيط: (وعىٰ).

(٢) النهاية لابن الأثير: (وعىٰ)، وفي كنز العمال ١٠: ٢٢١، الحديث ٢٩١٦٦: «نضّر الله امرأً سمع منّا شيئاً فبلّغه كما سمعه، فربّ مبلَّغٍ أوعىٰ من سامع».

(٣) سُنن ابن ماجه ١: ١٤٣، الحديث ٢٣٦، ورواه المتقي في كنز العمال ١٠: ٢٢٠، الحديث ٢٩١٦٣.

(٤) الفائق في غريب الحديث ٣: ٣٠٣، وفي مسند أحمد: «نضّر الله امرأً سمع مقالتي فوعاها ثم أدّاها إلىٰ مَن لم يسمعها، فربّ حامل فقهٍ لا فقه له، وربّ حامل فقهٍ إلىٰ مَن هو أفقه منه». مسند الإمام أحمد ٥: ٧٢٥، الحديث ١٦٨٥٩ وصفحة: ٧٢٩، الحديث ١٦٨٧٥.

(٥) كنز الفوائد للكراجكي ٢: ٣١، والبحار ٢: ١٦٠. ومثله في كنز العمال ١٠: ٢٢١. الحديث ٢٩١٦٦. وفيه سمع منّا شيئاً فبلّغه كما سمع...

يوصله إلىٰ غيره بأمانة، وربّما كان وعي المبلَّغ بالحديث أحسن من المبلِّغ السامع من رسول الله ﷺ.

٣ ـ الحفظ والتدبّر: قال الفيّومي: «وعَيتُ الحديثَ وَعياً من باب (وَعَدَ) حفظته وتدبّرته»[١].

وأمّا معنىٰ التدبّر: فقد قال ابن منظور: «دَبَّرَ الأمرَ وتَدبَّرَه: نظر في عاقبته، والتدبير في الأمر: أن تنظر إلىٰ ما تَؤُول إليه عاقبتُه، والتَدَبُّر: التفكّر فيه»[٢].

٤ ـ التَدَبُّر والتَفَهُّم: قال الإمام علي عليه السلام في وصفه لآل محمّد ﷺ: «عقلوا الدين عقْل وِعايةٍ ورِعايةٍ، لا عقْل سَماعٍ وروايةٍ، فإنَّ رواةَ العلم كثيرٌ، ورُعاتَه قليلٌ»[٣].

وقال عليه السلام أيضاً: «اعقلوا الخبرَ إذا سمعتموه عقلَ رعاية لا عقلَ رواية، فإنّ رواةَ العلم كثيرٌ ورعاتَه قليل»[٤].

قال الطريحي: «المراد بعقل الرعاية: تدبُّره وتفهُّم معناه، وبعقل الرواية نقل ألفاظه فقط»[٥].

٥ ـ الحفظ والفهم والقبول: قال ابن منظور: «الوعي: حِفظُ القلبِ الشيءَ، وعىٰ الشيءَ والحديثَ يَعيهِ وَعْياً وأوعاه: حفظه وفهمه وقبله، فهو واعٍ»[٦].

وقال أيضاً: «فهمتُ الشيءَ أي عقلته وعرفته»[٧].

---

(١) المصباح المنير: (وعىٰ).
(٢) لسان العرب: (دبّر).
(٣) نهج البلاغة: الخطبة ٢٣٩.
(٤) نهج البلاغة: الحكمة ٩٨.
(٥) مجمع البحرين: (عقل).
(٦) لسان العرب: (وعىٰ).
(٧) لسان العرب: (وعىٰ).

وفي المعجم: «وعىٰ الشيءَ: جَمَعه في وعاء. ووعىٰ الحديثَ: حَفِظَهُ، وفَهِمَهُ، وقَبِلَه»[١].

٦ ـ الحِفظُ والفَهمُ والعملُ به: قال ابن الأثير في معنىٰ حديث النبي ﷺ: «(لا يعذِّبُ اللهُ قلباً وعىٰ القرآنَ)[٢] أي عَقَله إيماناً به وعملاً، فأمّا مَن حَفِظَ ألفاظَه وضَيَّعَ حدودَه فإنّه غيرُ واعٍ له»[٣].

وقال الزمخشري: «﴿أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾[٤]، مِن شأنها أن تعي وتحفظ ما سمعَتْ به ولا تضيّعه بترك العمل، وكلّ ما حفظته في نفسك فقد وعيته، وما حفظته في غير نفسك فقد أوعيته، كقولك: أوعيتُ الشيءَ في الظرف»[٥].

٧ ـ إدراكُ الأمرِ علىٰ حقيقته: ورَدَ في المعجم: «وعىٰ الأمرَ أَدْرَكَه علىٰ حقيقته»[٦].

بعد استعراض أقوال علماء اللغة والحديث في معنىٰ (الوَعْي) نخرج بالنتيجة التالية: أنّ (الوَعْيَ) هو: الحفظ، والفهم، والتدبّر، وإدراك الأمر على حقيقته.

وأنّ الوَعِيَّ: «هو الحافظ، الكيّس، الفقيه، العالم»[٧]. والمراد من الكيّس: العاقل[٨]. ومن الفقيه: الفهيم. قال ابن منظور: «الفقه العلم بالشيء والفهم

(١) المعجم الوسيط: (وعىٰ).
(٢) ونصّه في كنز العمال ١: ٥٣٦، الحديث ٢٤٠٠: «إنّ اللّه لا يعذِّبُ قلباً وعىٰ القرآنَ».
(٣) النهاية: (وعىٰ).
(٤) سورة الحاقة: ١٢.
(٥) الكشاف ٤: ٤٨١.
(٦) المعجم الوسيط: (وعىٰ).
(٧) مجمع البحرين: (وعىٰ).
(٨) لسان العرب: (كيس).

له»[١]. وقول النبي موسىٰ عليه السلام: ﴿وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِن لِسَانِي * يَفْقَهُوا قَولِي﴾[٢]، أي يفهموا قولي.

روىٰ السيوطي بسنده عن زيد بن أسلم: «أنّ النبي صلى الله عليه وآله دفع رجلاً إلىٰ رجلٍ [من أصحابه] يُعلّمه [القرآن]، فعلّمه حتّىٰ بلغ: ﴿فَمَن يَعمَلْ مِثقالَ ذَرَّةٍ خَيراً يَرَه وَمَن يَعمَلْ مِثقالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ﴾[٣] فقال الرجل: حَسْبي، فقال الرجل [الذي كان يُعلّمه]: يا رسول الله، أرأيتَ الرجل الذي أمرتني [أن] أُعلّمه، لمّا بلغ: ﴿فَمَن يَعمَلْ مِثقالَ ذَرَّةٍ خَيراً﴾ قال حسبي: فقال النبي صلى الله عليه وآله: (دَعْهُ فقد فَقِه)»[٤]، أي فهم نتيجةَ عمل الخير والشر.

ومِن معاني الفقه: الفطنة، قال عيسىٰ بن عمر: «قال لي أعرابي: شهدتُ عليك بالفقه، أي الفطنة»[٥]. والفطنة معناها البصيرة، والبصيرة معناها الفطنة. قال تعالىٰ: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلىٰ اللهِ عَلىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾[٦].

وورد عن ابن الأعرابي: «تقول العرب: أعمىٰ الله بصائره أي فِطَنه»[٧].

فالمقصودُ من الوَعْي هو: العلمُ، والحفظُ، والفقهُ، والفهمُ، والفطنةُ، والبصيرةُ، والتَدَبُّرُ، والتَعَقُّلُ، والإدراكُ.

والوَعِيُّ والواعي هو الذي لا يكتفي بجمع المعلومات الواردة إليه عن طريق الحواس، بل يصنّفها وينظّمها ويفسّرها ويستنبط منها مفاهيم جديدة في ضوء

(١) لسان العرب: (فقه).

(٢) سورة طه: ٢٧ ـ ٢٨.

(٣) سورة الزلزلة: ٧ ـ ٨.

(٤) الدرُّ المنثور المجلد ٦: ٦٤٨، وقريب منه ما رُوي في البحار ٩٢: ١٠٧.

(٥) لسان العرب: (فقه).

(٦) سورة يوسف: ١٠٨.

(٧) لسان العرب: (بصيرة).

قانون العلّة والمعلول والبديهيات الأُخرىٰ.

معنىٰ التوعية

تأتي كلمة التوعية للمعاني التالية: التعليم، التفهيم، التفقيه، التبصير، تقوية الفطنة والذكاء والإدراك، وتنشيط العقل والذهن.

وبعبارة أُخرىٰ: يُقصد من التوعية: إخراجُ الإنسان من الجهل إلىٰ العلمِ والفقهِ والثقافةِ، ومن الجهالةِ والغفلةِ إلىٰ العقلِ والتدبيرِ والإدراكِ، ومن السذاجةِ والغباءِ إلىٰ الفطنةِ والذكاءِ. فإن الله تعالىٰ مدح في كتابه الكريم العقلاء الواعين، وذمّ الجهلاء الغافلين.

إنّ الوَعْيَ هو الأساس في السلوك، وهو الذي يؤثّر في الوراثة والتربية والبيئة فيوجّهها إلىٰ السلوك الأحسن والأفضل، والإنسان بحاجة إلىٰ الوعي في كلّ الأُمور، وعلىٰ جميع الصُعُد، وفي جميع المواقف، فهو بحاجة إلى الوعي الديني، والوعي السياسي والثقافي والاجتماعي...

إنّ المنبر الحسيني يقوم ببثّ الوعي الإسلامي في الأُمّة بكلِّ ما لكلمة الوعي من معانٍ، وبكل ما في الإسلام من وعي وثقافة وإرشاد وهداية، كما يُقَدِّمُ لمستمعيه تعاليم القرآن من عقائد وأخلاق وأحكام ومواعظ، ويُبيّن لهم سيرة الرسول الأمين وأهل بيته وأصحابه المنتجبين، ويحثّهم علىٰ السير علىٰ خطاهم.

وإضافة إلىٰ ذلك فإنّ المنبر الحسيني يحمل رسالة الحسين عليه‌السلام إلىٰ الأجيال، ورسالته هي وعيُ الأُمّة للإسلام عقيدةً وسلوكاً، وهي امتدادٌ لرسالة جدّه المصطفىٰ صلى‌الله‌عليه‌وآله. فالمنبر الحسيني له دور مشرّف في التوعية الإسلامية والتثقيف

الديني، والإصلاح الاجتماعي، وهو علىٰ اتّصال دائم بالجماهير، والرابط بين الحوزات العلميّة والمجتمع، وحلقة الوصل بين مراجع الدّين و المقلّدين المؤمنين.

إنّ الخطيب الرّسالي يسير علىٰ خط الأنبياء، وعمله امتداد لعمل الأنبياء في إثارة العقول، وإيقاظ الضمائر، وتنشيط الفكر، وبثّ الوعي في الأُمّة.

قال الإمام أمير المومنين عليه السلام في حكمة بعثة الرُسُل والأنبياء: «فبَعَثَ فيهم رُسُلَه، وواتَرَ إليهم أنبياءَه، لِيَسْتَأدُوهم ميثاقَ فِطرَتِه، ويُذكّروهم مَنسِيَّ نعمتِه، ويحتجّوا عليهم بالتّبليغ، ويُثيروا لهم دفائنَ العقول»[١].

إنّ المقصود من إثارة دفائن العقول هو إخراجها من تحت ستار الأهواء والغفلة، وإطلاقها بعد انغلاق، وإيقاظها بعد السبات، وتفعيلها بعد الإهمال. قال الإمام علي عليه السلام: «كَمْ مِن عَقلٍ أسيرٍ تحت هَوَىً أمير»[٢].

إنّ القرآن الكريم يؤكّد علىٰ أهمية العقل والعقلاء، والتعقّل والتدبّر والتفكّر، لذا قال تعالىٰ: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرآناً عَرَبِيّاً لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[٣].

﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[٤].

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِأُوْلِي الأَلْبَابِ﴾[٥].

﴿فَبَشِّر عِبَادِ * الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللهُ

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة ١.
(٢) نهج البلاغة: الحكمة ٢١١.
(٣) سورة يوسف: ٢.
(٤) سورة البقرة: ٢٤٢.
(٥) سورة آل عمران: ١٩٠.

وَأُوْلَئِكَ هُمْ أُوْلُو الأَلْبَابِ﴾[١]. أي إنّ الإنسان العاقل إذا سمع قـولاً فكّـر فـيه وتدبّره واختار الأحسن فاتّبعه، ولا يكون من الهمج الرعاع الذين ينعقون مع كل ناعق.

وقال سبحانه: ﴿فَكَأَيِّن مِن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَشِيدٍ * أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَىٰ الأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَىٰ القُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾[٢].

وقال الإمام الكاظم عليه السلام لهشام بن الحكم: «ما بَعَثَ اللهُ أنبياءَه ورُسلَه إلىٰ عباده إلّا لِيَعقِلوا عن الله تعالىٰ، فأحسنُهم استجابةً أحسـنُهم مـعرفةً، وأعـلَمُهم بأمـر الله أحسنُهم عقلاً، وأكملُهم عقلاً أرفعهم درجةً في الدنيا والآخرة. يا هشام، إنّ لله علىٰ الناس حُـجّتين: حُـجّة ظـاهرة وحُـجّة بـاطنة، فأمّـا الظـاهرة فـالرُسُل والأنـبياء والأئمة عليهم السلام، وأمّا الباطنة فالعقول[٣]».

فالقرآن الكريم والرسول الحبيب يثيران العقول ويـوقظان الأفكـار؛ حـتىٰ يسير الناس وراء العقل الذي يوصلهم إلىٰ معرفة الله، ثم التكامل والتسامي في الإنسانية.

إنّ عمل الأنبياء هذا مخالف تماماً لعمل الطغاة الذين يعزلون الجماهير عن سُبُل المعرفة، ويحجبون عنهم الحقائق، ويملؤون أدمغتهم بالأباطيل؛ ليعيشوا في غفلة وضلال، فتتعطّل عندهم الوسـائل الطـبيعية للـمعرفة والتـعقّل، كـما وصفهم سبحانه: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُم أَعْيُنٌ لا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذانٌ لا

---

(١) سورة الزمر: ١٧ ـ ١٨.

(٢) سورة الحج: ٤٥ ـ ٤٦.

(٣) الأُصول من الكافي ١: ١٣.

يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالأَنعامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمُ الغَافِلُونَ﴾(١).

وإذا وصلت الأُمّة إلىٰ هذا الحدّ من الغفلة وفقدان الوعي ماتت إرادتُها، واستسلَمَتْ لحكامها، فيسهل حينئذٍ إخضاعُها، ويلين قيادُها. وقد تحدّث القرآن الكريم عن هذه الظاهرة في سياسة فرعون فقال: ﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ﴾(٢). ومعناه كما قال الشيخ الطبرسي: «أنّ فرعون استخفّ عقولَ قومه فأطاعوه فيما دعاهم إليه، لأنّه احتجّ عليهم بما ليس بدليل وهو قوله: ﴿أليس لي ملك مصر﴾(٣) إلىٰ آخره، ولو عقلوا لقالوا: ليس في ملك الإنسان دلالة علىٰ أنّه محقّ، وليس يجب أن يأتي مع الرُسُل ملائكة، لأنّ الذي يدلّ علىٰ صدق الرُسُل هو المعجز دون غيره»(٤).

وليست الطريقة هذه تخصّ فرعون وحده، بل هي طريقة الطغاة في كلّ عصر، وفي كلّ المجتمعات. وإذا كانت أدوات ووسائل التضليل والتغفيل واستخفاف العقول محدودة في القديم، فإنّها اليوم موسّعة ومتوافرة، كالصحف، والمجلات، والإذاعات والتلفزيونات، والقنوات الفضائيّة، والأفلام، والمسرحيّات، والكتب، والنشرات وغير ذلك، مع وجود وعّاظ السلاطين، وأذناب الطغاة، والمرتزقة، وأتباع الظلمة الّذين يُسبّحون بحمد حكّام الجور، ويركعون لهم ويسجدون، ويطبّلون لهم ويزمّرون.

---

(١) سورة الأعراف: ١٧٩.

(٢) سورة الزخرف: ٥٤.

(٣) قال تعالىٰ: ﴿ونادىٰ فرعون في قومه قال يا قوم أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي أفلا تبصرون* أم أنا خيرٌ من هذا الذي هو مهين* ولا يكاد يبين* فلولا أُلقي عليه أسورة من ذهب أو جاء معه الملائكة مقترنين* فاستخفّ قومه فأطاعوه إنّهم كانوا قوماً فاسقين﴾ سورة الزخرف: ٥١ ـ ٥٤.

(٤) مجمع البيان ٩: ٨٧، تفسير الآية ٥٤ من سورة الزخرف.

ومن هنا تعظم مسؤوليّة رجال الفكر والمعرفة والقلم والبيان وخصوصاً الخطباء في محاربة برامج التضليل والتغفيل واستخفاف العقول، وذلك بنشر الوعي والمعرفة في الأُمّة؛ لتشعر بمسؤولياتها أمام خالقها ودينها وأُمّتها والإنسانيّة جمعاء.

وعليه، فرجال المنبر يقومون بدور التبليغ والدعوة إلىٰ اللّه تعالى، والتثقيف والتوعية، من خلال تعريفهم الجمهور بقضيّة الحسين عليه السلام وإبقائها جذوة مشتعلة في نفوس الناس؛ لأنّ سيد الشهداء عليه السلام اقتدىٰ بهُدىٰ الأنبياء، ومثّل حركتهم وأهدافهم. وعلينا أن نقتدي به ونهتدي بهداه فإنّه نعم القدوة والهادي إلىٰ الحق.

الفصل الثاني

أهم أدوات التوعية ووسائلها

١ ـ أهم أدوات التوعية

٢ ـ أهم وسائل التوعية

٣ ـ المنبر الحسيني ومزاياه

لكـــل عـلم وفـن أدوات ووسـائل، ولـلـتوعية الديـنية ونشـر مـفاهيم الشـريعة الإسـلاميّة أدوات ووسائل عديدة، بعضها تقليدية وبعضها حديثة ومتطوّرة، وفـيما يـلي نـعرض أهـمّها:

١ ـ أهمّ أدوات التوعية

١ ـ الكتب والمجلّات والصحف.
٢ ـ المذياع والتلفزيون و القنوات الفضائية.
٣ ـ الكمبيوتر وشبكة المعلومات العالمية (الإنترنيت).
٤ ـ الأشرطة السمعية والبصرية.
٥ ـ الأقراص المسجّلة (السِيديّات).
٦ ـ الأفلام السينمائية.
٧ ـ المسرح والتمثيليات.

٢ ـ أهم وسائل التوعية

المنبر، وهو أقسام:
١ ـ منبر خطب الجمعة.
٢ ـ منبر المناسبات الدينيّة.
٣ ـ المنبر الحسيني.

٣ـ المنبر الحسيني ومزاياه

إنّ جميع وسائل التوعية التي ذكرناها مؤثّرة وفاعلة، ولكن أكثرها تأثيراً (المنبر الحسيني) لتميّزه عن غيره من وسائل التوعية بمزايا كثيرة أهمّها:

١ ـ يستخدم المنبر الحسيني الأُسلوب الخطابي في عرض العقائد والأفكار والآراء، وهذا الأُسلوب يمتاز باستعمال سلاح البيان وأداة الكلام.

فخطيب المنبر الحسيني يخلب الألباب بعباراته الجميلة وحديثه الجذّاب، وينفذ إلىٰ القلوب، ويهزّ النفوس، ويسيطر على المشاعر، فيقنعها بما يشاء، ويحملها علىٰ ما يريد؛ ولذا ورد في الحديث الشريف: «إنّ من البيان لسحراً»[١].

---

(١) كنز العمال ٣: ٥٨٢، الحديث ٨٠٠٧، والأمالي للشيخ الصدوق: ٧١٨، المجلس ٩٠ الحديث ٧.

قال ابن الأثير الجزري في معنىٰ قوله صلى الله عليه وآله: «إنّ من البيان لسحراً»: «البيان: إظهار المقصود بأبلغ لفظ، وهو من الفهم وذكاء القلب، وأصله الكشف والظهور. وقيل معناه أنّ الرجل يكون عليه الحقّ وهو أقوم بحجّته من خصمه، فيقلب الحقّ ببيانه إلىٰ نفسه؛ لأنّ معنىٰ السحر قلب الشيء في عين الإنسان، وليس بقلب الأعيان، ألا ترىٰ أنّ البليغ يمدح إنساناً

←

قال الأديب:

ومُفوّهٌ هزَّ العقول بنطقه فكأنّما هو خمرةٌ صهباءُ

تزهو المنابر في روائعه كما بالورد تزهو الروضة الغنّاءُ(١)

إنّ حُسن البيان هو أقوىٰ وسيلة وأمضىٰ سلاح للتأثير في النفوس، وإقناع الجمهور وتثقيف المجتمع وتوعيته ورفع مستواه الفكري والثقافي، ومن هنا كان الأنبياء والمرسلون: يستخدمون سلاح البيان كوسيلة فعّالة في التبليغ والدعوة إلىٰ الله عزّ وجلّ. قال تعالىٰ لموسىٰ وهارون عليهما السلام: ﴿إذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ * فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَيّناً لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾(٢)، كما قال لموسىٰ عليه السلام: ﴿إذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ * قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي * وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِن لِسَانِي * يَفْقَهُوا قَوْلِي﴾(٣).

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «إعلم أنّ الله عز وجل لم يبعث رُسُله حيثُ (حين) بعثها ومعها ذهب ولا فضّة، ولكن بعثها بالكلام، وإنّما عرَّف اللهُ نفسَه إلىٰ خلقه بالكلام والدلالات عليه والأعلام»(٤).

وقال الإمام الكاظم عليه السلام: «إنّ الله تبارك وتعالىٰ أكمل للناس الحُججَ بالعقول، ونصر النبيين بالبيان»(٥).

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «ليس علىٰ الجوارح عبادة أخفّ مؤونة وأفضل منزلةً

← حتّىٰ يصرف قلوبَ السامعين إلىٰ حبّه، ثم يذمّه حتّىٰ يصرفها إلىٰ بغضه». النهاية ١: ١٧٤، (بَيَنَ).

(١) خطباء المنبر الحسيني، للشيخ حيدر المرجاني ١: ٧٣.

(٢) سورة طه: ٤٣ ـ ٤٤.

(٣) سورة طه: ٢٤ ـ ٢٨.

(٤) روضة الكافي: ١٣٠.

(٥) الأُصول من الكافي ١: ١٠، الحديث ١٢.

وأعظم قدراً عند الله من الكلام في رضا الله ولوجهه ونشر آلائه ونعمائه في عباده، ألا ترىٰ أن الله تعالىٰ لم يجعل في ما بينه وبين رُسُله معنىً يكشف ما أسرّ إليهم من مكنونات علمه، ومخزونات وحيه غير الكلام! وكذلك بين الرُسُل والأُمم.

فثبت بهذا أنّه أفضل الوسائل وألطف العبادة»(١).

فالأنبياء والرُسُل استخدموا وسيلة الكلام والبيان في دعوتهم الناس إلىٰ الله تعالىٰ، وكانوا أعظم الخطباء وأبلغهم، ونبينا الكريم ﷺ هو أخطب الخطباء وأبلغ البلغاء علىٰ الإطلاق، فقد أُوتي الحكمة وفصل الخطاب، ولا تزال خطبه العظيمة في شتّىٰ نواحي الحياة والدعوة إلىٰ الله منهلاً يستقي منه الخطباء والبلغاء، و نوراً يهدي السائرين في درب الحقّ. وبعد رسول الله ﷺ يأتي أهل بيته الطاهرون عليهم السلام أئمة الخطباء وأساتذة البلغاء، وفي مقدّمتهم الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، أمير الفصاحة والبيان، وهو القائل: «وإنّا لأُمراء الكلام وفينا تَنَشَّبت عروقه وعلينا تَهدّلت غصونه»(٢).

وحسبك نهج البلاغة الحافل بروائع الخطب، التي سَنّ بها الإمام علي عليه السلام نهجاً للبلاغة والفصاحة، و سبيلاً للبيان والخطابة، سلكه الخطباء وسار عليه الأُدباء من بعده.

٢ ـ يُكلِّم خطيبُ المنبر الحسيني الجماهيرَ بصورة حيّة، ويخاطبها بشكل مباشر وجهاً لوجه، وهما يتفاعلان معاً. والكلام المباشر له تأثير عظيم في نفوس المستمعين؛ إذ تتلاقىٰ بين الخطيب والمستمعين الأنفاس والنظرات والقلوب. وقد ثبت بالتجربة أنّ المستمعين يفضّلون الاستماع إلىٰ الخطيب

---

(١) مصباح الشريعة: ٢٦٠.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة ٢٣٣.

مباشرة مع النظر إلىٰ وجهه وحركاته، وإذا لم يمكنهم ذلك استعانوا بالتلفزيون لرؤيته، ولا يكتفون باستماع صوته وكلامه؛ ولذا فإنّ المستمعين لا يستغنون عن خطيب يُلقي محاضراته عليهم بصورة حيّة و مباشرة، مع وجود الأشرطة السمعية والبصرية لأكبر الخطباء.

٣ـ يخاطب المنبرُ الحسيني عقولَ الجماهير وقلوبها وعواطفها، فيؤثّر فيها تأثيراً مشهوداً، فهو يليّن القلوب ويرقّقها عند الموعظة، ويثير حميّة الجماهير عند الحاجة.

فكم من عاصٍ تراجع عن غيّه فتاب من ذنبه ورجع إلىٰ طاعة ربّه عند سماعه موعظة من خطيب حسيني! وكم من شخص جاد بالمال عندما استعرض الخطيب مضرّات البخل وعقابه، وفوائد الإنفاق وثوابه! وكم من إنسانٍ اعترته الشبهات حول قضايا الدين، فتبددت شبهاته بفضل استماعه إلىٰ حديث من خطيب حسيني! وكم من جاهل لم يرجع في معرفة أحكام دينه إلىٰ مرجع ديني ولكنّه بفضل حضوره في مجلس الحسين عليه السلام واستماعه إلىٰ محاضرة عن ضرورة تقليد العامي للمجتهد، قام بتقليد فقيه جامعٍ للشرايط وسار وفق فتاواه، فنجا من الهلكة!

٤ـ إنّ المنبر الحسيني هو اللسان المعبّر عن مبادئ الحسين عليه السلام والمُدافع عن مواقفه وأهدافه، فهو يستعرض خلفيّات الثورة الحسينيّة ودوافعها وأهدافها، كما يستقرئ معطياتها ونتائجها وتداعياتها، ويستجلي المواقف البطولية الواعية التي جسّدها سيّد الشهداء وأهل بيته وأنصاره في الدفاع عن الحقّ والوقوف في وجه الباطل.

٥ـ يمتاز المنبر الحسيني بأُسلوب خاصّ، فالخطبة الحسينية تحتوي علىٰ

مزيج من العلوم والمعارف المتنوّعة: التفسير، الحديث، الفقه، الكلام، الأخلاق، التاريخ، الأدب، القصّة، النادرة، النكتة، كما تشتمل علىٰ فكرة وعاطفة وعظة وعبرة.

فالمنبر الحسيني يعرض علىٰ مستمعيه معلومات منوّعة يستطيبها الفقيه والمحدِّث والأديب والمؤرِّخ والمثقَّف، ولا يُغني عنه كتاب أو مقالة أو محاضرة أو غير ذلك. قال الخطيب المرحوم السيّد عبد الزهراء الحسيني: «كان لي صديق وهو ذو ثقافة عالية واطّلاع واسع وأدب جمّ، وكان كثير المطالعة والمراجعة، ويتقن الإنجليزيّة والفرنسيّة مضافاً إلىٰ لغته العربيّة يقول: (كم قرأتُ من الكتب باللغات الثلاث فلم تؤثّر في نفسي أثرَ المجالس الحسينيّة التي كنتُ أحضرها في مقتبل عمري وأيّام شبابي)»[1].

٦ ـ يَعتمد المنبرُ الحسيني بالدرجة الأُولىٰ علىٰ علم أهل البيت وفكرهم لمعرفة المصدرين الرئيسيّين للشريعة الإسلاميّة، وهما القرآن الكريم وسنّة الرسول صلى الله عليه وآله، وذلك للأسباب التالية:

أ ـ لأنّ أهل البيت عليهم السلام أعلم الناس بكتاب الله: تنزيله وتأويله، محكمه ومتشابهه، مطلقه ومقيّده، عامّه وخاصّه، ناسخه ومنسوخه، وكذلك بالنسبة إلىٰ سُنّة الرسول صلى الله عليه وآله. روىٰ الشيخ الكليني بإسناده عن الصيرفي، قال: «سمعتُ أبا عبد الله [الصادق عليه السلام] يقول: (**إنَّ عندنا ما لا نحتاج معه إلىٰ الناس، وإنّ الناس ليحتاجون إلينا، وإنّ عندنا كتاباً إملاء رسول الله وخط عليّ، صحيفة فيها كلّ حلال وحرام**)»[2].

---

(١) من لا يحضره الخطيب ٢: ١٥.

(٢) الأُصول من الكافي ١: ٢٤١، وتُسمّىٰ هذه الصحيفة بالجامعة.

ب ـ ولأنّ الرسول ﷺ قال فيهم كما في رواية ابن حجر الهيتمي عن أحمد بسنده عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّي أوشك أن أُدعىٰ فأُجيب، وإنّي تاركٌ فيكم الثقلين: كتاب الله عزّ وجلّ، حبل ممدود من السماء إلىٰ الأرض، وعترتي أهل بيتي، وإنّ اللطيف الخبير أخبرني أنّهما لن يفترقا حتىٰ يردا عليّ الحوض، فانظروا بِمَ تخلفوني فيهما؟»[١]. وأضاف ابن حجر: «وفي رواية صحيحة: إنّي تارك فيكم أمرين لن تضلّوا إن تبعتموهما وهُما: كتاب الله وأهل بيتي عترتي» ثم قال: زاد الطبراني: «إنّي سألتُ ذلك لهما، فلا تَقَدَّموهما[٢] فتهلكوا، ولا تُقَصّروا عنهما فتهلكوا، ولا تعلّموهم فإنّهم أعلم منكم»[٣].

يقول ابن حجر الهيتمي في تعليقه علىٰ حديث الثقلين: «سمّىٰ رسول الله القرآن وعترته: الأهل والنسل والرهط الأدنون (الثَقَلَين)؛ لأنَّ الثَـقَل كلُّ نفيسٍ خطيرٍ مَصون، وهذان كذلك؛ إذ كلٌّ منهما معدِنٌ للعلوم اللدنيّة والأسرار والحكم العَليّة والأحكام الشرعيّة؛ ولذا حثّ ـ صلىٰ الله عليه وسلم ـ علىٰ الاقتداء والتمسّك بهم والتعلّم منهم، وقال: (الحمد لله الذي جعل فينا الحكمةَ أهل البيت)»[٤].

ج ـ لأنّهم ثقات في النقل، ومأمونون عن التحريف، ومعصومون من الخطأ، وهم حمَلَة علم رسول الله. قال أبو جعفر الباقر عليه السلام لجابر الجعفي: «يا جابر لو كنّا نُفتي الناسَ برأينا وهوانا لَكُنّا من الهالكين، ولكِنّا نفتيهم بآثار من رسول الله وأُصول علم عندنا نتوارثها كابرٌ عن كابر نكنزها كما يكنز هؤلاء ذهبهم

---

(١) مسند أحمد المجلد ٤: ٤٨، الحديث ١١١٤٨.

(٢) أي لا تتقدّموهما.

(٣) الصواعق المحرقة: ١٤٨.

(٤) الصواعق المحرقة: ١٤٩.

وفضّتهم»[(١)] وفي حديث آخر: «إنّا والله ما نقول بأهوائنا ولا نقول برأينا ولا نقول إلّا ما قال ربّنا وأُصول عندنا نكنزها كما يكنز هؤلاء ذهبهم وفضّتهم»[(٢)].

وفي هذا الصدد يقول الإمام الصادق عليه السلام: «إنّا إنْ تَحَدَّثْنا حَدَّثْنا بموافقة القرآن وموافقة السنّة، إنّا عن الله وعن رسوله نُحَدِّث، ولا نقول: قال فلان وفلان، فيتناقض كلامُنا، إنّ كلامَ آخرِنا مثل كلام أوّلنا، وكلام أوّلنا مصدّق لكلام آخرنا»[(٣)].

وروىٰ الشيخ المفيد بإسناده عن جابر، قال: «قلت لأبي جعفر عليه السلام: إذا حدَّثتني بحديث فأَسنِدْه لي، فقال: (حدَّثني أبي، عن جدّي، عن رسول الله، عن جبرئيل، عن الله عزّ وجلّ، وكلّ ما أُحدِّثك بهذا الإسناد)»[(٤)].

وروىٰ هشام بن سالم وحماد بن عثمان وغيرهما قالوا: «سمعنا أبا عبدالله عليه السلام يقول: (حديثي حديث أبي، وحديث أبي حديث جدّي، وحديث جدّي حديث الحسين، وحديث الحسين حديث الحسن، وحديث الحسن حديث أمير المؤمنين، وحديث أمير المؤمنين حديث رسول الله، وحديث رسول الله قول الله عزوجل)»[(٥)].

وسُئل الإمام الباقر عليه السلام عن الحديث يُرسله ولا يُسنده، فقال: «إذا حَدَّثتُ الحديثَ فلم أسنده، فَسَنَدي فيه: أبي، عن جدّي، عن أبيه، عن جدّه رسول الله،

---

(١) بصائر الدرجات: ٣٠٠.
(٢) بصائر الدرجات: ٣٠١.
(٣) اختيار معرفة الرجال: ٢٩٨، الرقم ٤٠١.
(٤) أمالي الشيخ المفيد: ٤٢، وفي البحار ٢: ١٤٨: «حدّثني أبي عن جدّه عن رسول الله...».
(٥) الأُصول من الكافي ١: ٤٢، الحديث ١٤، ومنية المريد في آداب المفيد والمستفيد للشيخ زين الدين العاملي: ١٩٤.

عن جبرئيل، عن الله عزّ وجلّ»[١].

وفي هذا المعنىٰ قال الشيخ جمال الدين أحمد بن منبع الحلي:

قُل لِمَنْ حَجَّنا بقول سوانا حيثُ فيه لم يأتِنا بدليلِ
إنْ دعاكَ الهوىٰ إلىٰ نقل ما يَكُ عند الثقاتِ بالمقبول
نحنُ قومٌ إذا روينا حديثاً بعد آيات محكم التنزيل
عن أبينا عن جدنا ذي المعالي سيّد المرسلين عن جبرئيل
وكذا جبرئيل يروي عن الله بلا شبهةٍ ولا تأويل
فتراه بأيّ شيء علينا ينتمي غيرنا إلىٰ التفضيل[٢]

د ـ لأنّ أهل البيت حملوا علوم رسول الله، وأوصلوها بأمانة إلى الأُمّة، ولا يجوز عندهم العمل بالرأي أو القياس أو الاستحسان أو المصالح المرسلة أو غير ذلك من الأُمور التي ما أنزل الله بها من سلطان.

روى الكليني: «أنّ رجلاً سأل الإمام الصادق عليه‌السلام عن مسألة فأجابه فيها، فقال الرجل: أرأيت إن كان كذا وكذا ما يكون القول فيها؟ فقال له: (مَه، ما أجبتُك فيه مِن شيء فهو عن رسول الله، لَسْنا مِن (أرأيت) في شيء)»[٣].

وفي بصائر الدرجات قال له: «مَهما أجبتُك فيه بشيء فهو عن رسول الله، لسنا نقول برأينا من شيء»[٤].

هـ ـ لأنّهم الراسخون في العلم، وفي هذا قال أمير المؤمنين عليه‌السلام: «أين الذين زعموا أنهم الراسخون في العلم دوننا كذباً وبغياً علينا، أن رفعنا الله ووضعهم،

(١) إرشاد المفيد ٢: ١٦٧، والبحار ٤٦: ٢٨٨.

(٢) البابليات للشيخ محمّد علي اليعقوبي ١: ٩١.

(٣) الأُصول من الكافي ١: ٥٨.

(٤) بصائر الدرجات: ٣٠١.

وأعطانا وحرمهم وأدخلنا وأخرجهم. بنا يُستعطىٰ الهدىٰ ويُستجلىٰ العمىٰ»[١].

ولأنّ آل محمّد لا يقاس بهم أحد من المسلمين، وفي هذا الصدد قال الإمام عليعليه‌السلام: «لا يقاس بآل محمّدصلى‌الله‌عليه‌وآله من هذه الأمّة أحد، ولا يُسوّىٰ بهم مَن جرت نعمتهم عليه أبداً، هم أساس الدين، وعماد اليقين، إليهم يفيء الغالي، وبهم يُلحق التالي. ولهم خصائص حقّ الولاية، وفيهم الوصية والوراثة»[٢].

وقال أيضاً: «هم عيش العلم، وموت الجهل، يُخبركم حلمهم عن علمهم، وظاهرهم عن باطنهم، وصمتهم عن حِكَمِ منطقهم. لا يخالفون الحقّ ولا يختلفون فيه. وهم دعائم الإسلام، وولائج الاعتصام. بهم عاد الحقّ إلىٰ نصابه، وانزاح الباطل عن مُقامه، وانقطع لسانه عن منبته. عقلوا الدين عقل وعاية ورعاية، لا عقل سَماعٍ ورواية. فإنّ رواة العلم كثير، ورعاته قليل»[٣].

٧ـ المنبر الحسيني هو لسان أهل البيتعليهم‌السلام؛ ولهذا أخذ على نفسه بيان سيرة النبي وأهل بيته المعصومينعليهم‌السلام، حتىٰ يقتدي بهم المؤمنون ويتأسّىٰ بهم الصالحون؛ لأنّهم القدوة والأُسوة، وهم الممثّلون لرسول الله عقيدة وسلوكاً، خُلُقاً وعُلوماً. وهم حملة مبادئه والمبلّغون لرسالته، بل هم الإسلام الصادق والقرآن الناطق.

كما أنّ المنبر الحسيني يقوم بإحياء أمر أهل البيتعليهم‌السلام ومدرستهم، وذلك بتبيين علومهم المستقاة من كتاب الله العزيز، ومن جدّهم رسول اللهصلى‌الله‌عليه‌وآله، وما خصّهم الله تعالى به من حكمة وعلم.

روى الشيخ المفيد في الإرشاد عن الإمام جعفر الصادقعليه‌السلام أنّه كان يقول:

---

(١) نهج البلاغة، الخطبة ١٤٤.

(٢) نهج البلاغة، الخطبة ٢.

(٣) نهج البلاغة، الخطبة ٢٣٩.

«عِلْمُنا غابِرٌ، ومزبورٌ، ونَكْتٌ في القُلوب، ونَقْرٌ في الْأسماعِ؛ وإنّ عندَنا الجَفْرَ الْأَحمرَ والجَفْرَ الْأَبيضَ ومُصحَفَ فاطمة عليها السلام، وإنّ عندَنا الجامعةَ فيها جميعُ ما يَحتاجُ النّاسُ إليه».

فسُئلَ عن تفسير هذا الكلام فقال: «أَمّا الغابرُ فالعلمُ بما يكونُ، وأمّا المزبور فالعلمُ بما كانَ، وأمّا النكتُ في القلوب فهو الإلهامُ، والنقرُ في الأسماع، حديثُ الملائكةِ، نَسمعُ كلامَهم ولا نرى أشخاصَهم، وأمّا الجفرُ الْأَحمرُ فوعاءٌ فيه سلاحُ رسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله ولن يظهر حتّى يقوم قائمُنا أهل البيتِ، وأمّا الجفرُ الْأَبيضُ فوعاءٌ فيه توراةُ موسى وإنجيلُ عيسى وزَبورُ داوُدَ وكُتُبُ اللهِ الْأُولى، وأمّا مُصحَفُ فاطمة عليها السلام ففيه ما يكونُ من حادثٍ وأسماءُ كلِّ من يملكُ إلى أن تقومَ السّاعةُ، وأمّا الجامعةُ فهي كتابٌ طولهُ سبعونَ ذراعاً، إملاءُ رسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله ـ مِن فَلَقِ فيه ـ وخطُّ عليّ بن أبي طالب عليه السلام بيده، فيه ـ والله ـ جميعُ ما يَحتاجُ النّاسُ إليه إلى يومِ القيامةِ، حتّى إنّ فيه أرْشَ الخَدْشِ والجَلْدةَ ونصفَ الجَلْدةِ»(١).

قال الشيخ كاظم الأُزري(٢) في حقّهم:

كَم لَهُمْ أَلسُنٌ عن الله تُنْبِي ... هِيَ أقلامُ حكمةٍ قد بَراها
وَهُمُ الأعينُ الصحيحاتُ تَهدي ... كلَّ نفسٍ مكفوفةٍ عيناها
علماءٌ أئمةٌ حكماءُ ... يَهتدي النجمُ باتّباع هُداها

---

(١) الإرشاد ٢: ١٨٦.

(٢) هو الشيخ كاظم ابن الحاج محمّد ابن الحاج مراد ابن الحاج مهدي بن إبراهيم بن عبد الصمد بن علي البغدادي التميمي، وقد سمّاه بعض مترجميه: محمّد كاظم، وسمّاه آخرون الملّة كاظم. وُلد سنة ١١٤٣ هـ، وتوفّي سنة ١٢١٠ هـ في بغداد، ودُفن بالكاظمية عند القبر المنسوب إلى السيد المرتضى رحمه الله. الطليعة من شعراء الشيعة ٢: ١٣٦، الرقم ٢٢٨.

قـــادةٌ عـــلمهم ورأيُ حـــجاهم ... مَســمَعاً كــلّ حكــمةٍ مَــنظراهـا
وَرِثُـوا مِـن مـحمدٍ سبقَ أُولاهـا ... وحـــازوا مـــا لم تَــحُزْ أُخـراهـا
مَن يبارِيهِمُ وفي الشـمسِ مـعنىً ... مُــجْهِدٌ مُـتْعِبٌ لِـمَن بـاراهـا(١)

٨ـ يتحدّث المنبر الحسيني عن فضائل النبي الكريم وأهل بيته الأطهار، فى الكتاب والسنّة، وما ورد في حقّهم، ومكانتهم في الدين، ووجـوب مـودّتهم وطاعتهم والتمسّك بهم؛ وذلك لتعريف المسلمين بمقامهم ومنزلتهم، ولتـثبيت نهجهم في المجتمع الإسلامي. قال الإمام الشافعي(٢):

ولمّا رأيتُ النـاسَ قَـد ذَهـبَتْ بـهم ... مذاهبُهُمْ فـي أبـحُرِ الغـيّ والجَـهلِ
ركبتُ علىٰ اسم اللهِ في سُـفُن النـجا ... وهم آل بيت المصطفىٰ خاتم الرسلِ
وأمسكتُ حـبلَ الله وهـو ولاؤهُـمُ ... كما قد أُمـرنا بـالتمسّك بـالحبل(٣)

وقال الزمخشري(٤):

كَــثُرَ الشكُّ والخــلاف وكُــلٌ ... يدّعي الفوزَ بـالصراط السـويِّ
فَـــاعْتصامي بـــلا إله ســواه ... ثُـــمّ حُـبّي لأحـمدٍ وعــليّ
فازَ كَلْبٌ بِـحُبّ أصـحابِ كَـهفٍ ... كيف أشقىٰ بـحبّ آل النـبيّ(٥)

---

(١) تخميس الأُزرية: ١٢٥.

(٢) هو محمّد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عُبيد بن عبد يزيد بـن هـاشم بن المطلب بن عبد مناف، القُرشيّ المطّلبي الشافعي، وُلِد سنة خمسين ومئه وتُوفّي آخر يوم من رجب سنة أربع ومئتين ودُفن بالقرافة الصغرى (القاهرة)، وفيات الأعيان ٤:١٦٣ و ١٦٥.

(٣) أدب الطف ١: ٢١٨، يشير إلىٰ قوله تعالىٰ ﴿واعـتصموا بـحبل الله جـميعاً ولا تـفرّقوا﴾ آل عمران: ١٠٣.

(٤) جار الله محمود بن عمر بن محمد الخوارزمي المعتزلي. تُوفّي بجرجـانية خـوارزم ليـلة عرفة سنة ٥٣٨ هـ. والزمخشري نسبة إلىٰ زَمَخْشَر كسفرجـل: قـرية بـنواحـي خـوارزم. الكنىٰ والألقاب للشيخ عباس القمي ٢: ٢٧٢ ـ ٢٧٣.

(٥) الكنىٰ والألقاب ٢: ٢٧٢.

وقال أبو نواس[(١)]:

مُطَهَّرُونَ نَقِيّاتٌ جُيُوبُهُمُ ... تُتلىٰ الصلاةُ عليهم أينَما ذُكروا
مَن لم يكن علويّاً حين تَنسِبه ... فماله في قديم الدهر مُفتخر
والله لمّا برىٰ خَلقاً فأتقَنَه ... صَفّاكُمُ واصطفاكُمْ أيّها الغُررُ
فأنتُمُ الملأُ الأعلىٰ وعندكُمُ ... عِلمُ الكِتاب وما جاءت به السور[(٢)]

٩ ـ يعيش المنبر الحسيني مع المجتمع، ويشارك الناس مشاركة وجدانيّة، فهو معهم في ضرّائهم وسرّائهم وشدّتهم ورخائهم، وكلّما حدثت مشكلة اجتماعيّة أو عقائديّة أو فكريّة عالجها المنبر الحسيني علىٰ هدى الإسلام، فيردّ الشبهات، ويبدّد الظلمات، ويدافع عن المعتقدات.

١٠ ـ يجمع المنبر الحسيني بين الفكر والعاطفة، فالخطيب الحسيني يتحدّث

---

(١) هو الحسن بن هاني. تُوفّي في الفتنة قبل قدوم المأمون من خراسان سنة ٢٠٠ هـ. الكنىٰ والألقاب ١: ١٦٤. وبعض الشواهد التاريخية تدل علىٰ وفاته بعد سنة مائتين منها مدحه للإمام الرضا عليه السلام بمناسبة تولّيه ولاية العهد. روى الشيخ الصدوق بسنده عن محمّد بن سليمان النوفلي، قال: إنّ المأمون لمّا جعل علي بن موسى الرضا عليهما السلام وليّ عهده وإنّ الشعراء قصدوا المأمون ووصلهم بأموال جمّة حين مدحوا الرضا عليه السلام وصوّبوا رأي المأمون في الأشعار دون أبي نواس فإنّه لم يقصده ولم يمدحه، ودخل على المأمون، فقال له: يا أبا نواس، قد علمت مكان علي بن موسى الرضا منّي وما أكرمته به، فلماذا أخّرت مدحه وأنت شاعر زمانك وقريع دهرك؟ فانشد يقول:

قيل لي أنت أوحد الناس طرّاً ... في فنون من الكلام النبيه
لك من جوهر الكلام بديعٌ ... يثمر الدرّ في يدي مجتنيه
فعلى ما تركت مدح ابن موسى ... والخصال التي تجمّعن فيه
قلت لا اهتدي لمدح امام ... كان جبريل خادماً لأبيه

فقال المأمون: أحسنت، ووصله من المال بمثل الذي وصل به كافّة الشعراء، وفضّله عليهم. (عيون أخبار الرضا ٢: ١٥٤ ـ ١٥٥).

(٢) كشف الغمة في معرفة الأئمة ٣: ١٠٧.

في خطبته عن مواضيع منوّعة: عقائدية واجتماعية وتاريخية وتربوية واقتصادية وغيرها.

ثم يعرّج علىٰ ذكر المآسي والمصائب التي وردت علىٰ آل الرسول ﷺ في يوم عاشوراء وفي أيام السبي والأسر، ويعمّق ذلك في النفوس بالشعر الرثائي الحزين المهيّج للعواطف والمثير للمشاعر مستخدماً فنّ الخطابة، ومستعيناً بالألحان المشجية، والكلمات المحزنة، والإيقاعات المؤثّرة، فيرقّق القلوب ويستدر الدموع.

ومن إفرازات الجمع بين الفكر والعاطفة: توفير الزخم العاطفي؛ لإبقاء واقعة الطف حيّةً في الضمائر والنفوس الحرّة.

١١ ـ لم يحصر المنبرُ الحسيني حديثَه في الإمام الحسين عليه السلام وثورته المباركة، بل استوعب حياة جميع أهل البيت، فهو يعكس موقفهم من القضايا المختلفة، ويسلّط الأضواء عليها، ويبيّن ماتبنّوه عليهم السلام في المواقف السياسيّة والاجتماعيّة والعقائديّة، ويقوم بتوعية الجماهير في هذه المجالات وغيرها. فإنّ الخلفاء وأعوانهم أغاموا الآفاق، وشوّشوا الأذهان والأفكار، فأصبحت الرؤية غير واضحة، ورسالة المنبر تبديد الغيوم، وتصفية الآفاق، وتجلية الحقيقة، وإظهار الحقّ.

١٢ ـ لم يُلْقِ المنبرُ الحسيني خُطَبَه علىٰ شكل ترصيف الكلمات، وتنميق العبارات، ولا يَطرح معلوماتِه بأُسلوبٍ علميّ جافّ، بل يعرض العلوم والمعارف بأُسلوب خطابيّ مُرغِّب يستهوي القلوب، ويسترضي النفوس، فيحمل السامعين علىٰ التفاعل معه، ومسايرته بشوق ورغبة.

١٣ ـ يقوم المنبر الحسيني بتقييم الأفراد والشخصيات الوارد ذكرهم في

المصادر الشرعيّة ووقائع التاريخ الإسلامي، مستنطقاً في ذلك الكتاب والسنّة والمنهج العلمي وحكم العقل؛ بُغية معرفة رجال الخير والحق، للإشادة بهم وبمواقفهم، والترغيب في الاقتداء بهم والأخذ عنهم، وكذلك معرفة رجال الشرّ والباطل للتحفّظ منهم والابتعاد عنهم.

١٤ ـ إنّ المنبر الحسيني يقوم بدور التربية والتعليم، والتوعية والتثقيف، والهداية والتوجيه، ولا ينحصر دوره في مجال خاصّ، بل دوره بناء الشخصيّة الإسلاميّة.

فالمنبر الحسيني في الحقيقة مؤسسة ثقافيّة جامعة، وجامعة إسلاميّة شاملة، ودائرة معارف تحتوي علىٰ الكثير من العلوم والمعارف.

١٥ ـ يستعرض المنبرُ الحسيني آراءَ العلماء وأقوالَهم من مدارس متعدّدة، ويقارن ويوازن بينها، وينقدها ويناقشها في ضوء الكتاب العزيز، والسنّة النبوية الشريفة، وعلوم أهل البيت، وحكم العقل؛ لاستحصال الرأي الأسدّ، والقول الأصحّ؛ بُغية الوصول إلىٰ الحقّ والحقيقة، ولا يحصر المعرفة في طائفة معيّنة أو مدرسة خاصّة، بل يستفيد من جميع أهلّ الحقّ والمعرفة.

هذه بعض ميزات المنبر الحسيني، وبهذه المناسبة قال الخطيب المرحوم السيد عبد الزهراء الحسيني: «إنّ المنبر الحسيني سرٌّ من أسرار نهضة الحسين عليه السلام، والمجالس الحسينيّة مدارس سيّارة استفاد منها كثير من الناس قديماً وحديثاً، مع اختلاف الأفهام وتباين الأذواق، ومنها أُخذوا أُصول العقائد ومعالم الدين وأحكام الشرع، وهي التي غذّتهم العزّة والكرامة والاستماتة في سبيل الحقّ، وهي التي علّمتهم مكارم الأخلاق، ومحاسن الآداب، والابتعاد عن كلّ ما يمسّ بالكرامة، أو يدعو إلىٰ المذلّة والمهانة. ومنها عرفوا التاريخ

والسير، وأخبار الأوائل، وأحوال الرجال، وغرائب الآثار، وعجائب الأمصار، وهلم جرّا...».

وأضاف السيد عبد الزهراء قائلاً: «قال الشيخ محمّد حسين آل كاشف الغطاء طاب ثراه: (أمَا والله لولا تعظيم هذه الشعائر، وقيام أعواد هذه المنابر، لأصبحت الشريعة الإسلامية أُمويّة، والملّة المحمّدية يزيدية)»(١).

(١) من لا يحضره الخطيب ٢: ١٣، من كلمة للمرحوم السيد عبد الزهراء الحسيني، صاحب كتاب مصادر نهج البلاغة.

الفصل الثالث

أساليب التوعية المعتمدة عند أهل البيت عليهم السلام

أولاً: الأُسلوب العاطفي

ثانياً: الأُسلوب الاجتماعي

ثالثاً: الأُسلوب النفسي

استخدم أئمة أهل البيت عليهم السلام عدّة أساليب؛ لإيصال مفاهيم الثـــورة الحســـينيّة إلىٰ النـــاس، وجـــذبهم إليـــها، وتهيئة الأجواء للـتعاطف مـع سـيّد الشـهداء عليه السلام، أهـمُّها: الأُســـلوبُ العــــاطفي، والأُســـلوبُ الاجـــتماعي، والأُســلوبُ النــفسي. وهــذه الأســاليب لهـا دور كـبير فـــي التـــوعية، وســـنتحدّث عـــنها فـي ثـلاثة بـحوث.

أوّلاً
الأُسلوب العاطفي

وَجَدَ الأئمةعليهم‌السلام أنّ أقوىٰ وسيلة للتأثير في النفوس، وحمل السامعين علىٰ التعاطف مع الحسينعليه‌السلام هي التذكير بمأساته، والتحدّث عن ظلامته؛ لأنّ وعي المأساة يستوجب وعي مفاهيم الثورة التي بسببها حدثت تلك المأساة.

وحثَّ الأئمةعليهم‌السلام شيعتهم علىٰ التذكير بمأساة سيد الشهداءعليه‌السلام، ونشر ظلامته بكلّ الوسائل الممكنة، ويُمكنِ أن يتحقّق ذلك بعدّة وسائل أهمّها:

١ ـ الشعر[١].

٢ ـ الحديث والقصّة[٢].

---

(١) قال رسول اللهصلى‌الله‌عليه‌وآله: «إنّ من الشعر لحكماً». قال ابن الأثير في معناه: «أي إنّ من الشعر كلاماً نافعاً يمنع من الجهل والسفه، وينهىٰ عنهما. قيل أراد بها المواعظ والأمثال التي ينتفع بها الناس.

والحُكْم: العِلْم والفقه والقضاء بالعدل، وهو مصدر حَكَمَ يَحْكُم. ويُروىٰ: (إنّ من الشعر لَحِكمة) وهي بمعنىٰ الحُكْم». النهاية ١: ٤١٩، (حَكَمَ).

(٢) أُنظر عن أثر الحديث والقصّة الصفحة: من هذه الرسالة.

الوسيلة الأُولىٰ الشِعر:

إنّ للشعر وقعاً في النفس أكثر من وسائل البيان الأُخر، وذلك:

أ ـ لعلاقة الشعر بالموسيقىٰ واحتوائه علىٰ وزن وقافية وإيقاع، والنفس تتأثّر كثيراً بالإيقاع. وفيه أداءٌ فنّي يُهيّج النفس الإنسانية ويؤثّر فيها؛ ولذا بيتان من الشعر يهيجان الإنسان ويؤثّران فيه أكثر من خطبة طويلة.

ب ـ لأنّ الشعر في واقعِهِ انفعالٌ، والشاعر لا ينظم شعراً إلّا أن ينفعل، فيخرج شعره من قلبه وأعماق نفسه، «والكلمة إذا خرجت من القلب وقعت في القلب، وإذا خرجت من اللسان لم تجاوز الآذان»[١].

ج ـ لتسجيل الشعر الواقعة الطويلة بأبيات قليلة يسهل حفظها.

ومن أجل ما ذكرناه حثّ أئمة أهل البيت عليهم السلام شيعتهم علىٰ نظم الشعر في مأساة أبي عبد الله الحسين عليه السلام، ثمّ إنشاده، قال الإمام الصادق عليه السلام لجعفر بن عفّان الطائي الشاعر المُنْشِد: «ما من أحد قال في الحسين شعراً فبكىٰ وأبكىٰ به إلّا أوجب اللهُ له الجنّةَ وغفر له»[٢].

وأوّل من أمر بنظم الشعر في مأساة الحسين عليه السلام هو الإمام زين العابدين عليه السلام، وذلك عند وصوله إلىٰ أبواب المدينة المنوّرة بعد واقعة الطف. قال بشير بن حذلم: «لمّا قَربنا من المدينة نزل علي بن الحسين وحطّ رحله وضرب فسطاطه وأنزل نساءه وقال: (يا بشير، رحم الله أباك لقد كان شاعراً فهل

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢٠: ٢٨٧، الحكم المنسوبة للإمام أمير المؤمنين عليه السلام الرقم ٢٧٩، وفي (تنبيه الخواطر ونزهة النواظر) المعروف بمجموعة ورّام ٢: ٣٥٧: «إنّ الكلام إذا خرج من القلب دخل في القلب، وإذا خرج من اللسان لم يتجاوز الآذان».

(٢) اختيار معرفة الرجال المعروف برجال الكشّي: ٢٨٩، وعنه في وسائل الشيعة ١٤: ٥٩٤، الباب ١٠٤ من أبواب المزار وما يناسبه، الحديث ١.

تقدر على شيء منه؟) قلت: بلى يابن رسول الله، إنّي لشاعر، فقال عليه السلام: (ادخل المدينة وانعَ أبا عبد الله عليه السلام)، قال بشير: فركبت فرسي حتىٰ دخلت المدينة فلما بلغت مسجد النبي صلى الله عليه وآله رفعتُ صوتي بالبكاء وأنشأت:

يا أهلَ يثربَ لا مقام لكم بها — قُتل الحسين فأدمعي مدرارُ

الجسم منه بكربلاء مُضرّجٌ — والرأس منه علىٰ القناةِ يدارُ

وقلت: هذا علي بن الحسين مع عمّاته وأخواته قد حلّوا بساحتكم، وأنا رسوله إليكم أعرّفكم مكانه، فخرج الناس يهرعون، ولم تبق مخدّرة إلّا برزت تدعو بالويل والثبور، وضجّت المدينة بالبكاء، فلم يُر باك أكثر من ذلك اليوم واجتمعوا علىٰ زين العابدين يعزّونه...»(١).

الشعراء الحسينيّون:

حثّ أئمةُ أهل البيت عليهم السلام الشعراءَ لينظموا في رثاء الإمام الحسين عليه السلام، فاستجاب شعراء الشيعة لأئمتهم بنظم الشعر في مأساة سيّد الشهداء عليه السلام.

وكان الشعراء موضع عناية أهل البيت واعتزازهم، يستقبلونهم ويرحّبون بهم ويدعون لهم، ويعقدون لهم مجالس خاصّة في بيوتهم للاستماع إلىٰ شعرهم، وكانوا يتفاعلون معهم بالتفجّع والبكاء. ونتيجة لذلك برز مجموعة من الشعراء الحسينيّين الذين نظموا الشعر في الحسين عليه السلام وبعضهم قرأه علىٰ الأئمة، منهم:

١ ـ جعفر بن عفان الطائي

٢ ـ السيِّد الحميري

---

(١) اللهوف في قتلى الطفوف: ١١٦.

٣ ـ سفيان بن مصعب العبدي

٤ ـ عبد الله بن غالب

٥ ـ دعبل بن علي الخزاعي

١ ـ جعفر بن عفان الطائي:

قال السيِّد الأمين[1]: «أبو عبد الله جعفر بن عفان كان من شعراء الكوفة، وكان مكفوفاً توفّي في حدود سنة ١٥٠ هـ، وله أشعار كثيرة في معانٍ مختلفة ومن شعره في أهل البيت عليهم السلام:

ألا يا عين فابكي ألف عامٍ ... وزيدي إن قَدَرتي علىٰ المزيدِ
إذا ذُكر الحسين فلا تملّي ... وجودي الدهر بالعبرات جودي
فقد بَكتِ الحمائمُ مِن شجاها ... بكت لأليفها الفرد الوحيد
بَكَين وما درين وأنت تدري ... فكيف تهمُّ عينُك بالجمود
أتنسىٰ سبطَ أحمد حين يُمسي ... ويُصبحُ بين أطباق الصعيد[2]»

كان جعفر الطائي شاعراً مبرّزاً مكرّماً عند أبي عبد الله الصادق عليه السلام.

روىٰ زيد الشحّام قال: «كنّا عند أبي عبد الله عليه السلام ونحن جماعة من الكوفيّين، فدخل جعفر بن عفان علىٰ أبي عبد الله، فقرّبه وأدناه ثم قال: (يا جعفر)، قال لبّيك جعلني الله فداك. فقال: (بلغني أنّك تقول الشعر في الحسين وتجيد) فقال: نعم جعلني الله فداك.

---

(١) هو السيد محسن بن عبد الكريم بن علي بن محمّد الأمين الحُسيني العاملي، نزيل الشام. وُلِدَ في شقرا (شقرة) من جبل عامل في حدود سنة ١٢٨٢ أو ١٢٨٣ هـ، وتُوفّي في بيروت سنة ١٣٧١ هـ، ودُفن في حجرة من صحن السيدة زينب عليها السلام في الشام. انظر الطليعة من شعراء الشيعة ٢: ١٦٧، وأدب الطف ١٠: ٣٣.

(٢) أعيان الشيعة ٤: ١٢٨.

فقال: قل، فأنشده [جعفر] فبكىٰ الصادق ومَن حوله حتىٰ صارت الدموع علىٰ وجهه ولحيته، ثم قال: (يا جعفر، والله لقد شهدك[١] ملائكة الله المقرّبون هاهنا، يَسمعون قولك في الحسين، ولقد بكوا كما بكينا أو أكثر، ولقد أوجب الله تعالىٰ لك يا جعفر في ساعتك الجنّة بأسرها، وغفر الله لك). ثم قال عليه السلام: (ألا أزيدك)، قال: نعم يا سيدي، قال: (ما من أحد قال في الحسين شعراً فبكىٰ وأبكىٰ به إلّا أوجب الله له الجنّة وغفر له))[٢].

ومِن شعره في الحسين عليه السلام:

لِيَبكِ علىٰ الإسلام مَن كان باكياً ... فقد ضُيّعت أحكامُه واستُحلّتِ
غَداةَ حسينٌ للرماحِ دريئةٌ ... وقد نَهلَت منه السيوف وعَلّتِ
وغُودر في الصحراءِ لحماً مبدَّداً ... عليه عتاق الطير باتت وظلّتِ
فما نصرته أُمّةُ السوء إذ دعا ... لقد طاشت الأحلامُ منها وضلّتِ
ألا بل محوا أنوارهم بأكفّهم ... فلا سلمت تلك الأكفُّ وشُلّتِ
ونـاداهُمُ جُهداً بحقّ محمّدٍ ... فإنّ ابنه من نفسه حيث حلّت
أذاقته حرَّ القتل أُمّة جدّه ... هفت نعلُها في كربلاء وزلّتِ
فلا قَدَّسَ الرحمنُ أُمّة جدّه ... وإن هي صامت للإله وصلّت
كما فَجعت بنتَ الرسول بنسلها ... وكانوا كماة الحرب حين استقلّت[٣]

---

(١) (أي حضرك) كما قال تعالى: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ البقرة: ١٨٥، أي مَن حَضَر منكم الشهر ولم يكن مسافراً.

(٢) اختيار معرفة الرجال: ٣٥٦، الرقم ٥٠٨، وعنه وسائل الشيعة ١٤: ٥٩٣ ـ ٥٩٤، الباب ١٠٤، الحديث ١.

(٣) أعيان الشيعة ٤: ١٢٨، والطليعة ١: ١٧٩.

٢ ـ السيد الحِمْيَرِي :

قال المرزباني: «اسمه السيّد إسماعيل وكنيته أبو هاشم بن محمّد بن يزيد ابن وداع الحِمْيَرِي، وأُمّه من الحُدّان[١]، تزوّج بها أبوه لأنّه كان نازلاً فيهم. وأُمّ هذه المرأة أو جدّتُها بنت يزيد بن ربيعة بن مفرِّغ الحِمْيَرِي الشاعر المعروف، وليس ليزيد بن مفرِّغ عقبٌ من ولد ذكر. ولقد غلط الأصمعي في نسبة السيّد إلىٰ يزيد بن مفرِّغ من جهة أبيه؛ لأنّه كان جدّه من جهة أُمّه. قال الصولي: (والسيّد: لقبٌ لُقّبَ به لذكاءٍ كان فيه، فقيل سيكون سيّداً، فعلُق هذا النعت به لذلك)»[٢].

وقال أبو الفرج: «كان شاعراً متقدّماً مطبوعاً، يُقال: إنّ أكثر الناس شعراً في الجاهلية والإسلام ثلاثة: بشّار وأبو العتاهية والسيِّد، فإنّه لا يُعلَم أنّ أحداً قدر علىٰ تحصيل شعر أحد منهم أجمع»[٣].

قال الكشّي: «رُوي أنّ أبا عبد الله عليه السلام لقي السيِّد [إسماعيل] بن محمّد الحميري فقال له: (سمّتك أمّك سيّداً ووُفّقت في ذلك، وأنت سيِّد الشعراء)، فأنشد السيِّد في ذلك:

ولقد عجبتُ لقائلٍ لي مرّةً ... علّامةٌ فَهِمٌ من الفقهاءِ
سمّاكَ قومك سيّداً صدقوا به ... أنت الموفّق سيِّد الشعراء[٤]
ما أنت حينَ تخصّ آل محمّدٍ ... بالمدح منك وشاعر بسواء

(١) حُدّان: ـ بضم الحاء ـ إحدىٰ محال البصرة القديمة يُقال لها بنو حُدّان، سُمّيت باسم قبيلة، وهو حُدّان بن شمس بن عمرو بن غنم بن غالب من الأزد. معجم البلدان ٢: ٢٢٧.

(٢) أخبار السيّد الحِمْيَري: ١٩.

(٣) الأغاني ٧: ٢٢٩.

(٤) لعله قال: سمّتك أُمّك سيّداً صدقت به، وهو الذي يوافق كلام الإمام الصادق عليه السلام معه.

مدَحَ الملوكَ ذوي الغنىٰ لعطائهم   والمدح منك لَهُم لغير عطاء
فابْشِر فإنّك فائزٌ في حبّهم   لو قد وَردتَ عليهمُ بجزاء
ما تعدلُ الدنيا جميعاً كلُّها   مِن حوض أحمد شربة من ماء[1]»

وكان السيِّد الحميري من الشعراء المُكثرين في مدح آل الرسول صلى الله عليه وآله وخصوصاً الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، وكانت له منزلة مُميّزة عند الأئمة عليهم السلام.

روىٰ أبو الفرج الإصفهاني بسنده عن علي بن إسماعيل التميمي، عن أبيه، قال: «كنتُ عند أبي عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام إذ استأذن آذنُه للسيد، فأمر بإيصاله، وأقعد حرمه خلف ستر، ودخل فسلّم وجلس، فاستنشده[عليه السلام]، فأنشد قوله:

أُمرُر علىٰ جَدَث الحسين   فقل لأعظُمِهِ الزكيّه
يا أعظماً لا زلتِ من   وطفاء ساكبةٍ رويّه
وإذا مررتَ بقبره   فأَطِل به وقفَ المطيّه
وابْكِ المطهَّرَ للمطهَّرِ   والمطهَّرة النقيّه
كبكاء معولة أتت   يوماً لواحدها المنيّه

قال: فرأيت دموع جعفر بن محمد تتحدّر علىٰ خدّيه، وارتفع الصراخ والبكاء من داره حتىٰ أمره بالإمساك، فأمسك»[2].

والقصيدة كما في أدب الطف هي:

أُمرر علىٰ جدث الحسين   فقل لأعظمه الزكيّه
يا أعظماً لا زلتِ من   وطفاء ساكبة رويّه

(١) اختيار معرفة الرجال: ٢٨٩.
(٢) الأغاني ٧: ٢٤٠ ـ ٢٤١.

مـا لذّ عـيشٌ بـعدَ رضّكِ بالجياد الأعوجيّه
قـبرٌ تـضمّنَ طـيّباً آبـاؤه خـيرُ البـريّه
آبـاؤه أهـلُ الريـا سةِ والخـلافةِ والوصيّه
والخـير والشِـيَمِ المهذّبة المـطيَّبة الرضـيّه
فـإذا مـررتَ بـقبره فأَطِـلْ بـه وَقْـفَ المطيّه
وابكِ المـطهّر للـمطهّر والمـطهّرة الزكـيّه
كـبكاء مـعولةٍ أتت يـوماً لواحـدها المـنيّه
والعن صدىٰ عمرَ بـن سـعدٍ والمـلمّع بـالنقيّه
شـمر بـن جـوشنٍ الذي طـاحت بـه نـفسٌ شـقيّه
جـعلوا ابـن بـنت نـبيهم غَـرَضاً كـما تُـرمىٰ الدريّـه
لم يَـدْعُهُم لقـتاله إلّا الجّـعالةُ والعـطيّه
لمّـا دعـوهُ لكـي تَـحكَّمَ فـيه أولادُ البـغيّه
أولادُ أخـبثِ مَـن مشـىٰ مَـرَحاً وأخـبثهم سـجيّه
فـعصاهُمُ وأبت له نـفسٌ مـعزّزةٌ أبـيّه
فـغدوا له بـالسابغات عـليهُمُ والمشـرفيّه
والبِـيض واليَـلب اليـما نـي والطـوال السمهريّه
وهُـمُ أُلوفٌ وهـو فـي سـبعين نـفسٍ هـاشميّه
فَـلَقوهُ فـي خَـلَفٍ لأحـمدَ مـقبلين مـن الثـنيّه
مسـتيقنين بأنّـهم سِـيقوا لأسـباب المـنيّه
يـا عـين فـابكي مـا حَـييتِ عـلىٰ ذوي الذمـمِ الوفـيّه

لا عــذرَ فــي تـركِ البكـا ءِ دمــاً وأنتِ بــه حـريّه[١]

وُلِد السيّد الحِمْيري سنة ١٠٥ هـ، ومات في سنة ١٧٣ هـ[٢].

قال الشيخ الأميني: «تُوفّي[٣] في الرُمَيلة ببغداد في خلافة الرشيد، وهذا هو المتسالَم عليه، ودُفن في جُنينة[٤] ناحية من الكرخ ممّا يلي قطيعة الربيع[٥]، أمّا سنة وفاته فقد أرّخها المرزباني بسنة ١٧٣ هـ، ونقلها القاضي المرعشي في مجالسه عن خطّ الكفعمي.

وقال ابن حجر [العسقلاني] بعد نـقل التـاريخ المـذكور عـن أبـي الفـرج: أرّخه غيره سنة ١٧٨ هـ وأرّخه ابن الجوزي سنة تسع [وسبعين بعد المائة]»[٦].

٣ ـ سفيان بن مصعب العبدي:

أبو محمّد سفيان بن مصعب الكوفي العبدي نسبةً إلىٰ عبد القيس، من شعراء أهل البيت عليهم السلام ومن أصحاب الإمام الصادق عليه السلام. قال الشيخ السماوي: «كان

---

(١) أدب الطف للخطيب السيّد جواد شبّر ١: ١٩٨ ـ ١٩٩، وديـوان السـيّد الحـميري جـمع وتحقيق شاكر هادي شكر: ٤٧٠ ـ ٤٧٢.

وللشيخ محمّد بن نصار قصيدة بارىٰ بها قصيدة السيّد الحميري هذه وضمّنها بعض أبيات السيّد الحميري، قال فيها:

يـا راكـباً هـيماء مـرقالاً جســوراً شــذقميّه
بـالله إن جـئت العـراق وسـمت أرض الغـاضريّه
أُمرر علىٰ جدث الحسين وقـل لأعـظمه الزكـيّه ...

أُنظر القصيدة في شعراء الحسين عليه السلام للأُستاذ الخطيب الشيخ جعفر الهلالي ٣: ٢٦.

(٢) أخبار السيّد الحِمْيري: ٢٠.

(٣) أي السيّد الحِمْيري.

(٤) تصغير جَنّة، وهي الحديقة والبستان.

(٥) تُنسب إلىٰ الربيع بن يونس حاجب المنصور.

(٦) الغدير ٢: ٣٨٦، ولسان الميزان ١: ٤٣٨، الرقم ١٣٥٤.

أحد الأفاضل من الشعراء، وأوحد الراثين في زمانه، وكان مختصّاً بمولانا حجّة الله الصادقعليه السلام، وكان يعقد له مجلساً في حرمه حرم الله عزّ وجلّ، ويلقي ما بينه وبين عياله ستراً يجلسنَ خلفه، فينوح لهم علىٰ جدّهم الشهيد»(١).

«روىٰ الكليني بإسناده عن أبي داود المسترِقّ، عن سفيان بن مصعب العبدي قال: دخلت علىٰ أبي عبد الله [الصادق] فقال: قولوا لأُمّ فروة(٢) تجيء فتسمع ما صُنع بجدّها، فجاءت فقعدت خلف الستر، ثم قالعليه السلام: أنشِدْنا، قال سفيان: فقلت:

فرو جودي بدمعك المسكوب ....

قال: فصاحت [أُمّ فروة]، وصِحنَ النساء، فقال أبو عبد الله: اغلقوا الباب، فاجتمع أهل المدينة علىٰ الباب، قال: فبعث إليهم أبو عبد الله [مَن يقول لهم]: صبيٌّ لنا غُشيَ عليه، فصحن النساء»(٣).

قال له الإمام الصادقعليه السلام مرّةً: «قُلْ شعراً تنوح به النساء»(٤).

وهذا يدلّ علىٰ:

أ ـ إتقان سفيان العبدي لشعر النياحة الذي يصعب علىٰ بعض الشعراء.

ب ـ أنّ النساء يومذاك كُنّ ينحن علىٰ الحسينعليه السلام فيحتجن إلىٰ شعر النياحة.

ج ـ إنّ الإمام الصادقعليه السلام كان يؤيّد نياح النساء علىٰ سيّد الشهداءعليه السلام،

(١) الطليعة ١: ٣٧٨.

(٢) أم فروة بنت الإمام الصادقعليه السلام، واسمها أسماء، انظر مناقب آل أبي طالبعليه السلام ٤: ٣٠٢.

(٣) استعمل الإمام التورية هنا، انظر روضة الكافي: ١٨٢، الحديث ٢٦٣، ومعجم رجال الحديث ٨: ١٦٠.

(٤) اختيار معرفة الرجال: ٤٦٤، الرقم ٧٤٨، وأعيان الشيعة ٧: ٢٦٧.

فطلب من العبدي أن يقول شعراً تنوح به النساء.

ولثقة الإمام الصادق عليه السلام بسفيان العبدي قال عليه السلام: «يا معشر الشيعة، علّموا أولادكم شعر العبدي فإنّه علىٰ دين الله»[١].

ومن شعر العبدي في الحسين عليه السلام:

لقد هدّ ركني رزءُ آل محمّدٍ — وتلك الرزايا والخطوبُ عِظامُ
وأبكت جفوني بالفرات مصارعٌ — لآل النبيّ المصطفىٰ وعِظامُ
عِظامٌ بأكناف الفرات زكيّةٌ — بِهِنّ علينا حُرمةٌ وذِمام
فكم حرّةٍ مسبيّةٍ ويتيمةٍ — وكم من كريمٍ قد علاه حُسامُ
لآلِ رسول الله صَلّت عليهمُ — ملائكةٌ بيضُ الوجوهِ كرام
أفاطمُ أشجاني بَنُوكِ ذووالعُلىٰ — فشِبْتُ وإنّي صادقٌ لَغلام
وأضحيتُ لا ألتذُّ طيبَ معيشتي — كأنَّ عليَّ الطيّباتِ حرام
ولا الباردُ العَذبُ الفراتُ أُسيغهُ — ولا ظَلّ يهنيني الغداةَ طعام
يقولون لي صبراً جميلاً وسلوةً — ومالي إلىٰ الصبرِ الجميل مرام
فكيف اصطباري بعد آل محمّدٍ — وفي القلبِ منّي لوعةٌ وضرام[٢]

قال السيِّد الأمين: تُوفّي (سفيان بن مصعب) حدود سنة ١٢٠ هـ بالكوفة[٣].

وقال الشيخ الأميني: «لم نقف علىٰ تأريخَي ولادةِ المترجَم له ووفاته، ولم نعثر علىٰ ما يقرّبنا إلّا ما سمعتَ من روايته عن الإمام جعفر بن محمد عليه السلام، واجتماعه مع السيّد الحميري المولود سنة ١٠٥ هـ، والمتوفّىٰ سنة ١٧٨ هـ، ومع أبي داود المسترِقّ، وملاحظة تأريخَي ولادة أبي داود المسترِقّ الراوي عنه

(١) أعيان الشيعة ٧: ٢٦٧.
(٢) أعيان الشيعة ٧: ٢٧١.
(٣) أعيان الشيعة ٧: ٢٦٧.

ووفاته تؤذننا بحياة شاعرنا العبديّ إلىٰ حدود سنة وفاة الحميري. فإنَّ أبا داود تُوفِّي سنة ٢٣١ كما في فهرست النجاشي[١] أو في ٢٣٠ كما في رجال الكشّي، وعاش تسعين سنة كما ذكره الكشّي[٢]، فتكون ولادة أبي داود سنة ١٦١ علىٰ قول النجاشي و١٦٠ علىٰ اختيار الكشّي، وبطبع الحال كان له من عمره حين روايته عن المترجَم أقلّ ما تستدعيه الرواية، فيستدعي بقاء المترجم أقلاً[٣] إلىٰ أواخر أيّام الحِميري، فما في أعيان الشيعة[٤] من كون وفاة المترجم في حدود سنة ١٢٠ قبل ولادة الراوي عنه أبي داود المسترقّ بأربعين سنة، خالٍ عن كلّ تحقيق وتقريب»[٥].

٤ ـ عبد الله بن غالب:

قال النجاشي: «عبد الله بن غالب الأسدي الشاعر الفقيه أبو علي، روىٰ عن أبي جعفر وأبي عبد الله وأبي الحسن عليهم السلام، ثقة ثقة»[٦].

وقال الطوسي: «عبد الله بن غالب الأسدي الشاعر الذي قال له أبو عبدالله عليه السلام: (إنّ مَلَكاً يُلقي الشعر عليك وإنّي لأعرفُ ذلك المَلَك)»[٧].

روىٰ ابن قولويه، قال: «حدّثني محمّد بن جعفر، عن محمّد بن الحسين،

(١) قال النجاشي في رجاله: ١٨٣، الرقم ٤٨٥: «أبو داود المسترق المنشد مولىٰ كندة ثم بني عدي منهم، روىٰ عن سفيان بن مصعب عن جعفر بن محمّد عليه السلام وعمّر إلىٰ سنة إحدىٰ وثلاثين ومائتين».

(٢) اختيار معرفة الرجال المعروف برجال الكشي: ٣٨٥ الرقم ٥٧٧.

(٣) كذا. والصحيح علىٰ الأقل.

(٤) أعيان الشيعة ٧: ٢٦٧.

(٥) الغدير ٢: ٤١٨.

(٦) رجال النجاشي: ٢٢٢، الرقم ٥٨٢.

(٧) رجال الطوسي: ١٤١، الرقم ١٥٢٧.

عن ابن أبي عُمير، عن عبد الله بن حسّان، عن ابن أبي شعبة، عن عبد الله بن غالب، قال: دخلت علىٰ أبي عبد الله عليه السلام فأنشدته مرثيّةً في الحسين، فلمّا انتهيت إلىٰ هذا الموضع:

فيالبليةٍ تكسو حسيناً بمسفاة الثرىٰ عَفَر الترابِ

صاحت باكية من وراء الستر: وا أبتاه»[١].

٥ ـ دِعْبِل الخُزاعي:

أبو علي وأبو جعفر دعبل بن علي بن رزين بن عثمان بن عبد الرحمن بن عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعي[٢].

قال الشيخ الأميني: «وُلد سنة ١٤٨، واستُشهد ظلماً وعدواناً وهو شيخ كبير سنة ٢٤٦ هـ»، «وأضاف: «بيت رزين بيت علم وفضل وأدب، وفيهم السؤدد والشرف، وكلّ الفضل والفضيلة ببركة دعاء النبي الأطهر لجدّهم الأعلىٰ بُديل ابن ورقاء»[٣].

وقال عنه أبو الفرج الإصفهاني: «شاعر مطبوع ومن الشيعة المشهورين بالميل إلىٰ عليّ صلوات الله عليه، وقصيدته: (مدارسُ أياتٍ خَلَتْ من تلاوةٍ) من أحسن الشعر وفاخر المدائح المقولة في أهل البيت عليهم السلام، وقصد بها أبا الحسن علي بن موسىٰ الرضا عليه السلام بخراسان...»[٤].

روىٰ الشيخ الصدوق في عيون أخبار الرضا بسنده عن عبد السلام بن

(١) كامل الزيارات: ٢١٠، الباب ٣٣، والبحار ٤٤: ٢٨٦، ومستدرك الوسائل ١٠: ٣٨٥، الحديث ١٢٢٣٥.

(٢) رجال النجاشي: ١٦١ ـ ١٦٢.

(٣) الغدير ٢: ٥٤٢.

(٤) الأغاني ٢٠: ١٤٨ ـ ١٤٩، وأُنظر معاهد التنصيص ٢: ١٩٨ ـ ١٩٩.

صالح الهروي، قال: «دخل دعبل بن علي الخزاعي علىٰ علي بن موسىٰ الرضا عليه‌السلام بمَرو فقال له: يابن رسول الله إنّي قد قلتُ فيك (فيكم) قصيدة، وآليت علىٰ نفسي ألّا أُنشدها أحداً قبلك، فقال عليه‌السلام: هاتها، فأنشده:

مدارسُ أياتٍ خَلَتْ من تلاوةٍ ... ومنزلُ وحيٍ مقفرُ العَرَصاتِ(١)

فلمّا بلغ إلىٰ قوله:

أرىٰ فيأهم في غيرهم متقسّماً ... وأيديَهم من فيئهم صفراتِ

بكىٰ أبو الحسن الرضا عليه‌السلام وقال له: (صدقت يا خزاعي)، فلمّا بلغ إلىٰ قوله:

إذا وُتروا مَدّوا إلىٰ واتريهمُ ... أكفّاً عن الأوتار منقبضات

جعل أبو الحسن عليه‌السلام يقلّب كفّيه ويقول: (أجل والله منقبضات)، فلمّا بلغ إلىٰ قوله:

لقد خفتُ في الدنيا وأيّام سَعْيها ... وإنّي لأرجو الأمنَ بعد وفاتي

قال الرضا عليه‌السلام: (آمنك الله يوم الفزع الأكبر)، فلمّا انتهىٰ إلىٰ قوله:

وقبرٌ ببغدادٍ لنفسٍ زكيّة ... تضمّنها الرحمنُ في الغرفاتِ

قال له الرضا عليه‌السلام: أفلا أُلحق لك بهذا الموضع بيتين بهما تمام قصيدتك؟ قال: بلىٰ يابن رسول الله، فقال عليه‌السلام:

وقبرٌ بطوسٍ يالَها من مصيبةٍ ... تَوَقَّدُ في الأحشاءِ بالحرقات

إلىٰ الحشرِ حتّىٰ يبعثَ اللهُ قائماً ... يُفرّج عنّا الهمّ والكُربات

فقال دعبل: يابن رسول الله، هذا القبر الذي بطوس قبر مَن هو؟ فقال الرضا عليه‌السلام: (قبري، ولا تنقضي الأيّام والليالي حتّىٰ تصير طوس مختلف شيعتي

---

(١) أُنظر القصيدة بكاملها في ديوان دعبل الخزاعي جمع وتحقيق عبد الصاحب الدجيلي: ٨٥ ـ ٩٧.

وزوّاري، ألا فمن زارني في غربتي بطوس كان معي في درجتي يوم القيامة مغفوراً له)، ثم نهض الرضا عليه السلام بعد فراغ دعبل من إنشاد القصيدة وأمره أن لا يبرح من موضعه، فدخل الدار، فلمّا كان بعد ساعة خرج الخادم إليه بمائة دينار رضويّة فقال له: يقول لك مولاي: اجعلها في نفقتك، فقال دعبل: والله ما لهذا جئت ولا قُلتُ هذه القصيدة طمعاً في شيء يصل إليّ، وردّ الصرّة وسأل ثوباً من ثياب الرضا عليه السلام ليتبرّك ويتشرّف به، فأنفذ إليه الرضا عليه السلام جبّة خَز مع الصرّة وقال للخادم: (قل له: خُذ هذه الصرّة فإنك ستحتاج إليها ولا تراجعني فيها)، فأخذ دعبل الصرّة والجبّة وانصرف...»[١].

وذكر المجلسي دخول دعبل علىٰ الإمام الرضا عليه السلام في العشرة الأُولىٰ من المحرّم الحرام قائلاً:

«حكىٰ دعبل الخزاعي، قال: دخلت علىٰ سيدي ومولاي علي بن موسىٰ الرضا عليه السلام في مثل هذه الأيّام[٢] فرأيته جالساً جلسة الحزين الكئيب، وأصحابه من حوله، فلمّا رآني مقبلاً، قال لي: (مرحباً بك يا دعبل، مرحباً بناصرنا بيده ولسانه). ثم إنّه وسّع لي في مجلسه وأجلسني إلىٰ جنبه. ثم قال لي: (يا دعبل، أُحبّ أن تنشدني شعراً، فإنّ هذه الأيّام أيّام حزن كانت علينا أهل البيت، وأيّام سرور كانت علىٰ أعدائنا، خصوصاً بني أُميّة، يا دعبل، من بكىٰ وأبكىٰ علىٰ مصابنا ولو واحداً كان أجره على الله، يا دعبل، من ذرفت عيناه علىٰ مصابنا وبكىٰ لِمَا أصابنا من أعدائنا حشرهُ الله معنا في زمرتنا، يا دعبل، من بكىٰ علىٰ مصاب جدّي الحسين عليه السلام غفر الله له ذنوبه البته).

---

(١) عيون أخبار الرضا ٢: ٢٩٤ ـ ٢٩٥.
(٢) أي أيام العشرة الأُولىٰ من المحرّم.

ثم إنّه عليه السلام نهض وضرب ستراً بيننا وبين حرمه، وأجلس أهل بيته من وراء الستر ليبكوا علىٰ مصاب جدّهم الحسين عليه السلام، ثم التفت إليّ وقال لي: (يا دعبل إرث الحسين، فأنت ناصرنا ومادحنا مادمت حيّاً فلا تقصّر عن نصرنا ما استطعت).

قال دعبل فاستعبرت وسالت عبرتي وأنشأت أقول:

أفاطمُ لو خِلْتِ الحسينَ مجدّلا ... وقد مات عطشاناً بشطِ فراتِ
إذاً لَلَطمت الخدّ فاطمُ عنده ... وأجريتِ دمعَ العينِ في الوجنات
أفاطمُ قومي يا ابنةَ الخيرِ واندبي ... نجومَ سماواتٍ بأرض فلاة
قبورٌ بكوفانٍ وأُخرىٰ بطيبة ... وأُخرىٰ بفخٍّ نالها صلواتي
قبورٌ بجنبِ النهر من أرض كربلا ... مُعَرّسهم فيها بشطٍّ فرات
تُوفُّوا عطاشىٰ بالفرات فليتني ... تُوفّيت فيهم قبلَ حين وفاتي
إلىٰ الله أشكو لوعةً عند ذكرهم ... سقتني بكأس الثكلِ والفَظَعات
سأبكيهمُ ما حجّ لله راكبٌ ... وما ناح قُمريٌّ علىٰ الشجرات
فيا عينُ بكّيهم وجودي بعبرةٍ ... فقد آن للتِشكاب والهَملات
سأبكيهمُ ما ذرَّ في الأُفق شارقٌ ... ونادىٰ منادي الخير للصلوات
وما طلعت شمسٌ وحانَ غروبُها ... وبالليل أبكيهمْ وبالغَدوات»[١]

فالظاهر من هذه الحكاية والرواية التي قبلها أنّ دعبل الخزاعي كان قد دخل علىٰ الإمام الرضا عليه السلام عدّة مرّات، وفي هذه المرّة كان دخوله عليه في أيّام المحرّم الحرام؛ ولذا رأه جالساً حزيناً وطلب منه أن يرثي جدّه الحسين عليه السلام، فاكتفىٰ من قصيدته بذكر مصاب الحسين عليه السلام ومن قُتل معه في

(١) البحار ٤٥: ٢٥٧، وأنظر المجالس السنية ١: ٤٩، وديوان دعبل الخزاعي تحقيق عبد الصاحب الدجيلي: ٨٩.

كربلاء فابتدأ بقوله:

أفاطمُ لو خلت الحسين مجدّلاً وقد مات عطشاناً بشط فرات...

حثّ الأئمة عليهم السلام علىٰ إنشاد الشعر وقراءته:

أراد أئمة أهل البيت عليهم السلام تغطية المجالس الحسينيّة بالشعر الحسيني ونشره بين المسلمين، فإضافة إلىٰ التشجيع علىٰ نظم الشعر شجّعوا كذلك علىٰ قراءته وإنشاده بطريقة جيّدة مؤثّرة، فالإنشاد الجيد بوساطة منشد مجيد يتقن الإنشاد، ويعرف ألحان الحزن له بالغ الأثر في شدّ الناس إلىٰ المعاني الواردة في القصيدة، وترغيبهم في الحضور والاجتماع في المجلس المنعقد لذلك. والمنشدون الذين يتمتّعون بصوت جميل وقدرات فنّية عالية يقدرون علىٰ إثارة العواطف وتحزين القلوب واستدرار الدموع؛ لذا حثّ الأئمة أمثال هؤلاء علىٰ إنشاد الشعر، وشجّعوهم واستقبلوهم في بيوتهم، واستنشدوهم وذكروا لهم فضل عملهم هذا. روىٰ صالح بن عقبة عن أبي عبدالله عليه السلام أنّه قال: «من أنشد في الحسين بيت شعرٍ فبكىٰ وأبكىٰ عشرة فله ولهم الجنّة، ومَن أنشد في الحسين بيتاً فبكىٰ وأبكىٰ تسعة فله ولهم الجنّة»، فلم يزل حتىٰ قال: «مَن أنشد في الحسين بيتاً فبكىٰ»، وأظنّه قال: «أو تباكىٰ فله الجنّة»[1].

المنشدون والنوّاح الحسينيّون:

بسبب تشجيع الأئمة علىٰ الإنشاد وقراءة الشعر في رثاء الحسين عليه السلام برز

(١) كامل الزيارات: ٢١١، الباب ٣٣، الحديث ٧، وثواب الأعمال: ١١٢.

مجموعة من المنشدين المجيدين والنوّاح الفنّيين، ازداد عددهم بمرور الزمان وعاصر بعضهم الأئمة الأطهار وأنشدوهم الرثاء الحسيني، وقد اشتهر منهم:

١ ـ أبو هارون المكفوف.

٢ ـ أبو عمارة المنشد.

٣ ـ أبو داود المُسْتَرِقّ.

٤ ـ أحمد المزوِّق النائح.

٥ ـ علي بن أصدق الحائري.

٦ ـ عبد العزيز الشطرنجي.

٧ ـ خُلّب النائحة.

٨ ـ ذَرّة النائحة.

١ ـ أبو هارون المكفوف:

هو موسىٰ بن عمير الكوفي من موالي جُعدة بن هُبيرة المخزومي[١]، كان شاعراً بارعاً رقيق الشعر مختصّاً بأبي عبد الله عليه السلام، يدخل عليه فيقرأ عليه شعره فيبكي ويبكي مِن خلف الستر أهلُ بيته الأطهار. تُوفّي سنة مائة ونيف وأربعين بالكوفة قبل وفاة الإمام الصادق عليه السلام[٢].

روىٰ ابن بابويه في ثواب الأعمال بسنده عن صالح بن عقبة، عن أبي هارون المكفوف، قال: «قال لي أبو عبد الله عليه السلام: **(يا أبا هارون أنشدني في الحسين عليه السلام)، قال: فأنشدته فبكىٰ، فقال: (أنشدني كما تنشدون) ـ يعني بالرقّة ـ قال: فأنشدته:**

(١) جعدة ابن أم هاني فاختة بنت أبي طالب أُخت الإمام علي عليه السلام.

(٢) الطليعة ٢: ٣٥٠.

أمرُرْ علىٰ جَدَثِ الحسين وقل لأعـظُمه الزكـيّه[١]

قال: فبكىٰ، ثم قال: (زدني)، قال: فأنشدته القصيدة الأُخرىٰ، قال: فبكىٰ، وسمعت البكاء من خلف الستر، قال: فلمّا فرغت قال لي: (يا أبا هارون، مَن أنشد في الحسين عليه السلام شعراً فبكىٰ وأبكىٰ عشرة كُتبت لهم الجنّة، ومَن أنشد في الحسين شعراً فبكىٰ وأبكىٰ خمسة كتبت لهم الجنّة، ومن أنشد في الحسين شعراً فبكىٰ وأبكىٰ واحداً كتبت لهما الجنّة، ومن ذُكر الحسين عنده فخرج من عينيه من الدموع مقدار جناح ذبابة كان ثوابه على الله عزّ وجلّ ولم يرض له بدون الجنّة)[٢].

وروىٰ ابن قولويه في كامل الزيارات بسنده عن صالح بن عقبة عن أبي هارون المكفوف، قال: «دخلت علىٰ أبي عبد الله عليه السلام فقال لي: أنشدني (أي في الحسين عليه السلام)، فأنشدته، فقال: (لا، كما تنشدون وكما ترثيه عند قبره)، (أي بالرقّة)، قال: فأنشدته:

أمرر علىٰ جدث الحسين وقـل لأعـظمه الزكـيّه

قال: فلمّا بكىٰ أمسكت أنا، فقال: مرُ، فمررت، قال: [أبو هارون]: ثم قال عليه السلام: (زدني زدني)، قال: فأنشدته:

مـريمُ قـومي فـاندبي مـولاكِ وعلىٰ الحسين فأَسعدي ببكاكِ

قال: فبكىٰ وتهايج النساء، قال: فلمّا أن سكتن قال لي: (يا أبا هارون، مَن أنشد في الحسين عليه السلام فأبكىٰ عشرة فله الجنّة)، ثم جعل ينقص واحداً واحداً حتىٰ بلغ الواحد، فقال: (مَن أنشد في الحسين فأبكىٰ واحداً فله الجنّة)، ثم قال:

(١) والقصيدة للسيد الحميري كما مرّ في ترجمته.

(٢) ثواب الأعمال للصدوق: ١١١، وكامل الزيارات: ٢٠٨، الباب ٣٣، الحديث ١، ووسائل الشيعة ١٤: ٥٩٥، الباب ١٠٤ من أبواب المزار وما يناسبه، الحديث ٣.

(من ذكره فبكىٰ فله الجنّة)[١].

يُستفاد من هذين الحديثين:

أ ـ استحباب ترقيق الصوت عند إنشاد الشعر الحسيني وقراءته باللحن المؤثر لا بالتلاوة.

ب ـ كما يستفاد جواز رفع النساء لأصواتهن بالبكاء علىٰ الحسين عليه السلام وإن سمع الرجال أصواتهن.

٢ ـ أبو عمارة المُنشِد:

مِن المُنشِدين المُجيدين والنوّاح البارزين الذين خصّهم الإمام الصادق عليه السلام بلطفه وعنايته، وأيّدهم في فنّهم الإنشادي، وطلب منه أن يُنشده في الإمام الحسين عليه السلام، أبو عمارة المنشد.

روىٰ ابن قولويه في الكامل وابن بابويه في ثواب الأعمال بسندهما عن أبي عمارة المنشد قال: «دخلت [علىٰ الإمام الصادق عليه السلام] فقال لي: يا أبا عمارة أنشدني في الحسين عليه السلام[٢]، قال: فأنشدته فبكىٰ، ثم أنشدته فبكىٰ، ثم أنشدته فبكىٰ، قال فوالله ما زلتُ أنشده ويبكي حتىٰ سمعت البكاء من الدار[٣]، فقال لي: **(يا أبا عمارة، مَن أنشد في الحسين عليه السلام شعراً فأبكىٰ خمسين فله الجنّة، ومَن أنشد في الحسين شعراً فأبكىٰ أربعين فله الجنّة، ومَن أنشد في الحسين عليه السلام شعراً فأبكىٰ ثلاثين فله الجنّة، ومَن أنشد في الحسين شعراً فأبكىٰ عشرين فله الجنّة، ومَن أنشد في الحسين شعراً فأبكىٰ عشرة فله الجنّة، ومَن أنشد في الحسين شعراً**

(١) كامل الزيارات: ٢١٠ ـ ٢١١، الباب ٣٣، الحديث ٥، والبحار ٤٤: ٢٨٧.

(٢) وفي كامل الزيارات القديم: ١٠٥: أنشدني للعبدي في الحسين عليه السلام.

(٣) ممّا يدل علىٰ أن الإمام أجلس أهل بيته من وراء الستر لاستماع تعزية الحسين عليه السلام.

فأبكىٰ واحداً فله الجنّة، ومَن أنشد في الحسين شعراً فبكىٰ فله الجنّة، ومَن أنشد في الحسين شعراً فتباكىٰ فله الجنّة)(١).

٣ ـ أبو داود المُسْتَرِقّ:

قال الكشّي: «قال حمدويه: [أبو داود المسترِقّ] هو سليمان بن سفيان بن السمط المسترِقّ، كوفي يروي عنه الفضلُ بن شاذان»، وأضاف قائلاً: «أبو داود المسترِقّ مشدّدةً [أي القاف] مولىٰ بني أعين من كندة. وإنّما سُمّي المسترِقّ، لأنّه كان راوية لشعر السيِّد [الحميري] وكان يستخفّه الناس لإنشاده، يسترِقّ أي يرقّ علىٰ أفئدتهم، وكان يسمّىٰ: المنشد»(٢).

وقال السيِّد الداماد في تعليقه علىٰ كلام الكشي: «قوله رحمه الله (المسترِقّ مشدّدة) ـ أي مشدّدة القاف ـ من الاسترقاق علىٰ الاستفعال، من الرقّة، كان ينشد شعر السيِّد فيرقّق القلوب ويسترقّ الأفئدة»(٣)، ثم أضاف السيِّد الداماد قائلاً: «قوله رحمه الله: (وكان يَسْتَخِفُّه الناس) [إمّا] يستحفّه، أي بإهمال الحاء قبل الفاء المشدّدة، بمعنىٰ يجتمعون ويستديرون حوله ويحتفّون به من جميع جوانبه، أو بمعنىٰ أنهم كانوا يستوفون منه إنشاد كلّ ما عنده من شعر السيِّد جميعاً، وذلك من قولهم: استحَفّ فلانٌ أموالَ القوم، أي أخذها بأسرها، قاله في القاموس وغيره.

وإمّا [يستخفّون] بإعجام الخاء أي يطلبون منه الخفّة والرفق معهم والملاينة

---

(١) كامل الزيارات: ٢٠٩، الباب ٣٣، الحديث ٢، وثواب الأعمال للشيخ الصدوق: ١١١ ـ ١١٢، الحديث ٢.

(٢) معارف الرجال: ٣١٩.

(٣) وهذا التوجيه يقرب من قول النجاشي في رجاله: «وإنّما سمّي المسترِقّ؛ لأنّه كان يسترِقّ الناس بشعر السيِّد». رجال النجاشي: ١٨٤، الرقم ٤٨٥.

والتأنّي بهم، ومنه في التنزيل الكريم ﴿فَاستَخَفَّ قَومَهَ﴾(١) قاله الراغب في المفردات»(٢).

قال النجاشي في رجاله: «أبو داود المسترِقّ المنشد مولىٰ كندة ثم بني عدي منهم، روىٰ عن سفيان بن مصعب عن جعفر بن محمّدعليه السلام، وعمّر إلىٰ سنة إحدىٰ وثلاثين ومائتين»(٣).

وقال أيضاً: «قال أبو الفرج محمّد بن موسىٰ بن علي القزوينيرحمه الله: حدّثنا إسماعيل بن علي الدعبلي، قال: حدّثنا أبي، قال: رأيت أبا داود المسترِقّ ـ وإنّما سمّي المسترِقّ؛ لأنّه كان يسترِقّ الناس بشعر السيد ـ في سنة خمس وعشرين ومائتين، يحدّث عن سفيان بن مصعب عن جعفر بن محمّدعليه السلام، ومات سليمان سنة إحدىٰ وثلاثين ومائتين»(٤).

ذكر الكشّي في رجاله أنّ أبا داود المسترِقّ عاش تسعين سنة، ومات سنة ثلاثين ومائة(٥)، وهذا تصحيف، والصحيح أنه توفّي سنة ٢٣٠ هـ، ويشهد بالتصحيف رواية طَبَقة أصحاب الإمامين الرضا والجوادعليهما السلام عنه، وكذلك رواية الحسن بن محبوب المولود سنة ١٤٩ هـ والمتوفّىٰ سنة ٢٢٤ هـ، ورواية محمّد بن الحسين بن أبي الخطّاب المتوفّىٰ سنة ٢٦٢ هـ(٦).

---

(١) سورة الزخرف: ٥٤. حكاية عن موقف فرعون من قومه آل فرعون، قال الراغب في معنىٰ قوله تعالىٰ: ﴿فَاستَخَفَّ قَومَهَ فأطاعُوه﴾: «أي حملهم أن يخِفّوا معه، أو وجدهم خِفافاً في أبدانهم وعزائمهم». معجم مفردات ألفاظ القرآن الكريم: ١٥٣، (خفَّ).

(٢) رجال الكشي تصحيح وتعليق السيد الداماد ٢: ٦٠٨، الرقم ٥٧٧.

(٣) رجال النجاشي: ١٨٣.

(٤) رجال النجاشي: ١٨٤.

(٥) اختيار معرفة الرجال: ٣٨٥، الرقم ٥٧٧.

(٦) أُنظر الغدير ٢ الهامش ٤١٨.

٤ ـ أحمد المزوِّق النائح(١):

أورد اسمه ياقوت الحموي في معجم الأُدباء في الخبر الآتي:

قال: «قال ابن عبد الرحيم: حدّثني الخالع، قال: كنت مع والدي في سنة ست وأربعين وثلثمائة، وأنا صبيّ، في مجلس الكبوذي في المسجد الذي بين الورّاقين والصاغة، وهو غاصٌّ بالناس، وإذا رجلٌ قد وافىٰ، عليه مُرَقَّعة، وفي يده سطيحة(٢) وركوة، ومعه عكّاز، وهو شعث، فسلّم علىٰ الجماعة بصوت يرفعه، ثم قال: أنا رسول فاطمة الزهراء عليها السلام. فقالوا: مرحباً بك وأهلاً، ورفعوه، فقال: أتعرفون لي أحمد المزوِّق النائح؟ فقالوا هاهو جالس، فقال: رأيت مولاتنا عليها السلام في النوم فقالت لي: امض إلىٰ بغداد واطلبه، وقل له: نُح علىٰ ابني بشعر الناشئ(٣) الذي يقول فيه:

بني أحمدٍ قلبي لكم يتقطّع بمثل مصابي فيكُمُ ليس يُسمع

وكان الناشئ حاضراً، فلطم لطماً عظيماً علىٰ وجهه، وتبعه المزوِّق، والناس كلّهم، وكان أشدّ الناس في ذلك الناشئ ثم أحمد المزوِّق، ثم ناحوا بهذه القصيدة في ذلك اليوم إلىٰ أن صلّىٰ الناس الظهر وتقوّض المجلس.

---

(١) قال الجوهري في الصحاح: (زَوَقَ): «الزاووق: الزئبق في لغة أهل المدينة، وهو يقع في التزاويق، لأنّه يُجعل مع الذهب علىٰ الحديد ثم يُدخل في النار فيذهب منه الزئبق ويبقىٰ الذهب، ثم قيل لكلّ منقَّشٍ: مزوَّق وإن لم يكن في الزئبق. وزَوّقتُ الكلامَ والكتاب إذا حسَّنَته وقوَّمَته. وتزيَّقت المرأة إذا تزيَّنت واكتَحلت». وعلىٰ هذا فإنّ المزوِّق هو المُحسِّن والمزيِّن للكلام، وكان أحمدُ النائح المنشد كذلك، مزوِّقاً للكلام.

(٢) المرقّعة: أي جُبّة أو غيرها فيها رِقَاع. والسطيحة: المزادة وهي من أواني المياه. لسان العرب: (سطح).

(٣) هو أبو الحسن علي بن عبد الله بن الوصيف الناشئ الصغير البغدادي. وُلِدَ سنة ٢٧١ هـ وتُوفّي سنة ٣٦٥ هـ. أدب الطف ٢: ١٠٥.

وجهدوا بالرجل أن يقبل شيئاً منهم فقال: والله لو أُعطيت الدنيا ما أخذتها، فإنّني لا أرىٰ أن أكون رسول مولاتي [الزهراء عليها السلام] ثم آخذ عن ذلك عوضاً، وانصرف ولم يقبل شيئاً».

وأضاف ياقوت الحموي قائلاً: «ومن هذه القصيدة وهي بضعة عشر بيتاً:

عجبت لكم تفنون قتلاً بسيفكم ... ويسطو عليكم من لكم كان يخضع
كأنّ رسول الله أوصىٰ بقتلكم ... وأجسامكم في كلّ أرض توزّع[1]»

قال الشيخ محمّد السماوي بعد ذكره للقصّة هذه «وظفرتُ في بعض الكتب بزيادة في القصّة وهي: أن الناشئ لمّا سمع كلام الرسول أجهش في البكاء وحلف أنه نظمها لليلته، وأنّه لم يسمعها منه أحد، ثم أرسل عليها إلىٰ داره وناح بها المزوّق والحاضرون»[2].

أورد السيّد جواد شبّر في أدب الطف بعض الأبيات من هذه القصيدة إضافة إلىٰ ما نقله ياقوت الحموي نذكرها جميعاً[3]:

بني أحمدٍ قلبي لكم يتقطّعُ ... بمثل مصابي فيكمُ ليس يُسمعُ
فما بقعةٌ في الأرض شرقاً ومغرباً ... وليس لكم فيها قتيلٌ ومصرع
ظُلمتم وقُتّلتُمْ وقُسّمَ فَيئُكم ... وضاقت بكم أرضٌ فلم يُحمَ موضع
جسومٌ علىٰ البوغاء تُرمىٰ وأرؤسٌ ... علىٰ أرؤس اللُدن الذوابلِ تُرفع
توارون لم تأوِ فراشاً جنوبُكم ... ويُسلمني طيب الهجوع فأهجع
عجبت لكم تفنون قتلاً بسيفكم ... ويسطو عليكم مَن لكم كان يخضع
كأنّ رسول الله أوصىٰ بقتلكم ... وأجسامكم في كلّ أرضٍ توزّع

---

(١) معجم الأُدباء ١٣: ٢٩٢ ـ ٢٩٣.
(٢) ظرافة الأحلام: ٤٦ ـ ٤٧.
(٣) أدب الطف ٢: ١٠٢.

٥ ـ علي بن أصدق الحائري:

من المنشدين المعروفين علي بن أصدق الحائري النائح. قال السيِّد الأمين في الأعيان: «علي بن أصدق الحائري عصره بين المائة الثالثة والرابعة»[١].

وقد أورد القاضي أبو علي المحسَّن بن علي التنوخي المتوفىٰ سنة ٣٨٤ هـ ذِكرَ ابن أصدق في كتابه نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، قال: «حدّثني أبي قال: خرج إلينا يوماً أبو الحسن الكاتب، فقال: أتعرفون ببغداد رجلاً يقال له: ابن أصدق؟ قال: فلم يعرفه من أهل المجلس غيري، فقلت: نعم، فكيف سألتَ عنه؟ فقال: أيُّ شيء يعمل؟ قلت: ينوح علىٰ الحسين عليه السلام. قال: فبكىٰ أبوالحسن، وقال: إنّ عندي عجوزاً ربّتني من أهل كرخ جُدّان[٢] عِطفيّة اللسان، الأغلب علىٰ لسانها النبطية، لا يمكنها أن تقيم كلمة عربيّة صحيحة، فضلاً عن أن تروي شعراً، وهي من صالحات نساء المسلمين، كثيرة الصيام والتهجّد. وإنّها انتبهت البارحة في جوف الليل، ومرقدها قريب من موضعي، فصاحت بي: يا أبا الحسن. فقلت: مالَكِ؟ فقالت: إلحقني. فجئتُها، فوجدتُها تَرعُد، فقلت: ما أصابكِ؟ قالت: إنّي كنت قد صلّيت وِردي[٣] فنمت، فرأيت الساعة في منامي، كأنّي في دربٍ من دروب الكرخ[٤]، فإذا بحجرة نظيفة بيضاء، مليحة الساج، مفتوحة الباب، ونساء وقوف عليها. فقلت لهم: مَن

---

(١) أعيان الشيعة ١٧: ٣٢٠.

(٢) كرخ جُدّان: بُليدة في آخر ولاية العراق تُناوح (أي تقابل) خانقين عن بُعد، وهو (إلىٰ كرخ جدّان) الحدّ بين ولاية شهر زور والعراق. معجم البلدان لياقوت الحموي ٤: ٤٤٩.

(٣) الوِرد: الجزء من الليل يكون على الرجل يصليه. لسان العرب: (ورد).

(٤) محلة ببغداد كانت مسكناً للشيعة.

مات؟ وما الخبر؟ فأومأوا إلىٰ داخل الدار. فدخلت، فإذا بحجرة لطيفة، في نهاية الحُسن، وفي صحنها امرأة شابّة لم أرَ قط أحسن منها، ولا أبهىٰ ولا أجمل، وعليها ثيابٌ حسنة بياض مروي[1] ليّن، وهي مُلتحفة فوقها بإزار أبيض جدّاً، وفي حجرها رأس رجل يشخب دماً. فقلت: من أنت؟ فقالت: لا عليكِ أنا فاطمة بنت رسول الله، (صلىٰ الله عليه [وآله])، وهذا رأس ابني الحسين عليه السلام، قولي لابن أصدق عنّي أن ينوح:

لم أمرّضه فأَسلُو لا ولا كان مريضا

فانتبهتُ فزعة. قال [أبو الحسن الكاتب]: وقالت العجوز: لم أمرّطه، بالطاء، لأنّها لا تتمكّن من إقامة الضاد، فسكّنتُ منها [روعها] إلىٰ أن نامت. ثم قال لي: يا أبا القاسم، مع معرفتك الرجل، قد حمّلتُك الأمانةَ، ولزمتك، إلىٰ أن تبلّغها له. قال: وكان هذا في شعبان، والناس إذ ذاك يلقون جهداً جهيداً من الحنابلة، إذا أرادوا الخروج إلىٰ الحائر. فلم أزل أتلطّف حتّىٰ خرجت، فكنت في الحائر، ليلة النصف من شعبان. فسألت عن ابن أصدق، حتّىٰ رأيتُه (أُريتُه). فقلت له: إنّ فاطمة عليها السلام تأمرك بأن تنوح بالقصيدة:

لم أمرّضه فأَسلُو لا ولا كان مريضا

وما كنت أعرف القصيدة قبل ذلك. قال: فانزعج من ذلك، فقصصت عليه، وعلىٰ من حضر، الحديث، فأجهشوا بالبكاء، وما ناح [ابن أصدق] تلك الليلة إلّا بهذه القصيدة، وأوّلها:

أيّها العينان فيضا واستهلّا لا تغيضا

وهي لبعض الشعراء الكوفيّين. وعُدتُ إلىٰ أبي الحسن فأخبرتُه

(١) مروي: نسبة إلىٰ مدينة مرو.

بما جرىٰ»[١].

٦ ـ عبد العزيز الشطرنجي النائح:

أورد ذكره ياقوت الحموي في ضمن خبر عن الناشئ[٢]، قال: «حدّثني الخالع قال: اجتزتُ بالناشئ يوماً وهو جالس في السرّاجين فقال لي: قد عملت قصيدةً وقد طُلِبَت، وأُريد أن تكتبَها بخطّك حتّىٰ أُخرجها فقلت: أمضي في حاجة وأعود، وقصدتُ المكان الذي أردتُهُ وجلستُ فيه، فحملتني عيني فرأيت في منامي أبا القاسم عبد العزيز الشطرنجي النائح، فقال لي: أُحبّ أن تقوم فتكتب قصيدة الناشئ البائيّة فإنّا قد نُحْنا بها البارحة بالمشهد[٣]، وكان هذا الرجل قد تُوفّي وهو عائد من الزيارة، فقمتُ ورجعتُ إليه وقلتُ: هاتِ البائيّة حتّىٰ أكتبها، فقال: مِن أين علمتَ أنّها بائيّة؟ وما ذكرتُ بها أحداً[٤]، فحدّثتُه بالمنام فبكىٰ وقال: لا شكّ أنّ الوقت قد دَنا فكتبتُها، فكان أوّلها:

رجائي بعيدٌ والممات قريب ويُخطئُ ظنّي والمنون تصيبُ»[٥]

قال الخوارزمي: وللناشئ علي بن وصيف ممّا يُناح به في المأتم:

أما شجاك يا سكَنْ قتلُ الحسين والحسَنْ
ظمِئت من فَرط الحَزَنْ وكلٌّ وغْدٍ ناهلُ

❊ ❊ ❊

(١) نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة ٢: ٢٣٠ ـ ٢٣٢.
(٢) هو الناشئ الصغير واسمه علي بن عبدالله بن وصيف البغدادي.
(٣) أي المشهد الحسيني.
(٤) لعله أراد: ما ذكرتها لأحدٍ، أو ما ذاكرت بها أحداً.
(٥) معجم الأُدباء ١٣: ٢٩٣ ـ ٢٩٤. وأُنظر القصيدة في أدب الطف ٢: ١٠٣.

يـقول يـا قـوم أبـيْ عـلـيّ الـبـرّ الأبـيْ
وفـاطم بـنت النـبيْ أُمّـي وعـني سـائلوا

* * *

منّوا عـلىٰ طـفلي بـما فـقد ضـرا فـيه الظـما
ولم يكـن قـد أجـرما حـيث الفـرات سـائل

* * *

قـالوا فـلن يـرتويا فـإن تـجيءْ مسـتجديا
فـانزل بـحكم الأدعـيا فـقال بـل أُنـاضل

* * *

حـتىٰ أتـاه مشـقصُ رمـاه وغـدٌ أبـرصُ
مـن سـقر لا يـخلصُ رجسٌ دعـيّ واغـل

* * *

فـأجمعوا لخـتلهِ واعـصوصبوا لقـتلهِ
وذبـحه مـع طـفلهِ فـاستنّت المـناصل

* * *

فـوصلوا عـرينَهُ وخـضّبوا جـبينَهُ
بـالدم يـا مـعينَهُ مـا أنت عـنه غـافل

* * *

وانـتهكوا حـريمَهُ وذبـحوا فـطيمَهُ
وقـيّدوا سـقيمَهُ وسِـيقت الحـلائل

* * *

يسقن بالتنائفِ | في ضجّة الهواتفِ
وأدمعٍ ذوارفِ | عقولها ذواهل

❊ ❊ ❊

يصحن يا محمّدُ | يا جدّنا يا أحمد
قد أسرتنا الأعبد | فكلّنا ثواكل

❊ ❊ ❊

تُهدىٰ سبا من كربلا | إلىٰ الشئام في الفلا
ينفثن كرباً وبلا | ليس لهنّ كافل

❊ ❊ ❊

إلىٰ يزيد الطاغيه | معدن كلّ داهيه
من نحو باب الجابيه | فجاحد وخاذل

❊ ❊ ❊

حتىٰ دنا بدر الدُّجىٰ | رأس الإمام المرتجىٰ
في طست معدوم الحجىٰ | وهو اللعين القاتل

❊ ❊ ❊

أمال في بنانه | قضيب خيزرانه
ينكتُ في أسنانه | قُطّعت الأنامل

❊ ❊ ❊

فيا عيوني اسكبي | علىٰ بني بنت النبي
بفيض دمعٍ واهضبي | كذاكَ يبكي العاقل[(١)]

---

(١) مقتل الحسين للخوارزمي ٢: ١٦٤ ـ ١٦٦.

يظهر ممّا ذكرنا أنّ الشعر الذي كان يُناح به علىٰ الحسين عليه‌السلام نوعان:

النوع الأوّل: ما ينوح به القارئ أو المنشد وحده وهو أكثر القصائد الحسينية التي يقرؤها الخطباء، ومثاله قصيدة الناشئ:

بني أحمدٍ قلبي لكم يتقطّعُ بمثل مصابي فيكمُ ليس يُسمعُ

وكذلك قوله:

رجائي بعيدٌ والممات قريب ويُخطيءُ ظنّي والمنون تصيبُ

النوع الثاني: ما ينوح به القارئ أو المنشد ويردّد المستمعون المستهل معه كما يفعله اليوم النوّاح والمنشدون الحسينيّون (الرواديد)، ومثاله قول الناشئ:

أما شجاك يا سكنْ قتل الحسين والحسنْ
ظمئت من فرط الحَزنْ وكلّ وغدٍ ناهلُ

وربّما رافق النياحة مع الترديد لطمٌ علىٰ الصدور.

٧ ـ خُلَّب النائحة[١]:

أورد اسمها القاضي أبو علي التَنُوخي[٢] في نشوار المحاضرة قائلاً: «قال أَبي، وابنُ عيّاش: كانت ببغداد نائحة مجيدة حاذقة تُعرف بخُلَّب، تنوح بهذه القصيدة[٣]. فسمعناها في دُور بعض الرؤساء؛ لأنّ الناس إذ ذاك كانوا لا يتمكّنون من النياحة إلّا بعزّ سلطان أو سرّاً؛ لأجل الحنابلة. ولم يكن النوح إلّا مراثي الحسين وأهل البيت عليهم‌السلام فقط، من غير تعريض بالسَلَف.

(١) والخُلّب: السحاب يومض برقه حتّىٰ يُرجىٰ مطره، ثم يُخلف ويتقشّع، وكأنّه من الخِلابة وهي الخِداع بالقول اللطيف. لسان العرب ج ١ (خلب).

(٢) المحسّن بن أبي القاسم علي بن محمّد القحطاني صاحب كتاب الفرج بعد الشدّة.

(٣) يعني القصيدة المذكورة في ترجمة علي بن أصدق الحائري ومطلعها:

أيها العينان فيضا واستهلا لا تغيضا.

قالا: فبلَغَنا أنّ البربهاري[1] قال: بلغني أنّ نائحة يقال لها: خُلَّب،

(١) البربهاري: الحسن بن علي بن خلف، كان رئيس الحنابلة ببغداد، وكان يدفعهم إلىٰ كثير من أعمال العنف، فأخذوا يكبسون الدُور، ويعترضون البيع والشراء، وأرهبوا كل من لا يرىٰ رأيهم، وزاد شرّهم وفتنتهم، واستظهروا بالعميان الذين كانوا يأوون إلىٰ المساجد، فإذا مرّ بهم شافعي المذهب، أغرَوا به العميان فضربوه بعصيّهم، حتّىٰ يكاد يموت، فخرج توقيع الراضي [الخليفة العباسي] بما يُقرأ علىٰ الحنابلة، يُنكر عليهم فعلهم، ويوبّخهم باعتقاد التشبيه (أي التجسيم) وغيره، فمنه: «تارة أنكم تزعمون أنّ صورة وجوهكم القبيحة السمجة علىٰ مثال ربّ العالمين، وهيأتكم الرذلة علىٰ هيأته، وتذكرون الكفّ والأصابع والرجلين والنعلين المذهّبين والشعر القطط والصعود إلىٰ السماء والنزول إلىٰ الدنيا ـ تبارك [وتعالىٰ] الله عمّا يقول الظالمون والجاحدون علوّاً كبيراً ـ ثم طعنكم علىٰ خيار الأئمة ونسبتكم شيعة آل محمّد إلىٰ الكفر والضلال، ثم استدعاؤكم المسلمين إلىٰ الدين بالبدع الظاهرة والمذاهب الفاجرة التي لا يشهد بها القرآن، وإنكاركم زيارة قبور الأئمة، وتشنيعكم علىٰ زوّارها بالابتداع، وأنتم مع ذلك تجتمعون علىٰ زيارة قبر رجل من العوام ليس بذي شرف ولا نسب ولا سبب برسول الله، وتأمرون بزيارته، وتدّعون له معجزات الأنبياء، وكرامات الأولياء. فلَعَنَ اللهُ شيطاناً زيّن لكم هذه المنكرات وما أغواه.
وأمير المؤمنين يُقسم بالله قسماً جهداً إليه يلزمه الوفاء به، لئن لم تنتهوا عن مذموم مذهبكم ومعوّج طريقتكم، ليوسعنّكم ضرباً وتشريداً، وقتلاً وتبديداً، وليستعملنّ السيف في رقابكم والنار في منازلكم ومحالكم». الكامل في التاريخ ٨: ٣٠٨ ـ ٣٠٩، والمختصر في أخبار البشر لأبي الفداء: ٨٢، ونشوار المحاضرة ٢: ٢٣٣، مات البربهاري مستتراً سنة ٣٢٩. الكامل ٨: ٣٧٨.
والبربهاري نسبة إلىٰ (بربهار) وهي أدوية كانت تُجلب من الهند، ويُقال لجالبها البربهاري، ولعلّها ما نسميها اليوم بالبهارات.
ومن أعمال البربهاري وجماعته الحنابلة: تحريمهم زيارة القبور ومنعهم من إقامة الشعائر والحفلات ليلة النصف من شعبان (ذكرىٰ تحوّل القبلة من المسجد الأقصىٰ إلىٰ المسجد الحرام). اُنظر فتنة البربهاري وجماعته في أحداث سنة ٣١٧ و ٣٢٣ و ٣٢٧ و ٣٢٩ هـ من كتاب أحداث التاريخ الإسلامي المجلد ١: ٥٥٧ ـ ٥٥٨، والأعلام للزركلي المجلد ٢: ٢٠١، والكامل في التاريخ لابن الأثير ٨: ٣٠٧، وتاريخ الإسلام للذهبي في حوادث سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة من الجزء الذاكر للحوادث والوفيات من سنة ٣٢١ ـ ٣٣٠ صفحة ٣٠ ـ ٣١.

تنوح، اطلبوها فاقتلوها»[١].

٨ ـ ذَرَّة النائحة:

أورد ذكرها المفيد النيسابوري في أماليه: فقد روىٰ ابن شهراشوب عن أمالي المفيد النيسابوري[٢]، أنّ ذَرّة النائحة رأت فاطمة الزهراء عليها السلام فيما يرىٰ

(١) نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة ٢: ٢٣٣.

(٢) عُرف جماعة من العلماء بلقب المفيد، وقد أورد الشيخ عباس القمي في الكُنىٰ والألقاب ٣: ١٧١ ـ ١٧٣ تراجمهم كما يلي:

١ ـ المفيد: أبو عبد اللّٰه محمّد بن محمّد بن النعمان بن عبد السلام البغدادي، شيخ المشايخ الجلّة، ورئيس رؤساء الملّة، فخر الشيعة ومحيي الشريعة، ملهم الحقّ ودليله، ومنار الدين وسبيله، اجتمعت فيه خلال الفضل، وانتهت إليه رئاسة الكلّ، واتّفق الجميع علىٰ علمه وفضله وفقهه وعدالته وثقته وجلالته، كان رحمه الله كثير المحاسن، جمّ المناقب، حديد الخاطر، حاضر الجواب، واسع الرواية، خبيراً بالأخبار والرجال والأشعار، وكان أوثق أهل زمانه بالحديث، وأعرفهم بالفقه والكلام، وكلّ مَن تأخّر عنه استفاد منه، وقال علماء العامة في حقّه: هو شيخ مشايخ الإماميّة، رئيس الكلام والفقه والجدل، وكان يناظر أهل كلّ عقيدة... كان مولده يوم الحادي عشر من ذي القعدة سنة ٣٣٦، وتُوفّي رحمه الله ليلة الثالث من شهر رمضان ببغداد سنة ٤١٣ إلىٰ آخر ما ذكره في ترجمته.

٢ ـ المفيد الثاني: هو الشيخ الأجلّ العالم الفاضل الكامل الفقيه المحدّث الثّقة أبو علي الشيخ حسن ابن شيخ الطائفة محمّد بن الحسن الطوسي صاحب كتاب شرح النهاية وكتاب الأمالي الدائر بين سَدَنة الأخبار وغيرهما، ينتهي إليه أكثر الإجازات.

٣ ـ المفيد الرازي: عِزّ العلماء أبو الوفاء، عبد الجبار بن عبد اللّٰه بن علي المقري النيسابوري ثم الرازي، فقيه الأصحاب بالري، قرأ علىٰ الشيخ أبي جعفر الطوسي جميع تصانيفه، وقرأ علىٰ سالار (سلّار) وابن البرّاج، يروي عنه السيِّد فضل اللّٰه الراوندي رحمه الله.

٤ ـ المفيد النيسابوري: هو الشيخ الأجل عبد الرحمن بن أحمد بن الحسين الخزاعي النيسابوري نزيل الري، شيخ أصحابنا الإمامية في الري، الحافظ الواعظ الثّقة صاحب التصانيف الكثيرة منها: سفينة النجاة في مناقب أهل البيت عليهم السلام، والرضويات، والأمالي، وعيون الأخبار، ومختصرات الزواجر والمواعظ.

النائم أنّها وقعت علىٰ قبر الحسين عليه السلام تبكي، وأمرتها أن تنشد:

أيّـها العـينان فـيضا واســتهلّا لا تـغيضا
وابكـيا بـالطفّ مَـيتاً تُـرك الجسـم رضـيضا
لم امـرّضه قـتيلاً[1] لا ولا كـان مـريضا[2]

الوسيلة الثانية الحديث والقصّة:

إنّ واقعة الطف، وما جرىٰ في عاشوراء من مآسٍ وفجائع، تذيب القلوب وتسيل الدموع، ولا طاقة لإنسان سليم القلب والفطرة أن يسمعها ولا يحزن ولا يتأثّر، بل يتعاطف حتماً مع الإمام الشهيد، ويلعن مَن ارتكب تلك المآسي الفجيعة. وهذا بدوره فتحٌ كبيرٌ لقضيّة سيد الشهداء عليه السلام، وسببٌ لمعرفة أحقّيته في ثورته ومواقفه. قال الإمام الرضا عليه السلام: **«من ذكّر بمُصابنا فبكىٰ وأبكىٰ لم تبك عينه يوم تبكي العيون»**[3].

ولذا فإن أهل البيت عليهم السلام حثّوا شيعتهم علىٰ تذكير الناس بـمأساة الإمـام الشهيد، وقام الأئمة أنفسهم بالحديث عنها في مناسبات متعدّدة منها:

١ ـ قال الإمام زين العابدين عليه السلام في ضمن خطبته في الكوفة:

«أيّها الناس مَن عَرَفني فقد عَرَفني، ومَن لم يعرفني فأنا علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، أنا ابن مَن انتُهكت حرمتُه، وسُلبت نعمتُه، وانتُهب مالُه، وسُبي

---

(١) وفي بعض المصادر: لم أمرّضه فأسلو، لم أعثر علىٰ أمالي المفيد النيسابوري مع كثرة التتبع.

(٢) مناقب ابن شهر آشوب ٤: ٧١.

(٣) الأمالي للشيخ الصدوق: ١٣١، المجلس ١٧، الحديث ٤، ويُمكن أن يُقرأ الحديث: «مَن ذُكّرَ بمصابنا فبكىٰ وأبكىٰ لم تبكِ عينه يوم تبكي العيون».

عيالُه، أنا ابن المذبوح بشطّ الفرات، من غير ذحلٍ ولا تِرات، أنا ابن مَن قُتل صبراً، وكفى بذلك فخراً»(١).

٢ ـ وقال عليه السلام في خطبته في الشام:

«أنا ابن علي المرتضىٰ، أنا ابن فاطمة الزهراء، أنا ابن خديجة الكبرىٰ، أنا ابن المقتول ظلما، أنا ابن محزوز الرأس من القفا، أنا ابن العطشان حتىٰ قضىٰ، أنا ابن طريح (ذبيح) كربلاء، أنا ابن مسلوب العمامة والردا، أنا ابن من بكت عليه ملائكة السما، أنا ابن من ناحت عليه الجنّ في الأرض والطير في الهوا، أنا ابن من رأسه علىٰ السنان يُهدىٰ، أنا ابن من حُرَمه من العراق إلىٰ الشام تُسبىٰ»(٢).

قال الخوارزمي: «ولم يزل يقول: أنا، أنا، حتىٰ ضجّ الناس بالبكاء والنحيب، وخشي يزيد أن تكون فتنة»(٣)، وحدوث ما لا تُحمد عقباه؛ لأنّ الإمام حينما عرّفهم نفسه وأهل بيته، وأنّ القتلىٰ في كربلاء هم آل محمد، وأنّ السبايا هم عائلة الرسول، أوجد انقلاباً فكرياً عند أهل الشام، وأحاطهم علماً بما كانوا يجهلون، «فأمر [يزيدُ] المؤذّنَ أن يؤذّن، فقطع عليه الكلام وسكت، فلما قال المؤذّن: الله أكبر، قال علي بن الحسين: «كبّرت كبيراً لا يقاس، ولا يدرك بالحواس، لا شيء أكبر من الله». فلما قال: أشهد أن لا إله إلّا الله، قال علي: «شهد بها شعري وبشري ولحمي ودمي ومخي وعظمي»، فلمّا قال: أشهد أن محمداً رسول الله، التفت عليّ من أعلىٰ المنبر إلىٰ يزيد وقال: «يا يزيد، محمد هذا جدّي أم جدّك؟ فإنّ زعمتَ أنّه جدّك فقد كذبت، وإن قلتَ إنّه

(١) مثير الأحزان لابن نما: ٨٩، واللهوف في قتلىٰ الطفوف للسيّد ابن طاووس: ٦٨.
(٢) مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب ٤: ١٦٩.
(٣) مقتل الحسين الخوارزمي ٢: ٧٨.

جدّي، فلِمَ قَتلتَ عترته»[١]؟

٣ ـ وخَطَبَ الإمام زين العابدين عليه السلام علىٰ أبواب المدينة، عند رجوعه مع عمّاته وأخواته، فقال:

«الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، بارئ الخلائق أجمعين، الذي بَعُدَ فارتفع في السماوات العلىٰ، وقَرُب فشهد النجوىٰ، نحمده علىٰ عظائم الأُمور، وفجائع الدهور، وألَم الفجائع، ومضاضة اللواذع، وجليل الرُزء، وعظيم المصائب، الفاظعة الكاظّة، الفادحة، الجائحة.

أيّها القوم، إنّ الله تعالىٰ ابتلانا بمصائب جليلة، وثلمة في الإسلام عظيمة، قُتل أبو عبد الله الحسين وعترته، وسُبيت نساؤه وصبيته، وداروا برأسه في البلدان من فوق عامل السنان، وهذه الرزيّة التي لا مثلها رزيّة.

أيّها الناس، فأيّ رجالات منكم يسرّون بعد قتله! أم أيّ فؤاد لا يحزن من أجله! أم أيّة عين منكم تحبس دمعها! وتضنّ عن انهمالها! فلقد بكت السبع الشداد لقتله، وبكت البحار بأمواجها، والسماوات بأركانها، والأرض بأرجائها، والأشجار بأغصانها، والحيتان في لجج البحار، والملائكة المقرّبون، وأهل السماوات أجمعون.

أيّها الناس، أيّ قلب لا ينصدع لقتله، أم أيّ فؤاد لا يحنّ إليه، أم أيّ سمع يسمع بهذه الثلمة التي ثلمت في الإسلام ولا يصم!

أيّها الناس، أصبحنا مشرّدين، مطرودين، مذودين، شاسعين عن الأمصار، كأنّنا أولاد تُرك وكابل، من غير جرم اجترمناه، ولا مكروه ارتكبناه، ولا ثلمة في الإسلام ثلمناها، ما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين، إنْ هذا إلّا اختلاق، والله لو أنّ النبي

---

(١) مقتل الحسين للخوارزمي ٢: ٧٨.

تقدّم إليهم في قتالنا، كما تقدّم إليهم في الوصية بنا، لما زادوا على ما فعلوا بنا، فإنا لله وإنا إليه راجعون، من مصيبة ما أعظمها، وأفجعها، وأكظّها، وأفظعها، وأمرّها، وأفدحها، فعند الله نحتسب ما أصابنا وابلغ بنا، فإنّه عزيز ذو انتقام»[١].

٤ ـ روىٰ الشيخ الصدوق بسنده عن علي بن إبراهيم، عن أبيه عن الريان بن شبيب، قال: «دخلت على الإمام الرضا في أوّل يوم من المحرّم فقال لي: ... يابن شبيب إنّ المحرّم هو الشهر الذي كان أهل الجاهليّة فيما مضىٰ يُحرّمون فيه الظلم والقتال لحرمته، فما عَرَفَتْ هذه الأُمّة حرمةَ شهرها ولا حرمة نبيّهاﷺ، لقد قَتَلوا في هذا الشهر ذرّيتَه، وسبوا نساءه، وانتهبوا ثقله، فلا غفر الله لهم ذلك أبداً.

يابن شبيب، إنْ كنتَ باكياً لشيء فابْكِ للحسين بن علي بن أبي طالبعليه السلام فإنّه ذُبح كما يُذبح الكبش، وقُتل معه من أهل بيته ثمانية عشر رجلاً مالهم في الأرض شبيه»[٢].

٥ ـ وروىٰ الشيخ الصدوق أيضاً بسنده عن إبراهيم بن أبي محمود، قال: قال الإمام الرضاعليه السلام: «إنّ المحرّم شهر كان أهل الجاهليّة يحرّمون فيه القتال، فاستُحلّت فيه دماؤنا، وهُتكت فيه حرمتنا، وسُبي فيه ذرارينا ونساؤنا، وأُضرمت النيران في مضاربنا، وانتُهب ما فيها من ثقلنا، ولم تُرعَ لرسول الله حرمة في أمرنا!

إنّ يوم الحسين أقرحَ جفوننا وأسبلَ دموعنا، وأذلَّ عزيزنا بأرض كرب وبلاء، وأورثَنا الكرب والبلاء إلىٰ يوم الانقضاء، فعلىٰ مثل الحسين فلْيَبكِ الباكون، فإنّ البكاء عليه يحطّ الذنوب العظام».

ثم قالعليه السلام: «كان أبي[٣] إذا دخل شهر المحرّم لا يُرىٰ ضاحكاً، وكانت الكآبة

(١) اللهوف: ٨٨ ـ ٨٩، ومثير الأحزان لابن نما: ١١٣.
(٢) الأمالي للشيخ الصدوق: ١٩٢، المجلس ٢٧ الحديث ٥.
(٣) أي الإمام الكاظمعليه السلام.

تغلب عليه حتىٰ تمضي منه عشرة أيام، فإذا كان يوم العاشر كان ذلك اليوم يوم مصيبته وحزنه وبكائه، ويقول: هو اليوم الذي قُتل فيه الحسين صلوات الله عليه»[١].

مأساة الإمام الحسين عليه السلام والتعاطف معه

إنّ كلّ مَن يقرأ قصّة كربلاء وما جرىٰ فيها من مآسٍ لابدّ من أن يحزن بعمق ويتأثّر لِمَا جرىٰ علىٰ سيّد الشهداء وعلىٰ أهل بيته وأصحابه، ومن ثمّ يَنْشَدّ إلىٰ الإمام وينجذب إليه ويتعاطف معه، وهذا ما جرىٰ لكثيرين بعدما قرأوا أو سمعوا فاجعة عاشوراء، منهم:

١ ـ الكاتبة الإنجليزية القديرة (فرايا ستارك):

كانت قد كتبت فصلاً صغيراً عن عاشوراء في كتابها المعروف باسم (صور بغدادية) وتبدأ هذا الفصل بقولها: «إنّ الشيعة في جميع أنحاء العالم الإسلامي يحيون ذكرىٰ الحسين ومقتله، ويعلنون الحداد عليه في عشرة المحرّم الأُولىٰ كلّها، حتّىٰ يصل بهم مدّ الأحزان البطيء الذي يستولي علىٰ أنفسهم إلىٰ أوجِهِ بمواكب العزاء التي تخرج في اليوم الأخير حاملة النعش بجثّته (المذبوحة)». ثم تشير إلىٰ مواكب العزاء و(السبايا) التي تُمثَّل فيها وقائع معركة كربلاء كلّها. وهي تقول: «إنّ هذه المواكب التي تُقام في بغداد والمدن المقدّسة يُعرف مجيئُها من بعيد بصوت اللّدم علىٰ الصدور العارية». ثم تصفُ مجلس تعزية للنساء في الكويت أُخذت إليه وهي متنكّرة...[٢].

---

(١) الأمالي للشيخ الصدوق: ١٩٠، المجلس ٢٧ الحديث ٢.

(٢) ١٤٥ ـ ١٥٠، طبعة كيلدبوكس ١٩٤٧. Stark, Freya _ Baghdad Stetches, 1937.

وفي فصلها الكبير عن النجف الذي كتبَتْهُ في هذا الكتاب تأتي (فرايا ستارك) إلىٰ ذكر كربلاء والحسين كذلك فتقول: «... وعلىٰ مسافة غير بعيدة من هذه البقعة جُعجع ابنه الحسين إلىٰ جهة البادية، وظلّ يتجوّل حتّىٰ نزل في كربلاء.. وهناك نصب مخيّمه، بينما أحاط به أعداؤه ومنعوا موارد الماء عنه. وما تزال تفصيلات تلك الوقائع واضحةً جليّةً في أفكار الناس في يومنا هذا كما كانت قبل (١٢٥٧) سنة. وليس من الممكن لمن يزور هذه المدن المقدّسة أن يستفيد كثيراً من زيارته ما لم يقف علىٰ شيء من هذه القصّة؛ لأنّ مأساة الحسين تتغلغل في كل شيء حتّىٰ تصل إلىٰ الأُسس. وهي من القصّص القليلة التي لا أستطيع قراءتها قط من دون أن ينتابني البكاء». ثم تقول: «إنّ التاريخ قد توقّف في كربلاء والنجف منذ أن وقعت تلك الفاجعة؛ لأنّ الناس أخذوا يعيشون فيهما علىٰ ذكرىٰ الكراهية لأعداء الحسين المظلوم»[١].

٢ ـ المستشرق المعروف (البروفسور براون):

كتب عن مأساة الإمام الحسين عليه السلام قائلاً: «ذكرىٰ كربلاء التي استُشهد فيها سبطُ الرسول بعد تحمّل الأذىٰ والعطش، كافية أن تُحدث في قلب أبرد الناس وأكثرهم تهاوناً وعدم اعتناء بالأُمور حماسة وحزناً وهيجاناً شديداً، وأن تتعالىٰ بالروح إلىٰ معارج الكمال، بحيث تستهين بالألَم والموت»[٢].

٣ ـ الأُستاذ المصري أبو شريف معروف عبدالمجيد:

بعث إليّ رسالة يقول فيها: «ذات يوم كنت أبحث عن إذاعة القاهرة وفي

(١) نقلاً عن موسوعة العتبات المقدّسة لجعفر الخليلي ٨: ٣٨٠ ـ ٣٨١، قسم كربلاء.

(٢) آداب الكلام لعلي باشا صالح: ١٩٩، عن كتاب تاريخ الأدب الإيراني من قديم الزمان إلىٰ عهد الفردوسي للبروفسور ادوار براون، ترجمة علي باشا صالح.

يدي مذياع صغير، وأنا جالس وحدي في غرفتي. كنت أعيش حينها خارج مصر، وكان الشوق إليها يغمر قلبي ويستولي على مشاعري، ولم تكن الفضائيات قد ظهرت بعد.

وفجأة، تناهى إلى أذني صوت رخيم عذب، فأوقفت مؤشر المذياع، كان الأداء مختلفاً تماماً عن كل أداء سمعته من قبل، فازدادت دهشتي، كان الرجل يتحدث عن الإمام الحسين عليه السلام وعن الكارثة المريعة التي وقعت في كربلاء. لا أدري في أي شهر من الشهور كنا، وربما كنا في شهر محرم.

في تلك الأيام لم أكن قد عرفت بعدُ البكاء على الحسين عليه السلام ومعنى هذا البكاء، ولكنني وجدت نفسي قد غمرها حزن شديد، فأجهشت بالبكاء، وفاضت الدموع من عيوني بغزارة وحرارة دون إرادة، ورحت أبكي بمرارة وحرقة لم أعهدها من قبل، إلى أن انتهى الحديث الذي استولى على جوانحي قادماً عبر الأثير، وقد تجسّدتْ أمامي مصيبة أهل البيت الأطهار عليهم السلام. أعلن المذيع بأن الإذاعة هي إذاعة طهران، ولكنه لم يذكر اسم المتحدّث، ولعلّه بالطبع كان قد ذكره في البداية، فشعرت بالأسف الشديد لأنني كنت في شدة الشوق لمعرفة صاحب هذا الصوت القادم من خلف الحجب والأستار.

ومضت أيام وشهور وسنوات إلى أن فاجأني الصوت نفسه قادماً من الإذاعة نفسها، ولكنني كنت هذه المرّة في طهران..!

قررت أن أكشف هذا اللغز العجيب، وأن أعرف صاحب الصوت الحسيني. لم يطل بي البحث، وما لبثت أن علمت أنه عميد المنبر الحسيني الخطيب البارع والشاعر الأديب الشيخ الدكتور أحمد الوائلي رحمه الله. وكان أن انفتحت أمام بصيرتي آفاق جديدة واسعة على قتيل العبرات الإمام الحسين» عليه السلام.

٤ ـ كثير من مسلمي شمال إفريقية :

حدّثني الخطيب السيد مسلم الجابري قائلاً: «لمّا كنتُ أواصل دراساتي العليا في باريس سنة ١٩٨١ وافقَتْ أيّام العشرة الأُولىٰ من المحرّم، فدعونا المسلمين من شمال إفريقية الموجودين في باريس للحضور ليلة تاسوعاء وعاشوراء في المركز الإسلامي الإيراني، فحضرَ جمعٌ كبيرٌ منهم، فأسمعناهم مقتل الحسين عليه السلام بصوت المرحوم الشيخ عبد الزهراء الكعبي، فكان الجميع ينصتون ويبكون تفاعلاً مع المأساة الحسينية، وكانوا يقولون: إنّ هذا الأمر لم نعلم به، واظهروا تعاطفهم مع الإمام الحسين عليه السلام واشمئزازهم من القتلة المجرمين».

مأساة الحسين عليه السلام وانتشار التشيّع:

قال الدكتور جوزيف الفرنسي في تحقيق له تحت عنوان (الشيعة وترقّياتها المحيّرة للعقول): «... ومن جملة الأُمور الطبيعيّة التي صارت مؤيّدة لفرقة الشيعة في التأثير في قلوب سائر الفرق هو إظهار مظلوميّة أكابر دينهم، وهذه المسألة من الأُمور الطبيعية؛ لأنّ كلّ أحدٍ بالطبع ينتصر للمظلوم ويحبّ غلبة الضعيف علىٰ القوي، والطبايع البشريّة أميل إلى الضعيف... وهؤلاء مصنّفو أوروبّا الذين ذكروا في كتبهم تفصيل مقاتلة الحسين وأصحابه وقتلهم، مع أنّهم لا يعتقدون بهم، أذعنوا بظلمِ قاتليهم وتعدّيهم وعدم رحمتهم، ويذكرون أسماء قاتليهم بالاشمئزاز.

وهذه الأُمور طبيعيّة لا يقف أمامها شيء، وهذه النكتة من المؤيّدات

الطبيعية لفرقة الشيعة...»[١].

وحدّثني الشيخ زهير الحسّون: أنّه زار مكتبة الفاتيكان فرآى في القسم الخاصّ بالكتب الإسلامية أكثرَ من ألف كتاب مطبوع ومخطوط في الإمام الحسين عليه السلام، فسأل مدير المكتبة عن ذلك، فأجابه: «إنّ رجال الفاتيكان رأوا انتشار التشيّع في الآونة الأخيرة، وتكاثر المعتنقين لمذهب أهل البيت في العالم، فأوعزوا سبب ذلك إلىٰ نشر الشيعة لظلامة الحسين في المجالس والمآتم الحسينية ومواكب العزاء الحسيني، فأوعزوا إلىٰ ممثّلي الفاتيكان في العالم الإسلامي باقتناء أيّ كتاب مطبوع أو مخطوط في الحسين؛ وذلك للاستفادة منه في نشر المسيحية عن طريق نشر ظلامة المسيح؛ لأنّهم يعتقدون بأنّه صُلب وقُتل مظلوماً».

إنّ مظلوميّة الحسين عليه السلام أظهرت أحقّية سيد الشهداء، وبطلان بني أُميّة. وقد انتصر الحسين عليه السلام بدمه علىٰ سيوف أعدائه. وهكذا انتصر الدم علىٰ السيف.

لقد تعلّم بعض المصلحين من انتصار الحسين عليه السلام بالمظلوميّة فاتّخذ من ذلك نبراساً له، ومنهم المصلح الهندي الكبير (مهاتما غاندي) فقد قال: «تعلّمتُ من الحسين أن أنتصر بالمظلومية»[٢].

مأساة الإمام الحسين عليه السلام والاستبصار

كم من إنسان سليم القلب، إذا سمع بمأساة سيد الشهداء رقّ قلبه

(١) إقناع اللائم للسيد الأمين: ٣٥٦، وكتاب (ذكرىٰ الحسين) للشيخ حبيب آل إبراهيم العاملي: ٢٠٧، منقولاً عن كتاب الإسلام والمسلمون المترجم إلىٰ الفارسية في جريدة الحبل المتين العدد ٨٣، السنة ١٧.

(٢) أدب الطف ١: ١٩.

وتأثّر ضميره لِمَا جرىٰ علىٰ سبط الرسول، وآلَ به الحزنُ إلىٰ حبّ الحسين عليه السلام خاصّة وأهل البيت عامّة، ومِن ثَمّ إلىٰ اعتناق مذهبهم والسير علىٰ هداهم.

وإليكم بعض الشواهد ممّن اعتنق المذهب الشيعي بسبب سماعه لمأساة الإمام الحسين عليه السلام:

١ ـ الأُستاذ صائب عبد الحميد:

قال الأُستاذ صائب عبد الحميد في كتابه (منهج في الانتماء المذهبي) تحت عنوان: (هكذا كانت البداية)، يقول: «مع الحسين مصباح الهدىٰ كانت البداية، ومع الحسين سفينة النجاة كان الشروع.

بداية لم أقصدها أنا، وإنّما هي التي قصدتني، فوفّقني الله لحسن استقبالها، وأخذ بيدي إلىٰ عتباتها...

ذلك كان يوم مَلَكَ عليَّ مسامعي صوتُ شجيّ، ربّما كان قد طرقها من قبل كثيراً فأَغضَتْ عنه، ومالت بطرفها، وأسدلت دونه ستائرها، وأعصت عليه، حتىٰ دعاني هذه المرّة، وأنا في خلوة أو شبهها، فاهتزّت له مشاعري، ومنحتُه كلّ إحساسي وعواطفي، من حيث أدري ولا أدري...

فجذبني إليه .. تتبادلني أمواجه الهادرة .. وألسنة لهيبه المتطايرة .. حتىٰ ذابت كبريائي بين يديه، وانصاع له عتوّي عليه .. فرحت معه أعيش الأحداث وأذوب فيها .. أسير مع الراحلين، وأحطّ إذا حطّوا، وأُتابع الخطىٰ حتىٰ النهاية..

تلك كانت قصّة مقتل الإمام الحسين عليه السلام بصوت الشيخ عبدالزهراء الكعبي رحمه الله في العاشر من محرّم الحرام من سنة ١٤٠٢ للهجرة.

فأصغيتُ عنده أيّما إصغاء لنداءات الإمام الحسين .. وترتعد جوارحي، مع الدمعة والعبرة، وشيء في دمي كأنّه الثورة .. وهتاف في جوارحي .. لبّيك،

يا سيدي يابن رسول الله ..

وتنطلق في ذهني أسئلة لا تكاد تنتهي، وكأنّه نور كان محجوباً، فانبعث يشقّ الفضاء الرحيب دفعة واحدة ..

إنطلاقة يؤمّها الحسين، بقية المصطفىٰ، ورأس الأُمّة، وعَلَم الدين.

إنطلاقة الإسلام كلّه تنبعث من جديد، ورسول الله يقودها من جديد، بشخص ريحانته، وسبطه الحسين.

وهذه نداءات الإسلام يبثّها أينما حلّ، والجميع يعرفها! ولا يُعرف للإسلام معنىً في سواها.

ومصارع أبناء الرسول!

وتيّار الانحراف يجرف الحدود، ويقتحم السدود!

وأشياء أُخر لا تنتهي ...»[1].

٢ ـ الأُستاذ إدريس الحسيني:

قال في كتابه (لقد شيّعني الحسين): «قال لي أحد المقرّبين يوماً: مَن الذي شيّعك وأيّ الكتب اعتمدتها؟ قلت له: أمّا بالنسبة لمن شيّعني، فإنّه جدّي الحسين ومأساتُه الأليمة. أمّا عن الكتب فقد شيّعني، صحيح البخاري والصحاح الأُخر. قال كيف ذلك؟ قلت له: اقرأها، ولا تدعْ تناقضاً إلّا أحصيته، ولا (رطانة) إلّا وقفتَ عندها مليّاً... إذ ذاك ستجد بُغيتك!

إنّ الأُمّة التي قَتلَتِ الحسين عليه السلام وسبَت أهلَه الطاهرين لا يمكنني الثقة بها مطلقاً. ولا يمكنني أن أُؤوّل هذه الأحداث لصالح الفكر السائد، مثلما

---

(١) منهج في الانتماء المذهبي لصائب عبد الحميد: ٣١ ـ ٣٢.

لا أستطيع تأويل الدم الطاهر بالماء الطبيعي. هذه الدماء التي سالت ليست مياه نهريّة، إنّما هي دماء أشرف من أوصىٰ بهم النبي ﷺ في هذه الأُمّة، أفـقَدَتْني الأُمّة الثقة في نفسها، ومهما قالوا فإنّهم لن يقنعوني بأنّ دم الحسين عليه السلام لم يُرَق بيد مسلمين حكموا الأُمّة الإسلاميّة. وكان تعامل أئمة السنّة والجماعة معهم تعاملاً حسناً!

الأُمّة التي لم ترعَ أبناء الرسول ﷺ بعده لا يمكن أن ترعَ سنّته بعده. قل ما شئت. قل: إنّ المسلمين في العهد الأوّل اجتهدوا في قتل أهـل البـيت عليهم السلام، وقل: إنّ هذه الأفكار التي وردت في كتب الشيعة دخيلة، ولا حقيقة لها فـي التاريخ الإسلامي. لكن هل يستطيع واحد مـن المسـلمين مـن المـحيط إلىٰ المحيط، أن يدّعي أنّ الحسين عليه السلام لم يَمُت شـهيداً مـظلوماً بأمـر مـن أمـير المؤمنين (يزيد بن معاوية) وبفتوىً رسميّة من (شريح القاضي) وسيوف الجيش الأُموي الحاقد، في بيئة ترعرع فيها فكر العامة، وعلىٰ إثر حدثٍ فـريد مـن نوعه في تاريخ الإسلام هو حدث تحويل الخلافة إلىٰ مُلكٍ عضوض، حـيث يُنصَب (يزيد بـن مـعاوية) غـصباً عـلىٰ المسـلمين، وإنّ العـام الذي اضـطرّ الحسن عليه السلام أن يتنازل عن الخلافة لمعاوية، حقناً للدماء سُمّي عام الجماعة؟!

كلّا وألف كلّا .. فلا أحد يستطيع ذلك؛ لأنّ التاريخ أبىٰ إلّا أن يبقىٰ أميناً لقضايا المستضعفين ولو كره المفسدون!»[1].

وقال أيضاً تحت عنوان (ملحمة كربلاء): «ما زلت أذكر اليوم الذي عشتُ فيه مأساة كربلاء بتفاصيلها، حيث ما تزال ظلالها الحزينة تـرافـق ظـلّي إلىٰ اليوم. وتفاصيلها لا يتّسع لها هذا الكتاب، فهي تُطلَب في غيره، والآثار النفسية

---

(١) لقد شيعني الحسين: ٦٣ ـ ٦٥.

التي تَرَكَتْها في أعماقي مازلتُ أجرعها كالسموم، ولا أملك أن أنقلها كما أحسّها وأستشعرها في كياني، لقد وجدتُ نفسي فجأة في هيئة أُخرىٰ، وفي شرياني جرىٰ دم هو مثل تلك الدماء التي أُريقت علىٰ رمال الطفوف، ولا عجب من ذلك، فأنا الحسيني وجدّي هو الحسين عليه السلام وأنّ العِرق دسّاس، ومنذ ذلك اليوم كأنّ كلّ يوم عندي عاشوراء، وكلّ أرض كربلاء.

كان الإمام الحسين عليه السلام يريد أن ينتشل الأُمّة من جمودها، ويحرّكها للثورة ضدّ الكيان الأُموي الجاثم علىٰ السلطة. ولابدّ له من تضحية، ولابدّ من دم شريف يُراق؛ ليُحدثَ الانقلابَ في نفوس القوم الذين خذلوا قضيّته ومازالوا يخذلون!»[١].

وأضاف قائلاً: «كان الإمام الحسين يحرص علىٰ كرامة الأُمّة ومصلحتها، ويحول دون يزيد وإذلالها: ألا وإنّ الدعيّ ابن الدعيّ قد ركّز بين اثنتين: بين السِلّة والذِلّة، وهيهات منّا الذلّة، يأبىٰ الله لنا ذلك ورسوله والمؤمنون، وحجور طابت وطَهرت، وأُنوفٌ حميّة ونفوسٌ أبيّة مِن أنْ تؤثر طاعة اللئام علىٰ مصارع الكرام.

لقد خُذل الحسين عليه السلام وهو في أمسّ الحاجة إلىٰ من ينصره»[٢].

وتحدّث الأُستاذ إدريس الحسيني مختصراً عمّا جرىٰ يوم عاشوراء وخرج بالنتيجة التالية تحت عنوان (لقد شيعني الحسين) فقال: «هذه مجرّد عموميات مختصرة حول المشهد الدراماتيكي لملحمة كربلاء كما اتّفقت عليها تواريخ المسلمين، ولعمري، إنّه المشهد الذي لا يزال صداه يتحرّك في أقدس

---

(١) لقد شيعني الحسين: ٢٩٧.

(٢) لقد شيعني الحسين: ٣٠٣.

قداساتي، يُمنّيني بالأحزان في كلّ حركة أتحركها.

ما إن خلصت من قراءة (مذبحة) كربلاء بتفاصيلها المأساوية، حتىٰ قامت كربلاء في نفسي وفكري، ومن هنا بدأَتْ نقطة الثورة، الثورة علىٰ كلّ مفاهيمي ومسلّماتي الموروثة، ثورة الحسين داخل روحي وعقلي.

أجل، ليس من وظيفة هذا الكتاب التعرّض لتلك التفاصيل، وإنّما نريد أن نعطي مجرّد اشعاعات متفرّقة عن تلك المذبحة لفضح التاريخ الرسمي الملفّق!

الأوراق، كلّ الأوراق مع هذا التاريخ الجريح، القابع خلف اللاشعور التاريخي، المكتوب بريشة (أهل الزلفىٰ) المقرّبين.

لقد جاء أهل الشام والكوفة بالسيف، وجاء الحسين بالدم، وانتصر الدم علىٰ السيف، بل وانتصر علىٰ التاريخ (البلاطوي) فكان الحسين نوراً لم تغطّه ظُلَم التحريف!

ونحن ننعىٰ هذه المأساة، ونعلم أنّ الإمام الحسين عليه السلام قد مضىٰ علىٰ حق، وأنّ قطرة من نعيمه قد أنْسَتْهُم كلّ معاناته. إلّا أنّنا نبكي أُولئك المغفّلين الذين اتّخذوا من قاتلي الحسين، وأنصارهم وخاذليه قدوةً لهم وأُسوة. ونماذج من الورع يُقتدىٰ بها. وما أكثر الطبول التي قُرعت والمزامير التي عُزفت مدحاً لشخصيات تاريخيّة كانت من بين أُولئك الذين اشتركوا في احتزاز رأس الحسين ونهب متاعه بخسّة!

الذين قتلوا الحسين وهم يعلمون أنّه خيرٌ مِن أميرهِم، وسيّدُ العرب والمسلمين، وما قتلوه إلّا طمعاً في الحطام الذي أَمْناهم به يزيد، أليسوا قادرين علىٰ تحريف الإسلام، واختلاق الأحاديث بحثاً عن نفس الحطام؟

لقد شيّعني الحسين عليه السلام من خلال المأساة التي شاهَدَها هو وأهلُ البيت عليهم السلام،

شيّعني بدمائه العبيطة وهي تنساب علىٰ الرمل الأصفر بأرض الطفوف، وبصراخ الأطفال ونواح النساء. يومها ناديتُ وقد انسكبَت من عيني دمعةٌ حزينةٌ ورقيقة، قلت والقلب تمزّقه الأحزان:

ويَرثي ربابك دنيا الشجون ودمعُ النواح وفيض الدما

وأيّ شيء صنع الأعداء بموته سوىٰ أنْ حفروا قبورهم، ودقّوا نعوشهم بالمسامير، ليَدخلُوا مقبرة التاريخ صاغرين، ومازلت أراه ـ أبا عبد الله ـ كبيراً في عين التأريخ، لقد نوّر الحياة بدمه الزكيّ العطر:

سطعتَ بريقاً كوَمضِ الشموس وشاعَ سناكَ كبرقِ السما

وما إن أقرأ عن تفاصيل كربلاء حتىٰ تأخذني الجذبة بعيداً، ثم تعود أنفاسي إلىٰ أنفاسي، والحسين ألفاه لديها، قد تربّع بدمائه الطاهرة. فياليتني كنت معه، فأفوز فوزاً عظيماً، وفي تلك الجذبة هناك مَن يَفهمني، وقد لا يَفهمني من لا يرىٰ للجريمة التأريخيّة وقعاً في نفسه وفي مجريات الأحداث التي تلحقها.

فكربلاء مدخلي إلىٰ التاريخ، إلىٰ الحقيقة، إلىٰ الإسلام، فكيف لا أُجذب إليها جذبة صوفيّ رقيق القلب، أو جذبة أديبٍ مرهف الشعور، وتلك هي المحطّة التي أردت أن أُنهي بها كلامي عن مجمل معاناة آل البيت عليهم السلام وظروف الجريمة التأريخية ضدّ نسل النبي صلى الله عليه وآله»[1].

هذه بعض الشواهد الدالّة علىٰ شدّة تأثير مأساة الإمام الحسين عليه السلام في النفوس الحرّة، ومثلها عشرات الشواهد.

إنّ الاستماع لمأساة المظلومين في واقعة كربلاء الفجيعة يؤدي إلىٰ التعاطف معهم ومودتهم ثم الاهتداء بهم واعتناق مذهبهم، وهذا مصداق للحديث

---

(١) لقد شيعني الحسين: ٣١٣ ـ ٣١٥.

الشريف «الحسين مصباح هدىً وسفينة نجاة»[١].

وهكذا تبقىٰ فاجعة كربلاء داعية للوعي وانكشاف الحقّ والوصول إلى الحقيقة، وهذا أحد الدواعي لتأكيد الأئمة عليهم السلام علىٰ ذكر مأساة الطف.

(١) فرائد السمطين ٢ : ١٥٥.

ثانياً
الأُسلوب الاجتماعي

إنّ ثورة الحسين عليه السلام لم تكن حَدَثاً عاديّاً، ولا واقعة وقتيّة عابرة تبقىٰ مدّة متوقّدة متوهّجة ثم تخبو وتخمد وينتهي أثرها، بل هي مسألة الإنسانيّة في صراعها الدائم بين الخير والشر والحقّ والباطل، الصراع الذي لا تزال البشريّة تخوضه بين معسكر الضمائر والقيم والأخلاق من جهة، ومعسكر الظلم والاستكبار والاستبداد من جهة أُخرىٰ. قصّة صراع بين مبدأين وفكرتين: بين الفضيلة والرذيلة. ولابدّ لهذه الثورة بهذا الحجم أن تبقىٰ جذوة متوهّجة، تثير الهِمَم وتحرّك الإرادة وتبعث الوعي في الأُمّة.

«لم يكن الصراع بين الإمام الشهيد ويزيد بن معاوية صراعاً بين رجلين انتهىٰ لاستشهاد أحدهما وفوز الآخر بما خُيّلَ له ولأنصاره أنّهم قد فازوا به، بل كان صراعاً بين خُلُقَين خالدَين، وجولة من جولات هذين الخُلُقين اللذين تجاولا أحقاباً ولا يزالان يتجاولان. كان صراعاً بين الخير والشر، بين الكرم واللؤم، بل بين أشرف ما في الإنسان وأوضع ما يمكن أن

تبتلىٰ به النفس البشرية»[١].

لقد جنّد أهلُ البيت الطاقات ووظّفوا الإمكانات؛ لتخليد هذه الثورة وإيصال مفاهيمها ومضامينها للأجيال بكل الأساليب والوسائل الممكنة، ومنها الأُسلوب الاجتماعي؛ ولذا حثّوا شيعتهم وأتباعهم على التجمّع وعقد المجالس لإحياء أمرهم والتحدّث عن قضيّتهم، وفي هذا الصدد قال الإمام الصادق عليه السلام لداود بن سرحان: «يا داود، أبلغ مواليَّ عنّي السّلام وأنّي أقول: رحم الله عبداً اجتمع مع آخر فتذاكرا أمرنا، فإنّ ثالثهما مَلَك يستغفر لهما، وما اجتمع اثنان علىٰ ذكرنا إلّا باهىٰ الله تعالىٰ بهما الملائكة، فإذا اجتمعتم فاشتغلوا بالذكر[٢]، فإنّ في اجتماعكم ومذاكرتكم إحياءنا (إحياء أمرنا)، وخير الناس من بعدنا مَن ذاكرَ بأمرنا، ودعا إلىٰ ذِكرنا»[٣].

وقال الإمام الرضا عليه السلام: «مَن جَلَس مجلساً يُحيي فيه أمرنا لم يَمُت قلبُه يوم تموت القلوب»[٤].

صحيح أنّ المؤمن لو جلس وحده وذكر الحسين عليه السلام ورقّ له وبكىٰ يحصل علىٰ الثواب، لكن هذا لا يبعث نشاطاً في الأُمّة ولا يؤثّر في نشر الفكرة. أمّا حينما ينعقد مجلس يضمّ عدداً من المؤمنين، ويجري الحديث عن أهل البيت وقضاياهم، تتكوّن مِن هذا التجمّع طاقة تساعد في إحياء أمر وفكر وحقّ أهل البيت عليهم السلام، فالسلوك الجمعي تأثيره وعطاؤه يختلف عن السلوك الفردي؛ والفرق بينهما كالفرق بين صلاة الجماعة وصلاة الفرادىٰ.

---

(١) أبو الشهداء، مقدّمة الناشر: ٥.
(٢) أي ذكر أهل البيت عليهم السلام.
(٣) أمالي الطوسي ١: ٢٢٨، وبشارة المصطفىٰ: ١١٠.
(٤) الأمالي للشيخ الصدوق: ١٣١، المجلس ١٧، الحديث ٤.

لماذا حثّت الشريعة علىٰ صلاة الجماعة، ووَرَد في فضلها ثوابٌ عظيم؟ مع أنّ الإنسان قد يكون في صلاته لوحده أكثر راحة وتوجّهاً، لماذا حثّ الإسلامُ المسلمين حثّاً شديداً علىٰ حضور الجماعة؟

في الحقيقة صلاة الجماعة لا يُقصد منها مجرّد قراءة الفاتحة والركوع والسجود، بل هي سبب لاجتماع المؤمنين، وعرض قضاياهم ومشكلاتهم، وتعاونهم في حلّها، وتعلّمهم أحكام الإسلام، ومعرفتهم علىٰ جماعتهم، فيكوّنون جماعة متماسكة متعاضدة متعاونة ذات طاقة وقوّة وعزّ ومَنعة. وأكثر هذه الفوائد تتوافر في المجلس الحسيني؛ ولذا حثّ الأئمة شيعتهم علىٰ عقد المجالس والحضور فيها وإحياء أمرهم بتداول الحديث عنهم، وأخبروهم عن الفضل العظيم والثواب الجسيم الذي أعدّه الله سبحانه لمن يحضر هذه المجالس.

فاستجاب الشيعة لنداء أئمتهم، وأخذوا يعقدون مجالس المذاكرة لأخبار أهل البيت عليهم السلام، وإحياء أمرهم، والتحدّث عن قضاياهم ومناقبهم ومصائبهم، وإظهار التعاطف معهم والبكاء عليهم، وأولاهم بالبكاء وأهمّهم مصيبة وأشدّهم مأساة هو سيّد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام «عبرة كلّ مؤمن ومؤمنة».

والذي يستفاد من بعض الروايات أنّ المجالس الحسينيّة أَخذت بالتوسّع والتكاثر حتىٰ صارت من الأُمور المألوفة.

روىٰ ميسّر عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: قال لي: «أتَخْلُون وتتحدّثون وتقولون ما شئتم؟» فقلت: إي والله، إنّنا لنَخْلوا ونتحدّث ونقول ما شئنا، فقال: (أمَا والله لوددتُ أنّي معكم في بعض تلك المواطن، أمَا والله إنّي لأحبّ ريحكم

وأرواحكم، وإنّكم علىٰ دين الله ودين ملائكته، فأعينوا بورع واجتهاد)[١].

وروىٰ محمّد بن سليمان الكوفي القاضي من أعلام القرن الثالث الهجري، قال: «حدّثنا أحمد بن عبدان، قال: سمعت سهل [بن سقير] يقول: سمعت مولاي جعفر بن محمّد يقول لأصحابه وهم جلوس حوله: «إنّكم لتذكرون مصيبتنا أهل البيت وما منعنا من حقوقنا، فأيدينا من حقوقنا صفرات؟» فقالوا: بلىٰ يا بن رسول الله، وإنّا لنبكي عليه، فقال: «طوبىٰ لريحكم وأرواحكم، ضمنتُ لكم الضمان بضمان الله وضمان رسوله وضمان علي بن أبي طالب، فأعينونا علىٰ تلك بالورع»[٢].

وسأل الإمامُ الصادق عليه‌السلام تلميذَهُ فضيل بن يسار يوماً قائلاً: «تجلسون وتحدّثون (تتحدّثون)؟ قال: نعمُ جعلت فداك، فقال عليه‌السلام: إنّ تلك المجالس أُحبّها فأحيوا أمرنا، فرحم الله من أحيا أمرنا، يا فُضيل، من ذَكَرنا، أو ذُكِرنا عنده، فخرج من عينه مثل جناح الذباب[٣]، غفر الله له ذنوبه ولو كانت أكثر من زَبَد البحر»[٤].

وقد نظم الشيخ هادي آل كاشف الغطاء[٥] حديث الإمام الصادق عليه‌السلام فقال:

جديرةٌ بالفضلِ والثناءِ ... مجالسٌ تُعقدُ للعزاءِ
يُقيمها الرجالُ والنساءُ ... يدعو إليها الحبُّ والولاءُ
مصابُ أهل البيت فيها يُذكرُ ... وذنبُ مَن يبكي عليهم يُغفرُ

(١) الأُصول من الكافي ٢: ١٨٧، الحديث ٥.

(٢) مناقب الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه‌السلام لمحمد بن سليمان الكوفي ٢: ٢٩٢.

(٣) أي من الدمع.

(٤) قرب الإسناد: ٣٦.

(٥) هو الشيخ هادي ابن الشيخ عباس بن علي بن جعفر صاحب كشف الغطاء. وُلِدَ في النجف سنة ١٢٨٩ هـ وتُوفّي ليلة الأربعاء ٩ محرّم سنة ١٣٦١ هـ وهو صاحب المقبولة الحسينية. وهي منظومة في واقعة الطف، أدب الطف ٩: ٢٢٤.

يُـنشرُ فـيها ذكـرُ أهـل الذِكـرِ يَـحيا بـها أمـرُ ولاةِ الأمـرِ
مـجالسٌ قـالَ الإمـامُ مُـعلنا إنّـي أُحـبُّها فأحـيوا أمـرَنا
دعـا لمُـحيي أمـرهم بـالرحـمةْ فـيا لهـا مـن مِـنّة ونـعمةْ
عـليك بـالبذل وحسـن الخـلق لقـاصديها مـن جـميع الخـلق

وبدأ الأئمة عليهم السلام أنفُسُهم يعقدون المجالس في بيوتهم، بحضور عوائـلهم، وكلّما مرّ بهم شاعرٌ أو مُنشد طلبوا منه أن يرثي الحسين عليه السلام.

والذي يُستفاد من الروايات أنّ الأئمة كانوا في أوائل الأمر يعقدون مجالس العزاء يوم عاشوراء، كما في رواية عبد الله بن سنان، قال: دخلت علىٰ سيدي أبي عبد الله جعفر بن محمّد عليه السلام في يوم عاشوراء فألفيته كاسف اللون، ظاهر الحزن، ودموعه تنحدر من عينيه كاللؤلؤ المتساقط، فقلت: يا بن رسول الله مِمَّ بكاؤك، لا أبكىٰ الله عينيك؟ فقال لي: «أو في غفلة أنت؟ أمَا علمت أنّ الحسين بن علي عليه السلام قُتل (أُصيب) في مثل هذا اليوم؟» قلت: يا سيدي فما قولك في صومه؟ فقال لي: «صمه من غير تبييت، وأفطره (وأفطر) من غير تشميت، ولا تجعله يوم صوم كملاً، وليكن إفطارك بعد صلاة العصر بساعة علىٰ شربة من ماء، فإنّه في مثل ذلك الوقت من ذلك اليوم تجلّت الهيجاء عن آل رسول الله صلى الله عليه وآله وانكشفت الملحمة عنهم، ومنهم في الأرض ثلاثون صريعاً في مواليهم، يعزّ علىٰ رسول الله مصرعهم، ولو كان في الدنيا يومئذ حيّاً لكان صلوات الله عليه وآله هو المعزّىٰ بـهم». قـال وبكىٰ أبو عبد الله حتّىٰ اخضلّت لحيته بدموعه...[١].

وسار الشيعة علىٰ منهاج الأئمة الطاهرين باتّخاذ يوم عاشوراء يـوم عـزاء وحزن فصاروا يعقدون فيه المآتم ويقيمون العزاء.

(١) المزار الكبير للمشهدي: ٤٧٣، والبحار ٤٥: ٦٣.

ثم أخذوا يقيمون مجالس العزاء من أوّل المحرّم إلىٰ العاشر اقتداءً بالإمام الكاظم عليه السلام، فقد قال الإمام الرضا عليه السلام: «كان أبي إذا دخل شهر المحرّم لا يُرىٰ ضاحكاً، وكانت الكآبة تغلب عليه، فإذا كان يوم العاشر كان ذلك اليوم يوم مصيبته وحزنه وبكائه، ويقول هو اليوم الذي قُتل فيه الحسين عليه السلام»[١].

إنّ شيعة أهل البيت استجابوا لأوامر أئمتهم، فأخذوا يعقدون المجالس والمآتم في بيوتهم، وعند قبر الحسين عليه السلام أيام الزيارات.

روىٰ ابن قولويه في كامل الزيارات بسنده عن عبدالله بن حمّاد البصري قال: «قال لي الإمام الصادق عليه السلام: «بلغني أنّ قوماً يأتونه[٢] من نواحي الكوفة، وناساً من غيرهم، ونساء يندبنه، وذلك في النصف من شعبان، فمن بين قارئ يقرأ، وقاص يقصّ، ونادب يندب، وقائل يقول المراثي». فقلت له: نعم جعلت فداك، قد شهدت بعض ما تصف[٣].

ثم أخذت المجالس بالتوسّع والانتشار، وفي الأزمنة التي حصلوا فيها علىٰ الحرّية في إظهار عقيدتهم صاروا يعقدون المجالس في المساجد، كما في قصّة الناشئ ورسول الزهراء عليها السلام.

ثم انبثقت فكرة إنشاء مكان خاصّ لإقامة المجلس والمأتم الحسيني، يتّسع لعدد كثير من المشاركين، فأسّسوا ما يُسمّىٰ بـ (الحسينية أو المأتم). والذي يُستفاد من التأريخ أنّ الحسينيات أُنشئت أيّام الفاطميين في مصر، والبويهيين في العراق وإيران.

---

(١) الأمالي للشيخ الصدوق: ١٩١، المجلس ٢٧ الحديث ٢.

(٢) أي قبر الحسين.

(٣) كامل الزيارات: ٥٣٩، الباب ١٠٨، الحديث ١.

الأثر التوعوي والتثقيفي للمجلس الحسيني:

إنّ الأثر التوعوي والتثقيفي الذي يسبّبه المجلس الحسيني في المجتمع يمكننا معرفته من خلال ما قاله بعض الشخصيّات العلميّة والثقافيّة.

قال المستشرق والفيلسوف الألماني (ماربين) في رسالته المسمّاة (السياسة الإسلاميّة) تحت عنوان: (الثورة الكبرىٰ أو السياسة الحسينية)، الفصل السابع (في فلسفة مذهب الشيعة): «إنّني أعتقد أنّ صيانة قانون محمّد[صلى الله عليه وآله] وترقّي المسلمين، وظهور رونق الإسلام، هو من قتل الحسين وحدوث تلك الوقائع.

إنّ هذا القسم من الدماغ السياسي والحس الثوري الذي هو: عدم الاستسلام للضيم والظلم، وهو عند حكماء السياسة أشرف شعار، وأعظم سعادة، وأفضل صفة ممدوحة لكلّ إنسان، قد ظهر في هؤلاء القوم بواسطة إقامتهم مآتم الحسين، وما دام هذا العمل مَلَكَة لهم لا يقبلون الذلّ والضيم.

ينبغي لك تدقيق النظر فيما يُذكر في المجالس المنعقدة لإقامة عزاء الحسين من النكات الدقيقة الباعثة في الإنسان روح الحياة، التي يُسمعها بعضهم لبعض، وفي الحقيقةِ يعلّمه إيّاها.

حضرتُ مجالس إقامة عزاء الحسين مراراً في إسطمبول مع مترجم خاصّ فسمعتهم يقولون: الحسين الذي هو إمامنا ومقتدانا، وطاعته واتّباعه واجبان علينا، لم يتحمّل الضيم، ولم يدخل في طاعة يزيد؛ ولأجل حفظ شرفه وعلوِ حَسَبه وارتفاع مقامه، بَذل ماله، بَذَل نفسه، بَذَل أولاده، بَذَل عياله، واستعاض عن ذلك بحُسن الذكر في الدنيا، والشفاعة في الآخرة، والقرب من الله، وقد خسر أعداؤه الدنيا والآخرة.

مِن بعد ذلك رأيتُ وعلمتُ أنَّهم في الحقيقة يُعلّمُ بعضهم بعضاً عَلَناً: أنّكم إن

كنتم من أتباع الحسين، إن كان لكم شرف، إن كنتم تطلبون السيادة والفوز، فلا تدخلوا في طاعة أمثال يزيد، ولا تتحمّلوا الضيم، واختاروا موت العزّ علىٰ حياة الذلّ، تنالوا حسن الذكر في الدنيا والسعادة في الآخرة.

من المعلوم أنّ أُمّةً تُلقىٰ عليها هذه التعاليم من المهد إلىٰ اللحد، في أيّ درجة تكون في المَلَكات العظيمة، والسجايا العالية!

نعم تكون حائزة كلّ سعادة وشرف، ويكون كلّ فرد منها جندياً حقيقياً مدافعاً عن عزّ قومه وفخرهم.

هذه هي نكتة التمدّن الحقيقي للأُمم، هذا هو تعليم معرفة الحقوق، هذا هو معنىٰ تدريس أُصول السياسة»[١].

هكذا يُقيّم أهل المعرفة والوعي مجالس ومآتم الحسين عليه السلام، ويدركون أثرها التوعوي والتثقيفي والفردي والاجتماعي.

(١) إقناع اللائم علىٰ إقامة المآتم للسيد محسن الأمين: ٣٢٩ ـ ٣٤٤، نقلاً عن جريدة حبل المتين الفارسية ع ٢٨، السنة الثامنة، بتاريخ ٧ محرم ١٣٢٩ هـ = ١٩١١ م.

ثالثاً
الأُسلوب النفسي

حثّ الأئمة عليهم السلام على زيارة قبور شهداء كربلاء؛ لأنّ مشاهدة قبر الحسين عليه السلام وقبر ولده عند رجليه، وقبور أهل بيته وأصحابه حواليه، تبعث التأثّر في النفس، وتُذكّر بفاجعة يوم الطف وما جرىٰ في هذه البقعة من مآسٍ وآلام، وتُشعر الزائر بظلامة هؤلاء حتىٰ استُشهدوا جميعاً بأيدي الظالمين.

وقَلّما يقف الزائر علىٰ قبورهم ولا تتأثّر نفسه، ولا يخشع قلبه، ولا تدمع عينه، ولا يرتبط نفسيّاً معهم، ويسخط على قاتليهم ويتبرّأ منهم.

الشعراء الذين زاروا قبر الحسين عليه السلام:

لقد زار قبر الإمام الحسين عليه السلام وقبور أهل بيته وأصحابه بعد فاجعة الطف بأيّام قليلة جماعة من الشعراء، وشاهدوا المأساة بأعينهم، وهالهم المشهد، فأحزن قلوبهم، وأسبل دموعهم، وأهاج قرائحهم، فوصفوا الموقف الحزين بالشعر، ومن هؤلاء:

١ ـ سليمان بن قَتَّه:

قال المبرّد: «سليمان بن قَتَّه رجل من بني تيم بن مرّة بن كعب بن لؤي، وكان منقطعاً إلىٰ بني هاشم. قال يرثي الحسين بن علي بن أبي طالب عليهما السلام:

مـررتُ عـلى أبـياتِ آلِ مـحمدٍ ... فـلَم أرَهـا كـعهدها يـوم حُـلَّتِ[١]

فـلا يُـبعد الله الديـارَ وأهـلَها ... وإن أصبحت من أهلها قد تخلّت[٢]

وكـانوا رجـاءً ثـم صـاروا رزيّـةً ... فقد عظُمَت تلك الرزايـا وجَـلّتِ[٣]

وإنّ قـتيلَ الطـفِّ مـن آلِ هـاشمٍ ... أَذلَّ رقـابَ المسـلمينَ فَـذلّتِ[٤]»

وقال الشيخ محمّد السماوي: «سليمان بن قَتَّه القرشي بالولاء لتيم بن مرّة، كان من الشيعة التابعين، واسم أبيه حبيب بن محارب وكان يُعرف بأُمّه (قَتَّه) بالتاء كما ذكره ابن قُتيبة في كتاب المعارف، وكان من المحدِّثين الشعراء[٥]، له في مراثي الحسين عليه السلام الشعر الفخم الجزل، وكان من أوائل الراثين له[٦].

وقال ابن نما الحلّي: «مرّ سليمان بن قَتَّه العَدَوي مولىٰ بني تيم بكربلاء بعد قتل الحسين بثلاث، فنظر إلىٰ مصارعهم فاتّكأ علىٰ فرسٍ (قوس) له عربية وأنشأ:

مررتُ عـلى أبـياتِ آلِ مـحمدٍ ... فـلَم أرَهـا أمـثالها يـوم حُـلّتِ

ألم ترَ أنّ الشمسَ أضحت مريضة ... لقتلِ حسـينٍ والبـلاد اقشـعرّت

---

(١) وفي بعض المصادر: «فلم أرها أمثالها يوم حُلَّتِ».

(٢) وفي بعض المصادر: «وإن أصبحت منهم برغمي تخلّتِ، أو برغمٍ».

(٣) وفي بعض المصادر «وكانوا رجاءً ثم أضحوا رزيةً».

(٤) الكامل للمبرّد ١: ٢٢٣.

(٥) قال ابن قتيبة في المعارف: ٥٩٨: سليمان بن قَتّه: منسوب إلىٰ أُمّه، وكان شاعراً يُحمل عنه الحديث، وهو مولىٰ لتيم قريش.

(٦) الطليعة من شعراء الشيعة ١: ٣٨٥ ـ ٣٨٦.

وكانوا رجاءً ثم أضحوا رزيّةً | لقد عظُمَت تلكَ الرزايا وجَلّتِ
فلا يُبعد الله الديارَ وأهلها | وإن أصبحت منهم برغمٍ تخلّتِ
فإنّ قتيل الطفِّ من آلِ هاشم | أذلّ رقاب المسلمين فذلّت
وقد أعولت تبكي النساءُ لفقده | وأنجُمنا ناحت عليه وصَلّتِ[1]»

وقال سبط ابن الجوزي: «ذَكَر الشعبي وحكاه ابن سعد أيضاً قال: مرّ سليمان بن قَتَّه بكربلاء فنظر إلىٰ مصارع القوم فبكىٰ حتىٰ كاد أن يموت ثم قال:

وإنّ قتيل الطفِّ من آلِ هاشم | أذلّ رقاباً من قريش فذلّت
مررتُ علىٰ أبياتِ آل محمد | فلم أرها أمثالها يوم حُلّتِ
فلا يُبعد الله الديارَ وأهلها | وإن أصبَحَتْ منهم برغمي تخلّتِ
ألم ترَ أنّ الأرضَ أضحت مريضةً | لقتلِ حسين والبلاد اقشعرّتِ

فقال له عبد الله بن حسن بن حسن هلّا قلت: «أذلَّ رقاب المسلمين فذَلَّتِ»[2].

قال السيد الأمين في ترجمة سليمان بن قتّه: «من شعره أبيات يرثي بها الحسين عليه السلام كثر ذكر الناس لها واختلفت رواياتهم لها بالزيادة والنقصان وتغيير بعض الألفاظ... بعضهم يروي هذه الأبيات لأبي الرميح الخزاعي. والظاهر أنّ لكلٍّ من سليمان بن قتّه وأبي الرميح أبياتاً في رثاء الحسين عليه السلام علىٰ هذا الوزن وهذه القافية وقد أُدخل بعض أبيات كلٍّ منهما في أبيات الآخر...»[3].

---

(١) مثير الأحزان لابن نما الحلّي: ١١٠. وفي بعض المصادر (تبكي السماء لفقده).
(٢) تذكرة الخواص: ٢٤٤ ـ ٢٤٥.
(٣) أعيان الشيعة المجلد ٧: ٣٠٨.

٢ ـ عبيد الله بن الحر الجعفي :

قال السيد بحر العلوم: «هو عُبيد الله بن الحرّ بن المجمّع بن خُزيم الجُعفي من أشراف الكوفة، عربيٌّ صميم»[١].

وقال النجاشي: «عُبيد الله بن الحرّ الجُعفي الفارس الفاتك الشاعر»[٢].

وقال ابن الأثير: «كان من خيار قومه صلاحاً وفضلاً واجتهاداً، فلمّا قُتل عثمان ووقعت الحرب بين علي ومعاوية قصد معاوية فكان معه لمحبّته عثمان وشهد معه صفّين هو ومالك بن مِسمَع، وأقام عُبيد الله عند معاوية. وكان له زوجة بالكوفة، فلمّا طالت غيبته زوّجها أخوها رجلاً يقال له عِكْرِمة بن الخبيص، وبلغ ذلك عُبيد الله فأقبل من الشام فخاصم عكرمة إلىٰ علي، فقال له: ظاهرت علينا عدوّنا فغُلْتَ[٣]. فقال له: أيمنعني ذلك من عدلك؟ قال: لا، فقصّ عليه قصّته، فردّ عليه امرأته، وكانت حبلىٰ، فوضعها عند مَن يثق إليه حتىٰ وضعت فألحق الولد بعكرمة ودفع المرأة إلىٰ عُبيد الله وعاد إلىٰ الشام فأقام به حتىٰ قُتل علي، فلمّا قُتل أقبل إلىٰ الكوفة فأتىٰ إخوانه فقال: ما أرىٰ أحداً ينفعه اعتزاله، كنّا بالشام فكان من أمر معاوية كيت وكيت، فقالوا: وكان من أمر علي كيت وكيت، وكانوا يلتقون بذلك.

فلمّا مات معاوية وقُتل الحسين بن علي لم يكن عبيد الله فيمَن حضر قتله، تغيّب عن ذلك تعمّداً[٤]، فلمّا قُتل جعل ابن زياد يتفقّد الأشراف من أهل

---

(١) رجال السيد بحر العلوم ١: ٣٢٤.

(٢) رجال النجاشي: ٩.

(٣) أي فخُنتَ، قال الزجاج ـ غل الرجلُ يَغُل إذا خان ـ لسان العرب (غلل).

(٤) وكان الإمام الحسين عليه‌السلام قد دعاه في قصر بني مقاتل إلىٰ نصرته فلم يجبه واعتذر منه. ←

الكوفة، فلم ير عبيد الله بن الحُرّ، ثم جاءه بعد أيّام حتىٰ دخل عليه، فقال له: أين كنتَ يابن الحرّ؟ قال: كنت مريضاً؛ قال: مريض القلب، أو مريض البدن؟ قال: أمّا قلبي فلم يمرض، وأمّا بدني فقد منَّ الله عليَّ بالعافية. فقال ابن زياد كذبتَ؛ ولكنّك كنت مع عدوّنا؛ فقال: لو كنتُ معه لرأىٰ مكاني[١].

وغفل عنه ابن زياد، فخرج فركب فرسه، ثم طلبه ابن زياد فقالوا: ركب الساعة؛ فقال: عليَّ به؛ فأَحضَر الشُّرَطُ خَلفَه[٢] فقالوا: أجب الأمير؛ فقال: أبلغوه عنّي أنّي لا آتيه طائعاً أبداً؛ ثم أجرىٰ فرسه وأتىٰ منزل أحمد بن زياد الطائيّ، فاجتمع إليه أصحابُه، ثم خرج حتىٰ أتىٰ كربلاء فنظر إلىٰ مصارع الحسين ومَن قُتل معه فاستغفر لهم ثم مضىٰ إلىٰ المدائن، وقال في ذلك:

يقول أميرٌ غادرٌ وابن غادرٍ ألا كُنتَ قاتلتَ الحسين بنَ فاطمه
ونفسي علىٰ خذلانه واعتزالهِ وبيعةِ هذا الناكث العهدِ لائمه
فيا نَدَمي أن لا أكون نصرتُهُ ألا كلّ نفسٍ لا تُسدّد نادمه
وإنّي لأنّي لم أكن من حماته لذو حسرةٍ أن لا تفارقُ لازمه[٣]
سقىٰ الله أرواح الذين تبادروا إلىٰ نصره سحّاً من الغيث دائمه[٤]

← أنظر تاريخ الطبري ٥: ٤٠٧، والكامل في التاريخ ٤: ٥٠ ـ ٥١، والأخبار الطوال: ٢٥٠ ـ ٢٥١.

(١) وفي تاريخ الطبري ٥: ٤٦٩ لو كنت مع عدوك لرُئي مكاني، وما كان مثل مكاني يخفىٰ.

(٢) قال الجوهري: «الحُضر بالضم: العَدْوُ. يقال أَحْضَرَ الفَرَسُ إحضاراً أي عَدَا»، الصحاح (حضر) فقوله: فأَحضَر الشُّرَطُ خلفَه أي عَدَوا ورَكَضوا خلفه، «والشُرَط جمع شُرطي، قال أبوعبيدة: سُمّوا شُرَطاً لأنّهم أُعِدّوا». الصحاح للجوهري (شرط).

(٣) وفي تاريخ الطبري ٥: ٤٧٠ «لذو حسرةٍ ما إن تفارق لازمه».

(٤) وفي تاريخ الطبري:

سقىٰ الله أرواحَ الذين تآزروا علىٰ نصره سقياً من الغيث دائمه

وقــفتُ عــلىٰ أجـداثـهم ومـحالهم فكاد الحشىٰ يـنقضُّ والعـينُ سـاجمه
لعمري لقد كانوا مصاليت في الوغـىٰ سـراعـاً إلىٰ الهـيجا حـماةً خـضارمه
تأسّـوا عـلىٰ نـصر ابـن بـنت نـبيهم بأسـيافهم آسـادُ غـيلٍ ضـراغـمه
فـإن يُـقتلوا فـي كـلّ نـفسٍ بـقية علىٰ الأرض قد أضحت لذلك واجمه
ومـا أن رأىٰ الراؤون أفـضلَ مـنهُمُ لدىٰ الموت ساداتٌ وزهرٌ قـماقمه[1]
يُـقتّلهم ظـلماً ويـرجـو ودِادنـا فـدع خـطّةً لَـيست لنـا بـملائمه[2]
لعـمريَ لقـد راغـمتمونا بـقتلهم فكـم نـاقم مـنّا عـليكم ونـاقمه
أهـمُّ مـراراً أن أسـيرَ بـجحفل إلىٰ فـئة زاغت عـن الحـقّ ظـالمه
فكـفّوا وإلّا ذُدتكـم فـي كـتائب أشدّ عليكم من زُحوف الديـالمه[3]»

قال الخوارزمي: «نَدِم عبيد الله بن الحر علىٰ ما فاته من صحبة الحسين عليه السلام ونصرته فانشأ يقول:

أيـا لكِ حسـرةً مـا دمتُ حـيّاً تَـردّد بـين صـدري والتـراقـي
حسينٌ حين يطلب بـذلَ نـصري عـلىٰ أهـل العـداوة والشـقاق
غـداةَ يـقول لي بـالقصر قـولاً أتـتركنا وتـعزم بـالفراق
فـلو فـلقَ التـلهّفُ قـلبَ حـيٍّ لَـهمّ القـلبُ مـنّي بـانفلاق
ولو آسـيته يـوماً بـنفسي لنـلتُ كـرامـةً يـومَ التـلاق
مـع ابـن مـحمّدٍ تـفديهِ نـفسي فـودّعَ ثـم أسـرعَ بـانطلاق
لقـد فـازَ الأُلىٰ نـصروا حسـيناً وخاب الآخرون ذوو النفاق[4]»

---

(١) وفي تاريخ الطبري: «لدىٰ الموت ساداتٍ وزهراً قماقمه».
(٢) في تاريخ الطبري: «أتقتلهم ظلماً وترجو ودادنا»، يقصد عبيد الله بن زياد.
(٣) الكامل في التاريخ ٤: ٢٨٧ ـ ٢٨٩، وتاريخ الطبري ٥: ٤٦٩ ـ ٤٧٠.
(٤) مقتل الحسين للخوارزمي ١: ٣٢٦.

٣ ـ ابن الهبّاريّة :

قال ابن خلّكان في وفيات الأعيان: «الشريف أبو يعلىٰ محمد بن محمد بن صالح بن حمزة بن عيسىٰ بن محمّد بن عبد الله بن داود بن عيسىٰ بن موسىٰ بن محمّد بن علي بن عبد الله بن العباس الهاشمي العباسي المعروف بابن الهبّارية، الملقّب نظام الدين البغدادي الشاعر المشهور. كان شاعراً مجيداً حسن المقاصد... وكان ملازماً لخدمة نظام الملك أبي علي الحسن بن علي بن إسحاق وزير السلطان ألب أرسلان وولده ملك شاه»(١).

وقال سبط ابن الجوزي: «وأنشدَنا أبو عبد الله محمّد ابن البنديجي البغدادي، قال: أنشدَنا بعض مشايخنا أنّ ابن الهبّارية الشاعر اجتاز بكربلاء فجلس يبكي علىٰ الحسين وأهله وقال بديهاً:

أحسينُ والمبعوثِ جدُّك بالهدىٰ ... قسماً يكون الحقُّ عنه مُسائلي
لو كنتُ شاهدَ كربلا لَبَذلتُ في ... تنفيس كربك جهدَ بذلِ الباذل
وسقيتُ حدَّ السيف من أعدائكم ... عَلّاً وحدَّ السمهريّ الذابِل
لكنّني أُخّرتُ عنك لشقوتي ... فبلابلي بين الغريّ وبابل
هبني حُرِمتُ النصر من أعدائكم ... فأقلّ من حزنٍ ودمع سائل

ثم نام في مكانه فرأى رسول الله صلى الله عليه وآله في المنام فقال له: (يا فلان جزاك الله عنّي خيراً، إبشر فإنّ الله قد كتبك ممّن جاهد بين يدي الحسين)(٢).

---

(١) وفيات الأعيان ٤: ٤٥٣، الرقم ٦٧٦، والهبّاريّة بفتح الهاء وبتشديد الباء الموحّدة وبعد الألف راء، هذه النسبة إلىٰ هَبّار، وهو جد أبي يعلىٰ المذكور لأُمّه. وفيات الأعيان ٤: ٤٥٧.

(٢) تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي: ٢٤٥.

٤ ـ عقبة بن عمرو السهمي:

قال السيد الأمين: «عقبة بن عمرو السهمي من بني سهم بن عوف بن غالب قال يرثي الحسين وهو أوّل شعرٍ رُثيَ به:

إذا العينُ قَرّت في الحياة وأنـتُمُ ... تخافون في الدنيا فأَظلمَ نـورُها
مررتُ علىٰ قبر الحسين بكـربلا ... ففاض عليه من دموعي غـزيرُها
فمازلتُ أرثـيه وأبكـي لشـجوه ... ويُسعدُ عيني دمعُها وزفـيرها[١]
وبكّيتُ من بعد الحسين عـصائباً ... أطافت بـه مـن جـانبيه قـبورها
سلامٌ علىٰ أهـل القـبور بكـربلا ... وقـلّ لهـا مـنّي سـلامُ يـزورها
سلامٌ بآصال العشـي وبـالضحىٰ ... تـؤدّيه نكـباءُ الريـاح ومُـورها
ولا بـــرحَ الوفّـــادُ زوّارُ قـــبره ... يفوح عليهم مسكها وعبيرها[٢]»

وأورد الخوارزمي أبيات عقبة بن عمرو السهمي مع شيء من الاختلاف:

وورد في أدب الطف: «عقبة بن عمرو السهمي: قصد كربلاء في أواخر المائة الأولىٰ، لزيارة قبر الحسين عليه السلام ووقف بازاء القبر ورثىٰ الحسين عليه السلام بـالأبيات التالية:

مررت عـلىٰ قـبر الحسـين بكـربلا ... ففاض عليه من دموعي غزيرها...[٣]

إنّ هؤلاء الشعراء عندما وقفوا علىٰ قبر الحسين عليه السلام أحزَنَهم المشهدُ وتأثّروا نفسيّاً، فتعاطفوا مع سيد الشهداء فرثوه بالشعر، وأمثال هؤلاء كـثيرون أهـاج المشهدُ الحزينُ نفوسَهُم وأحزنَ قلوبَهم فعبّروا عنه بـالدموع والحسـرات بـدل الشعر والرثاء، وتعاطفوا مع سيدالشهداء. وهـذا هـو مـن أهـداف أئـمة أهـل

---

(١) في تذكرة الخواص: ٢٤٢ ـ ٢٤٣ «وما زلت أبكيه وأرثي لشجوه».

(٢) أعيان الشيعة: المجلد ٨: ١٤٦ ـ ١٤٧.

(٣) أدب الطف ١: ٥٢، ورواه الخوارزمي في مقتل الحسين ٢: ١٧١.

البيت عليهم السلام في الترغيب والحثّ علىٰ زيارة الإمام الشهيد والوقوف علىٰ قبره الشريف.

رویٰ ابن قولویه في الكامل عن عبدالله بن حمّاد البصري، قال: «قال لي الإمام الصادق عليه السلام: (إنّ عندكم ـ أو قال في قربكم ـ لفضيلة ما أُوتي أحد مثلها، وما أحسبكم تعرفونها كُنهَ معرفتها، ولا تحافظون عليها ولا علىٰ القيام بها، وإنّ لها لأهلاً خاصّة قد سمّوا لها، وأعطوها بلا حول منهم ولا قوة، إلّا ما كان من صنع الله لهم، وسعادة حباهم الله بها، ورحمة ورأفة وتَقدُّم).

قلتُ: جُعلتُ فداك، وما هذا الذي وَصفتَ ولم تُسَمّه؟ قال: (زيارة جدّي الحسين بن علي عليه السلام، فإنّه غريبٌ بأرض غربة، يبكيه مَن زاره، ويَحزن له مَن لَم يزره، ويَحترق له مَن لَم يَشهَده، ويَرحمه مَن نظر إلىٰ قبر ابنه عند رجليه، في أرض فلاة لا حميم قُربَه ولا قريب، ثم مُنع الحقّ وتوازر عليه أهل الردّة، حتىٰ قتلوه وضيّعوه وعرّضوه للسباع، ومَنعوهُ شُربَ ماء الفرات الذي تشربه الكلاب، وضيّعوا حقّ رسول الله صلى الله عليه وآله ووصيّته به وبأهل بيته، فأمسىٰ مجفوّاً في حفرته، صريعاً بين قرابته وشيعته، بين أطباق التراب، قد أوحش قربه في الوحدة، والبعد عن جدّه، والمنزل الذي لا يأتيه إلّا مَن امتَحَنَ اللهُ قلبَهُ للإيمان، وعرّفه حقّنا...).

ثم قال عليه السلام: (بَلَغني أنّ قوماً يأتونه من نواحي الكوفة وناساً من غيرِهِم، ونساء يندبنه، وذلك في النصف من شعبان، فمِن بين قارئ يقرأ، وقاصٍّ يقصّ، ونادبٍ يندب، وقائلٍ يقول المراثي).

فقلت له: نعم جعلت فداك قد شهدت بعض ما تصف، فقال: (الحمد لله الذي جعل في الناس مَن يَفِدُ إلينا ويمدحنا ويرثي لنا، وجعل عدوّنا مَن يَطعن عليهم

من قرابتنا وغيرهم، يهددونهم ويقبّحون ما يصنعون)(١).

وللإمـــام الصــادق عليه السلام أدعـية كـثيرة ذات مـغزىً كـبير لزوّار قـبر جـدّه الحسين عليه السلام.

روىٰ ابن قولويه في الكامل بسنده عن معاوية بن وهب قـال: «اسـتأذنتُ علىٰ أبي عبد الله عليه السلام فقيل لي: ادخل، فدخلتُ، فوجدتُه في مصلّاه في بيته، فجلستُ حتى قضىٰ صلاته، فسمعتُه وهو يناجي ربّه ويقول:

(اللّهمَّ يا من خَصّنا بالكرامة، ووَعَدنا بالشفاعة، وخصّنا بالوصيّة، وأعطانا علم ما مضىٰ وعلم ما بقي، وجعل أفئدةً من الناس تهوي إلينا، اغـفر لي ولإخـوانـي، وزوّار قبر أبي عبدالله الحسين، الذين أنفقوا أموالهم، وأشخصوا أبدانهم، رغبة في برّنا، ورجاءً لِمَا عندك في صِلَتنا، وسروراً أدخلوه علىٰ نبيّك، وإجابةً منهم لأمرِنا، وغيظاً أدخلوه علىٰ عدوّنا، أرادوا بذلك رضوانك.

فكافِئْهُم عنّا بالرّضوان، واكْلَأْهُم بالليل والنّهار، وأخلف علىٰ أهاليهم وأولادهم الذين خَلّفوا بأحسن الخَلَف، واصْحَبْهُم، واكْفِهِم شرّ كلِّ جبّارٍ عنيد، وكلّ ضعيفٍ من خَلقك وشديد، وشرِّ شياطينِ الإنسِ والجنِّ، وأعْطِهِم أفضلَ ما أمّلُوا مِنك في غربتهم عن أوطانهم، وما آثرونا به علىٰ أبنائهم وأهاليهم وقراباتهم.

اللّهمَّ، إنّ أعداءَنا عابوا عـليهم بـخروجهم (خـروجهم)، فـلَم يَـنْهَهُم ذلك عـن الشّخوص إلينا، خلافاً منهم علىٰ مَن خالَفَنا، فـارْحَم تِـلْكَ الوجـوه التـي غـيّرتها الشمس، وارْحَم تلك الخدود التي تتقلّبُ علىٰ حفرةِ أبي عبدالله الحسين عليه السلام، وارْحَم تلك الأعين التي جَرَت دموعُها رحـمةً لنـا، وارْحَـم تـلكَ القـلوب التـي جَـزِعَت

(١) كامل الزيارات: ٥٣٩، الباب ١٠٨، نوادر الزيارات، الحديث ١، ووسـائل الشـيعة ١٤: ٥٩٩، الباب ١٠٥ من أبواب المزار وما يناسبه، الحديث ٧.

واحترقَت لنا، وارْحَم تلك الصَرخة التي كانت لنا.

اللّهمَّ، إنّي أستودعك تلك الأبدان وتلك الأنفس، حتىٰ توافيهم الحوض (تروّيهم من الحوض) يوم العطش).

فما زال يدعو وهو ساجد بهذا الدعاء، فلمّا انصرفَ قلتُ: جُعلتُ فداك، لو أنّ هذا الدعاء الذي سمعتُ منك كان لِمَن لا يعرف اللهَ عزّ وجلّ لظننتُ أنّ النارَ لا تطعمُ منه شيئاً أبداً، والله لقد تمنّيتُ أنّي كنتُ زرتُه ولم أحجّ[1]، فقال لي: (ما أقربك منه، فما الذي يمنعك من زيارته يا معاوية؟ ولِمْ تَدَعُ ذلك؟) قلتُ: جُعلتُ فداك: لم أدرِ أنّ الأمرَ يَبلغُ هذا كُلّه، فقال: (يا معاوية مَن يدعو لزوّاره في السماء أكثر ممن يدعو لهم في الأرض»[2].

الأثر التوعوي للزيارة:

استمرّ الأئمةعليهم السلام في التشجيع علىٰ زيارة قبر الحسينعليه السلام لِمَا فيها من توعيةٍ وشدّ الناس إلىٰ سيّد الشهداء ومبادئه وأهدافه السامية.

إنّ قضيّة الحسين عليه السلام تجمع بين الفكر والعاطفة، والتأكيد علىٰ أحدهما دون الآخر تقصيرٌ في أداء حقّ الحسين عليه السلام وتفريغٌ لمحتوىٰ الثورة الحسينية. فزيارة قبور الشهداء في الطف، من جهة: تثير الألم في النفس، والرقّة في القلب، والدمعة في العين، ومن جهة أُخرىٰ: تُنبّه الزائر إلىٰ الأسباب التي دعتِ الإمام الحسين عليه السلام إلىٰ الثورة، والأهداف التي استُشهد من أجلها، فتبعث فيه اليَقَظة والوعي والحماس الديني.

(١) أي الحج المستحب.

(٢) كامل الزيارات: ٢٢٩، الباب ٤٠، وثواب الأعمال للشيخ الصدوق: ١٢٢ ـ ١٢٣ مع اختلاف يسير.

إنّ الزائر عندما يقف علىٰ قبر الحسين عليه السلام تتداعىٰ له معاني التضحية والفداء، فيستنشق عبير العزّة والكرامة، ويشمّ عطر الشهادة، ويتأثّر بروح شهداء كربلاء، وموقفهم الرافض للذلّ والهوان، والخنوع للظلم والطغيان، المتمثّل في شعار (هيهات منّا الذلّة)[١]. وهذا أحد الشعراء الواعين يزور الحسين عليه السلام بروحٍ ثوريّة، ونفسٍ أبيّة، ووعيٍ لمعنىٰ الزيارة، فيقول:

فداءً لمثواك من مَضجعِ ... تَنوّرَ بالأبلجِ الأروعِ
بأعبقَ من نَفَحَاتِ الجِنَان ... رَوحاً ومن مسكها أضوع
ورَعياً ليومكَ يومِ الطفوف ... وسَقياً لأرضك من مصرع
وحُزناً عليك بحبس النفوس ... علىٰ نهجك النَيّرِ المهيعِ
وصَوناً لمجدِك مِن أنْ يُذال ... بما أنتَ تأباه من مُبدع
فيا أيها الوترُ في الخالدين ... فذّاً إلىٰ الآن لم يشفعِ
ويا عظةَ الطامحين العظام ... لِلاهينَ عن غَدِهم قُنّع
تعاليتَ من مُفزِعٍ للحتوف ... وبورك قبرك من مَفزعِ
تلوذُ الدهورُ فَمِن سُجّدٍ ... علىٰ جانبيه ومِن رُكّع

* * *

شممتُ ثراكَ فهبّ النسيمُ ... نسيمُ الكرامةِ مِن بَلقَعِ
وعفّرتُ خدّي بحيث استراح ... خدٌّ تفرّىٰ ولم يَضرَعِ

(١) هذا الشعار نادى به الإمام الحسين عليه السلام يوم عاشوراء حينما عرض عليه ابن زياد الأمان مع الاستسلام فقال: ألا وإنّ الدعيّ ابن الدعي قد ركز بين اثنتين بين السلّة والذلّة وهيهات منّا الذلّة، يأبى الله لنا ذلك ورسوله والمؤمنون، وحجور طابت وطهرت، وانوفٌ حميّة، ونفوسٌ أبيّة، من أن تؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام. الملهوف على قتلى الطفوف: ١٥٦.

وحيثُ سَنابكُ خَيلِ الطُغاة جالَتْ عليه ولم يخشعِ
وطفتُ بقبركَ طوفَ الخيال بصومعة المُلهَمِ المُبدعِ
وخِلْتُ وقد طارتِ الذكريات بروحي إلىٰ عالمٍ أرفعِ
كأنّ يَداً من وراء الضريح حمراءَ مبتورةَ الإصبع
تُمدُّ إلىٰ عالمٍ بالخنوع والضَيم ذي شَرَقٍ مُترَعِ
تخبّطَ في غابةٍ أُطبِقَت علىٰ مُذئِبٍ منه أو مُسْبعِ
لِتُبدلَ منه جديبَ الضمير بآخرَ مُعشَوشبٍ مُمرِعِ
وتَدفعُ هذي النفوس الصغار خوفاً إلىٰ حَرَمٍ أَمنعِ

❊ ❊ ❊

فيابن «البتول» وحسبي بها ضماناً علىٰ كلّ ما أدّعي
ويابن التي لم يضع مِثلُها كمِثلِكَ حملاً ولم تُرضعِ
ويابن البطين بلا بطنةٍ ويابن الفتىٰ الحاسر الأنزع
ويا غُصنَ «هاشم» لم ينفتح بأزهر منك ولم يُفرع
ويا واصلاً من نشيد «الخلود» ختام القصيدة بالمطلع
يسير الورىٰ بركاب الزما نِ من مستقيمٍ ومن أظلَعِ
وأنت تُسيّرُ ركب الخلو دِ ما تَستَجِدّ له يَتبَعِ

❊ ❊ ❊

تَمَثّلتُ يومكَ في خاطري ورِدّدتُ صوتَكَ في مسمعي
ومحّصتُ أمركَ لم أرتَهِب بنقلِ الرواة ولم أُخدعِ
ولمّا أزحتُ طلاء القرون وسترَ الخداعِ عن المخدعِ
أُريد الحقيقة في ذاتها بغير الطبيعة لم تُطبَعِ

وجدتُكَ في صورةٍ لم أُرَع ... بأعظمَ مِنها ولا أروع
وماذا أأروعُ مِن أنْ يكون ... لحمُكَ وقفاً علىٰ المِبضَع
وأنْ تتّقي دون ما ترتئي ... ضميركَ بالأُسَل الشرّعِ
وأنْ تُطعم المَوتَ خيرَ البنين ... من الأكهلين إلىٰ الرضّع
وخيرَ بني الأُمّ من هاشمٍ ... وخيرَ بني الأب من تُبّع
وخير الصحابِ بخيرِ الصدور ... كانوا وقاءك والأذرع
فقدّستُ ذكراك لم أنتحلْ ... ثيابَ التُقاةِ ولم أدّع
وآمنتُ إيمانَ مَن لا يَرىٰ ... سوىٰ العقلِ في الشكّ من مرجع
بأنّ الإباء ووحي السماءِ ... وفيض النبوّة من منبع
تجمّع في جوهر خالصٍ ... تنزّه عن عَرَض المطمع[1]

إنّ الوعي الذي توجده زيارة الحسين عليه السلام في الزائر تبعث فيه روح الاستبسال في الدفاع عن الحقّ، وتثير فيه الحميّة لمناصرة المظلومين، ومناهضة الظالمين. وهذا هو الذي حدا حكّام الجور من أُمويين وعبّاسيين ومن سار وفقاً لمنهجهم علىٰ أن يمنعوا من الزيارة، وأن يوظّفوا الطاقات الكثيرة، وينفقوا الأموال الطائلة في هذا السبيل، ومن ثَمّ ملاحقة الزوّار ومعاقبتهم، وهدم القبر الشريف، ثم حرثه وتسليط الماء عليه لمحو آثاره؛ لأنّ قبر الحسين عليه السلام تعلو منه صرخة العدل والحقّ ضد الطغاة الظلمة، وأنّ وقوف الزائر علىٰ القبر الشريف هو تأييدٌ للحسين عليه السلام وثورته ومبادئه وأهدافه، وشجبٌ لأعمال أعداء الحسين عليه السلام السابقين واللاحقين.

---

(١) من قصيدة لمحمّد مهدي الجواهري مثبتة في ديوانه ٣: ٢٣٣.
هو محمّد مهدي ابن الشيخ عبد الحسين بن عبد علي. وُلِدَ سنة ١٨٩٩م. وتُوفّي في ٢٦/٧/١٩٩٧م في الشام، ودفن فيها.

وزيارة قبر سيد الشهداء عليه السلام لم تكن زيارة عاديّة وبسيطة يُكتفىٰ فيها بقراءة الفاتحة أو بعض الآيات والسور القرآنية، بل إنّ الأئمة وضعوا برنامجاً خاصاً وآداباً معيّنة ونصوصاً للزيارة لابدّ من أن يراعيها الزائر عند الزيارة.

ونصوص الزيارة تبعث الوعي في الزائر لما تتضمّنه من معانٍ جليلة.

فالزائر من خلال قراءته لنصّ الزيارة يعترف لإمامه بالطاعة، ويعقد بينه وبينه عقداً ويعطيه عهداً أن يكون سِلماً له ولأوليائه، وحرباً لقَتَلته وأعدائه. وإليك بعض نصوص الزيارة:

عن عمار بن موسىٰ الساباطي عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: «تقول إذا انتهيت إلىٰ قبر الحسين عليه السلام: السلام عليك يابن رسول الله، السلام عليك يابن أمير المؤمنين، السلام عليك يا أبا عبد الله، السلام عليك يا سيد شباب أهل الجنة ورحمة الله وبركاته، السلام عليك يا من رضاه مِن رضا الرحمن، وسخطه من سخط الرحمن، السلام عليك يا أمين الله وحجة الله وباب الله، والدليل علىٰ الله والداعي إلىٰ الله، أشهد أنّك قد حلّلت حلال الله وحرّمت حرام الله، وأقمت الصلاة وآتيت الزكاة، وأمرت بالمعروف ونهيت عن المنكر، ودعوت إلىٰ سبيل ربّك بالحكمة والموعظة الحسنة، وأشهد أنّك ومن قُتل معك شهداء أحياء عند ربكم ترزقون، وأشهد أنّ قاتلك في النار، أدِينُ الله بالبراءة ممّن قتلك وممّن قاتلك وشايع عليك، وممّن جمع عليك، وممّن سمع صوتك ولم يعنك، يا ليتني كنت معكم فأفوز فوزاً عظيماً»(١).

وأشهر زيارات الحسين عليه السلام هي زيارة وارث التي يخاطب فيها الزائر

(١) كامل الزيارات: ٣٨٢ ـ ٣٨٣، الباب ٧٩، الحديث ١٣، ومفاتيح الجنان المعرب للشيخ عباس القمي الزيارة السادسة: ٤٢٦.

إمامَه قائلاً:

«السلام عليك يا وارث آدم صفوة الله، السلام عليك يا وارث نوح نبيّ الله، السلام عليك يا وارث إبراهيم خليل الله، السلام عليك يا وارث موسىٰ كليم الله، السلام عليك يا وارث عيسىٰ روح الله، السلام عليك يا وارث محمد حبيب الله، السلام عليك يا وارث أمير المؤمنين ولي الله، السلام عليك يا بن محمد المصطفىٰ، السلام عليك يا بن علي المرتضىٰ، السلام عليك يا بن فاطمة الزهراء، السلام عليك يا بن خديجة الكبرىٰ، السلام عليك يا ثار الله وابن ثاره، والوتر الموتور.

أشهد أنّك قد أقمت الصلاة، وآتيت الزكاة، وأمرت بالمعروف، ونهيت عن المنكر، وأطعت الله ورسوله حتىٰ أتاك اليقين، فلعن الله أُمّةً قتلتك[١]، ولعن الله أُمّةً ظلمتك، ولعن الله أُمةً سمعت بذلك فرضيت به.

يا مولاي، يا أبا عبد الله، أشهد أنّك كنت نوراً في الأصلاب الشامخة، والأرحام المطهّرة، لم تنجسك الجاهلية بأنجاسها، ولم تلبسك من مدلهمات ثيابها، وأشهد أنّك من دعائم الدين، وأركان المؤمنين، وأشهد أنّك الإمام البرّ التقيّ الرضيّ الزكيّ الهادي المهدي، و أشهد أنّ الأئمة من ولدك كلمة التقوىٰ، وأعلام الهدىٰ والعروة الوثقىٰ، والحجّة علىٰ أهل الدنيا، وأُشهد الله وملائكته وأنبياءه ورسله أنّي بكم مؤمن، وبإيابكم موقن، بشرايع ديني وخواتيم عملي، وقلبي لقلبكم سلم، وأمري لأمركم متّبع...»[٢].

---

(١) المراد من الأمّة: الجماعة والعصابة، قال تعالىٰ عن النبي موسىٰ عليه السلام: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ﴾ القصص: ٢٣، وقال سبحانه وتعالىٰ: ﴿مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾ المائدة: ٦٦.

(٢) المزار الكبير لمحمد بن جعفر المشهدي: ٤٢٢، ومفاتيح الجنان المعرّب للشيخ عباس القمي: ٤٢٩.

وفي بعض نصوص الزيارة يعترف الزائر لسيده الحسين عليه السلام بالمنهج السليم الذي سار عليه في نهضته المباركة ويندّد بالذين قاتلوه، فيقول:

«السّلام علىٰ ولي الله وحبيبه، السّلام علىٰ خليل الله ونجيبه، السّلام علىٰ صفيّ الله وابن صفيه، السّلام علىٰ الحسين المظلوم الشهيد، السّلام علىٰ أسير الكربات، وقتيل العبرات، اللهم إنّي أشهد أنّه وليك وابن وليك، وصفيّك وابن صفيّك، الفائز بكرامتك، أكرمته بالشهادة، وحبوته بالسعادة، واجتبيته بطيب الولادة، وجعلته سيّداً من السادة وقائداً من القادة وذائداً من الذادة، وأعطيته مواريث الأنبياء، وجعلته حجّةً علىٰ خلقك من الأوصياء، فأعذرَ في الدعاء، ومنح النصح، وبذل مهجته فيك ليستنقذ عبادك من الجهالة وحيرة الضلالة، وقد توازر عليه من غرّته الدنيا، وباع حظّه بالأرذل الأدنىٰ، وشرىٰ آخرته بالثمن الأوكس، وتغطرس وتردىٰ في هواه، وأسخطك وأسخط نبيّك، وأطاع من عبادك أهل الشقاق والنفاق، وحملة الأوزار المستوجبين النار (للنار)، فجاهدهم فيك صابراً محتسباً حتىٰ سفك في طاعتك دمه، واستُبيح حريمه...»[1].

(١) إقبال الأعمال: ٥٩٠، ومفاتيح الجنان المعرب: ٤٦٧، قطعة من زيارة الأربعين.

الباب الثاني

الخطابة الحسينية

الفصل الأول : الخَطـابة .

الفصل الثاني : الخطيب الحسيني .

الفصل الثالث : الخطـبة الحسينية .

الفصل الأوّل

الخطابـة

١ ـ تعريف الخطابة.

٢ ـ علم الخطابة.

٣ ـ فنّ الخطابة.

٤ ـ ملكة الخطابة.

٥ ـ موضوع الخطابة.

٦ ـ فائدة الخطابة.

قبل تعريف الخَطابة الحسينيّة لابدّ من البدء بتعريف الخَطابة عامّةً، وعلىٰ أنّها علم وفنّ وملكة، ثم الانتهاء إلىٰ الخطابة الحسينيّة .

١ ـ تعريف الخَطابة

عرَّف علماء المنطق الخطابة بأنّها: «صناعة علميّة بسببها يمكن اقناع الجمهور في الأمر الذي يتوقّع حصول التصديق به، بقدر الإمكان»[(١)].

وعَرّفوا الصناعة بأنّها: «مَلَكَةٌ نفسانيّة، وقدرة مكتسبة يُقتدر بها علىٰ استعمال أُمورٍ لغرضٍ من الأغراض، صادراً ذلك الاستعمال عن بصيرة، بحسب الإمكان، كصناعة الطبّ، والتجارة، والحياكة مثلاً... والصناعة علىٰ قسمين: علميّة وعمليّة، والخطابة منالصناعات العلميّة النافعة»[(٢)].

---

(١) المنطق للشيخ المظفر: ٤١٥.

(٢) المنطق للشيخ المظفر: ٣٤٤.

تحدّث الأُدباء والبلغاء عن الخطابة في كتبهم، وكذلك علماء المنطق. والذي دعاني إلىٰ تقديم تعريف علماء المنطق للخطابة هو اهتمامهم بالخطابة بحيث ذكروا في كتاب المنطق الصناعات الخمس، وهي: صناعة البرهان، والجدل، والشعر، والمغالطة، والخطابة، وكذلك تحدّث عن الخطابة الشيخ نصيرالدين الطوسي في (منطق التجريد)، والعلامّة الحلي في (الجوهر النضيد في شرح منطق التجريد)، وابن سينا في (الشفاء)، والشيخ محمد رضا المظفر في كتاب (المنطق)، وغيرهم.

←

وفي توضيح هذا التعريف نقول: المراد من قولهم: «الخطابة صناعة» هو التأكيد علىٰ أنّ الخطابة عمل فنّي يتعلّم الإنسان أُصوله وقواعده، ثم يطبّقه في الخارج، وهذا يعني أنّ الخطابة صناعة كسائر الصناعات والأعمال التي تتطلّب الممارسة الخارجيّة، إضافة إلىٰ العلم بأُصولها كالطب والتجارة والحياكة، وغيرها، وليست نظريّة وفكريّة بحتة كالقضايا الفلسفيّة.

وقولهم: «عِلميّة» أي أنّها تعتمد علىٰ الفكر واللسان، دون اليد والآلة.

وقولهم: «بسببها يمكن إقناع الجمهور في الأمر الذي يتوقّع حصول التصديق به بقدر الإمكان» أي أنّ الخطابة وسيلة لإقناع المستمعين، وحملهم علىٰ التصديق بصحّة المقول في أُمور يمكن تصديق الخطيب فيها، أي الأُمور القابلة للقبول والتصديق، لا الأُمور المستحيلة والمستعصية.

وقولهم بأنّها: «ملكة نفسانيّة، و قدرة مكتسبة...» أي أنّ الإنسان إذا تعلّم أُصول الخطابة وقواعدها وآدابها، ثم مارسها وطبّقها وتمرّن عليها، تكوّنت عنده قدرة خاصّة، يكتسبها من العلم والتطبيق، ونتيجة لذلك تحصل في نفسه مَلَكَةٌ يستطيع بواسطتها أن يستعمل الأساليب الخطابية؛ لغرض إقناع الجمهور بما يريد، ولابدّ من أن يصدر عمله هذا عن وعي وبصيرة وقصد وإراده.

← ولأرسطو كتاب خاص باسم (الخطابة) كتبه باليونانية وترجمه إلى العربية في العصر الحديث الدكتور عبدالرحمن بدوي وطبعته دار الشئون الثقافية العامة التابعة لوزارة الثقافة والأعلام في بغداد سنة ١٩٨٦م.

٢ ـ علم الخطابة

ذكروا لعلم الخطابة تعاريف متعدّدة منها:

١ ـ «مجموع قوانين تُعرِّف الدارس طرق التأثير بالكلام، وحسن الإقناع بالخطاب. فهو يعني بدراسة طرق التأثير، ووسائل الإقناع، وما ينبغي أن يتّجه إليه الخطيب من المعاني في الموضوعات المختلفة، وما يجب أن تكون عليه ألفاظ الخطبة، وأساليبها وترتيبها»(١).

٢ ـ «مجموع قوانين يُقتدر بها علىٰ الإقناع الممكن في أي موضوع يراد. والإقناع: حمل السامع علىٰ التسليم بصحّة المقول وصواب الفعل أو الترك. ووصف بالممكن؛ لأنّ شأن هذه الصناعة إعداد النفوس لقوّة الإقناع وإن لم تبلغ غايتها، وكذا الشأن في سائر الصنايع فإنّها تعدّ النفس لعمل خاصّ بمقتضىٰ قوانين محدودة وإن لم تبلغ غايتها أحياناً، مثلاً الطبّ ترشد أُصوله إلىٰ معالجة الأمراض لغاية الشفاء مالم يكن مانع»(٢).

---

(١) الخطابة لمحمّد أبو زهرة: ٩.

(٢) فنّ الخطابة وإعداد الخطيب لعلي محفوظ: ١٣.

٣ ـ «الخطابة : هي علم معرفة طرق أداء الكلام، ونقل الأفكار إلىٰ عقول السامعين وأحاسيسهم بصورة مخصوصة وصفات معيّنة»[١] [وذلك للتأثير فيهم واقناعهم].

فخلاصة هذه التعاريف: هي أنّ علم الخطابة هو معرفة أُصول الخطابة وقواعدها بصورة نظريّة.

(١) خصائص الخطبة والخطيب لنذير محمّد مكتبي : ٢٢.

٣ ـ فنّ الخَطابة

ورد في المعجم الوسيط: «الفنّ: هـو التـطبيق العـملي للـنظريّات العـلميّة بالوسائل التي تحققها»[١].

وفي ضوء هذا التعريف يكون (فنّ الخطابة) هو مـمارسة العـمل الخـطابي وتطبيق الأُصول الخطابيّة النظرية في الخارج، وأداؤها بصورة صحيحة.

ولابدّ من التأكيد هنا علىٰ أنّ الفنّ وحده لا يكفـي في نجاح العمل الفنّي، بل لابدّ من تحضير مادّة جيّدة، ومن ثمّ إخـراج الفـنّان لهـا إخـراجاً جـيّداً، فالطبّاخ الماهر إذا كانت لديه مواد غذائيّة جيّدة ومتنوّعة، يكون أقدر عـلىٰ صنع الطعام الشهي، والرسّام الجيّد إذا أعدّ موادّ الرسم الجيّدة حينئد يُبدع في فنّه، وكذلك الخطيب إذا كان ذا ثقافة واسعة، ومعلومات جيّدة، ومعرفة بأُصول الخطابة وقواعدها، ومتقناً للفنّ الخطابي، حينئذٍ يُبدع في فـنّه، ويـجيد فـي عمله، فيكون خطيباً ناجحاً.

وربّما يُرىٰ في الخطباء مَن هو كثير العلم والاطّلاع ولكنّه ضـعيف الفـنّ،

---

(١) المعجم الوسيط: (فنن).

فيخفق في عمله؛ لأنّه لا يستطيع أن يوصل معلوماته إلىٰ المستمعين بـصورة جيّدة، كما يوجد في الخطباء من هو جيّد الفن ولكنّه قليل العلم، فلا يؤثّر الأثر المطلوب ولا يحصل علىٰ النجاح المرغوب.

٤ ـ مَلَكة الخَطابة (١)

المقصود من المَلَكة: «الصفة النفسانية التي تحصل من تكرّر الفعل الصادر عن المـرء علىٰ وجـه يبلغ درجة يحصل منه الفعل بسهولة من غير تكلّف»(٢).

وهذه الصفة النفسانية إن كانت في الأخلاقيات سُمّيت باسم ذلك الخُـلُق، كمَلَكة أو خُلُق الكرم، ومَلَكة أو خُلُق الشجاعة، وإن كانت في الأُمور العلميّة البحتة سُمّيت باسمها، مثل: مَلَكة الاستنباط أو الاجتهاد في الفقه، وإن كـانت في الصناعات والأعمال سمّيت باسمها، كمَلَكة الخـياطة، ومَـلَكة التـجارة، ومَلَكة الخطابة.

فمَلَكة الخطابة هي: «صفة راسخة فـي نـفس المـتكلّم، يَـقتدر بـها عـلىٰ

(١) يذكر علماء المنطق (الملكة) في بحث التقابل فيقولون: «من أقسام التقابل، تقابل الملكة وعدمها، كالبصر والعمىٰ، والزواج والعزوبة، فالبصر ملكة والعمىٰ عدمها، والزواج ملكة والعزوبة عدمها». المنطق للشيخ المظفر: ٥٢.

والمراد من (الملكة) هنا: الاستعداد والأهليّة، فالحائط مـثلاً لا أهـليّة له أن يُـنسب إليـه البصر أو العمىٰ ولا الزواج أو العزوبة، أمّا الإنسان فله أهليّة ذلك.

(٢) المنطق للشيخ المظفر: ٣٣١.

التصرّف في فنون القول؛ لمحاولة التأثير في نفوس السامعين، وحملهم علىٰ ما يُراد منهم بترغيبهم وإقناعهم»(١).

والمَلَكة في العلوم والصناعات و الأعمال لا تحصل إلّا بعد تحصيل العلم ومزاولته، ولا يكفي في حصول المَلَكة معرفة العلم وحده، فمثلاً إذا سألت فقيهاً عن شروط وكيفية ذبح الحيوان، فسيخبرك بالتفصيل، ولكن إذا قدّمت إليه شاة، ودفعت إليه سكيناً، وطلبت منه أن يذبح الشاة فربّما لا يعرف كيفية الذبح؛ لأنّه لم يمارس ذلك، مع أنّه عالم بشروطه الفقهيّة، في حين أنّ القصّاب أو الجزّار المؤمن العارف بأحكام الذبح الشرعي تحصل عنده مَلَكة الذبح نظراً لممارسته العمل، ومن هنا قال بعض الفقهاء: «ما عرفتُ الحجّ حتىٰ حججت»، كذلك الخطابة تحتاج إلىٰ معرفة علم الخطابة، والتمرّن علىٰ تطبيق أُصول هذا العلم في الخارج حتىٰ تتكوّن عنده مَلَكة الخطابة، وحينئذ يخطب بسهولة ويسر من غير تكلّف وعسر.

ولا يكفي أبداً معرفة أُصول وقواعد الخطابة وحدها من دون تطبيق وتمرين؛ لأنّ علم الخطابة كالمصباح ينير الطريق للسالك، ولا يحمل علىٰ السلوك، ويرشد إلىٰ المسالك ولا يحمل علىٰ السير فيها، و هذا تماماً كمن تعلّم علم المنطق ليعصم ذهنه من الخطأ، ولا يحصل له ذلك إلّا بمراعاة قواعد المنطق في تفكيره، أمّا إذا لم يُراعِ ذلك، فلا تحصل له مَلَكة التفكير الصحيح؛ أو كعلم النحو الذي يعصم اللسان من الخطأ إذا رُوعيت قواعده في التكلّم.

قال شيخنا المظفرﷺ: «وهي [أي الخطابة] وظيفة شاقّة؛ إذ إنّها تعتمد ـ بالإضافة إلىٰ معرفة هذه الصناعة ـ علىٰ مواهب الخطيب الشخصيّة التي

(١) الخطابة لمحمد أبو زهرة: ٩.

تُصقل بالتمرين والتجارب، ولا تُكتسب بهذه الصناعة ولا غيرها، وإنّما وظيفة هذه الصناعة توجيه تلك المواهب، وإعداد ما يلزم لمعرفة طرق اكتساب مَلَكة الخطابة، مع المران الطويل وكثرة التجارب»[١].

(١) المنطق للشيخ المظفر: ٤١٥.

٥ ـ موضوع الخَطابة

ليس للخطابة موضوع خاصّ تبحث عنه بمعزل عن غيره، بل يصحّ جعل كلّ معقول ومحسوس، وكلّ أمر عامّ أو له صلة بشأن عامّ، موضوعاً للخطابة. فموضوعها كـلّ الأُمـور الاجـتماعيّة والسـياسيّة والاقـتصاديّة والاعـتقاديّة والأخلاقيّة والثقافيّة والعسكريّة والقضائيّة والدينيّة والتربويّة، وغير ذلك مـن شئون الدين والحياة، بشرط تناول المـوضوع بأُسـلوب خـطابي، أو عـلمي وخطابي، لا أُسلوب علمي بحت.

نعـم، يجـوز للخطيب أن يجـعل موضوعه تاريـخ حيـاة شخصية مرموقة؛ تكريماً له، وليتأسّىٰ به المستمعون، وليستوحوا من حياته ومواقـفه وصـفاته الكريمة دروس الحياة والكرامة، كالتحدّث مثلاً عن حياة الأنبياء والأوصـياء والأولياء والعلماء والمجاهدين، وذكر أخلاقهم وجـهادهم وعـلومهم وسـائر صفاتهم الحميدة.

كما يجوز للخطيب أن يجعل موضوعه تاريخ حياة بعض كبار الكفر والظلم والنفاق، ويذكر مواقفهم السيّئة، وصراعهم مع الحـق، وايـذاءهـم للـمؤمنين،

كفرعون ونمرود وأبي جهل والحجّاج وزياد وغيرهم، ويذكر انتقام الله تعالىٰ منهم.

٦ ـ فائدة الخَطابة

للخطابة دور مهمّ وبنّاء في حياة الأُمم والشعوب، بل هي ضرورة اجتماعية في حياة الناس العامّة، وفي قضاياهم المختلفة العقائديّة والتربويّة والفكرية والاجتماعيّة والثقافيّة والاقتصاديّة والعسكريّة. فبالخطابة تُحلّ الخصومات، وتُفَضّ العداوات، وتُفصل المنازعات، وتُثار حميّة الجماهير للدفاع عن الكرامات، وحفظ الحُرُمات، ويُرغّب في الخيرات، كبناء المدارس والمستشفيات، ويُحرّض علىٰ اكتساب الفضائل والكمالات، واجتناب الرذائل والموبقات.

قال المحقّق الطوسي: «ويُنتفع بها [أي بالخطابة] في تقرير المصالح الجزئيّة المدنيّة، وأُصولها الكلّية: كالعقائد الإلهيّة، والقوانين العمليّة»[١].

وبالإضافة إلىٰ هذا يمكن استخدام الخطابة للتثقيف والتوعية والهداية والإرشاد، كما في الخطابة الحسينية خاصّة، والخطابة الدينية عامّة.

(١) الجوهر النضيد في شرح منطق التجريد (صناعة الخطابة): ٢٤٠ للعلّامة الحلّي.

الفصل الثاني

الخطيب الحسيني

أوّلاً: المواصفات والمؤهّلات الذاتيّة للخطيب

ثانياً: المواصفات والمؤهّلات العلميّة للخطيب

ثالثاً: المواصفات والمؤهّلات الأخلاقيّة للخطيب

مقدّمـة

الخطابة الحسينية رسالة شاقّة، ومسؤوليّة صعبة لا يقدر علىٰ حملها وأدائها بصورة كاملة وافية، إلّا مَن مَنَحه الله تـعالىٰ مـواهب وعـبقرية ومـواصـفات خاصّة. فليس كلّ من يحمل علماً وفكراً يستطيع أن يجعل من نفسه خطيباً، وليس كلّ خطيب عامّ يقدر أن يكون خطيباً حسينيّاً بـالمعنىٰ المـقصود مـن الخطابة الحسينيّة، فإنّنا رأينا الكثير من حَمَلة العلم والفكر لا يسـتطيعون أن يكونوا خطباء، وشاهَدْنا الكثير ممن يحسـن الخطابة العامّة لا يمكنه أن يمارس الخطابة الحسينيّة، فما أكثر أهل الفضل والعلم، وأقلّ الخطباء الحسينيّين فيهم.

حدّثني أحد الإخوة العلماء أنّه صعد المنبر ليلة وفـاة الإمـام الحسـن عليه السلام فتحدّث عن حياته ساعة ثم أراد أن يُعرّج علىٰ المصيبة فبقي يدور ويـطوف مدّةً طويلة وكأنّه طائرة تريد الهبوط في المطار ولم تنزل عَـجَلاتها، وأخـيراً قطعَ الحديث ونزل من دون ذكر المصيبة، في حين أنّه لو كان خطيباً حسينيّاً فنّياً لاستطاع التعريج علىٰ المصيبة بطريقة فنّية وبسرعة.

إنّ الخطيب الحسيني لابدّ من أن تجتمع فيه عدّة مؤهّلات ومـواصـفات،

حتىٰ يتمكن من ممارسة العمل الخطابي، وشقّ طريقه إلىٰ النجاح والتوفيق في التأثير فـي الجـمهور والنـفوذ إلىٰ عـقول المسـتمعين وقـلوبهم، وأهـمّ هـذه المواصفات والمؤهّلات هي:

أوّلاً: المواصفات والمؤهّلات الذاتيّة.

ثانياً: المواصفات والمؤهّلات العلميّة.

ثالثاً: المواصفات والمؤهّلات الأخلاقيّة.

أوّلاً
المواصفات والمؤهّلات
الذاتيّة للخطيب

كلّ عملٍ يحتاج إلىٰ متطلّبات ومقوّمات للقيام به، وكلّ إنسان عاقل إذا أراد اختيار عملٍ ما لابدّ من أن يُراجع نفسه فينظر هل هو مؤهَّلٌ جسميّاً ونفسيّاً وفكريّاً لما يتطلّبه ذلك العمل، أو لا؟ فإن كان مؤهّلاً يختاره، وإلّا يختار عملاً آخر يتناسب مع مؤهّلاته الذاتيّة ولا يُقحم نفسه في عمل لا يقوىٰ علىٰ النهوض به. وأوضح دليل علىٰ ما ذكرناه: لاعبوا الرياضة، فهذا عنده مؤهّلات المشاركة في كرة القدم، وذاك في كرة السلّة، وآخر في حمل الأثقال، ورابع في المصارعة وخامس في السباحة، وسادس في مسابقة الخيل، وهلمّ جرّا.

وكذلك الخطابة تحتاج إلىٰ مقوّمات ومؤهّلات لابدّ من وجودها في شخص الخطيب، وبدونها لا يستطيع النهوض بالعمل الخطابي. وأهم المؤهّلات الذاتية للخطيب هي:

١ ـ سلامة اللسان:

إنّ اللسان أداة التخاطب والتفاهم، ووسيلةٌ لإيصال ما في النفس والقلب والفكر إلىٰ الآخرين. قال الشاعر:

إنّ الكلامَ لفي الفؤاد وإنّما   جُعلَ اللسانُ علىٰ الفؤاد دليلا[١]

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «مَغْرَسُ الكلام: القلب، ومستودعه: الفكر، ومقوّيه: العقل، ومُبديه: اللسان، وجسمه: الحروف، وروحه: المعنىٰ، وحِلْيَته: الإعراب، ونظامه: الصواب»[٢].

وقال أيضاً: «اللسان تَرْجُمان الجَنان»[٣].

وقال أيضاً: «الألسن تُترجم عمّا تَجُنّه الضمائر»[٤].

واللسان أداة الخطيب وسلاحه ووسيلته، ولابدّ من أن تكون هذه الأداة والوسيلة سليمةً وقويّةً وفعّالةً، كي يصول بها الخطيب في ميدان المقال، كما يصول المقاتل بسلاحه في ميدان القتال.

وبعبارة أُخرىٰ: يحتاج الخطيب إلىٰ لسان فصيح، ومقدرة علىٰ إخراج الحروف من مخارجها بصورة صحيحة، وبيُسر وطلاقة.

فلسان الخطيب يجب أن يكون سالماً من العيوب، وبيانه خالياً من الخلل، أي إنّ الخطيب يجب أن لا يكون: فأفاءً، ولا تأتاءً، ولا ألثَغ، ولا ألكنَ، ولا أعجمَ، ولا أحكَلَ.

فالتأتاء: هو الذي يصعب عليه النطق بحرف التاء فيردّده عدّة مرات عند النطق به، فعندما يريد أن يقول: تعالَ مثلاً، يقول: تَتَتَتَعال.

والفأفاء: هو الذي يصعب عليه التلفّظ بحرف الفاء فيكرّره عند النطق به، فمثلاً إذا أراد أن قول فَعَلَ يقول: فَفَفَفَعل.

---

(١) جواهر الأدب ٢: ٤٨٤.

(٢) تصنيف غرر الحكم: ٢١١، الحكمة ٤٠٨٠.

(٣) تصنيف غُرر الحكم: ٢٠٩، الحكمة ٤٠١٨.

(٤) تصنيف غُرر الحكم: ٢٠٩، الحكمة ٤٠٢٢.

والألثغ : هو الذي يتعذّر عليه النطق بحرفٍ فيبدله إلىٰ آخر ، والحروف التي تدخلها اللثغة ، أربعة : القاف ، والسين ، واللام ، والراء .

فالألثغ بالقاف إذا أراد أن ينطق بحرف القاف أبدله طاء فيقول بدل قُلت : طُلت ، وبدل عاقل : عاطل .

والألثغ بالسين إذا أراد أن ينطق بحرف السين أبدله ثاءً فيقول بدل بسم الله : بثم الله ، وبدل حَسَن : حَثَن .

وأمّا الألثغ باللام فإذا أراد أن يتلفّظ حرف اللام أبدله ياءً فيقول بدل جَمَل : جَمَي ، وبدل عادل : عادي ، وبدل مولاي : موياي .

وأمّا الألثغ بالراء فهو أنواع ، فبعضهم يبدل حرف الراء ياءً ، فإذا أراد أن يقول : رَعْد ، قال : يَعْد .

ومنهم من يبدل حرف الراء غيناً ، فإذا أراد أن يقول : بررة ، قال : بغغة .

وبعضهم يبدل حرف الراء ظاءً ، فإذا أراد أن يقول : عَرَب ، يقول : عَظَب .

ومنهم من يبدل حرف الراء ذالاً ، فإذا أراد أن يقول : مَرّةً ، يقول : مذّةً[١] .

قال الجاحظ : «واللثغة في الراء إذا كانت بالياء فهي أحقرهن وأوضعهن لذي المروءة ، ثم التي علىٰ الظاء ، ثم التي علىٰ الذال . فأمّا التي علىٰ الغين فهي أيسرهن ويقال : إنّ صاحبها لو جهد نفسه جهده ، وأخذ لسانه ، وتكلّف مخرج الراء علىٰ حقّها ، والإفصاح بها لم يكن بعيداً من أن تجيبه الطبيعة ، ويؤثّر فيها ذلك التعهّد أثراً حسناً»[٢] .

والمشاهَد عند المستمعين تَحَمُّلُهم لِلّثغة الخفيفة ، ولعلّها محبّبة عند البعض .

---

(١) راجع كتب اللغة : (لثغ) .

(٢) البيان والتبيين ١ : ٤٦ .

والألكن: هو الذي لا يُقيم العربية لُعجمة لسانه(١). قال الجاحظ: «يقال: في لسانه لُكنة، إذا أدخل بعض حروف العَجَم في حروف العرب»(٢).

والأعجم أو الأعجمي: هو الذي لا يُفصح ولا يُبيّن كلامه، وإن كان عربي النسب، كزياد الأعجم، ويقال: هذا رجل أعجمي إذا كان لا يُفصح سواءً أكان من العجم أم من العرب(٣).

والأحكل: هو الذي في لسانه حُكلة أي عُجمة فلا يُبيّن الكلام(٤). قال الجاحظ: «إذا قالوا: في لسانه حكلة فإنّما يذهبون إلىٰ نقصان آلة النطق، وعجز

---

(١) القاموس المحيط: (ألكن).

(٢) البيان والتبيين ١: ٤٨.

والمراد من الحروف الأعجمية هي: گ، چ، پ، ژ. وهذه الحروف تبدل عند استعمالها إلىٰ ما يقاربها من الحروف العربية. فتقول بدل پاريس: باريس، وبدل پاپا: بابا، وبدل گاز: غاز، وبدل گالون: غالون، وبدل چرچل: شرشل، وبدل ژان ژاك روسو: جان جاك روسو.

(٣) لسان العرب: (عجم).

وهناك بعض الحروف العربية يصعب علىٰ من لم يتدرّب علىٰ اللغة العربية أن ينطق بها صحيحة؛ لذا يبدلها إلىٰ حرف آخر، وهي: الذال والضاد والظاء، فينطق بها جميعاً زاياً، فإذا أراد أن يقول: ذات قال: زات. أو يقول: غضب قال: غزب. أو يقول: ظالم قال زالم؛ وكذلك حرف الثاء والصاد يبدلهما إلىٰ سين فيقول: سابت، بدل ثابت، و سابر، بدل صابر؛ وحرف الطاء يبدله إلىٰ تاء فيقول: تالب، بدل طالب؛ وحرف الحاء يبدله الىٰ هاء، فيقول: رهمة، بدل رحمة.

ويلاحظ أنّه قد ظهرت في اللغات الشعبيّة عند العرب بعض الحروف الأعجميّة فيقال: گهاد، وبعضهم: ژهاد، بدل جهاد؛ ويقال: گال، بدل قال؛ وچان، بدل كان.

وهذه الاستعمالات كلّها يجب تجنّبها عند التكلّم باللغة الفصيحة وإن كانت متداولة في اللغة الشعبيّة.

(٤) الصحاح: (حكل).

أداة اللفظ، حتّىٰ لا تعرف معانيه إلّا بالاستدلال»[١].

إنّ هذه العيوب يمكن التغلّب علىٰ بعضها بالممارسة والتمرين، أو المعالجة الطبّية، خصوصاً إذا كانت خفيفة، فبالإمكان تجنّب الحرف الذي يصعب النطق به، وإن كان يحتاج إلىٰ التكلّف والمعاناة.

حُكي عن واصل بن عطاء أنّه كان يلثغ بحرف الراء، فكان يتجنّبه في كلامه، وكذلك الصاحب بن عباد، فقد نقل أنّ فخر الدولة أَمَرَ بحفر بئرٍ للمارّة، وأمَرَ الصاحبُ بن عباد أحدَ الكُتّاب أن يُنشئ بذلك كتاباً [ليقرأه علىٰ الناس]، ولمّا كان الصاحب لا يُفصح عن حرف الراء ويلثغ، وله سوء مزاج[٢] مع ذلك الكاتب، عَمَد الكاتب إلىٰ كتابة كتاب لم تخلُ كلمة من كلماته عن حرف الراء، وهو هذا:

«أمَرَ أميرُ الأُمراء، عمّره الله: أن تُحفر بئر في طريق المارّة، ليشرب منها الصادر والوارد، وحُرّر ذلك في رابع شهر رمضان المبارك، بورك فيه إلىٰ يوم المحشر».

فقرأه الصاحب بعبارات لا يوجد فيها حرف راء أصلاً، وهي هذه: «حَكَمَ أعدلُ الحكّام، طوّلَ اللهُ مُدّةَ حياته: أن يُعملَ قَليبٌ في سبيل المسلمين، لِيَنتفع منه الغادي والزائح، وكتب ذلك في أوائل أيّام الصيام الميمون، لا زال ميموناً إلىٰ يوم القيام»[٣].

والجدير بالذكر أنّ سلامة الفم واللسان والأسنان خصوصاً الأسنان الأماميّة لها أثر كبير في أداء الحروف بصورة صحيحة وسليمة، فإنّ الثنايا إذا سقطت يصعب علىٰ الإنسان التلفّظ ببعض الحروف. وقد سهل في العصر الحاضر

(١) البيان والتبيين ١: ٤٨.

(٢) أي سوء تفاهم.

(٣) وقائع الأيام: ١٩٧.

معالجة الأسنان وتقويمها.

٢ ـ حُسن البيان وطلاقة اللسان:

إنّ الخطيب يحتاج إلىٰ حُسن البيان[١]، إضافةً إلىٰ سلامة لسانه من العيوب التي ذكرناها، أي أن يتلفّظ الكلمات بصورة حسنة جميلة وبقوّة وحرارة، ولا يكون في لفظه برودة، بحيث تموت الكلمات علىٰ شفتيه. كما يجب أن يكون طلق اللسان، أي متمكّناً من التسلسل والاسترسال في الكلام، فلا يتوقّف أو يتأنّىٰ كثيراً؛ أي لا تكون فيه حُبسة، ولا عُقلة، ولا تَمتمة، ولا لَجلجة، ولا لَفف.

الحُبسَة: أي تعذّر الكلام عند إرادته[٢].

والعُقلة: أي التواء اللسان عند إرادة الكلام[٣].

والتَمتَمة: هي التعجيل في الكلام فلا يُفهم السامع. والتمتام: هو الذي يعجّل بكلامه فلا يكاد يُفهمك[٤].

واللَجلَجة: أي التردّد في الكلام[٥].

واللَفَف: وهو إدخال الرجل بعض كلامه في بعض[٦].

وقال ابن منظور: اللَفَف في الكلام ثِقلٌ وعَيٌّ مع ضَعف. ورجلٌ (أَلَفّ) بَيّن

---

(١) قال ابن الأثير الجزري: «البيان إظهار المقصود بأبلغ لفظ، وهو من الفهم وذكاء القلب، وأصله الكشف والظهور». النهاية (بَيَنَ).

(٢) لسان العرب: (حبس).

(٣) لسان العرب: (عقل).

(٤) لسان العرب: (تمتم).

(٥) لسان العرب: (لجلج).

(٦) البيان والتبيين ١: ٤٧.

اللَفَف أي عَييٌّ بطيء الكلام، إذا تكلّم ملأ لسانُه فمَه[١].

إنّ هذه العيوب تمنع الخطيب عن الاسترسال في الخطبة، فلا يكون بيانه حسناً ولا لسانه طَلِقاً. ولهذه العيوب أسباب: بعضها حالات مَرَضيّة بسبب الأمراض القلبيّة أو الرئويّة، أو ضيق النفس، فيُصاب المتكلّم بالبهر، وانقطاع النَفَس؛ وبعضها بسبب التعب الذهني، أو تشتّت الأفكار، أو التهيّب من المجلس أو من بعض الحاضرين. وأكثرها يمكن التغلّب عليه بالمعالجة الطبّية أو النفسيّة، والتمرين وممارسة الكلام.

إنّ حُسن البيان يعمل عمل السحر في السامعين؛ لذا قال صلى الله عليه وآله: «إنّ من البيان لسحراً»[٢]؛ لأنّ البيان الحسن يسخّر القلوب والألباب كما يسخّر

---

(١) لسان العرب: (لَفَفَ).

(٢) كنز العمال ٣: ٥٨٢، الحديث ٨٠٠٧، والأمالي للشيخ الصدوق: ٧١٨، المجلس ٩٠، الحديث ٩٨٧.

وقال الميداني عن هذا الحديث «قاله النبي، حين وَفَدَ عليه عمرو بن الأهتم، والزِّبْرِقَانُ بن بدر، وقيس بن عاصم، فسأل ـ عليه الصلاة والسلام ـ عمرو بن الأهتم عن الزِّبْرِقَان، فقال عمرو: مُطَاعٌ في أدْنَيْه [أي أقربائه] شديد العارضة [أي ذو جلدٍ وصرامة]، مانعٌ لِمَا وراء ظهره [أي رجل غيور وفيه شجاعة وحميّة للدفاع عن حُرمه وعشيرته]، فقال الزِّبرقَان: يا رسول الله، إنّه لَيعلمُ منّي أكثرَ مِن هذا، ولكنّه حسدني، فقال عمرو: أمَا واللهِ إنّه لَزَمِرُ المروءة [أي قليل المروءة]، ضيّق العطن [أي قليل المال]، أحمق الوالد، لئيم الخال، والله يا رسول الله، ما كذبتُ في الأُولىٰ، ولقد صدقتُ في الأُخرىٰ، ولكنّي رجل رضيتُ فقلتُ أحسنَ ما علمتُ، وسخطتُ فقلتُ أقبحَ ما وجدتُ، فقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: (إنَّ مِنَ البَيَانِ لَسِحْراً) يعني أنّ بعض البيان يعمل عمل السّحر، ومعنىٰ السحر: إظهار الباطل في صورة الحق، وإنّما شُبِّه بالسحر لحدّة عمله في سامعه، وسرعة قبول القلب له.

يُضرب [هذا المثل] في استحسان المنطق، وإيراد الحجّة البالغة». مجمع الأمثال ١: ٧، الباب الأوّل، الرقم ١.

←

الساحرُ مَن يريد تسخيره.

٣ ـ حُسن الصوت:

قال رسول الله ﷺ: «إنّ من أجمل الجمال: الشَعر الحَسن، ونَغمة الصوت الحسن»[١].

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «ما بَعَثَ اللهُ عزّ وجلّ نبيّاً إلّا حَسَنَ الصوت»[٢].

ذَكَر ابن الأثير في كتاب النهاية، حديث مالك بن دينار: «بلغنا أنّ الله تبارك وتعالىٰ يقول لداود يوم القيامة: يا داود مجِّدني اليوم بذلك الصوت الحسن الرخيم».

فقال موضّحاً معنىٰ الصوت الحسن الرخيم: «هو الرقيق الشجيّ الطيّب النَغمة»[٣].

إنّ المرء ليشعر باللذّة والارتياح عندما يسمع الصوت الحسن الرخيم، ويستثقل الصوت الخشن، أو ذا الرنّة المزعجة، أو الّذي يخرج من الأنف، أو

← وقال الجاحظ: «إنّ رسول الله ﷺ لمّا سأل عمرو بن الأهتم عن الزِبْرِقان بن بدر قال: مانع لحوزته، مطاع في أذينه. فقال الزبرقان: أما إنه قد علم أكثر مما قال، لكنه حسدني شرفي. فقال عمرو: أما لئن قال ما قال: فوالله ما علمته إلّا ضيّق الصدر، زَمِرَ المروءة، لئيم الخال، حيث الغنى. فلما رأى انه خالف قولُه الآخرُ قولَه الأولَ ورأى الإنكار في عين رسول الله ﷺ قال: يا رسول الله، رضيتُ فقلتُ أحسن ما علمت، وغضبت فقلت أقبح ما علمت، وما كذبت في الاولى ولقد صدقت في الآخرة. فقال النبي ﷺ عند ذلك: إن من البيان لسحراً. البيان والتبيين ٥٦:١.

(١) الأُصول من الكافي ٢: ٤٥٠.

(٢) الأُصول من الكافي ٢: ٤٥١.

(٣) النهاية لابن الأثير: (رخَم).

كأنّه يخرج من بئر أو جرّة فارغة؛ ولذا ورد التأكيد علىٰ اختيار ذوي الأصوات الحسنة في الأذان وقراءة القرآن، وكذلك الأمر في الدعاء(١).

---

(١) قال الشهيد المطهري: «صحيح أنّ الإنسان يخاطب ربّه في الدعاء، وبالتالي فإنّ اللفظ والخطاب ليس له أثر كبير في هذا المجال. لكن أدعيتنا بالإجمال تتّصفُ بدرجة عالية من الفصاحة والجمال، لماذا؟ ذلك أن جمال الدعاء ينبغي أن يكون عاملاً مساعداً في إيصال مضمون الدعاء إلىٰ قلب الإنسان. ولماذا يقال: إنّه من المستحب أن يكون المؤذن (صيّتاً) أي صاحب صوت جميل؟

فكلمة (الله أكبر) لا يختلف معناها سواء قالها الإنسان بصوت جميل أو بصوت بشع، كذلك عبارة (أشهد أن لا إله إلّا الله)، لكن الإنسان عندما يسمع (الله أكبر) من صاحب الصوت الجميل تختلج أحاسيس قلبه بشكل يختلف عنها في حالة سماعه (الله أكبر) نفسها من صاحب الصوت البشع».

وأضاف الأُستاذ المطهري قائلاً: «وفي هذا المجال بالذات يذكر لنا سعدي ـ الشاعر الإيراني المعروف ـ قصّةً لا بأس من نقلها هنا قال: كان مؤذّن في إحدى المدن يتميّز بصوته النشاز والبشع، ومرّت الأيّام عليه وإذا بيهودي قد أقبل إليه يوماً وقال له: هل تقبل منّي هذه الهديّة البسيطة؟ فقال له: ولماذا؟ قال له اليهودي: لأنك قد خدمتني خدمة كبيرة. فسأله المؤذّن: وما هي الخدمة؟ فأنا لم أخدمك بشيء. فقال اليهودي: إنّ لي بنتاً كانت قد بدأت منذ مدّة تميل إلىٰ اعتناق الدين الإسلامي ولكنّها منذ أن بدأت تسمع صوت أذانك عادت إلىٰ رشدها وبدأت تشمئز من الإسلام، وأنا الآن بدوري فرح لأنك ساهمت بعودة ابنتي إلىٰ دينها، فجئت لك بهذه الهديّة! وهذا شيء يؤلم في الواقع». الملحمة الحسينية ١: ١٦٨.

قال الباحث: حدّثني بعض الإخوة المؤمنين أنّ جماعة استبصروا واعتنقوا مذهب أهل البيت عليهم السلام بسبب سماعهم لدعاء الإمام أمير المؤمنين عليه السلام الذي علّمه كميلَ بن زياد ودعاء الإمام زين العابدين عليه السلام الذي رواه أبو حمزة الثمالي، والأدعية الأُخرىٰ الواردة عن الأئمة المعصومين عليهم السلام؛ لمضامينها العالية ولقراءتها بصوت حسن ولحن جذّاب.

وأتذكّر كلمة طيّبة مشجّعة للأُستاذ الشيخ محمّد مهدي الآصفي قالها لي عندما زرته في جامع النقي بالكويت في السبعينات، قال: «إنّ علماء الشيعة كالشيخ المفيد والشريف المرتضىٰ والشيخ الطوسي والشيخ الأميني وغيرهم أوصلوا التشيّع إلىٰ الناس عن طريق الفكر، وأمّا أنتَ فقد أوصلتَه عن طريق القلب وهو أكثر تأثيراً في النفوس».

قال رسول الله ﷺ: «زيّنوا القرآن بأصواتكم، فإنّ الصوت الحَسن يزيد القرآن حُسناً»(١).

وعن علقمة بن قيس قال: «كنتُ حَسَن الصوت بالقرآن فكان عبدالله بن مسعود يرسل إليّ فأقرَأ عليه، فإذا فرغتُ من قراءتي قال: زدنا من هذا، فداك أبي وأُمّي، فإنّي سمعت رسول الله يقول: (إنّ حُسن الصوت زينةٌ للقرآن)»(٢).

وعن أنس بن مالك عن النبي ﷺ: «لكلّ شيءٍ حلية وحلية القرآن الصوت الحَسن»(٣).

وقال ﷺ: «حسّنوا القرآن بأصواتكم، فإنّ الصوت الحَسن يزيد القرآن حُسناً»(٤).

رُوي عن الإمام محمد بن علي الباقر عليه السلام أنّه قال: «... لقد كان علي بن الحسين يقرأ القرآن فربّما مرّ عليه المارّ فيصعق من حُسن صوته»(٥).

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «كان علي بن الحسين ـ صلوات الله عليه ـ أحسن الناس صوتاً بالقرآن، وكان السقّاؤون يمرّون فيقفون ببابه يسمعون قراءته، وكان أبو جعفر أحسن الناس صوتاً»(٦).

وقال الشيخ المجلسي: «رُوي أنّ موسىٰ بن جعفر عليه السلام كان حَسن الصوت

---

(١) كنز العمال ١: ٦٠٥، الحديث ٢٧٦٧.

(٢) كنز العمال ١: ٦٠٥، الحديث ٢٧٦٤.

(٣) الأُصول من الكافي ٢: ٤٥٠، وكنز العمّال ١: ٦٠٥، الحديث ٢٧٦٨، والبحار ٩٢: ١٩٠.

(٤) وسائل الشيعة ٦: ٢١٢، وكنز العمال ١: ٦٠٥، الحديث ٢٧٦٥.

(٥) أعلام الدين في صفات المؤمنين للديلمي: ١٠١.

(٦) الأُصول من الكافي ٢: ٤٥١.

حَسن القراءة»[١].

وعن علي بن محمّد النوفلي قال ذكرت: «الصوت عند أبي الحسن أي الإمام الكاظمعليه السلام، فقال: **إنّ علي بن الحسين كان يقرأ القرآن فربّما مرّ به المارّ فصعق من حُسن صوته**»[٢].

وعن معاوية بن عمار قال: قلت لأبي عبد اللهعليه السلام: «الرجل لا يَرىٰ أنّه صنع شيئاً في الدعاء والقراءة حتىٰ يرفع صوته، فقالعليه السلام: **(لا بأس، إنّ علي بن الحسينعليه السلام كان أحسن الناس صوتاً بالقرآن، وكان يرفع صوته حتىٰ يسمع أهل الدار. وإنّ أبا جعفرعليه السلام كان أحسن الناس صوتاً بالقرآن، وكان إذا قام من الليل وقرأ رفع صوته فيمرّ به مارّ الطريق من السقّائين وغيرهم فيقومون (فيقفون) فيستمعون إلىٰ قراءته)**»[٣].

إنّ هذه الأحاديث الشريفة تؤكّد علىٰ أهمّية الصوت الحسن في قراءة القرآن، وليس الأمر خاصّاً بالقرآن وحده بل يشمل الدعاء والشعر والخطب وغير ذلك، فإنّ الصوت الحسن يُدخل هذه الأشياء في القلب والنفس الإنسانيّة، ويؤثّر فيها تأثيراً بالغاً.

فالخطيب الحسيني يحتاج إلىٰ صوت جميل أو مقبول في الأقل، و رخيم أي فيه رقّة ومرونة، ليساعده علىٰ قراءة الأشعار، والأطوار المختلفة في المدح والرثاء. قال شيخنا المظفرقدس سره: «حُسن الصوت وحُسن الإلقاء، والتمكّن من التصرّف بنبرات الصوت وتغييره حسب الحاجة من أهم ما يتميّز به الخطيب الناجح. وذلك في أصله موهبة ربّانيّة يختصّ بها بعض البشر من غير كسب،

(١) الاحتجاج ٢: ٣٤٩، الرقم ٢٧٩، والبحار ٩٢: ١٩٤.
(٢) الأُصول من الكافي ٢: ٤٥٠، والبحار ٩٢: ١٩٤.
(٣) مستطرفات السرائر: ٩٧.

غير أنّها تقوىٰ وتنمو بالتمرين والتعلّم كجميع المواهب الشخصيّة. وليس هناك قواعد عامّة مدوّنة يمكن بها ضبط تغييرات الصوت ونبراته حسب الحاجة، وإنّما معرفة ذلك تتبع نباهة الخطيب في اختياره للتغيّرات الصوتيّة المناسبة التي يجدها بالتجربة والتمرين مؤثّرة في المستمعين؛ ومن أجل هذا يظهر لنا كيف يفشل بعض الخطباء؛ لأنّه يحاول المسكين تقليد خطيب ناجح في لهجته وإلقائه، فيبدو نابياً سخيفاً؛ إذ يظهر بمظهر المتصنّع الفاشل. والسِرّ أنّ هذا أمرٌ يُدرك بالغريزة والتجربة قبل أن يُدرَك بالتقليد للغير»[1].

وممّا تجدر الإشارة إليه هنا: أنّ الصوت بالإضافة إلىٰ حُسنه ينبغي له أن يدوم ويستمر مع المحاضرة والخطبة إلىٰ النهاية، إذ ربّما يكون الصوت حَسناً ولكنّه يتقطّع في أواخر الخطبة، أو يُصاب الخطيب بالبهر، أو التوقّف بسبب تعب الأوتار الصوتيّة أو التهابها، أو ضيق التنفّس، أو غير ذلك من الأسباب.

٤ ـ حُسن الصورة والمنظر:

إنّ الخطيب يواجه المستمعين، وهو محطّ أنظارهم، وعيونهم منشدّة إليه، فإذا كانت فيه عاهةٌ ظاهرة في وجهه، كاعوجاج الفم، أو بروز الأسنان كثيراً، أو جحوظ العينين، فإنّ المستمعين لا يرتاحون إليه.

وكذلك إذا كانت يده أو بعض أصابعه غير طبيعيّة، فعليه أن لا يظهر ذلك العضو أمام المستمعين مهما أمكن، سمعت الأُستاذ الفلسفي يقول: «شكا إليّ بعض الخطباء قلّة التوفيق، وطلب منّي أن يصعد المنبر ويقرأ مجلساً بحضوري حتىٰ أرىٰ نقطة الضعف فيه، قال الشيخ الفلسفي: فقرأ مجلساً ولمّا نزل قلت

---

(١) المنطق للشيخ المظفر: ٤٢٠.

له: إنّ خُطبتك جيّدة من الناحية العلميّة والفنّية، ولكنّ إصبَعك السبابة طويلة جداً فعندما تؤشّر بها تتداعىٰ للناظرين خيارة طويلة أو ما شابهها، فيقلّ توجههم إليك وينشغل ذهنهم عنك، فحاوِلْ أن تُخفي اصبعك عن المستمعين مهما أمكن عند القراءة»[١].

أمّا إذا كان الخطيب وسيماً، أو في الأقل معتدل الشكل ومقبول المنظر، فإنّ هذا له تأثير كبير في انشداد الناس إليه، والتوجّه نحوه؛ لأنّ النفس الإنسانيّة ترتاح إلىٰ الجمال، وتلتذ بالنظر إلىٰ الوجه الحسن الجميل؛ ولهذا اختار الله تعالىٰ أنبياءه من ذوي الوجوه الحسنة، والمنظر الجميل، ومن المنزّهين عن كلّ عاهة توجب نفرة الناس منهم.

ومن فوائد الوجه الحسن للناظر أنّه يُجلي بَصره، قال الإمام الكاظم عليه السلام: «ثلاث يُجلين البصر: النظر إلىٰ الخضرة، والنظر إلىٰ الماء الجاري، والنظر إلىٰ الوجه الحسن»[٢].

كما أنّ جمال الوجه من أسباب شعور النفس بالابتهاج والارتياح والانبساط والانشراح.

قال الأديب:

ثلاثةٌ تُجلي عن القلب الحَزَن　　　الماء والخضراء والوجهُ الحَسَن

ومن طريف ما يُذكر في استهجان الوجه القبيح قصّة الجاحظ مع المتوكّل العبّاسي، قال الجاحظ: «ذُكِرتُ للمتوكل العبّاسي لتأديب بعض ولده، فلمّا

---

(١) سمعته في محاضرةٍ عن فنّ الخطابة ألقاها في الجامع الأعظم في مدينة قم المقدّسة قبل سنوات.

(٢) تحف العقول: ٣٠٦.

رآني استبشع منظري، فأمر لي بعشرة آلاف درهم وصَرَفني»[١].

وقال أيضاً: «أتتني امرأة وأنا علىٰ باب داري، فقالت: لي إليك حاجة وأُريد أن تمشي معي، فقمتُ مَعَها إلىٰ أن أتت بي إلىٰ صائغ يهودي، وقالت له: مثل هذا، وانصرفَتْ. فسألتُ الصائغَ عن قولها فقال: إنّها أتت إليّ بفصّ، وأمرتني أن أنقش عليه صورة شيطان، فقلت لها: يا ستّي ما رأيتُ الشيطان، فأتت بك وقالت ما سمعتَ»[٢].

وممّا يسهم في تأثير الخطيب في النفوس هو حُسن الهيأة والمنظر في الملبس، والنظافة الظاهرية، وحُسن الهندام: كالعمامة الجيدة، واللحية المرتبة والأسنان النظيفة.

٥ ـ قوّة الحافظة:

يحتاج الخطيب إلىٰ حفظ نصوص كثيرة من آيات بيّنات، وأحاديث وروايات، وخُطب ورسائل وكلمات حكميّة، وقصائد، وقطع شعريّة، وحوادث ووقائع وأخبار. فمن الضروري أن تكون حافظته قويّة، وذاكرته أمينة زاخرة بالمعلومات والشواهد، كي تعينه عند الحاجة. ولا يُستساغ للخطيب أن يصعد المنبر فيقول: قال الله مامعناه، أو يُلقي محاضرة دون أن يذكر فيها نصوصاً، مكتفياً بالكلام الارتجالي أو الحديث الإرسالي، فإنّ النصّ في الخطبة كالدرّة

---

(١) البيان والتبيين ١: ٨، وهذه من الأعاجيب؛ لأنّ الناس عادة يُرزقون بجمال وجوههم لا بقبحها.

(٢) البيان والتبيين ١: ١٠.

قال الباحث: إنّ الناس عادةً يتصوّرون الشيطان قبيح المنظر، ولعلّ الواقع غير ذلك. إذ كيف يمكنه مع قبحه أن يغري الناس، والناس عادة يغريهم الجمال والحُسن؟

في العِقد، أو الحجر الكريم في الخاتَم[١].

ويمكن تقوية الحافظة بالتمرين، والممارسة، والتركيز، والتكرار.

ويختلف الناس في طريقة الحفظ. ولا ننسىٰ أنّ الشباب، وفراغ البال، عاملان مساعدان علىٰ الحفظ السريع.

٦ ـ قوّة القلب والجرأة:

إنّ الخطيب مهما كان عالماً وفنّاناً، إذا لم يكن قويّ القلب وجريئاً ورابط الجأش، لا يستطيع أن يخطب بنجاح.

إنّ الجرأة تساعد الخطيب علىٰ تذكّر ما أعدّه للخطبة، وتعينه علىٰ الاسترسال في الكلام.

أمّا الخجل، وضعف القلب وقلّة الجرأة، فهي من الأسباب الموجبة لفشل الخطيب، ونسيان ما حفظه وأعدّه للخطبة.

قال أمير المؤمنين عليه‌السلام: «بَيانُ الرجل يُنبئ عن قوة جَنانه»[٢].

وبالمناسبة، حدّثني أحد أصدقائي العلماء رحمه‌الله، قال: «حدّثني أُستاذي... قال: لمّا كنتُ طالباً في الحوزة النجفيّة أيّام شبابي، اتّفقتُ مع طالبَين مِن زملائي أن نعقد مجلساً في ليالي الخميس في حجرة المدرسة، للتمرّن علىٰ

---

(١) ربّما يضطرّ الخطيب أحياناً إلىٰ أن يذكر مضمون الحديث، وهذا أمرٌ جائز ولكن بشروط.
قال العلّامة الحلّي: «يجوز نقل الحديث بالمعنىٰ إذا لم يقصر لفظ الراوي عن المعنىٰ، وعدم الزيادة والنقصان، والمساواة في الجلاء؛ لأنّ الصحابة لم يكتبوا ألفاظ النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله ولم يُكرّروها، فيُعلم اقتصارهم علىٰ المعنىٰ، ولأنّه يجوز التعبير بالعجميّة للأعجمي، فبالعربيّة أولىٰ». تهذيب الوصول إلىٰ علم الأصول: ٢٤١.

(٢) معجم ألفاظ غرر الحكم: (جنان).

الخطابة. فأعدّ كلّ واحد منّا موضوعاً ليلقيه في المجلس، فلمّا صارت ليلة الخميس صعد أحدنا المنبر، والمستمعون أنا وصاحبي، فكلّما أراد أن يتكلّم لم يستطع؛ إذ سيطرت عليه هيبة المجلس والمنبر، وأُصيب بحالة غير طبيعيّة بحيث لم يستطع أن ينزل من المنبر، فقمنا إليه وأخذنا بيديه وأنزلناه.

قال: فقمت أنا وكنت قد أعددت خطبة للإمام علي عليه السلام حفظتُها جيّداً، فلمّا أن ارتقيت المنبر نسيت الخطبة من أوّلها إلىٰ آخرها، ولم أتذكّر منها حتىٰ جملة واحدة، فتركت المنبر ونزلت. ثم صعد ثالثنا وكان جريئاً فتحدّث بطلاقة، وصار بعد ذلك من كبار الخطباء».

نستفيد من هذه القصّة أنّ فقدان الجرأة يُسبّب نسيان المعلومات، ومن ثمّ فشل الخطيب في عمله. وأمّا الجرأة فتعطي الخطيب قوّة وإقداماً علىٰ أداء خطبته.

وأسباب قلّة الجرأة أو فقدانها: الحياء الزائد أو الخجل، أو الخوف من عدم النجاح، أو من هيبة المجلس، أو هيبة بعض الحاضرين، وهذه الأُمور توجب الاخفاق في العمل الخطابي. ويمكن معالجتها باقتحام الموقف وعدم الاكتراث، قال أمير المؤمنين عليه السلام: «إذا هِبْتَ أمراً فقع فيه، فإنَّ شدّة توقّيه أعظم مما تخاف منه»(١).

٧ ـ العقل والفطنة والذكاء والذوق السليم:

تستلزم الخطابة الحسينيّة الحديث عن مواضيع متنوّعة، وأُمور مختلفة: اجتماعيّة، وعقائديّة، وسياسيّة، وتاريخيّة، واقتصاديّة، وتربويّة، وغير ذلك.

---

(١) نهج البلاغة: الحكمة ١٧٥.

والمجالس الحسينيّة يحضرها أصحاب الثقافات العالية، والناس المتوسطون، والناس العاديون، فهذا عالِم، وذاك مثقّف، وهذا متوسط الثقافة، وذاك أُمّي.

والمستمعون يختلفون في أهوائهم، وميولهم، ونوازعهم، خصوصاً في زماننا الذي كثرت فيه الاتّجاهات الفكريّة، والعقائديّة، والسياسيّة، والاجتماعيّة.

والخطيب قد يواجه أحياناً ظروفاً صعبة، ومواقف محرجة من قبل السلطة، أو المستمعين، أو أصحاب المجالس، أو غيرهم، فمن الضروري أن يكون الخطيب علىٰ درجة كبيرة من العقل والفطنة والذكاء والوعي، فيتدبّر الأُمور، ويتصرّف تصرّف الحكيم الحاذق، فينتخب الموضوع أو البحث المناسب للزمان والمكان، والنافع للمستمعين، والملائم للظروف والأحوال، فيعرف ماذا يقول، وكيف يقول، ومتىٰ يقول.

قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «**كلامُ الرجل ميزانُ عقله**»[(١)].

وقال أيضاً: «**يُنبئُ عن عقل كلّ امرئ لسانُه، ويدلّ علىٰ فضله بَيانه**»[(٢)].

«حُكي أنّ البادية قحطت في أيّام هشام بن عبد الملك الأُموي، فقدمت عليه العرب، فهابوا أن يُكلّموه، وكان فيهم درواس بن حبيب وهو ابن ست عشرة سَنَة، له ذؤابة، وعليه شملتان، فوقعَتْ عليه عين هشام، فقال لحاجبه: ماشاء أحدٌ أن يَدخُلَ عليّ إلّا دَخَل حتىٰ الصبيان! فوثب درواس حتىٰ وقف بين يديه مطرقاً وقال: يا أمير المؤمنين، إنّ للكلام نشراً وطيّاً، وإنّه لا يُعرف ما

(١) تصنيف غُرر الحكم: ٢٠٩، الحكمة ٤٠٣٢.

(٢) تصنيف غُرر الحكم: ٢٠٩، الحكمة ٤٠٢٨.

في طيّه إلّا بنشره، فإن أذن لي أمير المؤمنين أن أنشره نشرته، فأعجبه كلامه، وقال له: أنشره لله درّك، فقال: يا أمير المؤمين، إنّه أصابتنا سنون ثلاث: سنة أذابت الشحم، وسنة أكلت اللحم، وسنة دقّت العظم، وفي أيديكم فضول مال، فإن كانت لله ففرّقوها علىٰ عباده، وإن كانت لهم، فعلامَ تحبسونها عنهم؟ وإن كانت لكم، فتصدّقوا بها عليهم، فإنّ الله يجزي المتصدّقين، فقال هشام: ماترك الغلام لنا في واحدة من الثلاث عذراً، فأمر للبوادي بمئة ألف دينار، وله بمئة ألف درهم، ثم قال له: ألك حاجة؟ قال: مالي حاجة في خاصّة نفسي دون عامّة المسلمين. فخرج من عنده وهو من أجلّ القوم»[١].

استطاع هذا الشاب العاقل الذكي أن يتصرّف تصرّفاً سليماً، ويتكلّم كلاماً مناسباً، فأدرك بُغيته، واستحصل غايته. وهكذا كلّ خطيب عاقل فطن ذكي يُقدِّر الظروف والمناسبات، فيضع الأشياء مواضعها.

قيل لأمير المؤمنين عليه السلام: «صف لنا العاقل، فقال: هو الذي يضع الشيء مواضعه. فقيل: فصف لنا الجاهل، فقال: قد فعلت. قال السيد الرضي: يعني إنّ الجاهل هو الذي لا يضع الشيء مواضعه، فكان ترك صفته، صفةً له إذ كان بخلاف وصف العاقل»[٢].

كما أنّه لا ينطق ولا يتكلّم حتىٰ يفكّر في عواقب كلامه ليسلم من الزلل والأخطاء ولا يقع في المهالك. قال الإمام علي عليه السلام: «فكِّرْ ثم تكلَّمْ تسلمْ من الزلل»[٣]، وقال عليه السلام: «لسان العاقل وراء قلبه وقلب الأحمق وراء لسانه»[٤] قال

(١) المستطرف ١: ١٠٨.

(٢) نهج البلاغة: الحكمة ٢٣٥.

(٣) معجم ألفاظ غرر الحكم: (فكر).

(٤) نهج البلاغة: الحكمة ٤٠.

السيِّد الرضي: «وهذا من المعاني العجيبة الشريفة، والمراد به أنّ العاقل لا يطلق لسانه إلّا بعد مشاورة الرويّة ومؤامرة الفكرة، والأحمق تسبق حَذَفاتُ لسانه وفَلَتاتُ كلامه مراجعةَ فكره ومماخذة رأيه، فكأنّ لسان العاقل تابع لقلبه، وكأنّ قلب الأحمق تابع للسانه» أي إنّ العاقل لا يقول شيئاً حتىٰ يمرّ به علىٰ قلبه (أي عقله)، فإن أقرّه العقل تكلّم به، وإلّا سكت؛ لأنّ «اللسان سَبُع إن خُلّي عنه عَقَرَ»[(١)].

قال ابن السكّيت[(٢)]:

يُصاب الفتىٰ من عَثرةٍ بلسانه ... وليس يُصاب المرء من عثرة الرِجل
فعثرتُهُ في القولِ تُذهبُ رأسه ... وعثرته في الرِجل تبرأ عن مهل[(٣)]

---

(١) نهج البلاغة: الحكمة ٦٠.

(٢) هو أبو يوسف يعقوب بن إسحاق الدَورقي الأهوازي الإمامي النحوي اللغوي الأديب، كان المتوكّل العباسي قد ألزمه تأديب وتعليم ولديه المعتز والمؤيّد. فقال له يوماً: أيّما أحب إليك ابناي هذان أم الحسن والحسين؟ فقال ابن السكّيت والله إنّ قنبرَ خادم علي بن أبي طالب خيرٌ منك ومن ابنيك، فقال المتوكّل للأتراك: سلّوا لسانه من قفاه، فسلّوا لسانه من قفاه فمات، وذلك في سنة ٢٤٤ هـ. انظر الكنىٰ والألقاب ١: ٣٠٩، ووفيّات الأعيان ٦: ٣٩٥، الرقم ٨٢٧.

(٣) وفيات الأعيان ٦: ٣٩٩، الرقم ٨٢٧، ترجمة ابن السكّيت، والكنىٰ والألقاب ١: ٣٠٩. وفي شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٨: ٨٦.

يموت الفتىٰ من عثرةٍ بلسانه ... وليس يموتُ المرء من عثرةِ الرِجل

يقول الباحث: ينبغي للخطيب أن يستعيذ بالله من عثرة اللسان؛ إذ ربّما يورد خطبة جميلة متكاملة فيأخذه العُجب بنفسه، أو يحسده بعض من أُعجب بخطبته، فتصدر من الخطيب كلمة غير مناسبة تكون كذبابة تقع في الطعام الطيّب فتخبثه. حدّثني أحد الخطباء أنّ خطيباً كبيراً قرأ مرّة في فاتحةِ زوجةِ أحد العلماء فحلّق في خطبته وأُعجب الحاضرون به، ولمّا وصل إلىٰ التعزية قرأ مصيبة الزهراء عليها السلام وذَكرَ وصيّتها للإمام علي عليه السلام وأنّها قالت له: ←

وقال أحد الأُدباء في هذا المعنىٰ:

احفظ لسانك أيّها الإنسان لا يلدغنّك إنّه ثعبانُ

كم في المقابر من قتيل لسانه كانت تهاب لقاءه الشجعانُ[1]

ثم إنّ الخطيب العاقل الفطن يكون عالماً وبصيراً بزمانه وأهل زمانه، فلا تلتبس عليه الأُمور، ولا تضيق عليه السُبُل. كما أنّه يعرف قَدْرَهُ فلا يتجاوز حَدَّه، ولا يُغريه المديح والثناء، ولا كثرة الناس حوله.

قال الإمام علي عليه السلام: «مَن وقَفَ عند قَدْرِهِ أكرمه الناس، ومَن تَعدّىٰ حدّه أهانه الناس»[2].

٨ ـ سلامة الجسم وقوّته:

التكلّم بصورة متواصلة وبقوّة وحرارة يتطلّب صرف طاقات جسميّة وفكريّة كبيرة، والخطيب يبذل جُهداً فكريّاً وجسميّاً كثيراً أثناء إلقائه الخطبة.

أمّا الجهد الفكري: فلأنّه يتذكّر باستمرار وبصورة سريعة ما أعدّه من مواد وأجزاء للخطبة، من نصوص وشواهد وأدلّة قرآنيّة وحديثيّة وأدبيّة وتاريخيّة وغير ذلك، ويوردها بصورة منظّمة ومتسلسلة وبدون توقّف وتريّث، مع مراعاة الناحية الفنّية والتأثير والإقناع، وأخيراً، تهييج العواطف واسترقاق القلوب واستدرار الدموع، فهو في الواقع في امتحان شفهيٍّ عسير.

← «غسّلني من وراء الثياب ولا تكشفنّ عنّي»، وهنا ألقىٰ الشيطان علىٰ لسانه فقال: «لا تكشفنّ مغطّاً» فذهب بحرارة المجلس وبهاء الخطبة؛ لأنّ الناس يحفظون باقي الشعر وهو «فلربّما كشّفتَ جيفة»، وهذا ما لا يناسب مقام الصدّيقة فاطمة عليها السلام.

(١) جواهر الأدب ٢: ٤٨٤.

(٢) معجم ألفاظ غرر الحكم: (قدر).

وأمّا الجهد الجسمي: فلأنّه عندما يتحدّث بصورة متواصلة وبقوّة يكون جسمه كلّه في حالة تعبئةٍ عامّة؛ ولذا تتضاعف دقّات قلبه، ويُسرع دوران الدم في جسمه، فترتفع حرارة بدنه فيتصبّب عرقاً، ويشعر بتعبٍ شديد.

فهو يُجهد (الدورة الدموية) في جسمه المكوّنة من القلب والأوعية الدمويّة أو الشرايين والأوردة، والأوعية الشَعرية أو الشُعيرات.

كما يُجهد جهازه الصوتي والتنفسي المكوَّن من الرئتين والقصبة الهوائية والحنجرة والأوتار الصوتيّة والأنف، إضافة إلىٰ اللسان والفم والشفتين.

وكذلك يُجهد جهازه العصبي أو المجموع العصبي، وهو: «الجهاز الحيوي الذي يقوم بجميع ظواهر الحياة فبواسطته نتحرّك ونحس ونذوق ونشم وننظر ونسمع ونتكلّم ونعقل ونحب ونكره ونخاف ونحزن ونفرح... وليس كلّ ذلك فقط، بل يُنظّم فوائد الأجهزة الخاصّة بتغذية الجسم ونموّه وإفرازه وتنفّسه لصالح المجموع الجثماني، وبدونه لا يكون للجسم إحساسٌ ولا حركة»(١).

إنّ الخطيب بحاجة إلىٰ سلامة الجسم والقوىٰ، خصوصاً الأعضاء التي يستخدمها أكثر أثناء الخطبة كالجهاز الصوتي والدموي والعصبي وأن يكون

(١) الإنسان لعلي فكري ٣: ٦، وأضاف قائلاً: «والأعصاب الموجودة بالجسم ثلاثة أنواع:
١ ـ الأعصاب الحسّاسة: وهي التي لا تنقل أليافها إلّا التيّارات الخاصّة بالإحساس.
٢ ـ الأعصاب المحرّكة: وهي التي لا تنقل أليافها إلّا التيّارات الخاصّة بالحركة.
٣ ـ الأعصاب المختلطة: وتنقل تيّارات الحسّ والحركة، وهي التي تكون بعض أليافها محركاً والبعض الآخر حسّاساً.
وعدد الأعصاب الموزّعة في الجسم ٤٣ زوجاً، منها ١٢ تنبعث من الدماغ إلىٰ الوجه والعينين والأذنين والأنف واللسان.
و ٣١ تخرج من النخاع الشوكي إلىٰ جميع أعضاء الجسم متفرّعة من صغير إلىٰ أصغر». الإنسان لعلي فكري ٣: ٩.

معافىً من أيّ أَلَم، لأنّ الشعور بالألَم يمنعه من تركيز ذهنه وتذكُّر محفوظاته والاستمرار في أداء عمله.

قيل لأحد الخلفاء: «لقد أسرع إليك الشيب، فقال: كيف لا يُسرع إليّ الشيب وأنا أعرض عقلي علىٰ الناس في الأُسبوع مرّة؟»[١]، فكيف بالخطيب الحسيني الذي يُلقي في بعض الأيّام عدّة خُطب؟

إنّ الخطيب يقوم بتحضير موادّ الخطبة ثم تنسيقها وتنظيمها ثم حفظ النصوص من آيات وأحاديث وخطب وأشعار وحوادث وغيرها، وهذه الأُمور بحاجة إلىٰ بذل جهود كثيرة، إضافة إلىٰ ما يُعانيه جسميّاً وفكريّاً عند إلقاء الخطبة.

ومن أشدّ الأُمور علىٰ الخطيب والذي يُقلق باله كثيراً تخوّفُه من عدم نجاحه في الخُطبة، والخوف يهدّ القوىٰ، فإنّه قبل صعوده المنبر يكون شديد القلق، منشغل البال في حالة غير اعتيادية؛ لِمَا يشعر به من صعوبة العمل الذي سيقوم به، تماماً كحالة الطلّاب قبل دخولهم قاعة الامتحان وفي أثنائه؛ لأنّ أيّ خطيب لا يضمن نجاح خطبته بصورة كاملة، فتراه بعد إلقاء الخُطبة ينظر إلىٰ المستمعين ليتبيّن منهم مدىٰ توفيقه، أو يتساءل عن مدىٰ نجاحه.

إنّ الأمر في عصرنا أشق وأصعب؛ لأنّ الخطيب في القديم كان يُهيّئ مئة إلىٰ مئة وخمسين محاضرة أو خطبة يقرأها ويكررها عشرات السنين؛ إذ لا يحفظ المستمعون ما سمعوه منه قبل عام أو عامين.

أمّا اليوم ومع وجود أدوات التسجيل لا يمكنه التكرار والإعادة لأنّه ﴿ما يَلْفِظُ مِنْ قَولٍ إلّا لَدَيهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾[٢] فتُسجّل محاضرته وتُنشر.

---

(١) أي في خطبة الجمعة.

(٢) سورة ق: ١٨.

سمعتُ أحد أساتذة الخطباء يقول: «لو كان التسجيل موجوداً أيّام شبابي ما صرتُ خطيباً! قلت لماذا؟ قال: لأنّني أُهيّئ المحاضرة أو الخطبة في أُسبوع علىٰ الأقل وأحفظها في أُسبوع، فبمجرّد أن أقرأها تُسجَّل وتُؤخذ منّي ولا أقدر أن أُعيد قراءتها لأنّها مسموعة، فأضطر إلىٰ تحضير خطبة أُخرىٰ».

فالخطيب في عصرنا بحاجة إلىٰ مضاعفة الجهود وبذل الطاقات أكثر من الماضي.

وهناك حقيقة ينبغي لي ذكرها هنا وهي: إنّ الأدوات والوسائل الحديثة كالكمبيوتر والأقراص المسجّلة والأشرطة السمعية والبصرية والمعاجم وأمثالها، ذلّلت الكثير من الصعوبات التي كان يُعاني منها روّاد العلم والمعرفة في سبيل استخراج الآية أو الحديث أو الكلمة أو الرواية أو تكوين فكرة عن مفهوم من المفاهيم، كما أنّ التلميذ كان يتلقّىٰ من أُستاذه القصيدة والخُطبة والرواية، واليوم أكثر هذه الأشياء مسجّلة أو مطبوعة، ولكن الأستاذ له دور كبير في توجيه التلميذ وتعليمه الأسس الفنّية والخطوات الصحيحة التي يجب إتّباعها في العمل الخطابي، وعرض المعلومات عليه خصوصاً الشِعر بقسميه: الفصيح والشعبي.

٩ ـ موهبة الخطابة:

قسّم الله تعالىٰ مواهب واستعدادات مختلفة بين خلقه، فهذا أعطاه موهبة التجارة، وذاك أعطاه موهبة الطبّ وهكذا. والإنسان إذا عرف موهبته ونمّاها، وربّاها، ومارسها نجح في حياته، ووُفِّق في عمله.

والخطابة من جملة المواهب التي يهبها الله تعالىٰ لبعض عباده، فمن

الضروري لمن يريد أن يمارس الخطابة أن يكون مزوّداً بهذه الموهبة إضافة إلىٰ المؤهّلات الذاتيّة الأُخرىٰ، حتىٰ يُوفَّق في عمله الخطابي؛ لأنّ الخطابة «وظيفة شاقّة؛ إذ إنّها تعتمد ـ بالإضافة إلىٰ معرفة هذه الصناعة ـ علىٰ مواهب الخطيب الشخصية التي تُصقل بالتمرين والتجارب ولا تُكتسب بهذه الصناعة ولا بغيرها، وإنّما وظيفة هذه الصناعة توجيه تلك المواهب وإعداد ما يلزم لمعرفة طرق اكتساب مَلَكة الخطابة، مع المران الطويل وكثرة التجارب»[1].

ثم إنّ الإنسان المزوّد بموهبة خاصّة يؤدّي عمله بشوق ورغبة من غير تكلّف، كما يحاول باستمرار خدمة عمله وتطويره. قال رسول الله ﷺ: «اعملوا فكلٌّ ميسّرٌ لِمَا خُلُقَ له»[2].

إنّ الخطيب الحسيني لابدّ من أن تجتمع فيه ما ذكرناه من خصائص ومؤهّلات، وإضافة إلىٰ ذلك يحتاج إلىٰ نيّةٍ صادقة وتوفيق من الله تعالىٰ ليكون من خَدَمة الإمام الحسين عليه السلام، ومن الدّعاة إلىٰ الله والأدلّاء علىٰ مرضاته.

---

(١) المنطق للشيخ المظفر: ٤١٥.

(٢) سفينة البحار: (يسر).

ثانياً
المواصفات والمؤهّلات العلميّة للخطيب[1]

من وظائف الخطيب الحسيني توجيه الناس وتوعيتهم وتـربيتهم وتـثقيفهم بالثقافة الإسلامية، وإرشادهم ودعوتهم إلىٰ الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهذه الأُمور تستوجب علم الخـطيب بـالإسلام: عـقائده وأحكـامه وأخلاقياته وسائر شئونه، وهو ما يُصطلح عليه بالتفقّه في الدّين. قال رسول الله ﷺ: «ما عُبد الله بشيء أفضل من الفقه في الدين»[2].

وقال: «لكل شيء دِعامة ودِعامة هذا الدين الفقه...»[3].

وقال: «تفقّهوا في دين الله فإنّ الفقه مفتاح البصيرة، وتمام العبادة، والسـبب إلىٰ المنازل الرفيعة والرتب الجليلة في الدين والدنيا، وفضل الفقيه عـلىٰ العـابد كفضل الشمس علىٰ الكواكب، ومَن لم يتفقّه في دينه لم يَرضَ اللهُ له عملا»[4].

---

(١) يُطلق الخطيب أو الخطيب الحسيني في المجتمع الشيعي: عـلىٰ مَـن يُـعالج فـي خُـطَبه ومحاضراته قضايا متعدّدة، ويمتاز بثقافة واسعة ومواهب عالية. كما يُـقصد مـن القـارئ الحسيني أو الروضه خون: الذي يكتفي بذكر السيرة الحسينية ولا يتوسّع في الخُطبة.

(٢) كنز العمال ١٠: ١٤٧، الحديث ٢٨٧٥٢.

(٣) كنز العمال ١٠: ١٥٠، الحديث ٢٨٧٦٨.

(٤) البحار ٧٨: ٣٢١.

وقال أبو عبد الله الصادق عليه السلام: «تفقّهوا في دين الله ولا تكونوا أعراباً، فإنّه مَن لم يتفقّه في دين الله لم ينظر الله إليه يوم القيامة، ولم يزكِّ له عملا»(١).

وقال أيضاً: «تفقّهوا في الدين، فإنّه مَن لم يتفقّه منكم فهو أعرابي، إنّ الله تعالىٰ يقول في كتابه ﴿لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدين ولِيُنذِروا قومَهُم إذا رَجَعُوا إليهِم لَعَلَّهُم يَحذَرُونَ﴾(٢)»(٣).

قال السيّد الطباطبائي في تفسيره للآية: «إنّ المراد بالتفقّه تفهّم جميع المعارف الدينيّة من أُصول وفروع، لا خصوص الأحكام العمليّة وهو الفقه المصطلح عليه عند المتشرّعة، والدليل عليه قوله تعالىٰ: ﴿لِيُنذِروا قَومَهم﴾ فإنّ ذلك أمرٌ إنّما يتمّ بالتفقّه في جميع الدين وهو ظاهر»(٤).

وكلّما كان الخطيب أكثر علماً وأوسع معرفةً كان أكثر عطاءً وفائدةً.

ثم إنّ الثقافة اليوم انتشرت ووسائل المعرفة كثرت، وكثير من الناس صاروا أهل معرفة وإطّلاع وثقافة، فلابدّ للخطيب أن يكون علىٰ مستوى عالٍ في الثقافة والعلم حتىٰ يُستفاد منه. «إنّ المنبر جزء لا ينفصل عن الوضعيّة الثقافيّة العامّة من حيث الغنىٰ في الأبعاد العلميّة، وانعكاس التطوّرات التقنيّة علىٰ مُجمل الأفكار، ونضوج الوعي بضرورة مواكبة المنبر للحركات الثقافيّة، وارتفاع مستوىٰ الفرد حضاريّاً في كلّ النشاطات الثقافيّة»(٥).

---

(١) المحاسن للبرقي ١: ٣٥٨، الحديث ٧٦٢.
(٢) سورة التوبة: ١٢٢، والآية بكاملها: ﴿وما كانَ المُؤمنونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فلَولا نَفَرَ مِن كلِّ فرقةٍ منهُم طائفةٌ لِيَتَفَقَّهوا في الدين ولِيُنذِرُوا قَومَهم إذا رَجَعُوا إليهِم لَعَلَّهم يَحذَرُونَ﴾.
(٣) المحاسن للبرقي ١: ٣٥٨، الحديث ٧٦٣.
(٤) الميزان في تفسير القرآن ٩: ٤١٩، تفسير الآية ١٢٢ من سورة التوبة.
(٥) تجاربي مع المنبر للدكتور الشيخ أحمد الوائلي: ١٩٨.

«إنّ رسالة المنبر بناء الأجيال، وقد أصبحت مسئوليّات الخطباء ثقيلة، ومهمّتهم شاقّة بعد أن صعد الزمان بأهله، ووُضِع المنبر مباشرة أمام سمع العالم وبصره عن طريق وسائل الإعلام المرئيّة والمسموعة، وصار الناس يستمعون إلىٰ أُطروحاتنا ويقرأون عقولنا وأفكارنا ليحكموا عليها بعد ذلك بما يَرفع أو يَضع، ومع نتيجة الحكم يتعزّز مكان المنبر من الساحتين الإسلاميّة والإنسانيّة، فهل هناك ما هو أكثر حفزاً لنا علىٰ مضاعفة الجهد والعمل الدؤوب من أجل أن نكون أو لا نكون؟»[١].

فعلىٰ هذا الأساس لابدّ للخطيب من أن يكون مؤهّلاً علميّاً ليؤدّي رسالته كاملةً وافية. فبالدرجة الأُولىٰ عليه أن يُتقن العلوم الإسلاميّة وبالأخصّ الدروس الحوزويّة، وأن يطالع الكتب التي لم تدرّس عادةً في الحوزات العلميّة ولكن لها تأثير في زيادة المعرفة مع الإستفادة من العلوم الحديثة.

فمن العلوم التي يجب على الخطيب معرفتها:

١ ـ قواعد اللغة العربيّة:

أي علم النحو والصرف، فإنَّ مراعاة قواعد اللغة العربية تصون اللسان من الخطأ، وهي للخطيب كالسلاح للمقاتل. ثم من دونها لا يمكن فهم النصوص القرآنيّة والحديثيّة والخبريّة.

قال الكسائي (الأديب النحوي): «اجتمعت أنا وأبو يوسف القاضي (الفقيه) عند هارون الرشيد، فجعل أبو يوسف يذمّ النحو ويقول: وما النحو؟ فقلتُ، وأَردتُ أن أُعلِمه فضل النحو: ما تقول في رجل قال لرجل: أنا قاتِلُ غلامِك؟ وقال له آخر: أنا قاتلٌ غلامَك؟ أيّهما كنتَ تأخذُ به؟ قال أبو يوسف: آخذهما

(١) تجاربي مع المنبر: ١٢٤.

جميعاً، فقال له هارون: أخطأتَ، وكان له علمٌ بالعربية، فاستحيا أبو يوسف وقال: كيف ذلك؟ قال الذي يؤخذ بقتل الغلام هو الذي قال: أنا قاتلُ غلامِك ـ بالإضافة ـ لأنّه فِعْلُ ماضٍ، وأمّا الذي قال: أنـا قـاتلٌ غـلامَك ـ بـالنصب ـ فلا يؤخذ؛ لأنّه مستقبل لم يكن بعد، كما قال الله عزوجل: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فاعِلٌ ذٰلِكَ غَداً * إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللّٰهُ﴾[١] فلولا أنّ التنوين مستقبل ما جاز فيه (غداً). فكان أبو يوسف بعد ذلك يمدح العربيّة والنحو»[٢].

وكُتب القواعد العربيّة كثيرة، منها:

(الأُجروميّة) لمحمد بن محمد بن داود الصنهاجي.

(قطر الندىٰ وبلّ الصدىٰ) لابن هشام عبد الله بن يوسف بن أحمد.

(ألفية ابن مالـك) أُرجوزة في النحو نظمها مـحمّد بـن عـبد الله بـن مـالك الطائي.

(شرح ألفيّة ابن مالك) لابن الناظم.

(شرح ألفيّة ابن مالك) المعروف بشرح ابن عقيل، للقاضي بهاء الدين عبد الله ابن عقيل العقيلي الهمداني.

(مغني اللبيب من كتب الأعاريب) لابن هشام.

(دراسات في قواعد العربية) للشيخ عبد المهدي مطر.

٢ ـ المنطق:

عرّفوا علم المنطق بأنّه «آلة قانونية تعصم مراعاتها الذهن عن الخطأ فـي

---

(١) سورة الكهف: ٢٣ و ٢٤.

(٢) معجم الأُدباء لياقوت الحموي ١٣: ١٧٦.

التفكير»[١]، فهو علمُ منهج الاستدلال العلمي والعقلي الصحيح الذي ترتكز عليه جميع العلوم الإسلاميّة. إنّ كُتب المنطق المعروفة هي:

(الحاشية) لملّا عبد الله شهاب الدين حسين اليزدي.

(تحرير القواعد المنطقية في شرح الرسالة الشمسيّة) لقطب الدين محمد الرازي.

(المنطق) للشيخ محمد رضا المظفر.

(خلاصة المنطق) للدكتور عبد الهادي الفضلي.

٣ ـ الفقه:

كلّ عمل يعمله المسلم يشمله أحد العناوين التالية: الوجوب، الحرمة، الاستحباب، الكراهية، الإباحة. فاللازم للخطيب أن يدرس دورة فقه كاملة حتىٰ يعرف أحكام الإسلام؛ لأنّه يتطرّق عادةً في أثناء خطبته إلىٰ أحكام الشريعة ويدعو إلىٰ تطبيقها، فلابدّ من أن يكون عارفاً عالماً بأحكام الله حتّىٰ يتحدّث عنها ويدعو إليها.

إنّ علم الفقه هو: علم الأحكام الشرعية أو الوظائف العمليّة[٢]، وبعبارة أُخرىٰ: علم الحلال والحرام.

قال الإمام محمّد الباقر عليه السلام: «سارعوا في طلب العلم، فوالذي نفسي بيده لَحديثٌ واحد في حلال وحرام تأخذه عن صادقٍ خير من الدنيا وما حملت من ذهب وفضّة، وذلك أنّ الله تعالىٰ يقول: ﴿مَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ

---

(١) المنطق للشيخ المظفر: ١٠.

(٢) الأُصول العامّة للفقه المقارن للسيّد محمّد تقي الحكيم: ١٥.

وَمٰا نَهٰاكُمْ عَنهُ فَانْتَهُوا﴾[(١)]»[(٢)].

وفي رواية محمّد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام قال: «تفقّهوا في الحلال والحرام وإلّا فأنتم أعراب»[(٣)].

وعن جابر [الجعفي] عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال لي: «يا جابر، والله لَحديثٌ تصيبه من صادق في حلال وحرام، خير لك ممّا طلعت عليه الشمس حتّىٰ تغرب»[(٤)].

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «حديث في حلال وحرام تأخذه من صادق خير من الدنيا وما فيها من ذهب أو فضّة»[(٥)].

إنّ الكتب الفقهية كثيرة وأشهرها هي:

(تبصرة المتعلّمِين) و(المختصر النافع في فقه الإماميّة) و(شرائع الإسلام في مسائل الحلال والحرام) للمحقّق الحلّي نجم الدين جعفر بن الحسن.

(اللمعة الدمشقية) للشهيد الأوّل الشيخ محمد بن جمال الدين مكّي العاملي الجزّيني.

(الروضة البهيّة في شرح اللمعة الدمشقية) للشيخ زين الدين الجبعي العاملي.

(المكاسب المحرّمة) للشيخ مرتضىٰ الأنصاري.

ولكتاب المكاسب المحرّمة وتبصرة المتعلمين وشرايع الاسلام شروح كثيرة.

---

(١) سورة الحشر: ٧.

(٢) المحاسن للبرقي ١: ٣٥٦، الحديث ٧٥٥.

(٣) المحاسن للبرقي ١: ٣٥٦، الحديث ٧٥٧.

(٤) المحاسن للبرقي ١: ٣٥٦، الحديث ٧٥٦.

(٥) المحاسن للبرقي ١: ٣٥٨، الحديث ٧٦٦.

٤ ـ أُصول الفقه:

لا يمكن معرفة الفقه الإسلامي إلّا بدراسة أُصوله، والبحوث التي يتطرّق إليها علم أُصول الفقه تنفع الفقيه وتنفع غيره من طلاب المعرفة، لأنّه يفتح آفاقاً كثيرة علىٰ فكر الإنسان وعقله، وهو بمنزلة مفتاح لكنوز الفقه والمعرفة، وعلم الأُصول هو الأساس الذي تبتنى عليه قضايا العلوم الإسلاميّة من تفسير وحديث وفقه وسياسة واقتصاد وما إلىٰ ذلك.

وبعبارة أُخرىٰ هو علم منهج الاستدلال علىٰ مقاصد الكتاب والسنّة، فهو يشابه علم المنطق من ناحية الاستدلال، ولكنّ الفارق بينهما أنّ علم المنطق منهج للاستدلال العام والتفكير مطلقاً، وعلم الأُصول منهج لعمليّة التفكير الفقهي في استنباط الأحكام. فالواجب علىٰ الخطيب أن يدرس دورة أُصول.

إنّ كتب الأُصول كثيرة والمعروف منها:

(معالم الدين في الأُصول) المعروف بـ(معالم الأُصول) للشيخ حسن ابن الشهيد الثاني.

(قوانين الأُصول) للميرزا أبو القاسم الجيلاني.

(فرائد الأُصول) أو (الرسائل) للشيخ مرتضىٰ الأنصاري.

(كفاية الأُصول) للشيخ محمد كاظم الخراساني المعروف بالآخوند.

ولكتاب كفاية الأُصول شروح كثيرة.

(أُصول الفقه) للشيخ محمد رضا المظفر.

(المعالم الجديدة في الأُصول) و(دروس في علم الأُصول) للسيّد الشهيد محمد باقر الصدر.

(الحلقة الثالثة في أُسلوبها الثاني) للشيخ باقر الإيرواني.

(الأُصول العامّة للفقه المقارن) للسيد محمد تقي الحكيم.

٥ ـ الحديث أو (دراية الحديث):

لمعرفة كتاب الله والسنّة النبويّة الشريفة والعقائد والأخلاقيّات لابدّ من مراجعة الأحاديث والروايات الواردة فيها، فمعرفة أُصول الحديث ضروريّة؛ لأنّ الحديث فيه: المطلق والمقيّد، والعام والخاص، والصحيح والحَسن والموثّق والضعيف والمرسل، وغير ذلك.

فمن كتب الحديث المعروفة:

(الدراية) للشهيد الثاني زين الدين الجبعي العاملي.

(ضياء الدراية) للسيد ضياء الدين العلاّمة.

(أُصول الحديث وأحكامه في علم الدراية) للشيخ جعفر السبحاني.

إنّ معرفة نوع الحديث والرواية ليس خاصّاً بالسنّة النبوية والأحكام الشرعية، بل هو عامّ في كلّ المعارف الإسلاميّة، حتّىٰ العقائد والتفسير والتاريخ وقصص الأنبياء.

٦ ـ الرجال:

أي معرفة رجال الحديث أو سند الحديث. وهذا العلم يشترك مع علم الحديث والدراية؛ لأنّ علم الحديث يدرس رجال السند ومتن الحديث، أمّا علم الرجال فيدرس الرجال فقط: طبقاتهم، ووثاقتهم. وفي الحقيقة أنّ علم الرجال مقدّمة لعلم الحديث، والإطّلاع علىٰ هذا العلم يساعد كثيراً في معرفة الأخبار الصحيحة من غيرها.

وكتب الرجال كثيرة، منها:

(كتاب الفهرست) و (رجال الطوسي) للشيخ الطوسي محمد بن الحسن بن علي.

(رجال الكشي) أو (معرفة الرجال) للشيخ محمد بن عمر بن عبد العزيز الكشي.

(اختيار معرفة الرجال) المعروف برجال الكشّي للشيخ الطوسي.

(رجال النجاشي) للشيخ أحمد بن علي بن العباس النجاشي.

(رجال العلّامة الحلّي) للشيخ حسن بن يوسف بن علي بن المطهّر الحلّي.

(رجال السيد بحر العلوم) للسيد محمد مهدي بحر العلوم.

(أمل الآمل) للشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي.

(تنقيح المقال في علم الرجال) للشيخ عبد الله المامقاني.

(معجم رجال الحديث وتفصيل طبقات الرواة) للسيد ابو القاسم الخوئي.

(قاموس الرجال) للشيخ محمد تقي التستري.

(في القواعد الرجاليّة) للشيخ باقر الإيرواني.

(بحوث في مباني علم الرجال) للشيخ محمد سند.

٧ ـ العلوم القرآنيّة:

إنّ أساس الإسلام ودستوره هو القرآن الكريم، وهو المعجزة الخالدة لرسول الله ﷺ. قال أمير المؤمنين عليه السلام: «إنّ القرآن ظاهرُهُ أنيقٌ وباطنه عميق، لا تفنىٰ عجائبه ولا تَنقضي غرائبه، ولا تُكشف الظلمات إلّا به»[١].

(١) نهج البلاغة، الخطبة ١٨.

فتجب معرفة علوم القرآن للاستعانة بها في أداء رسالة الخطابة.

والعلوم القرآنيّة كثيرة، والضروري منها:

أ ـ القراءة الصحيحة حسب أُصول التجويد: أي مراعاة الحروف الشمسيّة والقمريّة، والإدغام، والمَد، والقطع، والوصل، والوقف، وغير ذلك.

ب ـ معرفة أسباب النزول: تُذكر أحياناً لنزول بعض الآيات أسباب، فبعضها من المصداق، وبعضها من الجري، وبعضها من البطن، وهكذا[١].

ج ـ معرفة نوع الآية: فإنّ القرآن الكريم يحتوي علىٰ آيات: عقائديّة، وأخلاقيّة، وتاريخيّة، وتربويّة، وآيات الأحكام، وغير ذلك.

ثم إنّ هناك آيات مطلقة ومقيّدة، وعامّة وخاصّة، وناسخة ومنسوخة، ومحكمة ومتشابهة، ومجملة ومبيّنة، لابدّ من معرفتها.

د ـ معرفة التفسير والتأويل: هناك آيات يؤخذ بمعناها الظاهري أي تُفسّر بحسب المعنىٰ اللغوي، مثل قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾[٢].

وهناك آيات لا يتّفق معناها الظاهري مع العدالة والعقيدة الحقّة، فلابدّ من تأويلها تأويلاً مناسباً كقوله تعالىٰ: ﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلْآخِرَةِ أَعْمَىٰ﴾[٣].

وقوله: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْها فَانٍ * وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الجَلالِ وَالإِكْرامِ﴾[٤].

وقوله: ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾[٥].

---

(١) أُنظر (تصدير) الميزان في تفسير القرآن: صفحة (ي).

(٢) سورة الإخلاص: ١.

(٣) سورة الإسراء: ٧٢.

(٤) سورة الرحمن: ٢٦ ـ ٢٧.

(٥) سورة الفتح: ١٠.

وقوله: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾(١).

وقوله: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾(٢).

فالمراد من العمىٰ، عمىٰ القلب عن النظر إلىٰ آيات الله وبيّناته، كما قال سبحانه: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾(٣).

والمراد من (اليد) السلطة والقدرة، والمراد من (استوىٰ) أي تسلّط، والمقصود من قوله: ﴿إلىٰ ربّها ناظرة﴾ أي إلىٰ رحمة ربّها ناظرة لتشملهم هذه الرحمة، فإنّ الله تعالىٰ يقول: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾(٤).

وقال سبحانه: ﴿لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾(٥).

فلو كان لله تعالىٰ وجهٌ أو يدٌ أو غير ذلك من الجوارح والأعضاء المادّية لكان يُرىٰ وتُدركه الأبصار ويُشبه الآخرين، ولو كان جسماً لكان محتاجاً إلىٰ حيّز ومكان، وكان مركّباً من أعضاء متعدّدة يحتاج إليها. إلىٰ آخر ما هنالك من إشكالات علىٰ حمل هذه الآيات علىٰ ظاهرها وعدم تأويلها التأويل المناسب.

وهذا النوع من أظهر أقسام التأويل، وله أقسام أُخر(٦).

---

(١) سورة طه: ٥.

(٢) سورة القيامة: ٢٢ ـ ٢٣.

(٣) سورة الحج: ٤٦.

(٤) سورة الشورىٰ: ١١.

(٥) سورة الأنعام: ١٠٣.

(٦) أنظر الميزان في تفسير القرآن ٣: ٥١.

هـ ـ معرفة اختلاف القراءات لمعرفة المقصود منها: مثل قوله تعالىٰ: ﴿فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ (يَطَّهَّرْنَ)﴾[(١)].

فعلىٰ قراءة «يَطْهُرْنَ» أي يطهرن من الحيض، وعلىٰ قراءة «يَطَّهَّرْنَ» أي يغتسلن من الحيض.

و ـ دراسة تاريخ القرآن: وكيفية نزوله ونظمه وجمعه، وترتيب السور والآيات. ومن الكتب المؤلّفة في هذا العلم:

(تاريخ القرآن) لأبي عبد الله الزنجاني.

(لمحات من تاريخ القرآن) للسيد محمد علي الأُشيقر.

(تاريخ القرآن وغرائب رسمه وحكمه) لمحمد طاهر بن عبد القادر الكردي.

ز ـ معرفة المصطلحات القرآنية: كالتنزيل والتأويل، والناسخ والمنسوخ، والُمحكم والمتشابه، والُمجمل والمُبيّن، والمطلق والمقيّد، والعامّ والخاصّ. وقد كُتبت في العلوم القرآنية كُتب كثيرة، منها:

(الإتقان في علوم القرآن) لجلال الدين السيوطي.

(البيان في تفسير القرآن) للسيد أبوالقاسم الخوئي.

(علوم القرآن) للسيد محمد باقر الحكيم.

(التمهيد في علوم القرآن) للشيخ محمّد هادي معرفة.

٨ ـ الفلسفة الإسلاميّة:

كثيراً ما يفكّر الإنسان في مبدأ الكون ومنتهاه، وقضايا الوجود والحياة، وطُرق المعرفة، وغير ذلك ممّا لا جواب له إلّا في علم الفلسفة، وكثير من

---

(١) سورة البقرة: ٢٢٢.

الأسئلة والشبهات يمكن الإجابة عنها عن طريق علم الفلسفة الذي يبحث بعمق في الأُمور المعنيّة.

إنّ علم الفلسفة يوسّع آفاق الفكر والمعرفة، ويستوجب الإطّلاع علىٰ نظريّات الفلاسفة في الوجود والحياة والكون، وأشياء أُخرى لم يتعرّض لها علم آخر.

وفي الحقيقة أنّ علم الفلسفة هو الأساس لعلم العقائد.

والمقصود من الفلسفة الإسلاميّة: (**الإلهيات بالمعنىٰ الأعم**) أو (**علم ما وراء الطبيعة**) الذي يُبحث فيه عن الوجود والعدم، والقِدَم والحدوث، والوجوب والإمكان والامتناع، والعلّة والمعلول، وغيرها من المسائل المرتبطة بالوجود بما هو هو.

ومن الكتب المعروفة في الفلسفة الإسلاميّة:

(الحكمة المتعالية في الأسفار العقليّة الأربعة) للشيخ صدر الدين محمد الشيرازي.

(المنظومة) للشيخ هادي السبزواري. وعليها شروح كثيرة.

(دروس فلسفيّة في شرح المنظومة) للأُستاذ الشهيد مرتضىٰ المطهري.

(المنهج الجديد في تعليم الفلسفة) للشيخ محمد تقي مصباح اليزدي.

(بداية الحكمة) و(نهاية الحكمة) للسيد محمد حسين الطباطبائي.

(فلسفتنا) للسيد محمد باقر الصدر.

٩ ـ العقائد الإسلاميّة أو علم الكلام(١):

إنّ علم العقائد من العلوم الأساسيّة في الدراسات الإسلاميّة والمعارف الدينيّة، وبواسطته يعرف المسلم أُصول الدين وغير ذلك من ضروريّات العقيدة، ويُعبّر عنه بـ(الإلهيات بالمعنىٰ الأخصّ) الذي «يتضمّن البحث عن الصانع وصفاته وأفعاله، ويدخل في البحث عن صفاته: البحث عن عدله، كما يدخل في البحث عن أفعاله: البحث عن النبوة والإمامة والمعاد»(٢).

فمن الضروري للخطيب أن يكون عالماً عارفاً بالأُصول العقائديّة حتّىٰ يُعلّمها الناس، ويدعوهم إلىٰ معرفة الله تعالىٰ ورسوله والأئمةعليهم‌السلام، ووجوب طاعتهم ورعاية حقوقهم.

وقد كُتبت لعلم العقائد الإسلاميّة مجموعة كتب حديثة وقديمة، منها:

(تجريد الاعتقاد) للمحقّق نصير الدين محمد بن محمد بن الحسن الطوسي المتوفّىٰ سنة ٦٧٢ هـ.

(كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد) و (مناهج اليقين في أُصول الدين) للعلّامة الحلّي جمال الدين الحسن بن يوسف بن المطهّر.

(شرح الباب الحادي عشر) لمقداد بن عبد الله السيوري، المُسمّىٰ بـ(النافع يوم الحشر)(٣).

---

(١) إنّما سمّي بعلم الكلام؛ لأنّ أوّل مسألة وقع التكلّم فيها هي: أنّه سبحانه متكلّم، أو كلام الله هل هو قديم أو حديث؟

(٢) أُنظر مقدّمة الشيخ جعفر السبحاني لكتاب كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد للعلّامة الحلّي: ٦.

(٣) قال الشيخ المقداد في مقدّمة كتاب شرح الباب الحادي عشر: «إنّما سمّىٰ هذا الباب (الحادي عشر) لأنّ المصنّف [أي العلّامة الحلّي] اختصر (مصباح المتهجد) الذي وضعه ←

(شرح الباب الحادي عشر) لأبي الفتح بن مخدوم الحسيني، المُسمّىٰ بـ (مفتاح الباب) وهناك شروح أُخرىٰ للباب الحادي عشر.

(علم اليقين في أُصول الدين) لمحمد بن المرتضىٰ المدعو بالمولىٰ محسن الكاشاني.

(محاضرات في الإلهيات) للشيخ جعفر السبحاني.

(الإلهيات علىٰ هدىٰ الكتاب والسنّة والعقل) للشيخ جعفر السبحاني.

(القواعد الكلامية) للشيخ علي الربّاني الگلبايگاني.

(عقائد الإمامية) للشيخ محمد رضا المظفر.

وقد أُلّف بعض العلماء شرحاً لهذا الكتاب:

١ ـ (بداية المعارف الإلهيّة في شرح عقائد الإمامية) للسيد محسن الخرّازي.

٢ ـ (الفوائد البهيّة في شرح عقائد الإمامية) للشيخ محمّد جميل حمّود.

(محاضرات في العقيدة الإسلاميّة) للشيخ أحمد البهادلي.

(أُصول العقائد في الإسلام) للشيخ مجتبىٰ الموسوي اللاري.

(هداية الأُمّة إلىٰ معارف الأئمة) لناظمها وشارحها الشيخ محمّد جواد الخراساني.

(القول السديد في شرح التجريد) للسيّد محمّد الحسيني الشيرازي.

← الشيخ أبو جعفر الطوسي رحمه الله في العبادات والأدعية، ورتّب ذلك المختصر علىٰ عشرة أبواب، وسمّاه كتاب (منهاج الصلاح في مختصر المصباح). ولمّا كان ذلك الكتاب في فنّ العمل والعبادات والدعاء، استدعىٰ ذلك إلىٰ معرفة المعبود والمدعو [سبحانه] فأضاف إليه هذا الباب».

١٠ ـ التأريخ الإسلامي:

إنّ دراسة التأريخ الإسلامي من ضروريّات الخطيب ليطّلع علىٰ الحوادث التي رافقت ظهور الإسلام وما جرىٰ بعد ذلك. وعلم التأريخ من العلوم المهمّة في العصر الحديث، وقد وُضعت أُصول ومناهج جديدة لدراسة التأريخ والمجتمع يحسن الإطّلاع عليها لمزيد المعرفة. ولمعرفة التأريخ الصحيح لابدّ من دراسة وتحليل الروايات التأريخية؛ لأنّ فيها الصحيح وغير الصحيح، وقد كُتبت في هذا الحقل كُتبٌ كثيرة منها:

(التاريخ والإسلام) للسيد جعفر مرتضىٰ.

(موسوعة التاريخ الإسلامي) للشيخ محمد هادي اليوسفي.

(معالم المدرستين) و (عبد الله بن سبأ) للسيد مرتضىٰ العسكري.

(مائة وخمسون صحابي مختلق) للسيد مرتضىٰ العسكري.

وممّا يجدر الإطّلاع عليه هو حياة صحابة الرسول الحبيب، ففي أخبارهم ومواقفهم كثير من العظات والعبر، والدروس العقائديّة والسلوكيّة، وهم الروّاد الأوائل للإسلام.

والكتب التي تتحدّث عن الصحابة كثيرة منها:

(الإصابة في تمييز الصحابة) لأحمد بن علي بن محمد الشافعي المعروف بابن حجر العسقلاني.

(الاستيعاب في معرفة الأصحاب) ليوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر القرطبي.

(الطبقات الكبرىٰ) لمحمد بن سعد.

(أُسد الغابة في معرفة الصحابة) لعلي بن محمد بن عبد الكريم الجزري

المعروف بابن الأثير.

(حياة الصحابة) لمحمد يوسف الكاندهلوي.

١١ ـ السيرة النبوية:

تدخل السيرة النبويّة في ضمن التأريخ الإسلامي، ونقصد منها سيرة النبيﷺ وتأريخ حياته الخاصّة والعامّة، وصفاته، وأخلاقه، وحروبه، وأعماله، وعلاقاته المختلفة الفرديّة والاجتماعيّة، فإنّ رسول اللهﷺ هو القدوة للمسلمين ولهم به أُسوة قال تعالىٰ: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾[1].

وقد كُتِبَتْ عشرات الكتب في هذا الحقل، منها:

(السيرة النبويّة) لمحمد بن إسحاق.

(السيرة النبويّة) لعبد الملك بن هشام.

(السيرة النبويّة) لأبي الفداء إسماعيل بن كثير.

(إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون) لعلي بن برهان الدين الحلبي.

(كتاب المغازي) لمحمد بن عمر بن واقد.

(امتاع الأسماع بما للرسول من الأبناء والأموال والحفدة والمتاع) لتقيّ الدين أحمد بن علي المقريزي.

(تاريخ النبي أحمد) للسيد حسن الحسيني اللواساني.

(سيرة المصطفىٰ) لهاشم معروف الحسني.

(الصحيح من سيرة الرسول الأعظم) للسيد جعفر مرتضىٰ العاملي.

(سيد المرسلين) للشيخ جعفر السبحاني.

---

(١) سورة الأحزاب: ٢١.

(حياة النبي محمّد ﷺ وسيرته) للشيخ محمّد قوام الوَشْنَوِي.

والجدير بالذكر أنّ أكثر مَن كَتَبَ في الصحابة بدأ بذكر الرسول وسيرته وحياته.

١٢ ـ سيرة أهل البيت عليهم السلام:

إنّ حياة أهل البيت عليهم السلام امتداد لحياة الرسول ﷺ، وفي سيرتهم وسلوكهم ومواقفهم كثير من العظات والعبر، فعلىٰ الخطيب الحسيني أن يدرس سيرة أهل البيت دراسة وافية لينقلها إلىٰ المسلمين ويعرّفهم بحياة آل محمّد عليهم السلام وأفكارهم وأفعالهم ومواقفهم ومناقبهم وعلومهم.

قال أبوالصلت الهروي: «سمعت أبا الحسن علي بن موسىٰ الرضا عليه السلام يقول: (رَحِمَ اللهُ عبداً أحيا أَمْرنا). فقلت له: وكيف يُحيي أمركم؟ قال عليه السلام: (يتعلّم علومنا ويُعلِّمُها الناسَ، فإنّ الناس لو عَلِموا محاسنَ كلامنا لاتَّبعونا)»[١].

والكتب التي تعرّضت لذكر سيرة أهل البيت كثيرة منها:

(الأنوار البهية في تواريخ الحجج الإلهية) للشيخ عباس القمي.

(الإرشاد في معرفة حجج الله علىٰ العباد) للشيخ المفيد محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي.

(سيرة الأبرار آل النبي الأطهار) مهدي السيد هاشم الحكيم.

(مناقب آل أبي طالب) لرشيد الدين محمد بن علي بن شهر آشوب السروي.

(إعلام الورىٰ بأعلام الهدىٰ) للفضل بن الحسن الطبرسي.

(كشف الغمّة) لعلي بن عيسىٰ الاربلي.

---

(١) عيون أخبار الرضا للشيخ الصدوق ١: ٢٤٠، والبحار ٢: ٣٠.

(تذكرة خواصّ الأُمّة) لسبط ابن الجوزي.

(مواليد أهل البيت) لابن الخشّاب.

(الفصول المهمّة في معرفة الأئمة) لابن الصباغ علي بن محمّد بن أحمد المالكي.

(مطالب السؤول) لمحمد بن طلحة الشافعي.

(أعلام الهداية) للجنة التأليف في المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام في الجمهوريّة الإسلاميّة الإيرانية.

(الذريّة الطاهرة) لأبي بشر محمّد بن أحمد بن حمّاد الأنصاري المعروف بالدولابي.

(فرائد السمطين في فضائل المرتضىٰ والبتول والسبطين والأئمة من ذريتهم عليهم السلام) لإبراهيم بن محمّد بن المؤيّد الجويني الخراساني.

(أئمتنا) لعلي محمّد علي دخيل.

(أهل البيت) لتوفيق أبو علم.

(القطرة من بحار النبي والعترة) للسيد أحمد المُستنبط.

(ينابيع المودّة لذوي القربىٰ) للشيخ سليمان بن إبراهيم القندوزي الحنفي.

(نور الأبصار في مناقب آل بيت نبي المختار) للشيخ مؤمن الشبلنجي.

(الثاقب في المناقب) لمحمد بن علي الطوسي المعروف بابن حمزة.

(حلية الأبرار في أحوال محمّد وآله الأطهار) للسيد هاشم البحراني.

(إثبات الهداة بالنصوص والمعجزات) لمحمد بن الحسن الحر العاملي.

(قادتنا كيف نعرفهم) للسيد محمد هادي الحسيني الميلاني.

(سيرة الأئمة الاثني عشر) للسيد هاشم معروف الحسني.

والجدير بالملاحظة أنّ بعض الكتب تضمّنت تاريخ النبي وآله عليهم السلام، مثل:

(أعيان الشيعة) للسيد محسن الأمين العاملي، ذكر في الأجزاء الأُولىٰ منه سيرة وحياة الأئمة المعصومين عليهم السلام.

(منتهىٰ الآمال في تواريخ النبي والآل) للشيخ عباس القمي.

(حلية الأبرار في أحوال محمد وآله الأطهار) للسيد هاشم البحراني.

(المجالس السَنِيّة في مناقب ومصائب العترة النبويّة) للسيد محسن الأمين العاملي.

(سيرة رسول الله وأهل بيته عليهم السلام) لمؤسسة البلاغ.

(الحقّ المبين في معرفة المعصومين عليهم السلام) من محاضرات الوحيد الخراساني، بقلم الشيخ علي الكوراني.

(أهل البيت في الكتاب والسنّة) للشيخ محمّد الري شهري.

(أعلام الهداية) لجنة التأليف في المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام.

وممّا يجدر ذكره هو أنّ بعض المؤلفين قديماً وحديثاً ألّفوا في بعض أهل البيت عليهم السلام كتاباً خاصّاً، فمثلاً كَتَبَ السيّد محمّد كاظم القزويني في أكثر أهل البيت عليهم السلام كُتباً خاصّة من المهد إلىٰ اللحد، وفي الإمام المهدي (عجل الله تعالىٰ فرجه) من المهد إلىٰ الظهور.

وكذلك الشيخ باقر شريف القرشي كتب في حياة أكثر الأئمة عليهم السلام.

من الضروري للخطيب الحسيني أن يدرس حياة الإمام الحسين عليه السلام وسيرته وثورته وخلفيات الثورة ومعطياتها وتفاصيل خطبه ورسائله ومواقفه بصورة موسّعة ودقيقة، بالإضافة إلىٰ سيرة أهل بيته وأنصاره، بل حتّىٰ مقاتليه وأعدائه، ليقدّم دراسة كاملة عن كلّ هؤلاء للمستمعين.

وقد كتبت عشرات الكتب في هذا الحقل، أهمّها:

(الخصائص الحسينية) للشيخ جعفر التستري.

(نهضة الحسينعليه السلام**)** للسيد هبة الدين الحسيني الشهرستاني.

(الحسينعليه السلام**)** لعلي جلال الحسيني.

(ذكرىٰ الحسينعليه السلام**)** للشيخ حبيب آل إبراهيم المهاجر العاملي.

(السياسة الحسينية) للشيخ عبدالعظيم الربيعي.

(الإمام الحسينعليه السلام**)** لعبدالله العلائلي.

(ثورة الحسين ظروفها الإجتماعية وآثارها الإنسانية) للشيخ محمّد مهدي شمس الدين.

(ثورة الحسين في الوجدان الشعبي) للشيخ محمّد مهدي شمس الدين.

(البيان الأوّل لثورة الحسينعليه السلام**)** للسيد طاهر السيّد حسن الخطيب.

(في رحاب عاشوراء) للشيخ محمّد مهدي الآصفي.

(خلفيات ثورة الإمام الحسينعليه السلام**)** للشيخ محمّد مهدي الآصفي.

(كربلاء الثورة والمأساة) للمحامي أحمد حسين يعقوب.

(ثورة الحسينعليه السلام**)** للسيّد محمّد باقر الحكيم.

(الحُكم والأخلاق في منطق الثورة الحسينية) لمحمّد شعاع فاخر.

١٣ ـ علم الأخلاق:

الإسلام دين الأخلاق الكريمة، والمـُثُل العليا، والرسول الحبيب يقول: «إنّما بعثت لأُتمّم مكارم الأخلاق»(١).

(١) كنز العمال ٣: ١٦، الحديث ٥٢١٧، ونهج الفصاحة: ١٩١، الحديث ٩٤٤.

ويقول الإمام علي عليه السلام: «لو كنّا لا نرجو جنّة ولا نخشىٰ ناراً ولا ثواباً ولا عقاباً لكان ينبغي لنا أن نطلب مكارم الأخلاق فإنّها تدل علىٰ سبيل النجاح»[١].

وعلم الأخلاق له أثر كبير في التربية والتوعية، وحمل المجتمع علىٰ الأعمال الصالحة، والابتعاد عن الأعمال القبيحة.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده»[٢].

وقد شرّع الله تعالىٰ الإسلام لتهذيب النفس وتزكية القلب. والنفس المهذّبة الزاكية النقيّة من الرذائل الأخلاقيّة تكون محلّاً للحكمة والمعرفة والبصيرة والوعي.

فمن الضروري للخطيب أن يُتقن علم الأخلاق حتّىٰ يكون داعيةً لمكارم الأخلاق؛ لأنّ الأخلاق الفاضلة لها أثر تربوي كبير جداً، وتساهم مساهمة فعّالة في بناء الأُمّة ورقيّها وتحسين العلاقات الاجتماعية. قال أحمد شوقي[٣]:

وإنّما الأُمم الأخلاق ما بَقِيَتْ فإن هُمُ ذهبَتْ أخلاقُهم ذهبوا[٤]

ومن أفضل كتب علم الأخلاق:

(جامع السعادات) للشيخ محمد مهدي بن أبو ذر النراقي.

(إحياء علوم الدين) لابي حامد محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الغزّالي.

(المحجّة البيضاء في إحياء الإحياء) للمولىٰ محمد محسن الفيض الكاشاني.

---

(١) مستدرك الوسائل ١١: ١٩٣، كتاب الجهاد، باب جهاد النفس وما يناسبه.

(٢) نهج الفصاحة: ٦٢٥، الحديث ٣٠٨٠.

(٣) هو أحمد بن علي بن أحمد شوقي، مولده بالقاهرة ووفاته فيها سنة ١٣٥١ هـ. أدب الطف ٩: ١٤٠.

(٤) الشوقيات لأحمد شوقي ١: ١٢.

(فلسفة الأخلاق) للشهيد الشيخ مرتضىٰ المطهّري.

(تزكية النفس) للسيد كاظم الحسيني الحائري.

١٤ ـ علم البلاغة والمعاني والبيان:

من العلوم الضرورية للخطيب دراسة علم البلاغة والمعاني والبيان وذلك لتقويم لسانه وتحسين كلامه ليكون فصيحاً بليغاً، ولمعرفة النصوص القرآنية والحديثية والأدبيّة.

فمن الكتب التي يستفاد منها في هذا العلم:

(مختصر المعاني) و(المطول) لمسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني.

(جواهر البلاغة) و(جواهر الأدب) للسيد أحمد بن إبراهيم الهاشمي.

(أسرار البلاغة في علم البيان) لعبد القاهر الجرجاني.

(القواعد البلاغيّة في ضوء المنهج الإسلامي) للدكتور محمود البستاني.

١٥ ـ علم العَروض:

يحتاج الخطيب إلىٰ حفظ وقراءة الكثير من الشعر، فلابدّ له من معرفة أوزان الشعر وأبحره، وهذا ما يتكفّل به علم العَروض.

إنّ بعض الخطباء يمتاز بحسن السليقة، فيُميِّز الشعر الموزون عن غيره، ولكنّه يزداد دراية وفهماً للشعر إذا درس علم العَروض وتعلَّم قواعده.

من أهم الكتب الحديثة في العَروض كتاب:

(ميزان الذهب في صناعة شعر العرب) للسيد أحمد الهاشمي.

(الإيقاع في الشعر العربي من البيت إلىٰ التفعيلة) للسيّد مصطفىٰ جمال الدين.

(فن التقطيع الشعري والقافية) لصفاء خلوصي.

١٦ ـ علم وفن الخطابة:

من العلوم والفنون الضروريّة للخطيب والتي يجب أن يستوعبها ويتعلّمها بدقّة واتّقان: علم الخطابة، أي أُصول وقواعد الخطابة، وكذلك فنّ الخطابة: أي معرفة كيفية التكلّم وإلقاء الخطبة، وطرح الفكرة، والتأثير في المستمعين، وقد تحدّثنا عن ذلك في بحث الخطابة.

وهناك علوم أُخر معرفتها تساعد الخطيب كثيراً في أداء مهامّه الخطابية، منها: علم النفس، والتربية، والاجتماع، وعلم النفس الاجتماعي، والاقتصاد، والسياسة، والفلسفة الحديثة، والعلوم الطبيعية، والرياضيات، والفيزياء، والكيمياء، والجغرافية، وغير ذلك.

وفي الحقيقة أنّ كلّ العلوم النافعة يمكن الاستفادة منها من قريب أو بعيد في المنبر الحسيني. والمفروض بالخطيب في العصر الحديث مع توسّع وانتشار العلوم والمعارف أن يكون دائرة معارف مصغّرة وموسوعة ثقافيّة.

لا أقصد أن يتخصص الخطيب في جميع العلوم التي ذكرتُها، فإنّ ذلك من المحالات. ولكن لابدّ من دراسة هذه العلوم حسب الإمكان ليستطيع مراجعة كلّ علم عند الحاجة. كما أنّ بعض العلوم يمكن الاستفادة منها بالمطالعة، وإن كانت دراستها أفضل. ولا يراد من الخطيب من أول خطابته أن يكون جامعاً لهذه العلوم، بل يدرسها شيئاً فشيئاً كما هو طريقة رجال العلم.

وإضافة إلىٰ معرفة هذه العلوم فإنّ علىٰ الخطيب أن يوسّع ثقافته بمطالعة الكتب الإسلاميّة والمجلّات والمقالات المختلفة، وكتب المحاورات

والمناظرات، والكتب الأدبيّة، وباقي الكتب النافعة. وحتىٰ الصحف والإذاعة والتلفزيون، يستعين الخطيب ببعض أخبارها وما يُنشر ويُذكر فيها.

ومن الكتب التي لا يستغني الخطيب عنها كتاب (نهج البلاغة) للإمام أمير المؤمنين عليه السلام وشروحه، فإنّه المَعين العلمي والثقافي والتأريخي والأدبي والوعظي والعرفاني الذي لا يَنضُب أبداً، وكذلك (الصحيفة السجاديّة) للإمام زين العابدين عليه السلام وشروحها.

وخطب وأدعية أهل البيت عليهم السلام ووصاياهم ومواعظهم وحِكَمهم، وشروحها فإنّها تحتوي علىٰ دروس وعظات وعلوم ومضامين عالية، وأدب رفيع.

ثالثاً
المواصفات والمؤهّلات الأخلاقيّة للخطيب

إنّ خطيب المنبر الحسيني اليوم يُعتبر معلّماً ومرشداً، وواعظاً، وهادياً، وموجّهاً، وناصحاً، وداعياً إلىٰ الله تعالىٰ. يُعلّم المستمعين ويربّيهم ويرشدهم، ويهديهم إلىٰ الصراط المستقيم، ويحثّهم علىٰ الخير ويحذّرهم من الشر، ويريد منهم أن يكونوا مسلمين مثاليّين ومؤمنين واقعيّين يسيرون علىٰ نهج الإسلام وسلوك النبي وأهل بيته الكرام.

والإسلام دين الأخلاق الكريمة والمُثُل العليا. قال صلى الله عليه وآله: «إنّما بُعثت لأُتمّم مكارم الأخلاق»[1]، والناس عادةً يتأثّرون بسلوك الإنسان أكثر من التأثّر بكلامه؛ لذا قال أمير المؤمنين عليه السلام: «مَن نَصَبَ نفسه للناس إماماً فَلْيبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره، وَلْيكن تأديبه بسيرته قبل تأديبه بلسانه، ومعلّمُ نفسه ومؤدّبُها أحقُّ بالإجلال من معلّم الناس ومؤدّبهم»[2].

وقال عليه السلام لرجل سأله أن يعظه: «لا تَكُن ممّن يرجو الآخرة بغير العمل، ويُرجّي

---

(١) كنز العمال ٣: ١٦، الحديث ٥٢١٧، ونهج الفصاحة: ١٩١، الحديث ٩٤٤.

(٢) نهج البلاغة: الحكمة ٧٣.

التوبةَ بطول الأمل، يقول في الدنيا بقول الزاهدين، ويعمل فيها بعمل الراغبين، إنْ أُعطيَ منها لم يَشبع وإنْ مُنع منها لم يَقنع، يَعجز عن شكر ما أُوتي ويبتغي الزيادة فيما بقي، يَنهىٰ ولا يَنتهي ويأمر بما لا يأتي، يُحبّ الصالحين ولا يعمل عملهم، ويُبغض المذنبين وهو أحدهم، يكره الموت لكثرة ذنوبه، ويقيم علىٰ ما يكرهُ الموتَ من أجله، إنْ سَقَمَ ظلّ نادماً، وإنْ صحّ أمن لاهياً، يُعجب بنفسه إذا عُوفي، ويَقنط إذا ابتُلي، إن أصابه بلاء دعا مضطرّاً، وإن ناله رخاء أعرض مغترّاً، تَغلبه نفسُهُ علىٰ مايظنّ، ولا يَغلبها علىٰ ما يَستيقن، يخاف علىٰ غيره بأدنىٰ مِن ذنبه، ويرجو لنفسه بأكثر مِن عمله، إنْ استغنىٰ بَطَر وفُتِن، وإنْ افتقرَ قَنَطَ ووُهِن، يُقصّر إذا عمل ويُبالغ إذا سأل، إنْ عرضت له شهوة أسلف المعصية وسوّف التوبة، وإن عرته محنة انفرج عن شرائط الملّة، يصف العبرة ولا يعتبر، ويبالغ في الموعظة ولايتّعظ، فهو بالقول مُدلّ، ومن العمل مُقلّ ينافس فيما يَفنىٰ، ويسامح فيما يبقىٰ، يرىٰ الغُنْم مغرماً، والغُرم مغنما، يخشىٰ الموت ولا يبادر الفوت، يستعظم من معصية غيره ما يستقلّ أكثر منه من نفسه، ويستكثر من طاعته ما يُحقّره من طاعة غيره، فهو علىٰ الناس طاعن ولنفسه مداهن، اللهو مع الأغنياء أحبّ إليه من الفكر مع الفقراء، يحكم علىٰ غيره لنفسه ولا يحكم عليها لغيره، يرشد غيره ويغوي نفسه، فهو يطاع ويعصي، ويستوفي ولا يوفي، ويخشىٰ الخلق في غير ربّه ولا يخشىٰ ربّه في خلقه»[1].

قال الشاعر:

وغيرُ تقيّ يأمر الناس بالتقىٰ ... طبيبٌ يُداوي الناسَ وهو عليلُ

فمن المَعيب بالمرء أن يأمر الناس بشيء لا يُطبّقه علىٰ نفسه، قال تعالىٰ:

---

(١) نهج البلاغة: الحكمة ١٥٠.

﴿يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ ٱللهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾[١].

وفي مثل هذا قال أبو الأسود الدؤلي[٢]:

يا أيّها الرجلُ المعلّمُ غيره ... هلّا لنفسك كان ذا التعليمُ
تصفُ الدواءَ لذي السقام وذي الضّنا ... كيما يصحّ به وأنت سقيمُ
وأراكَ تُصلحُ بالرشادِ عقولَنا ... أبداً وأنت من الرشاد عقيمُ[٣]
لا تَنْهَ عن خُلُقٍ وتأتيَ مِثْلَه ... عارٌ عليكَ إذا فعلتَ عظيم
ابدأ بنفسكَ فانْهَها عن غيّها ... فإذا انْتهت عنه فأنتَ حكيم
فهناك يُقبل ما وعظتَ ويُقتدىٰ ... بالرأي منك وينفعُ التعليم[٤]

قال رسول الله ﷺ: «مَثَلُ الذي يُعلّم الخيرَ ولا يَعمل به، مثل السراج يُضيء للناس ويحرق نفسه»[٥].

وقال ﷺ لأبي ذر رضي الله عنه: «يا أبا ذر، يطّلع قوم من أهل الجنة إلىٰ قوم من أهل النار ويقولون ما أدخلكم النار؟ وإنّما دخلنا الجنة بفضل تعليمكم وتأديبكم، فيقولون إنّا كنّا نأمركم بالخير ولا نفعله»[٦].

(١) سورة الصف: ٢ ـ ٣.

(٢) اسمه ظالم بن عمرو بن سفيان بن جندل بن يعمر بن نفاثة بن عدي بن الدئل، تُوفّي بالجارف سنة ٦٩ هـ عن عمرٍ يناهز خمسة وثمانين، وقيل قبل ذلك والله أعلم. الطليعة من شعراء الشيعة ١: ٤٥٥، الرقم ١٣٥.

(٣) في أعيان الشيعة: وكذاكَ تُلقحُ بالرشادِ عقولَنا.

(٤) الطليعة من شعراء الشيعة ١: ٤٥٧، وجواهر الأدب للسيد أحمد الهاشمي ٢: ٤٢٥. وفي بعض النسخ (ويُقتدىٰ بالرأي منك وينفع التعليم). وأعيان الشيعة ٧: ٤٠٤.

(٥) عدّة الداعي: ٧٠، والبحار ٢: ٣٨، وقريب منه في كنز العمّال ١٠: ١٨٧، الحديث ٢٨٩٧٦.

(٦) أمالي الطوسي ٢: ١٤٠.

وعن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ أشدّ الناس ندامةً وحسرة رجل دعا عبداً إلىٰ الله تبارك وتعالىٰ فاستجاب له وأطاع الله، فأدخله الله الجنة وأدخل الداعي النار بترك عمله واتباعه هواه»[١].

إنّ الخطابة رسالة وتحمّلها صعب وثقيل، فلابدّ لمن تلبّس بها أن ينهض بأعبائها ولا ينوء بحملها، ويحاول قدر المستطاع أن يكون قدوة حَسَنة للآخرين.

قال الإمام علي عليه السلام: «كفىٰ بالمرء غواية أن يأمر الناس بما لا يأتمر به، وينهاهم عمّا لا ينتهي عنه»[٢].

وقال إمام الواعظين: «إنّي والله ما أحثّكم علىٰ طاعة إلّا وأسبقكم إليها، ولا أنهاكم عن معصية إلّا وأتناهىٰ قبلكم عنها»[٣].

صحيح أنّنا لا نصل إلىٰ درجة المعصوم مهما جهدنا، وبيننا وبينه مسافة بعيدة وبون شاسع، ولكن كما قال الإمام علي عليه السلام: «ألا وإنّكم لا تقدرون علىٰ ذلك ولكن أعينوني بورع واجتهاد وعفّة وسداد»[٤].

لقد أشاد الكثير من الكتّاب والمثقّفين بِعَطاء المنبر الحسيني وتأثير الخطباء في توجيه الأُمّة وتوعيتها وتثقيفها، كما أكّدوا علىٰ تأثّر المخاطبين بسلوك الخطيب إيجاباً وسلباً.

قال علي الخاقاني في شعراء الغري تحت عنوان (الأعواد وأثرها في التوجيه:«والحقّ أنّ الأعواد الحسينيّة والمنابر الدينيّة لها أثر كلّي في توجيه

---

(١) مشكاة الأنوار: ١٤١.
(٢) معجم ألفاظ غرر الحكم: (غواية).
(٣) نهج البلاغة: الخطبة ١٧٥.
(٤) نهج البلاغة: الكتاب ٤٥.

مجتمعنا ومقاومة الرذيلة من غزوه، غير أنّ الأعواد بأصحابها، والمنابر بأعلامها، فإذا ما صلح هؤلاء وفهموا الواجب الملقىٰ عليهم وأدركوا الغاية المُثلىٰ التي من أجلها أُسّست هذه الأعواد والمنابر قاموا فأصلحوا، وبيّنوا فوضّحوا، وكان النصر لهم والأثر الطيّب لكلامهم.

وأوّل شرط أساسي في الخطيب والموجِّه أن لا ينقد أمراً وقد تحلّىٰ به، ولا يقاوم فكرة وهو متلبّس بها، ولا يتحدّىٰ إنساناً في سيرة له وهو يحتفظ بمثلها أو بعضها. فإذا لم يتأثّر بنصحه ووعظه فبالأولىٰ أن لا يؤثّر في نفوس الآخرين، وأتذكّر قصّة رواها لي والدي بالمشاهدة فيقول:

كان العالم العامل والواعظ الزاهد الشيخ جعفر التستري يعظ الناس في الجهة الشماليّة من الصحن الحيدري قرب التكية، وكنت أحضر مجلسه ووعظه، وكان قويّ التأثير نافذ القول، يجتمع حول منبره الآلاف من الفقهاء والعلماء والتجّار وأبناء البلد في كلّ يوم ساعة أو يزيد، وكان يختم خطبته فيبتدئ بصلاة المغرب.

وفي يومٍ جاءه رجل من أهل الزهد فسأله أن يعظ الناس في الغد ويفهمهم سوء مغبّة الترف؛ لأنّ نسيجاً أجنبياً وَفَدَ علىٰ العراق يُعرف بـ(الكرمسود) وهو يعلو بثَمَنه عشرات المرّات علىٰ اللباس المتعارف وهو (القَدَك) أي الخام المصبوغ بالزرقة فيصنع منه معظم الطبقات ألبستهم البارزة، وأنّ بوعظك هذا تقاوِم الأجنبي لئلّا ينتفع من بلادنا ويسلب ثروتنا، كما تجعل المساواة بين الغنيّ والفقير باقية، فاستحسن منه ذلك، وما أن جاء اليوم الثاني والسائل ينتظر منه الدخول في الموضوع، وإذا بالشيخ كأن لم يُسأل، فوجَّهَ أسبابَ التأخير، وتصوّر أن سيخوض الموضوع في اليوم الثالث، وإذا به لم يفعل، فقال: لعلّ

الشيخ بدا له رأيٌ وهو أعرف بما يبدو له، ولكنّه لم ينقطع عن سماع وَعْظِه والحضور في مجلسه، غير أنّ الشيخ في اليوم العاشر طرق الموضوع طرقاً عنيفاً وتبسّط في وعظه واستوفىٰ كلّ ما يجب أن يقال، فإذا بمَن كان لابساً من ذلك النسيج ودَّ أنّ الأرض تبتلعه ليرتاح من مشاهدة المستنكرين له. وبعد الفراغ من وعظه جاءه السائل فقبّل يده وقال: جزاك الله خيراً، ولكني أودّ أن أعرف سبب التأخير الذي ربما في خلاله تورّط بعض الناس في شراء ما نَهيت عنه؟ فتنفّس الشيخ الصعداء وقال له: يا أخي إنّي رأيت أن لا أنهىٰ عن أمر وربّما عندي ما يشبهه؛ لذا رأيت أن أحاسب نفسي أوّلاً، فإذا بي لم أجد شيئاً، ثمّ فتّشتُ زوجتي فلم أجد عندها شيئاً، فصرت أذهب إلىٰ مَن أعول بهم أو أؤثّر عليهم مباشرة كابن أخي وزوجته وصهري وابنتي، وإذا بعد فحص دام عشرة أيّام توثّقت خلالها من انعدام الشيء الذي أنوي استنكاره. لذا ترىٰ أثر الموعظة في النفوس بالغاً.

عَرَضْتُ هذه القصّة التي تعطينا الدرس العملي، فتُصوّر لنا نقاء الخطيب، وطهارة ضميره ونُبل قصده، في حين أنّ معظم الخطباء الذين نزلوا إلىٰ هذا الميدان فقدوا أكثر هذه العناصر، ويعود النقص فيهم إلىٰ عوامل منها: الفقر الذي يُلزمه موافقة رأي المؤجر له، والوعظ متىٰ أصبح بالإيجار فلا أثر له في النفوس.

وأتصوّر لو أنّ الزعامة الدينيّة تضع للواعظ والخطيب حصّةً من حقّ الإمام أو الضرائب الشرعيّة الأُخر التي ترد إليه، فيضمن له عيشه ويطلق روحه لتناجي الأرواح الطاهرة، لا شكّ أنّ الخطيب يرجع إلىٰ طبيعته من نشر الفضيلة ومكافحة الرذيلة، ولكنّه وهو البائس المسكين لا يقوىٰ علىٰ استقلال روحه

وسلوكه إذا تجرّد عن موافقة المؤجرين ورأيهم، وأعرف فريقاً من الخطباء الذين تمكّنوا من الهيمنة علىٰ مجتمعهم راحوا يجهرون بكثير من الرأي الحقّ»[١].

وهناك قصّة أُخرىٰ مشهورة في هذا الباب لهذا الخطيب الجليل، فقد جاءه يوماً رجل وقال له: إنّني مملوك لأحد مستمعيك الذين يحضرون مجالسك دائماً، فلو تكلّمتَ عن ثواب العتق لعلّه يعتقني فأستريح من الرِق، فوعده الشيخ أن يفعل.

وبعد مرور ستة أشهر تحدّث الشيخ عن ثواب العتق فأثّر كلامه في الرجل المالك وأعتق مملوكه ذاك، فجاء الرجل المُعتَق إلىٰ الشيخ وشكره علىٰ ما فعل ولكنّه سأله عن سبب التأخير ستة أشهر، فقال له الشيخ: ما كانت لديَّ أموال حتىٰ أشتري مملوكاً وأعتقه، وما أُحبّ أن أحثّ علىٰ شيء لم أُطبّقه علىٰ نفسي، فجمعت في هذه المدّة ما اشتريتُ به مملوكاً وأَعتقتُهُ ثم تحدّثتُ عن ثواب العتق، فأثّر كلامي.

وصدق الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في قوله: **«الكلمة إذا خرجت من القلب وقعت في القلب، وإذا خرجت من اللسان لم تجاوز الآذان»**[٢].

وقال الإمام الصادق عليه السلام: **«إنّ العالِم إذا لم يَعمَلْ بعلمه زَلَّتْ موعظته عن القلوب كما يَزِلُّ المطر عن الصَفاة»**[٣].

---

(١) شعراء الغري ١٢: ٤٦٥ ـ ٤٦٧.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢٠: ٢٨٧، الحكم المنسوبة للإمام أمير المؤمنين عليه السلام الرقم ٢٧٩، وفي تنبيه الخواطر ونزهة النواظر المعروف بمجموعة ورّام ٢: ٣٥٧. «إنّ الكلام إذا خرج من القلب دخل في القلب، وإذا خرج من اللسان لم يتجاوز الآذان».

(٣) الأُصول من الكافي ١: ٣٥، الحديث ٣.

وقال الشاعر:

والوعظ إن لم يكن من مُخلصٍ ورعٍ لا يُرتجىٰ فيهِ تأثيرٌ ومفعول

وإن كان هذا ليس أمراً مُطّرداً؛ إذ إنّ المستمع أيضاً يجب أن يكون فيه اقتضاء وقابليّة التأثّر، ومن هنا نرىٰ الأنبياء والأوصياء والأولياء وهم أتقىٰ الناس وأطوعهم لله، وأصدقهم في الموعظة، خطبوا ووعظوا وحثّوا ودعوا إلىٰ الخير، فكان كلامهم ينفع بعضاً ولا ينفع آخرين. وفي هذا المعنىٰ قال أمير المؤمنينعليه السلام: «وَاعْلَموا أنّه مَن لم يُعِن علىٰ نفسه حتىٰ يكون له منها واعظٌ وزاجرٌ لم يكن له من غيرها لا زاجرٌ ولا واعظ»(١).

قال أبو نؤاس:

لا ترجعُ الأنفسُ عن غيّها ما لم يكن منها لها زاجر(٢)

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «يا أبا ذر، ما من خطيب إلّا عُرضت عليه خُطبتُهُ يوم القيامة وما أراد بها»(٣).

وقال الإمام الصادقعليه السلام: «أي مَفضّل، قل لشيعتنا كونوا دعاةً إلينا بالكفّ عن محارم الله، واجتناب معاصيه، واتّباع رضوانه، فإنّهم إذا كانوا كذلك كان الناس إلينا سارعين»(٤).

وقال الإمام عليعليه السلام: «علّموا الناس الخير بغير ألسنتكم، وكونوا دعاةً لهم بفعلكم، والْزموا الصدق والورع»(٥).

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة ٩٠.

(٢) أعيان الشيعة ٥: ٣٢٨، ترجمة أبي نؤاس الحسن بن هاني.

(٣) أمالي الطوسي ٢: ١٤٣.

(٤) مستدرك الوسائل ٢: ٣٦٣.

(٥) تاريخ اليعقوبي: ١٥٢.

وقال أيضاً: «أحسنُ المقال ما صدّقه حسن الفعال»[١].

وقال عليه السلام: «كونوا دعاة للناس بغير ألسنتكم لِيَرَوا منكمُ الورعَ والاجتهادَ والصلاحَ والخيرَ فإنّ ذلك داعية»[٢].

والجدير بالذكر أنّ المتكلّمَ الصادق في قوله والمؤمن بما يقول ويدعو إليه تظهر عليه إمارات الصدق «مثل: أن تَطفحَ علىٰ وجهه أسارير السرور إذا بشّر بخير، أو علامات الخوف والهلع إذا أَنذر بشرٍ، أو هيئة الحزن إذا حدّث عمّا يحزن... وهكذا. ولتقاطيع وجه الخطيب وملامحه ونبرات صوته الأثر الفعّال في شعور المستمعين بأنّ ما يقوله كان مؤمناً به، أو غير مؤمن به. والوجه الجامد القاحل من التعبير لا يَسْتجيب له المستمع؛ ولذا اشتُهر أنّ الكلمة إذا خرجت من القلب دخلت في القلب، وما هذا إلّا لأنّ إيمان الخطيب بما يقول يظهر علىٰ ملامح وجهه ونبرات صوته رضي أم أبىٰ، فيدرك المستمع ذلك حينئذ بغريزته، فيؤثّر علىٰ شعوره بمقتضىٰ طبيعة المحاكاة والتقليد»[٣].

إذاً علىٰ الخطيب أن يكون رجلاً صالحاً، مخلصاً في عمله، صادقاً في قوله وفعله، متحلّياً بالأخلاق الإسلاميّة الفاضلة. وقد ذكر علماء الأخلاق كالشيخ النراقي في (**جامع السعادات**) والفيض الكاشاني في (**المحجة البيضاء**) والغزالي في (**إحياء العلوم**) عشرات الصفات الخلقية، والخطيب بل كل مؤمن ينبغي له التحلّي بكل الصفات الكريمة، ولكننا نذكر أهمّها وأكثرها مساساً بالخطيب وعمله:

---

(١) معجم ألفاظ غرر الحكم: (مقال).
(٢) الأُصول من الكافي ٢: ٦٤، الحديث ١٤.
(٣) المنطق للشيخ المظفر: ٤٢٣.

١ ـ التقوىٰ:

إنّ التقوىٰ من أهمّ الصفات وأشرفها وأكثرها ضرورة للخطيب بل لكلّ مسلم، وقد وردت عشرات الآيات والأحاديث في فضل المتّقين، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ﴾(١)، ﴿إِنَّ اللهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾(٢).

عن ابن عباس قال: قرأ رسول الله ﷺ: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً﴾(٣)، فقال: «مِن شُبُهات الدنيا، ومِن غَمَرات الموت، وشدائدِ يوم القيامة»(٤).

ورُوي أنّ رسول الله ﷺ قال مرّة: (خصلةٌ مَن لَزِمها أطاعته الدنيا والآخرة، وربحَ الفوز بالجنّة) قيل له: وما هي يا رسول الله؟ قال: (التقوىٰ، مَن أراد أن يكون أعزّ الناس فَلْيتّقِ الله عزّ وجلّ)، ثم تلا قوله تعالىٰ: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾(٥)»(٦).

وقال الإمام علي عليه السلام: «اعلموا أنّه مَن يتّقِ الله يَجْعَلْ له مخرجاً من الفتن، ونوراً من الظُلَم، ويخلّده فيما اشتهت نفسُهُ، وينزّله منزلة الكرامة عنده، في دار اصطنعها لنفسه، ظلّها عرشُهُ، ونورها بهجته، وزوّارها ملائكته، ورفقاؤها رُسُله»(٧).

وقال عليه السلام: «إنّ تقوىٰ الله دواء داء قلوبكم، وبصر عمىٰ أفئدتكم، وشفاء مرض أجسادكم، وصلاح فساد صدوركم، وطهور دنس أنفسكم، وجلاء غشاء أبصاركم،

---

(١) سورة الحجرات: ١٣.

(٢) سورة النحل: ١٢٨.

(٣) سورة الطلاق: ٢.

(٤) مجمع البيان ١٠: ٣٠٦، تفسير الآية ٢ ـ ٣ من سورة الطلاق.

(٥) سورة الطلاق: ٢ ـ ٣.

(٦) البحار ٧٠: ٢٨٥.

(٧) نهج البلاغة: الخطبة ١٨٣.

وأمْنُ فزع جأشكم، وضياء سواد ظلمتكم»[١].

وقال أيضاً: «التُقىٰ رئيس الأخلاق»[٢].

إنّ الإنسان في هذه الحياة مهدّد من قِبَل الشيطان، والنفس الأمارة بالسوء، والمستكبرين والمترفين وغيرهم، وربّما تعصف بالمجتمع فتنة عقائدية أو اجتماعية أو سياسية أو غيرها يصعب التحفّظ منها إلّا بالتقوىٰ التي هي أقوىٰ حِصْن للإنسان المؤمن؛ لأنّها تفتح علىٰ المتّقي أبواب الهُدىٰ، وتُنير له الطريق، وتعرّفه الحقّ من الباطل، والخير من الشر، قال سبحانه وتعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا ٱللهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَاناً﴾[٣].

كما أنّ التقوىٰ تُعلّم المتّقي ما ينفعه، قال سبحانه: ﴿وَٱتَّقُوا ٱللهَ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللهُ وَٱللهُ بِكُلِّ شَيءٍ عَليمٌ﴾[٤].

لقد شَاهدْنَا في حياتنا فِتَناً كثيرة، وهبّت زوابع علىٰ المجتمع فانحرف بسبب ذلك جماعة عن جادّة الصواب، وفيهم ـ مع الأسف ـ بعض الخطباء، وثبت المتّقون واستقاموا وواصلوا مسيرتهم الإسلاميّة الحسينيّة.

٢ ـ الإخلاص:

إنّ عمل الخطيب من أفضل العبادات؛ لأنّ فيه التعليم والتربية والإرشاد والهداية والدعوة إلىٰ الله تعالىٰ، وذِكر مآثر الإسلام وفضائل النبي وآله الكرام ـ عليهم الصلاة والسلام ـ ومواقف المخلصين من أصحابه وأتباعه الميامين؛

(١) نهج البلاغة: الخطبة ١٩٨.
(٢) نهج البلاغة، الحكمة ٤١٠.
(٣) سورة الأنفال: ٢٩.
(٤) سورة البقرة: ٢٨٢.

وفيه أيضاً بيان مأساة أهل البيت ومصائبهم، وهذه كلّها عبادة وقربىٰ، فينبغي للخطيب المؤمن برسالته أن يطلب بعمله وجه الله تعالىٰ، ورضىٰ رسوله وأهل بيته عليهم السلام وأن لا يكون هدفه جمع الأموال أو الشهرة أو الحصول علىٰ موقع اجتماعي، أو إرضاء جهة خاصّة علىٰ حساب قول الحقّ.

إنّ الإخلاص في العمل يوفّر للخطيب عدة أُمور:

١ ـ يفتح عليه آفاق الحكمة والمعرفة، قال رسول الله: «ما أخلص عبدٌ لله عز وجل أربعين صباحاً إلّا جَرَت يَنابِيعُ الحكمة مِن قَلبه علىٰ لسانه»(١).

٢ ـ يصلح الله تعالىٰ أمره ويجعل له في القلوب محبّةً، قال أمير المؤمنين عليه السلام: «مَن أصلَحَ سريرَتهُ أصلَحَ اللهُ علانيتَه، ومَن عَمِلَ لِدِينه كفاهُ الله أَمرَ دنياه، ومَن أحسنَ فيما بينَه وبَين الله أحسنَ اللهُ ما بينَهُ وبينَ الناس»(٢).

وقال أيضاً: «مَن أصلحَ ما بينَهُ وبينَ الله أصلَحَ الله مابَينه وبينَ الناس، ومن أصلَحَ أَمرَ آخرته أصلَحَ الله له أمر دنياه، ومَن كان لهُ مِن نفسه واعظ كان عليه مِن الله حافظ»(٣).

٣ ـ يجعل الله له هيبة في النفوس، قال الإمام الصادق عليه السلام: «(إنّ المؤمنَ لَيَخشعُ له كلُّ شيءٍ ويَهابُهُ كُلُّ شيءٍ)، ثم قال: (إذا كان مخلِصاً للهِ أخافَ الله منه كلَّ شيءٍ حتّىٰ هوامَ الأرض وسباعها وطير السماء)»(٤).

٤ ـ يتولّىٰ الله تعالىٰ تقويمه وتدبيره، ويكفيه أمر الدنيا والآخرة، قال النبي الكريم صلى الله عليه وآله: «قال الله عزّ وجلّ: لا أَطَّلعُ علىٰ قلب عبدٍ فأعلمُ منه حُبَّ الإخلاص

---

(١) عيون أخبار الرضا ٢: ٦٨.

(٢) نهج البلاغة: الحكمة ٤٢٣.

(٣) نهج البلاغة: الحكمة ٨٩.

(٤) جامع الأخبار: ٢٨٦.

لطاعتي لوجهي وابتغاء مرضاتي، إلّا تولّيتُ تقويمَهُ وسياستَهُ»(١).

وقال الإمام السجادعليه السلام في رسالة الحقوق: «فأمّا حقُّ الله الأكبر عليك، فأنْ تعبدَه لا تُشرك به شيئاً، فإذا فعلت ذلك بإخلاص، جعل الله لك علىٰ نفسه أن يكفيَكَ أمرَ الدنيا والآخرة، ويحفظ لك ما تحبّ منهما»(٢).

٥ ـ ينال المُخلِصُ نجاحاً في أُموره وبلوغاً لآماله، وتتحقّقُ رَغَبَاتُه وأهدافه، قال أمير المؤمنينعليه السلام: «في إخلاص النيّات نجاح الأُمور»(٣). وقال أيضاً: «مَن أخلَصَ بلَغَ الآمال»(٤).

وقال الإمام الباقرعليه السلام: «(ما بينَ الحقِّ والباطلِ إلّا قلّةُ العقل). قيل وكيف ذلك يابن رسول الله ؟ قال: إنّ العبد يَعملُ العملَ الذي هو للهِ رضىً فيريد بهِ غيرَ الله، فلو أنّه أخلَصَ للهِ لجاءه الذي يريد في أسرع من ذلك)»(٥).

كما أكّد علماء الأخلاق علىٰ الإخلاص في القول والعمل، وخصّ بعضهم الخطباءَ والقرّاءَ الحسينيّين بالذكر، منهم: الشيخ عباس القمّيرحمه الله في خاتمة كتابه (نفثة المصدور) قال: «ينبغي لأهل المنبر وقرّاء التعزية مراعاة أشياء حتّىٰ يصيروا ممّن عظّم شعائر الله ووُفّق لهداية عباد الله:

الأوّل: الإخلاص والاجتناب من الرياء، فقد رُوي عن النبيصلى الله عليه وآله: قال: «(إنّ أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر). قيل: وما الشرك الأصغر يا رسول الله؟ قال: (الرياء، قال: يقول الله عزّ وجلّ يوم القيامة إذا جازى العباد بأعمالهم: اذهبوا إلىٰ الذين كنتم تراءون في الدنيا، هل تجدون عندهم ثواب أعمالكم)»(٦).

---

(١) مستدرك الوسائل ٤: ٤٨٢، كتاب الصلاة باب ٢٣ من أبواب السجود.

(٢) شرح رسالة الحقوق ١: ٢١.

(٣)، (٤) معجم ألفاظ غرر الحكم: (خلص).

(٥) المحاسن للبرقي ١: ٣٩٥ ـ ٣٩٦.

(٦) البحار ٧٢: ٢٦٦، وفي منية المريد ٣١٧ ـ ٣١٨ «فانظروا هل تجدون عندهم الجزاء...».

وقال الصادقعليه السلام لعبّاد بن كثير البصري في المسجد: (ويلك يا عبّاد، إياك والرياء فإنّه مَن عَمِل لغير الله وكله الله إلىٰ مَن عَمِلَ له)(١).

وقال الشاعر:

ثوب الرياء يشف عما تحته ... فإذا اكتسبت به فانك عاري

فينبغي أن يقصد بوعظه وجه الله تعالىٰ وامتثال أمره وإصلاح نفسه وإرشاد عباده إلىٰ معالم دينه، ولا يقصد بذلك عرض الدنيا فيصير من ﴿الأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُم يُحْسِنونَ صُنْعاً﴾(٢).

ومرتبة الإخلاص عظيمة المقدار، كثيرة الأخطار، دقيقة المعنىٰ، صعبة

---

(١) الأصول من الكافي ٢: ٢٢٢، والبحار ٧٢: ٢٦٦.

(٢) سورة الكهف: ١٠٣ ـ ١٠٤.

أرجو أن لا يُفهم من قولي هذا، عدم جواز أخذ الأُجرة علىٰ الخطابة الحسينيّة. روىٰ الشيخ الصدوق في كتابه (معاني الأخبار) باب (معنىٰ الاستئكال بالعلم) بسنده عن حمزة بن حمران قال: (سَمِعتُ أبا عبد اللهعليه السلام يقول: (مَن استأكَلَ بعلمهِ افتقر). فقلت له: جُعلتُ فداك: إنَّ في شيعتك ومواليك قوماً يتحمّلون علومَكم ويبثّونها في شيعتكُم، فلا يعدمون علىٰ ذلك منهم البرَّ والصّلةَ والإكرام! فقالعليه السلام: (ليس أولئك بمستأكلين، إنّما المستأكل بعلمه: الذي يُفتي بغير علم ولا هدىً من الله عزّ وجلّ؛ ليُبطلَ به الحقوقَ طمعاً في حطام الدُّنيا). معاني الأخبار: ١٨١.

كما استُفتي الإمام الخوئي عن أخذ الاجرة علىٰ الموعظة والقراءة الحسينية فأجاب سماحته: «لا بأس في أخذ الأجرة علىٰ ذكر مصيبة سيد الشهداءعليه السلام، وفضائل أهل البيتعليهم السلام، والخطب المشتملة علىٰ المواعظ ونحو ذلك ممّا له فائدة عُقلائية أو دنيويّة». منهاج الصالحين (المعاملات): ١٠٠، مسألة ٤٦٨.

إنّ الخطيب كغيره من الناس بحاجة إلىٰ ما يسدّ نفقاته والتزاماته العائلية والاجتماعية والثقافية. وإذا كان الكاسب البسيط حبيب الله كما في الحديث الشريف فما رأيك في مَن يعظ الناس ويهديهم ويُربّيهم ويرشدهم ويُعلّمهم الإسلام والأخلاق، ويذكرهم بفضل أهل البيتعليهم السلام وحقّهم ومآسيهم؟

المرتقىٰ يحتاج طالبها إلىٰ نظر دقيق ومجاهدة تامّة، وينبغي أن يعمل بما يقول لئلا يصير مثله مثل السراج يضيء للناس ويحرق نفسه»[١].

ومنهم الشيخ النوري في كتابه (اللؤلؤ والمرجان) فقد حثّ الخطباء علىٰ الإخلاص في عملهم؛ لأنّه من أفضل العبادات[٢]. وخاف الشيخ من بعض أرباب المجالس استغلال إخلاص الخطيب، وذلك بالتقصير في حقّه وعدم تقدير جهوده وأتعابه، فأكّد علىٰ أصحاب المجالس معرفة حقّ الخطباء بأن يقدّموا لهم مايسدّ حاجتهم ويتكفّل معيشتهم، حتىٰ يتمكّنوا من مواصلة خدمتهم وأداء رسالتهم، وذكّر بعطاء الأئمة للشعراء أمثال: الكميت[٣] ودعبل[٤]، والفرزدق[٥]، وأشجع الأسلمي[٦]، والرجل الذي أنشد الإمام الكاظم عليه السلام يوم النوروز ثلاثة أبيات قالها جدّهُ في الحسين عليه السلام فوهبه الإمام كلّ الهدايا التي حُملت إليه ذلك اليوم[٧]؛ وأبي عبد الرحمن السلمي معلّم القرآن الذي أعطاه الإمام الحسين عليه السلام ألف دينار وألف حلّة وحَشىٰ فمه درّاً لتعليمه أحد أولاد الحسين عليه السلام سورة الحمد[٨].

كما حثّ الشيخ النوري المؤمنين علىٰ بذل الأموال في سبيل الحسين عليه السلام معتبراً ذلك من أفضل أقسام الإنفاق في سبيل الله، وقد أعدّ الله للباذل

(١) نفثة المصدور: ٦١٥ مطبوع في آخر نفس المهموم.
(٢) اللؤلؤ والمرجان: ١٢، وما بعدها.
(٣) مناقب آل أبي طالب ٤: ٢١٤.
(٤) مناقب آل أبي طالب ٤: ٣٦٧.
(٥) مناقب آل أبي طالب ٤: ٧٣.
(٦) مناقب آل أبي طالب ٤: ٢٩٦.
(٧) مناقب آل أبي طالب ٤: ٣٤٤.
(٨) مناقب آل أبي طالب ٤: ٧٣.

ثواباً عظيماً. واسْتَشهدَ بـالحديث القـدسيّ الذي نـقله الشـيخ الطـريحي فـي (مجمع البحرين):

«ما مِن عبدٍ أنفقَ مِن مالهِ في محبّة ابن بنت نبيّه طعاماً وغـيرَ ذلك درهـماً إلّا وباركت له في دار الدنيا الدرهمَ بسبعينَ درهماً، وكان مُعافاً في الجنّة، وغفرت له ذنوبه»[١]،[٢].

فعلىٰ الخطيب الرسالي أن يستهدف بعمله وجه الله تعالىٰ في تعليمه الناس العقائد والأحكام وفي دفاعه عن الإسلام، ونشـره مـذهب أهـل البـيت عليهم السلام خصوصاً وأنّ المنبر الحسيني منبثق من جهاد الحسين عليه السلام وأهل بيته الأطهار وأنصاره الأبرار الذين قدّموا بإخلاص كلّ ما يملكون من أجـل الله سـبحانه. والخطيب الحسيني ينبغي له أن يهتدي بهدىٰ سيده الحسـين عليه السلام وأهـل بـيته وأنصاره ويحقّق أهدافهم بكلّ إخلاص[٣].

٣ و ٤ ـ الصدق والأمانة:

إنّ صفتي الصدق والأمانة من أفضل الصفات الكريمة، وبهما تتحقّق الثـقة

---

(١) مجمع البحرين: (عشر)، ومستدرك الوسائل ١٠: ٣١٨، كتاب الحج باب ٣٧ من أبـواب المزار وما يناسبه.

(٢) اللؤلؤ والمرجان: ٤٨ و ٤٩.

(٣) وليس الإخلاص خاصاً بالخطباء، بل هو شـامل لمـؤسّسي ومـقيمي المـجلس والمأتـم وللمستمعين، فالمجلس الحسيني يُشترط في إقامته الإخلاص وطلب الثواب، والابـتعاد عن الرياء والسمعة والفخر، وكذلك المستمعون، ينبغي أن يحضروا مـجلس الحسـين عليه السلام بإخلاص ابتغاءً لوجه الله وإرضاءً لرسول الله وأهل البيت عليهم السلام، وللاسـتفادة مـن الخـطبة وإقامة شعائر الله تعالىٰ، ولا يكون حضورهم ـ لا سمح الله ـ لتكثير السـواد تأيـيداً لفـئةٍ خاصّة أو شخص خاصّ أو اعتبارات أُخرىٰ بعيدةٍ عن الإخلاص والقربىٰ.

بالشخص المتكلّم، والخطيب أحوج الناس إليهما كي يثق به المستمعون، وبدون ذلك تذهب جميع أعماله وأهدافه عبثاً؛ ولهذا السبب عُرِفَ الأنبياء عند جماهير الناس بالصدق والأمانة، وقد وَصَفَ المشركون في مكة المكرمة رسولَ الله صلى الله عليه وآله بالصادق الأمين، ومحمّد الأمين. قال الإمام الصادق عليه السلام: «إنّ الله لم يبعث نبيّاً إلّا بصدق الحديث وأداء الأمانة إلىٰ البَرِّ والفاجر»(١).

ولأهمّية الأمانة والصدق جعلهما الإمام الصادق عليه السلام مقياساً لإيمان المسلم فقال عليه السلام: «لا تغترّوا بصلاتهم ولا بصيامهم، فإنّ الرجل ربّما لِهجَ بالصّلاة والصّوم حتىٰ لو تركه استوحش، ولكن اختبروهم عند صدق الحديث وأداء الأمانة»(٢).

وفي حديث آخر قال أبو عبد الله عليه السلام: «لا تنظروا إلىٰ طول ركوع الرجل وسجوده، فإنّ ذلك شيءٌ اعتاده، فلو تركه استوحش لذلك، ولكن أُنظروا إلىٰ صدق حديثه وأداء أمانته»(٣).

في هذه الأحاديث تأكيد علىٰ الصدق والأمانة معاً، ووردت آيات وأحاديث أُخر تؤكّد علىٰ كلٍّ من الصدق والأمانة بصورة خاصّة، فينبغي لنا التعرّف علىٰ بعض ما ورد في هاتين الصفتين الكريمتين:

أ ـ الصدق:

وردت آيات كريمة تُشيد بالصدق والصادقين: قال عزّ من قائل: ﴿هَٰذَا يَوْمُ يَنْفَعُ ٱلصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾(٤).

---

(١) الأُصول من الكافي ٢: ٨٥، والبحار ٧١: ٢.
(٢) الأُصول من الكافي ٢: ٨٥.
(٣) الأُصول من الكافي ٢: ٨٦.
(٤) سورة المائدة: ١١٩.

وقال في صفات عباده الصالحين: ﴿ٱلصَّـٰبِرِينَ وَٱلصَّـٰدِقِينَ وَٱلْقَـٰنِتِينَ وَٱلْمُنفِقِينَ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بالأَسْحَارِ﴾(١).

وقال: ﴿وَٱلَّذِي جَاءَ بالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُوْلَٰئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾(٢).

كما وردت أحاديث شريفة في مدح الصدق والصادقين:

قال رسول الله ﷺ: «عليكم بالصدق فإنّه يَهدي إلىٰ البِرّ، والبِرُّ يَهدي إلىٰ الجنّة»(٣).

وقال أيضاً: «لا يستقيم إيمان عبدٍ حتىٰ يستقيمَ قلبُهُ، ولا يستقيمُ قلبُهُ حتّىٰ يستقيمَ لسانُهُ»(٤).

وقال الإمام علي عليه السلام: «علامة الإيمان أنْ تُؤثِرَ الصدقَ حيثُ يَضرّك علىٰ الكذب حيثُ ينفعك»(٥).

وممّا يجدر ذكره هو أنّ الأشياء تُعرف بنظائرها وتتميّز بأضدادها، وكلّ صفةٍ كريمة تقابلها صفةٌ رديئة. فالصدق يُقابله الكذب؛ لذا حثّ القرآن الكريم والنبيّ العظيم والأئمة الطاهرون وعلماء الأخلاق الناس علىٰ قول الصدق وحذّروهم من الكذب.

قال تعالىٰ: ﴿قُلْ إنَّما حَرَّمَ رَبّيَ الفَوَاحِشَ ما ظَهَرَ مِنْها وَما بَطَنَ والإثمَ والبَغْيَ بغيرِ الحَقّ وأن تُشْرِكُوا باللهِ ما لَم يُنزِّلْ بِهِ سلطاناً وأن تَقُولُوا علىٰ اللهِ مالا تَعْلَمُونَ﴾(٦).

---

(١) سورة آل عمران: ١٧.

(٢) سورة الزّمر: ٣٣.

(٣) نهج الفصاحة: ٤١٨، الحديث ١٩٧٧.

(٤) نهج البلاغة: الخطبة ١٧٦.

(٥) نهج البلاغة: الحكمة ٤٥٨.

(٦) سورة الأعراف: ٣٣.

فالواجب الشرعي يُحتّم علىٰ الخطيب أن يتحدّث عن علم وأن لا يتقوّل علىٰ الله أو علىٰ الرسول أو الأئمة عليهم السلام.

قال السيّد الخوئي قدس سره: «بعض الروايات تضمّنت أنّه (من كذب علينا فقد كذب علىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله، ومَن كذِبَ علىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله فقد كذب علىٰ الله تعالىٰ)، وهي كما ترىٰ ظاهرة في الكذب المتعلّق بأمرٍ ديني، باعتبار أنّ الرسول يُخبِر عن الله، والأئمة عن الرسول، فإذا نسب شيئاً إلىٰ الإمام فبالدلالة الالتزامية نَسَبَه إلىٰ الرسول، وأيضاً إلىٰ الله تعالىٰ؛ ولأجله يختصّ [الكذب] بأمر الدين الصالح للانتساب إلىٰ الجميع. ومن ثمّ ورد في بعض الأخبار أنّه (إذا سمعتم شيئاً منّا فلا بأس بأن تنسبوه إلىٰ أمير المؤمنين عليه السلام وبالعكس) وهذا ليس إلّا لأجل أنّهم بمنزلة متكلّمٍ واحد، ويُفرغون عن لسانٍ واحد، فما يقوله الإمام السابق يقوله اللاحق بعينه وبالعكس.

وعلىٰ الجملة فهذه الروايات وإن ظهر منها اختصاص الكذب بالأحكام ولا تشمل الأُمور الدنيوية، إلّا أنّ ذلك لأجل القرينة، لوضوح أنّ مَن كذب علىٰ عليٍّ عليه السلام في أمرٍ تكويني [كما إذا أخبر مثلاً عن نومِ أمير المؤمنين عليه السلام في ساعةٍ معيّنةٍ كاذباً] لا يكون كاذباً [علىٰ الله تعالىٰ ولا] علىٰ رسول الله»[١].

ومن العلماء الذين حذّروا الخطباء والقرّاء الحسينيّين من إيراد الأخبار الكاذبة في قراءتهم: الشيخ النوري، فقد ذكر في كتابه (اللؤلؤ والمرجان) أربعين مفسدة ومضرّة للكذب في الدنيا والآخرة، وأنّ الكذب والافتراء علىٰ الله أو الرسول أو الأئمة عليهم السلام من المعاصي الكبيرة، وبيّن أنواع الكذب ومنه مايتورّط به بعض القرّاء بذرائع وحجج ما أنزل الله بها من سلطان.

(١) مستند العروة الوثقىٰ ١: ١٣٣ ـ ١٣٤.

ثمّ أورد الشيخ بعض الرُؤىٰ والقصص المحذِّرة من استعمال الكـذب فـي المنبر:

الأُولىٰ: «جاء رجل في مدينة كرمانشاه إلىٰ العالم الكامل الشيخ محمد علي صاحب كتاب (المقامع)، وقـال له: رأيت فـي المنـام كأنّي أقطع لحـم بـدن الحسين عليه السلام بأسناني، فما تعبير ذلك؟ وكان الشيخ لا يعرفه ولا يعرف عـمله، فأطرق برأسه إلـىٰ الأرض مفكّراً ثم رفع رأسه إليه فقال له: هل تقرأ التعزية؟ قال: نعم، فقال له: إمّا أن تترك أو تنقل عن الكتب المعتبرة»(١).

الثانية: جَمعَ أحد قرّاء التعزية جماعة القرّاء وقصّ عليهم رؤيا رآها قائلاً: رأيتُ البارحة في المنام كأنّ القيامة قامت وحُشرَ الناس وهم في حـيرة مـن أمرهم، والملائكةُ تسوقهم إلىٰ الحساب، فأُوقفتُ بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام، فالتفت إليّ الإمامُ قائلاً: لِمَ نَسَبتَ إلىٰ ولدي الحسين الذلَّ والهوانَ في قراءتك؟ فقلتُ: لم أفعل، وإذا بجانبي رجل قدّم إليّ كتاباً رأيت فـيه كـلّ ماقرأتُه علىٰ المنبر ومنه ما عاتبني عليه الإمام، فقلتُ: نَقلتُ ذلك من الجـزء العاشر من كتاب (البحار) للمجلسي، فأمر الإمام بإحضار الكتاب ودفعه إليّ، وقال لي: استخرج الخبر، قال: فأخذتُ أُقلّبُ الصفحاتِ فلم أَجِدْ شيئاً، فقلت: وجدتُ ذلك في (مقتل ملّا صالح البرغاني)(٢)، فأمرَ الإمامُ بإحضاره، فصرتُ أُقلّبُ صفحاته عشوائياً وأنا في خوفٍ ووَجَل، فاستيقظت من نومي مرعوباً.

---

(١) اللؤلؤ والمرجان: ١٦٩، ودار السلام للشيخ النوري ٢: ٢٣٤.

(٢) والظاهر أنّه كتاب (معدن البكاء فـي مـقتل سـيد الشـهداء)، لمـحمد صـالح بـن مـحمّد البرغاني القزويني المتوفّىٰ ١٢٨٣ هـ، والمدفون في الرواق الحسيني. مخطوط في المكتبة الرضوية برقم ٩٣١٦، سنة ١٢٧٢ هـ، الذريعة للشيخ الطهراني ٢١: ٢٢١. ومعجم ما كُـتب عن الرسول وأهل البيت لعبد الجبار الرفاعي ٨ / ٥٨.

ثم قال لجماعته القرّاء: أمّا أنا فلا أجدُ نفسي قادراً علىٰ القيام بشروط قراءة التعزية؛ ولذلك عزمت علىٰ ترك القراءة مع أنّني أستفيد سنوياً مبلغاً كبيراً من قراءة التعزية، وأمّا أنتم فمَن صدّقني فيما رأيتُ ولم يَجِدْ نَفسَهُ قادراً علىٰ القيام بشروط قراءة التعزية فليعمل مثل عملي[١].

كما أنّ الشيخ عبّاس القمي أورد رؤياً أُخرىٰ قائلاً: «حدّثني المحدّث الفاضل المؤرّخ المتبحّر الميرزا هادي الخراساني النجفي قال: رأيت في المنام كأنّي في صحن أمير المؤمنين عليه السلام في حجرة من حجراته وجميع الأئمة أو أكثرهم عليهم السلام فيها جالسون، ورأيت رجلاً من أهل المنبر يقرأ لهم التعزية وهم يستمعون، حتىٰ إذا بلغ إلىٰ قوله: قال شمر لسكينة: يا بنت الخارجي، رأيت أمير المؤمنين عليه السلام اشمأزّ من هذا الكلام وانقبض أشد انقباض واكفهرّ وجهه الشريف، فلمّا رأيت ذلك أشرت إلىٰ الرجل القارئ أن اسكت، أما ترىٰ أمير المؤمنين عليه السلام وما حلّ بساحته المقدّسة! فقال لي أمير المؤمنين عليه السلام: لم يكن الذي قلتَ بالأمس أقلّ من هذا، فذكرتُ أنّي قرأتُ مصيبة رأس أبي الفضل من تعليقه علىٰ لبان الفرس، فاعتذرتُ إليه وتبتُ»[٢].

أنا لا أدّعي أنّ هذه الرؤىٰ تُثبت حُكماً شرعيّاً، ولكنّها علىٰ كلّ حال تُنذرُ بالخطر، والاحتياطُ طريقُ النجاة، فلابدّ أن نحتاط في الأحاديث والأخبار

---

(١) اختصرته ونقلته من كتاب اللؤلؤ والمرجان: ١٨٠، ودار السلام للشيخ النوري ٢: ٢٣٤.
والظاهر أنّ هذا الرجل من جملة (الرائين) الذين يخلقون المصائب العجيبة لإبكاء الناس، ويعتقدون بأنّ الغاية تبرّر الواسطة، وهؤلاء وأمثالهم قد استغاث منهم السيد الأمين والشيخ المطهّري وآخرون.

(٢) نفثة المصدور: ٦٢١ ـ ٦٢٢. والصحيح أن رأس حبيب بن مظاهر عُلّق بلبان الفرس. لا رأس العباس عليه السلام.

التي ننسبها للمعصومين عليهم السلام، ولا نغترّ بأقوال العوام وتأييدهم فإنّهم لا يُغنون عنّا شيئاً.

والجدير بالذكر هنا أنّ الشيخ النوري لم ينفرد بالتحذير من ذكر الأخبار غير الصحيحة علىٰ المنبر الحسيني، بل تبعه علىٰ ذلك السيد محسن الأمين في (المجالس السَنيّة)، والشيخ مرتضىٰ المطهّري في كتابه (الملحمة الحسينيّة).

فقد تحدّث السيد الأمين في مقدمة كتاب (المجالس السَنيّة) عن عظمة الحسين عليه السلام وصفاته الكريمة، وأهمّية ثورته المباركة، وعظم مصابه وتأكيد الأئمة عليهم السلام علىٰ تجديد الأحزان لذكرىٰ فاجعة الطف، وأنّ شيعتهم امتثلوا أمرهم فصاروا يُقيمون عزاءهُ ومآتمهُ، ويذكرون شهادته ومصائبه التي تكاد تفتّت الصخور فضلاً عن الأكباد والقلوب، ولا سيّما في العشرة الأُولىٰ من شهر محرّم التي وقعت فيها تلك المصائب الفادحة، ثم قال: «هذا ولكنّ كثيراً من الذاكرين لمصابهم قد اختلقوا أحاديث في المصائب وغيرها لم يذكرها مؤرّخ ولا مؤلّف، ومسَخُوا بعض الأحاديث الصحيحة وزادوا ونقصوا فيها لِمَا يرونه من تأثيرها في نفوس المستمعين الجاهلين بصحّة الأخبار وسقمها، حتىٰ حُفظتْ علىٰ الألسن، وأُودعت في المجاميع، واشتُهرتْ بينَ الناس، ولا رادع، وهي من الأكاذيب التي تغضبهم، وتفتح باب القدح للقادح، فإنّهم لا يرضون بالكذب الذي لا يُرضي الله ورسوله، وقد قالوا لشيعتهم: (كونوا زيناً لنا ولا تكونوا شيناً علينا). وقد اكتسبوا هُم ومَن قَبِلها منهم وأقرَّهم عليها الإثمَ المُبين، فإنّ الله لا يُطاع من حيثُ يُعصىٰ، ولا يَتقبّل الله إلّا من المتّقين، والكذب من كبائر الذنوب الموبقة، ولا سيّما إنْ كان علىٰ النبي وأهل بيته الطاهرين»(١).

(١) المجالس السَنيّة للسيد محسن الأمين العاملي ١ : ٤.

ويقول الشيخ عبد الله المامقاني في وصيّته لولده: «وأرىٰ أنّ اتّخاذ قراءة التعزية مَكسباً أولىٰ لك من سائر المكاسب، لاجتماعها مَعَ طلب العلم والتفقّه.

وعليك إنْ اختَرتَها: بحفظ اللسان من الكذب والبهتان علىٰ أهل البيت، ولا تَذكُرْ من المصائب إلّا ما بها روايةٌ مُعتبَرةٌ تَنسبُها إليهم، أو تنقل ما رواه الشخص المعيّن، ولا تزعَمْ أنّ كثرة بكاء الناس تتوقّف علىٰ الإكثار من ذكر المصائب، بل تحصل بإدخال المصيبة في قلب الشيعي بتقريبٍ حَسَنٍ؛ ولذا فعليك بتقديم بيان كرامةٍ من كرامات مَن تَذكُرُ مصيبتَهُ مِن أهل البيت عليهم السلام، وتُعقّب ذلك بذكر المصيبة، فإنّ لذلك مدخلاً عظيماً في تأثير ذكر المصيبة في القلب، وزيادة البكاء كما يَقضي به الاعتبار والتجربة»[١].

نقل لي بعض العلماء عن الخطيب الكبير والمحدّث الخبير الشيخ عباس القمي أنّه رأىٰ ليلةً في المنام كأنّه يَأكلُ في حال الصوم، فلما استيقظ فسّر رؤياه بأنّه: ربّما لا يقرأ الأحاديث صحيحةً كاملةً في نهار شهر رمضان، فأخذَ بعد ذلك يقرأ الأحاديث علىٰ الورقة احتياطاً.

وهذا شيء مهم جدّاً يجب أن نتنبّه له، وهو قراءة الأحاديث والأخبار بصورة صحيحة خصوصاً في أيام شهر رمضان؛ لأنّ الكذب علىٰ الله أو علىٰ الرسول أو علىٰ أحد المعصومين معصية كبيرة، وهو من جملة المفطّرات التي تستوجب الكفّارة.

قال السيّد الطباطبائي في (العروة الوثقىٰ)، عند ذكره مفطّرات الصوم[٢]:

«الخامس: تَعمُّدُ الكذبِ علىٰ الله تعالىٰ أو رسوله أو الأئـمة صلوات الله

---

(١) مرآة الرشاد: ٢٠٧ ـ ٢٠٨.

(٢) العروة الوثقىٰ للسيّد محمّد كاظم الطباطبائي اليزدي قدس سره، كتاب الصوم، فيما يجب الإمساك عنه في الصوم من المفطّرات ٢: ١٦ ـ ١٧.

عليهم، سواءٌ أكان [الكذب] متعلّقاً بأُمور الدين أم الدنيا(١)، وسواء كان بنحو الإخبار أو بنحو الفتوىٰ(٢)، بالعربي أو بغيره من اللغات، من غير فرقٍ بين أن يكون بالقول أو الكتابة أو الإشارة أو الكناية أو غيرها ممّا يصدق عليه الكذب(٣)، مجعولاً له، أو جَعَلَهُ غيرُه وهو أخبَرَ به مُسنداً إليه لا علىٰ وجه نقل القول؛ وأمّا لو كان علىٰ وجه الحكاية ونقل القول فلا يكون مبطلاً(٤)».

---

(١) كالإخبار عن نوم أمير المؤمنين عليه السلام في ساعة معيّنة ـ كاذباً ـ مثلاً. مستند العروة الوثقىٰ للسيد الخوئي ١: ١٣٣.

(٢) لعدم الفرق بينهما في صدق عنوان الكذب علىٰ الله ورسوله بعد أن كانت الفتوىٰ معدودة من طرق إثبات الحكم في الشريعة، فلا فرق بين قوله: قال الله كذا، أو أنّ هذا حلال، في أنّ كليهما إخبار عن الله تعالىٰ، غايته أنّ أحدهما صريح والآخر غير صريح.
هذا فيما إذا أخبر عن الواقع وأفتىٰ بما في الشرع. وأمّا إذا أخبر عن رأيه وفهمه وأسنده إلىٰ اجتهاده فهذا ليس من الكذب علىٰ الله في شيء، وإنّما هو كذب علىٰ نفسه لو لم يكن مطابقاً لرأيه.
وهكذا لو نقل الفتوىٰ عن الغير، أو الرواية عن الراوي كذباً، كأن يقول، قال: زرارة إنّه قال الصادق عليه السلام، فإنّه كذب علىٰ ذلك الغير، أو علىٰ الراوي، لا علىٰ الله تعالىٰ أو علىٰ الإمام عليه السلام.
ومن هذا القبيل ما لو نقل عن مؤلّفٍ وليس فيه، كما لو قال: حُكي في البحار عن الصادق عليه السلام كذا، فإنّه كذبٌ علىٰ المجلسي لا علىٰ الإمام، فلا يترتب عليه إلّا الإثم دون البطلان. مستند العروة الوثقىٰ ١: ١٣٤ ـ ١٣٥.

(٣) فلو سُئل عن شيءٍ فأجاب أنّه حلالٌ أو حرامٌ مشيراً برأسه ناسباً إلىٰ الرسول كان كاذباً، وكذا لو أجاب بالكتابة أو الكناية، لعدم الدليل علىٰ التقييد بالقول الصريح.
وبعبارة أُخرىٰ: المعتبر في الجملة الخبرية قصد الحكاية مع مُبرزٍ ما، فلو قصد الحكاية عن ثبوت شيءٍ لشيءٍ ناسباً ذلك إلىٰ [النبي صلى الله عليه وآله أو أحد] الأئمة عليهم السلام وقد أبرزه في الخارج بكتابةٍ أو كنايةٍ أو صراحةٍ، أو بإحدىٰ الدلالات الثلاث (أي التطابقية أو التضمّنية أو الالتزامية) علىٰ نحوٍ يكون الكلام دالاً عليه، فجميعه داخل في الكذب وموجب للإفطار بطبيعة الحال. مستند العروة الوثقىٰ ١: ١٣٥.

(٤) فإنّ الاعتبار بالقول الصادر منه كذباً، سواء أكان جاعلاً له بنفسه، أم جَعَلَهُ غيره، كما ←

وأضاف السيّد: «الأقوىٰ إلحاق باقي الأنبياء والأوصياء بنبيّناﷺ، فيكون الكذب عليهم أيضاً موجباً للبطلان، بل الأحوط إلحاق فاطمة الزهراءعليها السلام بهم أيضاً».

«وإذا تكلّم بالخبر غير موجّه خطابه إلىٰ أحد، أو موجّهاً إلىٰ مَن لا يفهم معناه فالظاهر عدم البطلان، وإن كان الأحوط القضاء».

ومن المسائل التي تعرّض لها السيّد هنا قوله: «إذا سأله سائل: هل قال النبيﷺ كذا فأشار (نعم) في مقام (لا) أو (لا) في مقام (نعم) بطل صومه.

وإذا أخبر صادقاً عن الله تعالىٰ أو عن النبيﷺ مثلاً، ثم قال: كذبتُ، بطل صومه. وكذا إذا أخبر بالليل كاذباً ثم قال في النهار: ما أخبرتُ به البارحة صِدْقٌ.

وإذا أخبر كاذباً ثم رجع عنه بلا فصل لم يرتفع عنه الأثر، فيكون صومه باطلاً، بل وكذا إذا تاب بعد ذلك، فإنّه لا تنفعه توبته في رفع البطلان»[1].

← لو قال: قال أمير المؤمنينعليه السلام كذا، كما ذكره الطبري مثلاً. نعم لو نسبه إلىٰ الجاعل فقال: فلان يقول: إنّ رسول الله فَعَلَ كذا، فهذا نقلٌ للكذب وليس منه. مستند العروة الوثقىٰ ١: ١٣٥ ـ ١٣٦.

(١) فإنّ الرجوع وإن لم يكن عن فصل (أي فاصل زمني) وكذا التوبة لا يُغيّر الواقع ولا ينقلب الشيء عمّا هو عليه، فقد صدر الكذب بمجرّد الفراغ من الكلام، وتَحَقَّقَ المبطل، فيترتب عليه الأثر بطبيعة الحال (شأنُ الكذب شأنُ باقي المفطّرات كالأكل والشرب والجماع)، وغاية ما تنفعه التوبة رفع الإثمِ دون البطلان.

«نعم، إنّ للمتكلّم أن يُلحق بكلامه ما شاء، فلو كان الرجوع [عن الكذب] قبل انعقاد الظهور واستقراره للكلام، وفراغه منه، فذيّلَ كلامه بما يخرجه عن الظهور في الكذب علىٰ الله تعالىٰ، كما لو رجع وندم فأردف الكلام المقصود به الكذب بقوله: هكذا قاله فلان، خرج ذلك عن الكذب علىٰ الله ودخل في الكذب علىٰ ذلك الشخص المنقول عنه، فلا ←

«ولا فرق في البطلان بين أن يكون الخبر المكذوب مكتوباً في كتاب من كتب الأخبار، أوْ لا، فمع العلم بكذبه لا يجوز الإخبار به وإن أسنده إلىٰ ذلك الكتاب، إلّا أن يكون ذِكرُه له علىٰ وجه الحكاية دون الإخبار[1]، بل لا يجوز الإخبار به علىٰ سبيل الجزم مع الظنّ بكذبه، بل وكذا مع احتمال كذبه إلّا علىٰ سبيل النقل والحكاية[2].

← يكون مبطلاً من هذه الناحية، ولا تترتب عليه الكفّارة، لعدم وجود المفطّر خارجاً، وإن كان الظاهر هو البطلان حينئذٍ أيضاً، من أجل نيّة المفطّر وقصده التي قد عرفت أنّها بنفسها تستوجب البطلان لفرض تعلّق القصد به أوّلاً، ولا أثر للرجوع في إزالته كما هو ظاهر». مستند العروة الوثقىٰ ١: ١٣٨ ـ ١٣٩.

(١) «إذ المناط في صدق الكذب (أي تحققه) قصدُ الحكاية عن الواقع مع عدم المطابقة له، فمتىٰ تحقّق ذلك فقد كذب وأبطل صومه، سواء أكان ذلك مكتوباً في كتاب من كتب الأخبار، أم لا، [وسواء] أسنده إلىٰ ذلك الكتاب، أم أخبر به ابتداءً ومن غير إسناد؛ إذ لا دخالة لشيء من ذلك في تحقّق ما هو المناط في الكذب حسب ما عرفت.
نعم لو كان الإخبار علىٰ نحو الحكاية عن ذلك الكتاب، لا الحكاية عن الواقع، لم يكن كذباً لصدقه في هذه الحكاية». مستند العروة الوثقىٰ ١: ١٣٩.

(٢) «يقع الكلام في الإخبار الجزمي، تارةً مع العلم بكذب الخبر، وأُخرىٰ مع الظنّ به، وثالثة مع الشك.
أمّا مع العلم به والقطع بمخالفته للواقع، فإن فسّرنا الكذب بأنّه (الإخبار علىٰ خلاف الاعتقاد) كما قيل به واستُشهد له بقوله تعالىٰ: ﴿[إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنّك لرسول الله والله يعلم إنّك لرسوله] والله يشهد إنّ المنافقين لكاذبون﴾ المنافقون: ١، حيث حكم تعالىٰ عليهم بالكذب بمجرّد المخالفة لاعتقادهم، وإن كان ما أخبروا به من رسالة النبي ﷺ مطابقاً للواقع، فقد تحقّق البطلان في المقام بمجرّد الإخبار وإن انكشف بعد ذلك أنّه كان مطابقاً للواقع، لِتحقّق موضوعه بتمامه، وهو التعمّد إلىٰ الإخبار بما يعتقد خلافه، الذي هو المناط في الكذب حسب الفرض.
وإن فسّرناه ـ كما هو الظاهر ـ بأنّه الإخبار علىٰ خلاف الواقع، وأنّ الاعتقاد طريق إليه، والآية المباركة لا تنافيه ـ لِمَا قيل في محلّه من أنّ تكذيبهم راجع إلىٰ قولهم: (نشهد إنّك ←

فالأحوط لناقل الأخبار في شهر رمضان مع عدم العلم بصدق الخبر أن يُسنده إلىٰ الكتاب [الذي أخذه منه] أو إلىٰ قول الراوي [الذي يروي عنه] علىٰ سبيل الحكاية».

← لرسول الله...) الآية، فحينئذٍ: إن كان مخالفاً للواقع فقد تعمّد الكذب وبطل صومه، وأمّا إذا انكشف أنّه مطابق للواقع فهو وإن لم يرتكب المفطّر ـ لانتفاء الكذب ـ فلا كفّارة عليه، إلّا أنّه مع ذلك يبطل صومه من أجل نيّة المفطّر، فالصوم باطل علىٰ كلّ حال طابقَ [الكذبُ] الواقعَ أم خالف، وإنّما الفرق من حيث ترتّب الكفّارة وعدمه.

وأمّا مع الظنّ، فحيث أنّه لا دليل علىٰ حجّيته فيلحق بالشكّ، وحكمه عدم جواز الإخبار بدون العلم بالواقع علىٰ صورة الجزم، سواء أكان ظانّاً به أم بعدمه أم شاكّاً؛ وهذا ممّا لا كلام فيه حسبما دلّت عليه الآيات التي منها قوله تعالىٰ: ﴿أم تقولون علىٰ الله ما لا تعلمون﴾ البقرة: ٨٠.

وإنّما الكلام في إبطاله للصوم، فربّما يُقال بعدم البطلان، نظراً إلىٰ الشكّ في مخالفته للواقع الموجب للشكّ في حصول الإفطار به، فيرجع إلىٰ أصالة البراءة، بل لا حاجة إلىٰ التمسّك بالأصل للعلم بعدم المفطّرية واقعاً؛ لأنّه إن كان مطابقاً للواقع فلا كذب أصلاً، وإن كان مخالفاً فلا تعمّد إليه، فإنّ المفطّر خصوص التعمّد إليه، المنتفي في المقام بعد فرض الشك في المطابقة».

ثم أضاف السيّد الخوئي «أقول: بل الظاهر هو البطلان، لصدق العمد بعد تنجّز الاحتمال، لأجل كونه من أطراف العلم الإجمالي الذي لا مجال معه للرجوع إلىٰ أصالة البراءة، حيث إنّه يعلم إجمالاً بكذب أحد الأمرين: إمّا ذاك الخبر المفروض، أو نقيضه، وأنّ أحد الإسنادين إلىٰ الإمام عليه السلام مخالف للواقع جزماً، فمثلاً: لو فُرض أنّ الخبر المشكوك مطابقته للواقع هو: أنّ الصادق عليه السلام قال: (إنّ الشيء الفلاني حرام) فيُعلم إجمالاً بعدم مطابقة أحد الخبرين للواقع، إمّا هذا الخبر أو خلافه وهو: أنّه قال الصادق عليه السلام: (الشيء الفلاني ـ بعينه ـ حلال)، وأنّ أحدهما كذبٌ قطعاً، فبالعلم الإجمالي يتنجّز الواقع لا محالة، ولا مجال معه للرجوع إلىٰ أصالة البراءة...

فتحصّل: أنّ الإخبار الجزمي مع احتمال المخالفة أيضاً موجب للبطلان، سواءٌ انكشف الواقع أم لا، لعدم تعلّق قصده بالصوم الصحيح. ومنه يظهر الجواب عمّا أُفِيدَ من أنّه غير عامد للكذب، فلاحِظْ». مستند العروة الوثقىٰ ١: ١٤٠ ـ ١٤٢.

وأضاف السيّد قائلاً: «الكذب علىٰ الفقهاء والمجتهدين والرواة وإن كان حراماً [إلّا أنّه] لا يوجب بطلان الصوم إلّا إذا رجع إلىٰ الكذب علىٰ الله ورسوله ﷺ.

وإذا اضطر إلىٰ الكذب علىٰ الله تعالىٰ ورسوله ﷺ في مقام التقيّة من ظالمٍ لا يبطل صومه به، كما أنّه لا يبطل مع السهو أو الجهل المركب[١].

وإذا قصد الكذب فبانَ صدقاً دخل في عنوان قصد المفطِّر، بشرط العلم بكونه مفطّراً[٢].

وإذا قصد الصدق فبانَ كذباً لم يضر كما أُشير إليه[٣].

وإذا أخبر بالكذب هَزَلاً بأن لم يقصد المعنىٰ أصلاً، لم يبطل صومه»[٤].

ب ـ الأمانة:

من أهمّ الصفات الكريمة لكلّ إنسان وبالأخصّ لِمَن هم قدوة في المجتمع صفة الأمانة. قال الإمام علي عليه السلام: «أُقسِمُ لَسمعتُ رسولَ الله يقول قبل وفاته بساعةٍ مراراً ثلاثاً: يا أبا الحسن، أدِّ الأمانةَ إلىٰ البَرِّ والفاجرِ فيما قلَّ وجلَّ حتّىٰ في الخيطِ والمَخِيط»[٥].

---

(١) لاعتبار العمد في حصول الإفطار به، كما في سائر المفطّرات. مستند العروة الوثقىٰ ١: ١٤٣.

(٢) فيبطل صومه من أجل نيّة المفطّر (أي إقدامه علىٰ تناول المفطّر وهو الكذب)، لكن بشرط العلم بكونه مفطّراً. مستند العروة الوثقىٰ ١: ١٤٤.

(٣) من اعتبار العمد، وعدم البطلان بالسهو أو الجهل المركّب.

(٤) لتقوّم الخبر بقصد الحكاية عن الواقع المفقود في المقام، فلا موضوع للكذب بتاتاً كما هو ظاهر. مستند العروة الوثقىٰ ١: ١٤٤.

(٥) البحار ٧٧: ٢٧٣.

وصفة الأمانة ضروريّة لِمَن يحملُ رسالةً أو يتحمّلُ مسئوليّة؛ ولذا وصف الله تعالىٰ جبرائيل عليه السلام حامل الوحي إلىٰ الأنبياء بالروح الأمين فقال مخاطباً نبيّه الكريم صلى الله عليه وآله: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ * عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنْذِرِينَ﴾[١].

كما أنّ الأنبياء المبلّغين لرسالات السماء كلّهم أُمناء، فمن ألقاب الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله الصادق الأمين، وورد في زيارته: «السلام عليك يا رسول الله، السلام عليك يا حبيب الله، السلام عليك يا أمين الله ...»[٢].

وكذلك الأوصياء لابدّ من أن يكونوا أُمناء علىٰ الرسالة؛ لذا ورد في زيارة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «السلام عليك يا أمين الله في أرضه وحجّته علىٰ عباده»[٣].

وتسمّىٰ هذه الزيارة بزيارة أمين الله، ويمكن قراءتها عند كلّ إمام معصوم.

وفي زيارة الإمام أبي عبدالله الحسين عليه السلام نقرأ: «السلام عليك يا أمين الله وحجّة الله وباب الله، والدليل علىٰ الله والداعي إلىٰ الله»[٤].

وهكذا العلماء الذين هم حلقة الوصل بين الناس والنبي والأئمة الطاهرين. قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «العلماء أُمناء الله علىٰ خلقه»[٥]، وقال أيضا: «الفقهاء أُمناء الرُّسُل ما لم يدخلوا في الدنيا، قيل: يا رسول الله، ما دخولهم في الدنيا؟ قال: اتّباع السلطان[٦]، فإذا فعلوا ذلك فاحذَروهم علىٰ دينكم (أديانكم)»[٧].

---

(١) سورة الشعراء: ١٩٣ ـ ١٩٤.

(٢) المزار الكبير: ٦٢.

(٣) المزار الكبير: ٢٨٢.

(٤) كامل الزيارات: ٣٨٢، الحديث ٦٢٩، و مفاتيح الجنان المعرب: ٤٢٦.

(٥) نهج الفصاحة: ٤٢٦، الحديث ٢٠١٣.

(٦) أي الحاكم المتسلّط الظالم.

(٧) النوادر للسيد فضل الله الراوندي: ١٥٦، والأُصول من الكافي ١: ٣٧، والبحار ٢: ٣٦.

فمن الضروري للخطيب أن يكون أميناً في نقل الأحاديث والأفكار والآراء والمعتقدات، فلا يغيّر ولا يبدّل، كما يجب أن يكون موضع ثقة الناس واعتمادهم، وأميناً علىٰ عقائدهم وعقولهم وأعراضهم وأموالهم وأسرارهم، وهذا يستوجب المحافظة علىٰ سمعته، وتجنُّب مواضع التهمة، قال الإمام علي عليه السلام: «مَن وضعَ نفسَهُ مواضعَ التُهمة فلا يَلُومَنّ مَن أساءَ به الظنّ»[1].

٥ و ٦ ـ الصبر وتحمّل الأذىٰ:

من الوظائف الأساسيّة للخطيب: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. والأمر والنهي ربّما يصطدمان مع مصالح بعض الناس، فيسبّبون له بعض المشاكل، ويحاربونه، ويشوّهون سُمعته بشتّىٰ الوسائل، فعليه أن يتحمّل الأذىٰ ويستعين بالصبر، ويتوكّل علىٰ الله في أداء رسالته. قال سبحانه لنبيّه الحبيب: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا العَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾[2]. وقال لقمان في وصيته لولده: ﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنْ ٱلمُنْكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ ما أَصَابَكَ إِنَّ ذلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ﴾[3].

وقال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «عليكم بالصبر فإنّ الصبر من الإيمان كالرأس من الجسد، ولا خير في جسد لا رأس معه ولا في إيمان لا صبر معه»[4].

وممّا يُنسب إلىٰ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام من الشعر، قوله:

---

(١) نهج البلاغة، الحكمة ١٥٩.

(٢) سورة الأحقاف: ٣٥.

(٣) سورة لقمان: ١٧.

(٤) نهج البلاغة: الحكمة ٨٢.

إنّـي رأيتُ وفـي الأيّـام تـجربة للـصبر عـاقبة مـحمودة الأثـر[١]
وقَـلّ مَـن جَـدَّ فـي أمـرٍ يـطالبه واستصحب الصبر إلّا فاز بالظفر[٢]

٧ ـ العِفّة:

من أبرز صفات المؤمنين الحياء والعفّة، والخطيب أولىٰ الناس بالعفّة؛ لأنّه يرتبط بالناس وهو موضع ثقتهم، فإذا أحسّوا منه خيانة ـ لا سمح الله ـ أساؤوا الظن بالدّين ورجاله جميعاً، فتكون انتكاسة للمنبر ورجاله.

والعفّة أقسام: عفّة اليد والبطن والفرج واللسان والبصر.

ولعلو مقام العفيف عند الله تعالىٰ قال الإمام علي عليه السلام: «ما المجاهد الشهيد في سبيل الله بأعظم أجراً ممّن قدر فعَفّ، لكاد العفيف أن يكون مَلَكاً من الملائكة»[٣]، وقال أيضاً: «العفاف يصون النفس وينزّهها عن الدنايا»[٤].

فعفة اللسان تتجلّىٰ باختيار الخطيب للألفاظ الجميلة، وتجنّب الألفاظ المبتذلة، والكلمات الفاحشة التي لا تتّفق مع مقامه وحرمة مجلس الحسين عليه السلام.

كما يجب تجنّب قراءة الشعر الذي يحتوي علىٰ كلمات مستقبحة، خصوصاً في المجالس العامّة، وإذا كانت القطعة الشعريّة جميلة المعنىٰ وفيها بعض

---

(١) في بعض المصادر: «إنّي وجدت».

(٢) في بعض المصادر: في أمرٍ يحاوله فاستصحب الصبر. أُنظر ديوان الإمام علي عليه السلام لقطب الدين الكيدري: ٢٤٦، وديوان الإمام علي عليه السلام لنعيم زرزور: ٨٤. اما ابن أبي الحديد المعتزلي فقد نَسَبَ الشعر في شرحه لنهج البلاغة ١: ٣٢٣ إلىٰ أبي حيّة النُميري.

(٣) نهج البلاغة: الحكمة ٤٧٤.

(٤) معجم ألفاظ غرر الحكم: (العفة).

الكلمات الفاحشة، وأمكن استبدالها بكلمة طيّبة، فبها، وإلّا يُحذف ذلك البيت ويقرأ الباقي، كقول ابن الحجّاج[١] في الردّ علىٰ ابن سُكَّرة العبّاسي:

فكان قولك في الزهراء فاطمة ... قولَ امرئ لَهِجٍ بالنَّصبِ مَفْتُونِ
عيّرتَها بالرحَىٰ والحَبِّ تَطحنُهُ ... لازالَ زادُكَ حَبّاً غيرَ مَطْحُونِ
وقلتَ: إنّ رسولَ اللهِ زوَّجها ... مسكينةً بنتَ مسكينٍ لِمسكينِ
....
ستُّ النساء غداً في الحشر يَخدمها ... أهلُ الجِنان بِحورِ الخُرّدِ العِينِ[٢]

فقد حُذف البيت الرابع لما فيه من كلام غير لائق بالمنبر والخطيب.

ومن الجدير بالذكر أنّ بعض المجتمعات تستعيب بعض الكلمات والألفاظ وتعتبرها فحشاً، وإن كانت مألوفة في مجتمعات أُخرىٰ، أو مستعملة في اللغة والأدب. ففي مثل هذه الحالة يجب اختيار الكلمات المناسبة لبيئة المستمعين.

٨ و ٩ ـ حُسن الخُلق وحُسن المعاشرة:

إنّ حُسن الخُلق والمعاشرة الطيّبة من الصّفات الأساسيّة لمن يرتبط بالنّاس، ويريد جَذبهم إليه وجمعهم حوله حتىٰ يهديهم ويوجّههم ويعلّمهم ويربّيهم،

---

(١) هو الحسين بن أحمد بن محمّد بن جعفر بن محمّد بن الحجاج النيلي البغدادي الشهير بابن الحجاج، أبو عبد الله الكاتب، تُوفّي ليلة الثلاثاء لثلاثٍ بقين من جمادى الآخرة سنة إحدىٰ وتسعين وثلاثمائة بالنيل، وحُمل إلىٰ بغداد فدُفن عند رجلَي الإمامين الكاظم والجوادعليهما‌السلام وكُتب علىٰ قبره بوصية منه: ﴿وكلبُهم باسطٌ ذراعيه بالوصيد﴾ الكهف: ١٨. الطليعة من شعراء الشيعة ١: ٢٤٧، الرقم ٦٨.

(٢) الغدير ٤: ١٢٩.

وهذه بالذات من مسئوليات الخطيب. قال أميرالمؤمنين عليه السلام: «خالطوا الناس مخالطةً إن متّم معها بكوا عليكم، وإن عشتم حنّوا إليكم»(١)، وقال أيضا: «من حَسُن خُلقه كَثُرَ مُحبّوه، وأَنِسَتِ النفوسُ بِهِ»(٢).

ومن وصايا لقمان لولده: «يا بنيّ إنْ عَدِمَك ما تَصِلُ به قرابتك وتتفضّل به على إخوتك (إخوانك) فلا يَعْدِمَنَّك حُسن الخُلق، وبَسط البِشر، فإنّه مَن أحسَن خُلُقَه أحبّه الأخيار، وجانبه الفُجّار»(٣).

١٠ و ١١ ـ الرفق والمداراة:

علىٰ الخطيب أن يرفق بالمستمعين ويُداريهم، ويتجنّب الحدّة والشدّة، والكلمات الجارحة للعواطف، والمؤلمة للنفوس، وأن يحترمهم فيخاطبهم بخطاب حَسَن، ويكلّمهم باحترام وأدب، ولا يحتقرهم ولا يخجلهم ولا يذمّهم، وأن لا يضع المستمعين في قفص الاتّهام فيضرب علىٰ رؤوسهم بمطرقته، ويصبّ عليهم صواعق العذاب؛ لأنّ ذلك مما يمنع تفاعلهم وتجاوبهم معه، فلا يرتاحون لكلامه، ولا ينصتون لحديثه فتنعدم الفائدة من خطبته. قال سبحانه وتعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً﴾(٤)، وقال عزّ من قائل: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْناً﴾(٥).

وفي سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله أبلغ العِبَر للخطيب، «كان صلى الله عليه وآله إذا بلغه عن

---

(١) نهج البلاغة: الحكمة ١٠.
(٢) نهج البلاغة: الحكمة ١٠.
(٣) قصص الأنبياء، للراوندي: ١٩٨، والبحار ١٣: ٤٢٠.
(٤) سورة الأحزاب: ٧٠.
(٥) سورة البقرة: ٨٣.

الرجل الشيء، لم يقل: ما بال فلان يقول، ولكن يقول: (ما بال أقوام يقولون كذا وكذا؟)»[١].

وفي هذا درس كبير للخطيب، إذا أراد أن يُعاتب بعض المستمعين فلا يوجّه إليهم الخطاب مباشرةً بل يُكنّي فيقول: لماذا يفعل بعض الناس كذا وكذا، كما قال الأديب: «كَلِّمِ الناسَ بابنِ عمّ الكلام».

وفي التأكيد علىٰ مداراة الناس والرفق بهم قالﷺ: «مداراة الناس نصف الإيمان، والرفق بهم نصف العيش»[٢].

وقال: «رأس العقل بعد الإيمان بالله مداراة الناس في غير ترك حقّ»[٣].

وقال: «ما كان الرفق في شيء إلّا زانه، ولا كان الخرق في شيء إلّا شانه»[٤].

وقال أيضاً: «إنّ هذا الدّين متين فأوغلوا فيه برفق، ولا تُكرهوا عبادة الله إلىٰ عباد الله، فتكونوا كالرّاكب المُنبَتّ الذي لا سفراً قطع، ولا ظهراً أبقىٰ»[٥].

وقال: «أمرني ربّي بمداراة الناس كما أمرني بأداء الفرائض»[٦].

قال الإمام الصادقعليه‌السلام: «كان أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) يقول: ليجتمع

---

(١) سُنن أبي داود ٤: ٢٥٠، الحديث ٤٧٨٨، وكنز العمال ٧: ١٣٧، الحديث ١٨٣٨٣، وكحل البصر للمحدث القمي: ٩٢.

(٢) الأُصول من الكافي ٢: ٩٦.

(٣) تحف العقول: ٢٩.

(٤) تحف العقول: ٣٣.

(٥) كنز العمال ٣: ٤٠، الحديث ٥٣٧٧، والأُصول من الكافي ٢: ٨٧.
قال ابن الأثير: في شرح قولهﷺ: «فإنّ المُنْبَتّ لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقىٰ»: «يُقال للرجل إذا انقُطِعَ به في سفره وعَطِبَت راحلته: قد انْبَتّ، من البَتّ: القطع. يُريد أنّه بقي في طريقه عاجزاً عن مقصده، لم يقضِ وطَرَه، وقد أعطب ظهره أي دابّته» النهاية: (بَتّ).

(٦) الأُصول من الكافي ٢: ٩٦، باب المداراة الحديث، ٤.

في قلبك الافتقارُ إلىٰ الناس والاستغناء عنهم ؛ فيكون افتقارك إليهم في لين كلامك وحُسن بِشرك، ويكون استغناؤك عنهم في نزاهة عِرضك وبقاء عِزّك»[١].

١٢ ـ التّواضع :

من أهم الصفات التي تحبّب الإنسان إلىٰ الله تعالىٰ وإلىٰ الناس التـواضـع، وهي صفة بارزة في الأنبياء والأولياء، وقد أكّد عليها القـرآن الكـريم. قـال سبحانه لنبيّه الكريم: ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[٢]، ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِـمَنِ اتَّبَعَـكَ مِـنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[٣].

ومِن صفات المؤمنين: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾[٤] أي متواضعين معهم.

وقال سبحانه في وصف عباده الكرام: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْناً وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الجَاهِلُونَ قَالُوا سَلاماً﴾[٥].

وقال لقمان لولده وهو يعظه: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِـي الأَرْضِ مَرَحاً إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ * وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الحَمِيرِ﴾[٦].

وقال الأديب :

تواضَعْ تَكُـنْ كـالنجم لاح لنـاظرٍ ... علىٰ صَـفَحات المـاء وهـو رفـيعُ

---

(١) الأُصول من الكافي ٢: ١٢٠، الحديث ٧.
(٢) سورة الحِجر : ٨٨.
(٣) سورة الشعراء: ٢١٥.
(٤) سورة المائدة: ٥٤.
(٥) سورة الفرقان: ٦٣.
(٦) سورة لقمان: ١٨ ـ ١٩.

ولاتكُ كـــالدخان يـــعلو بـــنفسه إلىٰ طبقات الجوّ وهـو وضـيع[١]

ومن التواضع أن يقبل نصيحة الآخرين ونقدهم. قال الإمـام الصـادقعليه‌السلام: «أحبّ إخواني إليّ من أهدىٰ إليّ عيوبي»[٢].

١٣ و ١٤ و ١٥ ـ الشجاعة والصمود والاستقامة:

إنّ أصحاب المـبادئ العـظيمة والأهـداف الكـبيرة بـحاجة إلىٰ الشـجاعة ليتمكنوا من أداء رسالتهم والقيام بمسئوليتهم.

ومن هنا كان رُسُل الله من أشجع الناس قلباً. قال تعالىٰ: ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالاَتِ ٱللهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أحَداً إِلَّا ٱللهَ﴾[٣].

إنّ أكثر الأنبياء والرسل كانوا من الطبقة المتوسطة أو المحرومة، ومع ذلك لم يخشوا أكبر طاغية وأقوىٰ إنسان؛ لأنّهم كانوا علىٰ ثقة من ربّهم، وبصيرة من أمرهم، «عَظُم الخالق في أنفسهم فَصَغُر ما دُونه في أعينهم»[٤].

يحدّثنا الإمام أمير المؤمنينعليه‌السلام عن شجاعة وقوّة قلب موسىٰ وهارونعليهما‌السلام وعدم اكتراثهما بفرعون وجبروته قائلاً: «ولقـد دَخَلَ موسـىٰ بنُ عمرانَ ومـعهُ أخوه هارونُعليهما‌السلام علىٰ فرعونَ وعليهما مَدارعُ الصُوفِ وبأيديهما العُصِيّ فشرطا له ـ إن أسلم ـ بقاءَ مُلكِهِ ودوام عزّه، فقال: (ألا تَعجَبُون مِن هذين يَشرِطان لي دوام العزّ وبقاء المُلك، وهما بما تَرون مِن حال الفقر والذل، فهلّا أُلقي عليهما أساورة من ذهب؟) إعظاماً للذهب وجَمْعِهِ، واحتقاراً للصوف ولُبسه!

---

(١) جواهر الأدب ٢: ٤٨٠.

(٢) الأُصول من الكافي ٢: ٦٣٩.

(٣) سورة الأحزاب: ٣٩.

(٤) نهج البلاغة: الخطبة ١٩٣.

ولو أراد الله سبحانه لأنبيائه حيثُ بَعَثهُم أن يَفتح لهم كُنوز الذِّهبان، ومعادن العِقيان، ومغارس الجِنان، وأن يَحشرَ معهم طيور السماء ووحوش الأرضين لفعل، ولو فَعَلَ لسقط البلاء، وبَطَلَ الجزاء، واضمحلّت الأنباء، ولَمَا وجب للقابِلِينَ أُجورُ المبتَلِين، ولا استحقّ المؤمنون ثواب المحسنين، ولا لَزِمَت الأسماءُ معانيَها. ولكنّ الله سبحانه جعل رُسُله أُولي قوّةٍ في عزائمهم، وضَعَفَةً فيما ترىٰ الأعيُنُ من حالاتهم، مع قناعةٍ تملأ القلوب والعيون غنىً، وخصاصةٍ تملأ الأبصار والأسماع أذىً»[١].

كما أنّ أصحاب الرسالات بحاجة إلى الصمود أمام التحدّيات والصعوبات التي يواجهونها، كي لا تضعف معنوياتهم ولا تنهار قواهم.

وكذلك هم بحاجة إلى الإستقامة على الدرب الذي اختطّه الله تعالى لهم قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا ٱللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلمَلائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا﴾[٢] وقال مخاطباً نبيَّه الكريم: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ ومَن تَابَ مَعَك﴾[٣] وقال عزّ من قائل: ﴿وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْت وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أنزَلَ اللهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمالُنا وَلَكُمْ أَعْمالُكُمْ لاَ حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللهُ يَجْمَعُ بَيْنَنا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾[٤].

والإستقامة في مسيرة الرسالة وعدم الانحراف عن الصراط المستقيم من أبرز سمات الرساليين، إذ ربّما تعصف بالأُمة فتن فكرية أو عقائدية أو اجتماعية فيتزلزل له الكثيرون، ولا يخلو الإنسان المؤمن من الامتحان

(١) نهج البلاغة: الخطبة ١٩٢.

(٢) سورة فصّلت: ٣٠.

(٣) سورة هود: ١١٢.

(٤) سورة الشورى: ١٥.

والافتتان في الدنيا، فمن الضروري للخطيب الرسالي أن يستقيم في سيره وسلوكه ولا ينحرف عن مبادئه، كما استقام سيده وإمامه أبوعبدالله الحسين عليه السلام.

١٦ ـ الوَفاء:

إنّ الوفاء بالالتزامات والعهود والمواثيق والعقود اللفظيّة والحاليّة من أهمّ سمات الإنسان الواعي والمثقّف والمتديّن؛ إذ بدون الوفاء بالالتزامات يضطرب المجتمع وتتقطع العلائق الاجتماعيّة وتُسلب الثقة. يقول الإمام علي عليه السلام: «إنّ الوفاء توأم الصدق»[(١)]، أي إنّ الوفاء صدقٌ عملي والصدق وفاءٌ قولي.

الوفاء أقسام منها: الوفاء بالعهود وبالوعود وبالعقود وللدين والوطن والأُمّة والأصدقاء وذوي الحقوق.

قال تعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾[(٢)].

وقال سبحانه: ﴿وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا﴾[(٣)].

وقال عزّ وجلّ: ﴿واذكر في الكتاب إسماعيل إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وكان رسولاً نبيّاً﴾[(٤)].

إنّ السنّة الجارية في الرؤساء والحكّام والأُمراء والوزراء والنوّاب والقضاة والشرطة والجيش والأطباء وغيرهم أن يتعهّدوا بأداء مسئوليتهم المناطة بهم علىٰ أحسن وجه، وبأمانة وإخلاص، وأن يكونوا أوفياء لأُمّتهم ووطنهم.

والتعهّد لم ينحصر في التعهّد اللفظي والقسَم بالوفاء، بل هناك تعهدات

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة ٤١.

(٢) سورة المائدة: ١.

(٣) سورة البقرة: ١٧٧.

(٤) سورة مريم: ٥٤.

أُخـرىٰ واجـبة الوفـاء وإن لم تـقترن بـقول أو قسَـم، كـالتعهدات الإدارية والاجتماعية والدينية. فبمجرّد قبول الشخص القيام بعمل مّا طائعاً يكون قـد تعهّد بأداء ذلك العمل وتحمّل مسئوليته.

فالزوجان مثلاً عند قبولهما للزواج يكون كلّ واحد منهما مـلتزماً بـالقيام بوظيفته الزوجية وإن لم يتعهدا بها لفظاً في أثناء عقد الزواج.

والإنسان المسلم عند قبوله الإسلام ونطقه بـالشهادتين يكـون قـد تـعهّد بتطبيق أحكام الشريعة ويجب عليه الوفاء بما تعهّد به ضمناً.

وكذلك الخطيب الحسيني عندما تقبّل الخدمة الحسينية يكون قد التزم بقبول مبادئ الإمام الحسينعليه السلام وتعهّد بالسير وفقها والدعوة إليها والدفاع عنها.

ولابدّ من أن يكون وفيّاً بهذا العهد المقدّس الذي قطعه علىٰ نفسه ولا يشذّ عنه.

وكلّما كان خادم الحسين أكثر وفاءً وإخلاصاً لسيّد الشهداء ومبادئه كـان أولىٰ بالرحمة الإلهية والعناية الحسينية.

لقد رأينا وسمعنا وقرأنا عن بعض خدام الحسـينعليه السلام مـن خـطباء ونـوّاح وشعراء أخلصوا في خدمتهم الحسينية ووفوا لسيّدهم فرفع الله شأنهم وأعلىٰ مقامهم وأبقىٰ ذكرهم في الخالدين.

خلاصة البحث:

إنّ الصفات الكريمة التي ذكرناها لها مساس بالخطيب وعمله، وفي الحقيقة أنّ كلّ إنسانٍ مسلم يجب أن يتخلّق بالأخلاق الإسلاميّة التي ذكرنا بعضها ولم نذكر البعض الآخر، مثل: الكرم والسـخاء والحـلم والحـميّة والغـيرة والحـياء

والعدل والانصاف والإحسان إلىٰ الناس والرحمة والعفو وكظم الغيظ والقناعة وصلة الرحم وبر الوالدين، وغيرها من الصفات الكريمة.

والخطيب أولىٰ من غيره بالتخلّق بالأخلاق الإسلاميّة والصفات الكريمة؛ لأنّه قدوة للآخرين، فينبغي له أن يكون قدوة حسنة مهما أمكن، ويتحلّىٰ بالأخلاق الفاضلة والصفات الحسنة، ويتخلّىٰ عن الأخلاق الذميمة، كالبخل والحرص والطمع[1] والخيانة والغدر والجبن والتكبّر والغرور[2] والحسد والرياء والنفاق والكذب والعجب والغيبة والنميمة وسوء الخُلُق والبغي وعقوق الوالدين وقطيعة الرحم والغضب في غير موقعه وتحقير الآخرين، وغير ذلك من الصفات المذمومة شرعاً وعقلاً.

---

(١) ربما يحمل الطمعُ والحرص الخطيبَ على مزاحمة إخوانه الخطباء في أرزاقهم بذرائع مختلفة، أو يجرّه جشعه إلى عدم التسامح مع أهل المجالس بحجة انتزاع حقه.

(٢) من الأخطار التي تهدّد الخطيب خطر الاغترار بالتوفيق الآني والشهرة، فيحمله ذلك على الغرور والاستهانة بإخوانه الخطباء والتطاول عليهم وتحقيرهم احياناً، وهذا من كفران النعمة وسوء النيّة. وقد حدّثني الأخ الخطيب الشيخ جعفر الهلالي أنّ أحد الخطباء المعروفين في زمانه حمله الغرور على الاستهانة بأحد خدّام الحسينعليه‌السلام ومواجهته بكلام كسر به قلبه وأدمع عينه، فشكاه إلى سيّده الإمام الحسينعليه‌السلام، وبعد أيام قليلة سلب الله تعالى من الخطيب المتطاول نعمة التسديد والتوفيق فانكسرت شوكته وصار كسقط المتاع، لا يُعتد به ولا يُلتفت إليه، مع أنّ أهل المجالس قبل هذا كانوا يتمنون قراءته في مجالسهم.

إنّ النعمة لم يحصل عليها الإنسان دائماً بالاستحقاق، بل ربّما تكون امتحاناً واختباراً، أو استدراجاً وإملاءً، قال أمير المؤمنينعليه‌السلام في الحكمة ٢٦٠: «كَمْ مِنْ مُستدرَج بالإحسان إليه، ومغرورٍ بالسَّترِ عليه، ومفتونٍ بحُسنِ القول فيه. وما ابتلى الله سبحانه أحداً بمثل الإملاء له»، قال الأديب:

إذا كنت في نعمة فارعها فإنّ المعاصي تزيل النعم

ومن أكبر المعاصي التكبّر والغرور وإيذاء المؤمن والاستهانة به.

لا أقصد من هذا العرض أن يكون الخطيب معصوماً أو قريباً من درجة المعصوم، بل أقصد أن نأخذ بقول إمامنا وسيدنا أمير المؤمنين عليه السلام: «أعينوني بورعٍ واجتهاد، وعفّةٍ وسَداد»[١]، وقوله: «مَن نَصَبَ نفسَهُ للناسِ إماماً فَلْيَبدأ بتعليم نفسِهِ قبل تعليم غيره، وَلْيَكُنْ تأديبُهُ بسيرتِهِ قبل تأديبه بلسانه»[٢]. أي إنّ الّذي جَعَلَ من نفسه قدوةً ومُصلِحاً ومعلّماً عليه أن يَبدأ بتعليم وتربية نفسه قبل تعليمه وتربيته للآخرين، وأفضل طريقة للتأثير في الآخرين هو تطبيق ما يريده من الناس علىٰ نفسه قبلهم، حتىٰ يقتدي ويتأسّىٰ به الآخرون، لِمَا للعمل من أثرٍ بالغٍ في الناس؛ لأنّهم يثقون حينئذٍ به وبأقواله، في حين إذا سمعوه يقول خيراً ويفعل شرّاً تُسلب ثقتهم به وبما يقول، وفي هذا بلاءٌ علىٰ الإسلام وتعاليمه.

إنّ البعض اتّخذوا من الخطابة مهنة للاكتساب، لا رسالة ومسئوليّة عليها يُحاسب ومن أجلها يُثاب أو يُعاقَب، فيحصر مسئوليّته في تحضير الخطبة الجيّدة وطرحها طرحاً فنّياً فقط، ولا يلتزم بمصداقيّة العمل واحترام الكلمة.

وهذه الظاهرة موجودة أيضاً عند بعض الكتّاب والمثقّفين والمتحدّثين، أي إنّ شخصيّتهم العَمَليّة والسلوكيّة تختلف عن شخصيّتهم العلميّة والثقافيّة. نسأل الله العلي القدير أن يُعيننا علىٰ طاعته والتخلّق بأخلاقه، وأن يعصمنا من الزلل والقول من دون عمل، وهو حسبنا ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلّا بالله العلي العظيم.

---

(١) نهج البلاغة: الكتاب ٤٥.

(٢) نهج البلاغة: الكتاب ٤٥.

الفصل الثالث

الخُطبة الحسينيّة

أوّلاً: تعريف الخُطبة الحسينيّة

ثانياً: شروط الخُطبة الحسينيّة

ثالثاً: أجزاء الخُطبة الحسينيّة

رابعاً: ما يجب التوجه إليه فى الخطبة الحسينية

أوّلاً
تعريف الخُطبة الحُسينيّة

لمعرفة الخطبة الحسينيّة لابدّ من تعريف الخطبة ابتداءً.

الخطبة: هي الكلام الذي يتكلّم به الخطيب.

وقد عرّفوها بأنّها: «كلامٌ منثورٌ يمتازُ بوقدة العاطفة، ورجاحة الفكر، وحُسن السبك، وجمال البيان، وروعة النطق، وعُمق التأثير، يتوجّه به المتكلّم إلىٰ جماعة من الناس حاضرة في مقامه»[1].

هذا تعريف عام لكلّ خُطبة.

أمّا الخُطبة الحُسينيّة فهي: الخُطبة التي يُلقيها الخطيبُ الحسيني في المجلس الحسيني، وتمتاز بمواصفات خاصّة بها، منها: ذكر الإمام الحسين عليه السلام أو أهل بيته عليهم السلام وأنصاره، والإشادة بمواقفهم، ثم التخلّص بذكر مأساتهم ومصائبهم.

والخُطبة الحُسينيّة تمتاز بأُصولٍ وقواعد خاصّة بها تفترق عن كثيرٍ من الخُطَب الأُخر.

والخُطب الحسينيّة تختلف حسب ظروف ومناسبات انعقاد المجلس

(١) الخُطبة والخطيب: ٢٥.

الحسيني، فتارةً يُعقد للبركة والذكر، فيُكتفىٰ بذكر بعض مناقب ومصائب سيد الشهداء عليه السلام؛ وتارةً يُعقد للاستفادة والمعرفة.

ونحن حين نتحدّث عن الخطبة الحسينيّة نقصد الخطبة الكاملة، والمحاضرة النافعة التي تبعث الوعي في الأُمّة وتنشر الثقافة في المجتمع؛ لِمَا تحمله من مضمون علمي أو معالجة لقضيّة عقائديّة أو اقتصاديّة أو اجتماعيّة أو ثقافيّة أو غير ذلك من مجالات المعرفة، وإن كانت الخُطَب والقراءات الحسينيّة كلّها تستوجب الأجر والثواب، والبركة والخير، وهي موضع عناية سيدنا الإمام الحسين وأهل البيت عليهم السلام، وتشملها رحمة الباري عزّ وجلّ الذي من أجله ومن أجل دينه ضحّىٰ سيد الشهداء بنفسه وبأهل بيته وأنصاره.

كما أنّ القارئ الحسيني مهما كان مستواه العلمي والفنّي يجب احترامه وتكريمه من أجل سيّده الحسين عليه السلام الذي يخدمه ويتحدّث عنه وينتمي إليه؛ لأنّ خُدّام الأُمراء والوزراء والعلماء يُحترمون عادةً من أجل ساداتهم الذين ينتمون إليهم، وخدّام الحسين عليه السلام أولىٰ بالاحترام والتقدير من أجل سيّدهم.

حدّثني أحد المؤمنين أنّه كان يقرأ في بعض المجالس الحسينية قارئٌ ضعيف علمياً، فكان أحد الحاضرين يستنقصه ويستهين به، فجاءه يوماً وقبّل يد القارئ واعتذر منه وطلب منه العفو عنه، فسأله عن السبب الذي دعاه إلىٰ هذا، فقال: إنّي رأيت البارحة في المنام سيّدتي الزهراء عليها السلام واقفة بباب المجلس وتُعطي كلّ من يدخل المجلس ورقة النجاة، فجئتها فلم تعطني شيئاً، فلمّا طالبتها قالت لي: لا أُعطيك شيئاً؛ لأنّك تنتقص خادم ولدي الحسين عليه السلام.

أقول: إذا كان الإمام الصادق عليه السلام يقول: «مَن أنشد في الحسين فأبكىٰ واحداً

فله الجنّة»[١]، فكم أنشد هذا القارئ وكم أبكىٰ مـن المـؤمنين، فـهو حسب الحديث الشريف من أهل الجنّة إن شاء الله تعالىٰ، ومَن كان من أهل الجنّة فلا يجوز إيذاؤه ولا تحقيره ولا الاستهانة به، بل العقل يحكم بتقديره واحـترامـه واكرامه لعلّه يشفع يوم القيامة لِمَن أكرمه.

---

(١) كامل الزيارات: ٢١٠ ـ ٢١١، كما في صفحة: ٢٣٢، الحديث ٥، والبحار ٤٤: ٢٨٧.

ثانياً
شروط الخُطبة الحُسينيّة

تحتاج الخطبة الحسينيّة في صوغها إلىٰ صانع أو مُـوجِد وهـو الخـطيب، ومادّةٍ وهي ما تحتويه الخطبة من معلومات وبحوث، وصـورةٍ وهـي تـنظيم وتنسيق أجزاء ومواد الخطبة، وغاية وهي الهدف الذي من أجله تُصنع الخطبة.

إنّ العلّة الغائيّة وإن كانت تأتي بحسب تسلسل العلل في النهاية، ولكنّها هي في البداية؛ إذ إنّها الباعث للإنسان علىٰ القيام بالعمل(١)؛ لأنَّ كـلّ عـاقل لا يَعمل عملاً إلّا لغاية وهدف، والأعمال مُعلّلة بالغايات، فالنّجار مثلاً يفكّر أوّلاً في صنع وسيلة للجلوس، ثم يهيئ مـوادّ ذلك ويـقوم بـصنعها عـلىٰ صورة الكرسي، فلو لم يفكّر بالهدف والغاية من أوّل الأمـر لَـمَا عَـزَمَ عـلىٰ صـنع الكرسي. وكذلك الخطيب قبل أن يقوم بإيجاد الخطبة عليه أن يفكّرَ في الغاية

---

(١) الجدير بالذكر هنا أنّ بعض الأحاديث والروايات تصف النبي وأهل بـيتهعليهم‌السلام بأنّـهم عـلّة الإيجاد والتكوين، والمقصود بها العلّة الغائيّة، لا العلّة الفـاعليّة، أي إنّ الله تـعالىٰ خـلق الوجود من أجلهم، كما ورد في حـديث المـعراج: أنّ البـاري عـزّ وجـلّ خـاطب النـبي الكريمصلى‌الله‌عليه‌وآله قائلاً: «لولاك لما خلقت الأفلاك». مناقب آل أبي طالب ١: ٢٧١. وكذلك: «يا محمّد وعزّتي وجلالي لولاك ما خلقت آدم». البحار ١٨: ٤٠٠.

المقصودة من الخطبة. فإذا وُجِدَت الفكرة والغاية لديه قام حينذاك بتحضير المواد اللازمة للخطبة، ثم تنسيقها وصنعها علىٰ الصورة التي يريدها.

والخطوات المتّبعة من الخطيب لإيجاد الخطبة هي:

إعداد الفكرة، جمع المواد والمعلومات اللازمة، تنسيق المواد وصوغها حسب الأُصول الخطابية الصحيحة، الأداء والطرح الجيّد.

أمّا شروط الخطبة الناجحة فهي:

١ ـ الفكرة الهادفة الجيّدة، ٢ ـ المواد الجيّدة، ٣ ـ التنسيق الجيّد، ٤ ـ الأداء والطرح الجيّدان.

١ ـ الفكرة الجيّدة:

إنّ المجالس الحسينية أُسّست علىٰ إثر تضحيات الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته عليهم السلام وأنصاره الكرام، فلا يجوز التهاون والتسامح بهذه التضحيات ومعطياتها بقضاء الوقت في أمر غير مفيد. ثم إنّ كثيراً من الأموال تُنفق، وكثيراً من الطاقات تُوظّف لإعداد المجلس الحسيني، فيجب أن يُستفاد منها فائدة تامّة في بناء العقيدة، وتقويم السلوك، ونشر الثقافة، وبثّ الوعي في المستمعين.

وهذه الأموال والجهود والطاقات التي تُبذل في تهيئة المجلس الحسيني يُقصد منها حصول الفائدة التامّة من الخطبة، فإذا كانت الخطبة خالية من فكرة بنّاءة ومفيدة فقد ضاعت الجهود، وهُدرت الطاقات، وخَسرت الصفقة، ولم تحصل النتيجة المتوخّاة من إقامة المجلس الحسيني.

إنّ مسئوليّة الخطيب كبيرة جدّاً أمام الله تعالىٰ والرسول والأئمة

المعصومين عليهم السلام وخصوصاً الإمام الحسين عليه السلام الذي بذل نفسه وأهل بيته وأصحابه في سبيل الإسلام، وبناء الشخصيّة الإسلاميّة، وتربية أجيال واعية.

والمجالس الحسينية في الواقع مدارس سيّارة تنتقل من مكان إلىٰ آخر، ويتواجد فيها أكبر عدد من المؤمنين، تجذبهم محبّة الحسين عليه السلام وعظمته. قال الرسول الكريم صلى الله عليه وآله: «إنّ للحسين في بواطنِ المؤمنينَ معرفةً مكتومةً»(١).

وإنّ محبّي أبي عبد الله عليه السلام يتلقّون في مدارس الحسين: الدروس الدينيّة، والعقائد الإسلاميّة، والتربية الأخلاقيّة، والثقافة العامّة. أمّا الذين يتفرّغون لطلب العلوم الحوزويّة فهم قليلون بالنسبة إلىٰ الجماهير المتكاثرة التي تتعلّم في مجالس الحسين عليه السلام.

كما أنّ مأساة الحسين عليه السلام ومصيبته تُؤلم قلوب شيعته فيحضرون مجلسه مواساةً للنبي وأهل بيته عليهم السلام وتكريماً لسيّد الشهداء وتضحياته.

قال نبي الرحمة صلى الله عليه وآله: «إنّ لقتل الحسين حرارةً في قلوب المؤمنين لا تبرد أبداً»(٢).

والحسين عليه السلام عَبرة وعِبرة، يجمع بين الفكر والعاطفة، وهما الباعثان الرئيسيان علىٰ العمل الإسلامي. ثمّ إنّ الخطباء لسان الإسلام، ولسان الرسول وأهل بيته الكرام عليهم السلام فمن مسئوليّتهم أن يوصلوا صوت الإسلام، وصوت النبي وأهل بيته عليهم السلام إلىٰ الجماهير بأمانة وصدق وإخلاص.

فعلىٰ الخطيب أن يختار الخُطَب المفيدة ذات الأفكار الهادفة والمفاهيم النافعة؛ حتىٰ ينتفع المستمعون منه في المجال العقائدي والثقافي والاجتماعي

---

(١) الخرائج والجرائح ٢: ٨٤١، والبحار ٤٣: ٢٧٢.

(٢) مستدرك الوسائل ١٠: ٣١٨، كتاب الحج الباب ٤٩ من أبواب المزار وما يناسبه.

والتربوي والأخلاقي وغير ذلك، ويتجنّب مهما أمكن التَرَف الفكري، وضياع الوقت، وإتلاف الطاقات.

٢ ـ الموادّ الجيّدة:

الخطبة الحسينيّة تُبنىٰ من المواد والمعلومات، كالبِناء الذي يقام من المواد الإنشائيّة، فكلّما كانت المواد قويّة وجيّدة كان البناء قويّاً، وكلّما كانت المواد ضعيفة كان البناء ضعيفاً، وكذلك الخطبة؛ ولذا يجب علىٰ الخطيب أن يُتعب نفسه في جمع المعلومات القيّمة والموادّ المفيدة من مصادر متعدّدة، ولا يَكتفي بمراجعة مصدر واحد أو مصدرين، فإنّ مراجعة المصادر المتنوّعة تُوسّع أُفق الخطيب، وتُطلعه علىٰ مختلف الآراء.

كما أنّ الأدلّة التي يَستدلّ بها، والشواهد التي يُقدّمُها لتأييد قوله ورأيه يجب أن تكون مُقنعة وصحيحة وموافقة للأُصول العلميّة والخطابيّة، وكذلك الأساليب والطرق التوضيحيّة والبيانيّة التي يَستخدمها لبيان وتوضيح المطلب، يجب عليه اتّباع الطرق الفنّية فيها، وسيأتي الحديث عن كلّ هذا إن شاء الله تعالىٰ.

٣ ـ التنسيق والتنظيم الجيّدان:

بعد إعداد الفكرة الجيّدة، وجمع المواد الجيّدة يأتي دور تنسيق المواد وتأليفها وصوغها صياغة فنّية جيدة، أي تنظيم أجزاء الخطبة، وإحكام تركيبها، وربط بعضها ببعض، ووضع الأدلّة والشواهد في مكانها المناسب.

فالتنسيق هو في الحقيقة هندسة الخطبة ونظام عقدها، فكلما كان هيكل

الخطبة منظّماً ومرتّباً وفق مخطّط جميل، وأُسلوب دقيق، كانت الخطبة أوفق للذوق، وأرضىٰ للنفس.

فالخطيب الجيّد هو الذي يعرف كيف يبدأ، وكيف يجمع المعلومات، وكيف يصوغها صياغة جميلة، ثم كيف يقرأها ويؤدّيها، كالبَنّاء البارع الذي يستعمل المواد الإنشائيّة الجيّدة حسب مخطّط سليم، وهندسة صحيحة؛ أو كالرسّام الذي يعرف ماذا يحتاج إلىٰ صُنع لوحة جميلة من مواد وألوان وغير ذلك، ثم يعرف كيف يستفيد من هذه المواد والألوان، ومتىٰ وكَم هو المقدار اللازم منها، وأين مكانها من اللوحة والمنظر.

وعلىٰ العموم، فالتنسيق الجيّد يُعطي الخطبة رونقاً وجمالاً، وترتيباً ونظاماً، ممّا يجذب المستمعين، ويؤثّر فيهم، ويرغّبهم في الحضور والاستماع.

كما أنّ التنسيق يُريح الخطيب فيجعله يسترسل في إيراد الخطبة ومطالبها، فتكون المعاني منسجمة، والأجزاء مرتّبة، يأخذ بعضها بعضد البعض.

وكذلك يسبّب الراحة للمستمعين، فيرغّبهم في الاصغاء، ومتابعة الاستماع والانتباه، والتفاعل مع الخطيب، ومِن ثَمّ الاستفادة التامّة من الخطبة. أمّا إذا كانت الخطبة مقطّعة الأوصال، مفكّكة العُرىٰ، غير منسّقة ولا مرتّبة، فهي حينئذ تستوجب إتعاب الخطيب والمستمع معاً، أمّا الخطيب فيقع في اضطراب وتشويش، ولفّ ودوران، لا يدري من أين بدأ وإلىٰ أين ينتهي.

وأمّا المستمع فعندما يتلقّىٰ المعلومات بصورة غير منظّمة، ويرىٰ تخبّط الخطيب، تنغلق نفسه عن متابعة الاستماع، ثم يُصاب بالسَأم والملل وعدم التوجّه.

٤ ـ الطرح والأداء الجيّدان:

إنّ إعداد الخطبة الحاوية علىٰ فكرة جيّدة، وموادّ رصينة، وتنسيق صحيح هي المرحلة الأُولىٰ من مراحل العمل الخطابي، والمرحلة الثانية هي مرحلة الأداء الجيّد، والإخراج الجذّاب، والطرح الفنّي.

إنّ أصحاب الأعمال يختلفون كثيراً في توظيف موادّ عملهم بصورة صحيحة، فبعضهم يوفّق وبعضهم يَخفق، فالخبّازون مثلاً يمتاز بعضهم بالخبز الجيّد، وبعضهم لا يحسن ذلك، مع أن الدقيق واحد. وكذلك الطبّاخون والنجّارون وغيرهم. كلّ ذلك راجع إلىٰ ذوق العامل وأُسلوبه وفنّه، و هكذا الحال في الأُمور العلميّة والثقافيّة والفنّية، فالقصيدة الواحدة مثلاً يقرأها جماعة، كلّ واحد منهم يعطيها لوناً خاصّاً، ويؤدّيها بأُسلوب خاصّ، وبعضهم يسيء إلىٰ القصيدة وصاحبها، وكذلك الخطبة الواحدة، يختلف الخطباء في أدائها، فبعضهم يُحلّق فيها، وبعضهم يَخفق.

والأداء الجيّد يعطي المادّة الساكنة الحركة والحياة، ويبعث في المستمعين البهجة والنشاط.

فخلاصة البحث: أنّ الخطيب الحسيني العارف بأساليب البيان، والخبير بفن الأداء والإلقاء والطرح الجيّد يشدّ المستمعين إليه وإلىٰ الخطبة شدّاً وثيقاً. ويخترق العقول وينفذ في القلوب، ويعمل فيها عمل السحر، وصَدَقَ الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله حينما قال: «إنّ من البيان لسحراً»[١].

---

(١) كنز العمال ٣: ٥٨٢، الحديث ٨٠٠٧، والأمالي للشيخ الصدوق: ٣٦٨، والبحار ٧١: ٤١٥.

قال علي فكري في كتاب الإنسان ٢: ١٨٥: «ذكر بعض الرواة أنّه لمّا ولي عمر بن ←

والنجاح في الإلقاء بعضه موهبة وبعضه تعلّم من الآخرين؛ ولا يغيب عن الأذهان ما لأساتذة الفنّ من أثرٍ في النجاح والإنجاح، فينبغي الاستماع إليهم، والتوجّه جيّداً لتصرّفاتهم وأساليبهم الفنّية؛ والاستفادة منهم.

← عبدالعزيز الخلافة قدم عليه وفود أهل كلّ بلد، فتقدّم إليه وفدُ أهل الحجاز، فاشرأبَّ منهم غلام للكلام، فقال عمر: يا غلام، ليتكلّم مَن هو أسنّ منك، فقال الغلام: يا أمير المؤمنين: إنّما المرء بأصغريه: قلبه ولسانه، فإذا وهب الله العبد لساناً لافظاً وقلباً حافظاً فقد استحقّ الكلام، ولو أنّ الأُمور بالسنّ لكان هنا مَن هو أحقّ منك بمجلسك هذا، فقال عمر صدقت: تكلّم فهذا هو السحر الحلال». أُنظر مروج الذهب للمسعودي ٤: ٢٢٠.

ثالثاً
أجزاء الخُطبة الحُسينيّة

تتكون الخطبة الحسينية في الخطابة العربية من الأجزاء التالية:

١ ـ الاستهلال أو الافتتاح.

٢ ـ الموضوع.

٣ ـ الرابط أو التخلص أو التعريج أو الكُرِيز.

٤ ـ المصيبة أو التعزية.

الجزء الأوّل: الاستهلال أو الافتتاح:

حُسن الاستهلال والافتتاح من الأُمور التي يؤكّد عليها علماء البلاغة. وأكثر الخطباء الحسينيين يفتتحون خُطَبهم بما يلي: صلىٰ الله عليك يا سيدي ويا مولاي يا أبا عبد الله، صلىٰ الله عليك يا سيدي يا مولاي يابن رسول الله، ما خاب من تمسّك بكم، وأمن من لجأ إليكم، ياليتنا كنا معكم فنفوز فوزاً عظيماً، أو بعبارات أُخرىٰ تشابه كلمات هذا الافتتاح والاستهلال.

وبعضهم يبدأ بقراءة: بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله ربّ العالمين،

والصلاة والسلام علىٰ خاتم النبيين وسيد المرسلين أبي القاسم محمّد، وعلىٰ أهل بيته الطيبين الطاهرين. ثم يقول: صلىٰ الله عليك يا أبا عبدالله...[١].

الجزء الثاني: الموضوع:

بعد الاستهلال يأتي دور الموضوع، الّذي يريد الخطيب أن يتحدّث عنه.

«والموضوع: هو المادّة التي يبني عليها المتكلّم أو الكاتب كلامه، تقول: موضوع البحث، أي مادّته»[٢]، «ومادّة الشيء: أُصوله وعناصره التي يتركّب منها، حسّية كانت أو معنوية، كمادّة البناء ومادّة البحث»[٣].

ولابدّ من أن يختار الخطيب موضوعاً مفيداً، وأن ينتقي له نصّاً مناسباً يكون مدخلاً وصدراً للموضوع.

النص:

وهو إمّا أن يكون آيةً قرآنية، أو حديثاً شريفاً، أو خطبة، أو وصيّة، أو

(١) من العادة المتّبعة إقامة مجالس العزاء في ذكرىٰ وفاة أحد المعصومين عليهم السلام، فينبغي أن يكون الافتتاح مناسباً لصاحب الذكرىٰ، فمثلاً في ذكرىٰ وفاة النبي يقرأ: صلّىٰ الله عليك يا رسول الله، وعلىٰ أهل بيتك الطيّبين الطاهرين... وفي ذكرىٰ وفاة أمير المؤمنين عليه السلام يقول: صلّىٰ الله عليك يا رسول الله، وعلىٰ ابن عمك أمير المؤمنين... وهكذا بالنسبة للزهراء والإمام الحسن. ومن غير المستحسن أن يفتتح الخطيب المجلس في ليالي وفاة أحد المعصومين غير الحسين عليه السلام بنفس افتتاحية مجلس الحسين عليه السلام، فيقول مثلاً: صلىٰ الله عليك يا أبا عبد الله... إلىٰ فنفوز فوزاً عظيماً، ثم يقرأ عن حياة ووفاة الرسول أو أحد المعصومين عليهم السلام غير سيد الشهداء، مع أنّه باستطاعته أن يفتتح المجلس بقول: صلىٰ الله عليك يا رسول الله وعلىٰ أهل بيتك الطيّبين الطاهرين... فهو شامل لكلّ المعصومين عليهم السلام.

(٢) المعجم الفلسفي ٢: ٤٤٦ (الموضوع).

(٣) المعجم الفلسفي ٢: ٣٠٦ (المادّة).

قطعة من زيارة، أو دعاء، أو كتاباً لأحد المعصومين عليهم السلام أو قطعة شعرية.

والمقصود من (النصّ المناسب) أن يكون عنواناً للموضوع ودالاً عليه ومعبّراً عنه. فإذا كان الموضوع في الجهاد، يختار نصّاً في الجهاد، وإذا كان الموضوع في الإنفاق يختار نصّاً في الإنفاق، وهكذا في العلم وغيره.

والنصّ المختار يجب[١] أن يكون ذا سعة بحيث يسع الخطيب التحدّث عنه ولا يضيق عليه، وإن كان هذا بالدرجة الأُولىٰ يعود إلىٰ ثقافة الخطيب وقدراته الخطابيّة والعلميّة[٢]. كما أنّ النص يجب أن يكون مناسباً للمقام، ومقتضى الحال، وإلّا فتح الخطيب علىٰ نفسه باب الانتقاد. وإليكم الحادثتين التاليتين:

الأُولىٰ: اشترىٰ رجلٌ داراً جديدة، وعقد مجلساً للتيمّن والتبرّك بذكر

---

(١) لا أقصد من كلمة (يجب) الوجوب الشرعي مقابل الحرمة، بل أقصد الوجوب الفنّي؛ لأنّ لكلّ علم وفن آداباً وأُصولاً تجب مراعاتها.

(٢) جاء في هامش كتاب حقائق الأُصول للسيد محسن الحكيم قدس سره ١: ٩٥: «حدّث بعض الأعاظم ـ دام تأييده ـ أنّه حضر يوماً منزل الآخوند ملّا فتح علي قدس سره مع جماعة من الأعيان، منهم: السيد إسماعيل الصدر رحمه الله والحاج النوري صاحب المستدرك رحمه الله والسيد حسن الصدر دام ظله، فتلا الآخوند رحمه الله قوله تعالىٰ: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللهِ لَو يُطِيعُكُم في كثيرٍ مِن الأمرِ لَعَنِتُّم ولكنَّ اللهَ حَبَّبَ اليكُمُ الإيمانَ وَزَيَّنَهُ في قُلُوبِكم وكَرَّهَ اليكُم الكُفرَ والفُسوقَ والعِصيانَ أولئك هُمُ الراشِدُون﴾ سورة الحجرات: ٧. ثم شرع في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿حبّب اليكم الإيمان﴾ وبعد بيان طويل فسّرها بمعنىً لمّا سمعوه منه استوضحوه، واستغربوا من عدم انتقالهم إليه قبل بيانه لهم.

فحضروا عنده في اليوم الثاني ففسّرها بمعنىً آخر غير الأوّل، فاستوضحوه أيضاً وتعجّبوا من عدم انتقالهم إليه قبل بيانه.

ثمّ حضروا عنده في اليوم الثالث فكان مثل ما كان في اليومين الأوّلين. ولم يزالوا علىٰ هذه الحال، كلّما حضروا عنده يوماً ذكر لها معنىً، إلىٰ ما يقرب من ثلاثين يوماً، فذكر لها ما يقرب من ثلاثين معنىً، وكلّما سمعوا منه معنىً استوضحوه.

وقد نقل الثقات لهذا المفسّر كرامات قدّس الله روحه».

الحسين عليه السلام، وصعد الخطيب المنبر وقرأ خطبة للإمام أمير المؤمنين عليه السلام في ذمّ الدنيا يقول فيها: «دار بالبلاء محفوفة، وبالغدر معروفة، لا تدوم أحوالها، ولا يسلم نزّالها»[١].

ثم أخذ في شرحها فتشاءم صاحب المجلس من هذا الاختيار.

أراد هذا الخطيب أن يذكر موضوعاً عن الدار فاختار نصّاً فيه كلمة (دار) ولم يلتفت إلىٰ ما يسبّبه هذا النصّ من تشاؤم، والمقام مقام سرور، مع أنّه كان باستطاعته أن يختار قول الإمام علي عليه السلام: «إنّ الدنيا دار صدق لمن صدّقها، ودار عافية لمن فهم عنها، ودار غنىً لمن تزوّد منها، ودار موعظة لمن اتّعظ بها. مسجد أحبّاء الله، ومصلّىٰ ملائكة الله، ومهبط وحي الله، ومتجر أولياء الله، اكتسبوا فيها الرحمة، وربحوا فيها الجنة»[٢].

أو أن يختار قول الله تعالىٰ: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾[٣]، أو قوله سبحانه: ﴿وَاللهُ جَعَلَ لَكُم مِن بُيُوتِكُمْ سَكَناً﴾[٤].

ثم يشرح معنىٰ البيت والسَكَن وضروريات الحياة ومنها الدار، ويتحدّث عن أحكامها وجيرانها وما شابه ذلك بحسب المناسبة، أو أن يذكر حديثاً مناسباً عن الدار أو البيت، وما أكثر الأحاديث في ذلك. وإن كان في هذه المناسبات يمكن التبرّك بذكر فضائل النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام، وإنشاد بعض أشعار المديح في مناقبهم ممّا ترتاح له النفوس، ولا حاجة لاختيار موضوع عن الدار.

(١) نهج البلاغة: الخطبة ٢٢٦.
(٢) نهج البلاغة: الحكمة ١٣١.
(٣) سورة النور: ٣٦.
(٤) سورة النحل: ٨٠.

الثانية: «قبل سنوات توفّي أحد التجار المؤمنين في سوق طهران فجأةً بالسكتة القلبيّة، وكان سيّداً محترماً ورعاً تقيّاً، فأقام له ذووه مجلس الفاتحة وحضره عدد كبير من علماء الدين والتجار والمؤمنين. وبما أنّ العادة جرت في مجالس الفاتحة أن يُختتم المجلس بقراءة مجلس حسيني، فقد دُعي لاختتام المجلس أحدُ الوعاظ، فارتقىٰ هذا الخطيب المنبر وفكّر في التحدّث عن موت الفجأة ليلائم بحثه ـ حسب ظنّه ـ مقتضى الحال، فذكر النصّ التالي:

قال الإمام الباقر عليه السلام: (وجدنا في كتاب رسول الله صلى الله عليه وآله إذا ظهر الزنا من بعدي كثر موت الفجأة)[1].

ثم أخذ يشرح الحديث المذكور، وعلاقة موت الفجأة بالزنا. فتأثّر ذوو المتوفّىٰ وكذلك الحاضرون من هذا الاختيار السيّئ؛ خصوصاً وأنّ المتوفّىٰ كان من أهل الورع والتقوىٰ، وبعيداً عن الزنا والمعاصي»[2].

في حين كان بوسع الخطيب أن يختار واحداً من الأحاديث التالية:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «موتُ الفجأة راحة للمؤمن، وحسرة للكافر»[3].

أو قوله صلى الله عليه وآله: «موت الفجأة راحة للمؤمن، وأخذةُ أسفٍ للفاجر»[4].

أو قوله صلى الله عليه وآله: «موت الفجأة تخفيف علىٰ المؤمنين، ومسخطة علىٰ الكافرين»[5].

---

(١) سفينة البحار: (فجأ).

(٢) البيان وفن الخطابة: ١٢٨، باختصار وتصرّف.

(٣) مكارم الأخلاق: ٥١١، والبحار ٧٧: ٥٤.

(٤) كنز العمّال ١٥: ٦٧٨، الحديث ٤٢٧٠٣.

(٥) كنز العمّال ١٥: ٦٩٣، الحديث ٤٢٧٧٥.

شرح النص :

بعد ذكر النصّ أو صدر البحث يأتي دور شرح النصّ الذي افتتح به الموضوع. فمن المُستحسن أن يذكر الخطيب مقدّمةً ولو موجزة يُبيّن فيها أهمّية الموضوع وفائدته، أو يُعطي فكرة عامّة عن الموضوع، لتهيئة الأذهان للإصغاء، والترغيب في الاستماع، والتمهيد للدخول في البحث.

وعلىٰ سبيل المثال: عندما يكون النصّ أخلاقياً كقوله ﷺ: «إنّما بعثت لأُتمّم مكارم الأخلاق»[١]، يقدّم مقدّمة، فيقول مثلاً: الإسلام يتضمّن ثلاثة أُمور: عقائد، أحكام، أخلاق، ثم يعرّفها مختصراً فيقول مثلاً:

العقائد: تشمل الجانب الفكري والاعتقادي للإنسان المسلم، كالاعتقاد بالله وصفاته، والاعتقاد بالنبوّة العامّة، والنبوّة الخاصّة والإمامة، والمعاد.

والأحكام تشمل: العبادات، والمعاملات.

أمّا العبادات فهي: الواجبات الشرعية التي يُشترط فيها قصد القربة.

وأمّا المعاملات فهي: القوانين التي يجب مراعاتها من قبل المسلمين في أنماط مختلفة من سلوكهم ومعاملاتهم في الأحوال الشخصيّة، والأُمور الاقتصاديّة وغيرها.

والأخلاق: الفضائل الإنسانيّة التي يجب أن يتّصف بها الإنسان المسلم كالعدل والرحمة والصبر والوفاء والصدق والأمانة...

أو مايشبه هذه المقدّمة.

أو أن يقول مثلاً في مقدّمة شرح النصّ الأخلاقي: الإسلام دين الأخلاق

---

(١) كنز العمال ٣: ١٦، الحديث ٥٢١٧، والبحار ١٦: ٢١٠، ونهج الفصاحة: ١٩١، الحديث ٩٤٤.

والمُـثُل العليا، والفضائل الأخلاقيّة لها تأثير في سعادة المجتمع وراحـته فـي الدنيا حتّىٰ لو كان المجتمع غير متديّن، لذا قال أمير المؤمنين عليه السلام: «لو كنّا لا نرجو جنّة ولا نخشىٰ ناراً ولا ثواباً ولا عـقاباً لكـان يـنبغي لنـا أن نـطلب مكـارم الأخلاق، فإنّها ممّا تدلُّ علىٰ سبيل النجاح»(١).

والمفروض بالمقدّمة أن لا تكون طويلة فتستوعب قسماً كبيراً من الخطبة، وأن تكون ذات مساس بالبحث غير أجنبيّة عنه.

ملاحظة: جَرَتِ العادة عند الخطباء في ذكرىٰ وفيات المعصومين عليهم السلام وفي مجالس الحسين عليه السلام احياناً، أن يبدأوا المجلس بأبيات من الشعر في صاحب الذكرىٰ، ثم يتحدّثون عن خصوصيّاته وتاريخ حياته ومـواقـفه، دون شـرحٍ للشعر.

كما يبدأ البعض بحديث شريف مناسب لصاحب الذكرىٰ، ثم يتحدّث عن حياة الـمُحتفىٰ به دون التعرّض إلىٰ شرح الحديث الّذي بدأ به.

وفي الحقيقة يكون الشعر أو الحديث الشريف منطلقاً للتحدّث عن صاحب الذكرىٰ، وليس الهدف من الابتداء بهما التحدّث عنهما وشرحهما.

ومن الممكن أيضاً أن يعلّق الخطيب على الشعر أو الحـديث بـما يـناسب المقام.

بعد المقدّمة يأتي دور شرح النصّ المذكور في صدر البحث، ويمكن ذلك بطريقتين:

١ ـ إذا كان النصُّ يحتوي علىٰ أجزاء ومضامين متعدّدة فيُستحسن الحديث عن الأجزاء أو المفردات واحداً بعد الآخر، مثل قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلْكَـاظِـمِيـنَ

---

(١) مستدرك الوسائل ١١: ١٩٣، كتاب الجهاد، الباب ٦ من أبواب جهاد النفس وما يناسبه.

﴿ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[(١)].

فيتحدّث عن كظم الغيظ، ثم العفو، ثم الإحسان، كما أنّه يستطيع أن يتحدّث عن الفضائل الأخلاقيّة بصورة عامّة ثم يستشهد بالمفردات الواردة في الآية الكريمة.

٢ـ وأمّا إذا كان النصّ لا يحتوي علىٰ أجزاء متعدّدة مثل قوله تعالىٰ: ﴿اللهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾[(٢)] فلابدّ من شرح المفهوم العامّ للآية الكريمة، فيتحدّث عن صفات الأنبياء ومؤهّلاتهم الذاتيّة والاجتماعيّة، كالعصمة والعلم والاستقامة والشجاعة والعقل وحسن السُمعة والسلوك والتدبير والإدارة.

شروط الموضوع:

لابدّ للخطيب أن يأخذ بنظر الاعتبار الشروط الأساسية للموضوع، وأهمّها:

أ ـ أن يكون الموضوع مناسباً للهدف من انعقاد المجلس؛ فإنّ دواعي عقد المجالس مختلفة، فبعض المجالس تنعقد لأسباب خاصّة، مثلاً: للتبرّك بذكر الحسين عليه السلام في الدار الجديدة، أو لنذرٍ خاصّ، أو لذكرىٰ أحد المعصومين عليهم السلام.

حدّثني بعض المؤمنين أنّه عقد مجلساً في داره بمناسبة وفاة الإمام الحسن الزكي عليه السلام فقرأ له القارئ عن الحسين عليه السلام، ولمّا عاتبه قال: إنّني حسيني، لا أحفظ عن الإمام الحسن عليه السلام.

ب ـ أن يكون الموضوع مناسباً لمتطلّبات العصر، فهناك مواضيع نافعة دائماً

---

(١) سورة آل عمران: ١٣٤.

(٢) سورة الأنعام: ١٢٤.

لكلّ عصر وزمان، وهناك مواضيع تناسب زماناً دون زمان، فمثلاً: في القديم كان الاسترقاق والاستعباد متعارفاً في المجتمعات الإنسانية، أمّا اليوم فلا وجود للرق والعبيد والجواري، وعليه فلا فائدة في إلقاء محاضرة في أحكام هؤلاء وكيفية التعامل معهم إلّا استطراداً[١] وعلىٰ قدر الضرورة، أو مثل مسألة خَلق القرآن.

وكذلك ينبغي لأن يكون الموضوع مناسباً لخصوصيات الزمان، من الناحية السياسيّة والاجتماعيّة والثقافيّة وغيرها، ولابدّ للخطيب أن يأخذ بنظر الاعتبار كلّ هذه الجهات والأُمور؛ كي لا يقع في المحذور. قال رسول الله ﷺ: «علىٰ العاقل أن يكون بصيراً بزمانه، مقبلاً علىٰ شانه، حافظاً للسانه»[٢].

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «العالِم بزمانه لا تهجم عليه اللوابس»[٣].

ج ـ أن يتضمّن الموضوع مفهوماً إسلاميّاً، أو فكرة إصلاحيّة، أو ما شابه ذلك، كدفع شبهة عن الإسلام وقادته؛ وذلك لتقوية العقيدة في نفوس المستمعين، وبثّ الوعي واليقظة فيهم. ولا يقتصر علىٰ تَرَفٍ فكري وما يُلهي المستمعين من دون فائدة ونتيجة.

د ـ يجب اختيار الموضوع المناسب للمستوى الثقافي والفكري للمستمعين، فالموضوع الذي يُقرأ في مجلس المثقّفين والخواصّ غير الموضوع الذي يُقرأ في مجلس العوام. فالخطيب الذكيُّ ينظر إلىٰ مستمعيه، فيقرأ ما يتناسب وشأنهم.

---

(١) الاستطراد: هو أن يخرج المتكلّم من الغرض الذي هو فيه إلى غرض آخر لمناسبة بينهما، ثم يرجع فينتقل إلى إتمام الكلام الأوّل. جواهر البلاغة: ٣٨٠.

(٢) سفينة البحار: (لسن).

(٣) تحف العقول: ٣٥٦.

حدّثني بعض الثقات أنّ أحد الخطباء قرأ في مجلس أحد المراجع موضوعاً عن حرمة حلق اللحية، فقال له بعض الحاضرين: مَن رأيته منّا حالقاً لحيته حتىٰ تقرأ عن حرمة حلق اللحية؟

هـ ـ أن يكون الموضوع مناسباً لخصوصيات المكان، فإنّ بعض البلدان ورد ذمّها علىٰ لسان بعض الشخصيّات الإسلاميّة نظراً إلىٰ ظروف خاصّة، أو أعمال قام بها بعض أهلها قديماً، وكما يُقال: «قضيّة في واقعة»، فليس من المستحسن أن يُقرأ ذلك الذَمّ في تلك البلاد، أو في مجلس يحضره أُناس من ذلك البلد.

وبالمناسبة يُذكر أنّ بعض أهل المجالس في البصرة طلبوا من أحد الخطباء أن يقرأ لهم مجلساً حتىٰ يتعرّفوا علىٰ خطابته، فقرأ الخطيب عليهم خطبة الإمام علي عليه السلام في ذمّ أهل البصرة، فتركوه غضاباً ولم يلتزموه.

و ـ ينبغي للخطيب أن لا يختار موضوعاً علميّاً أو فنّياً في مجلسٍ يحضره الكثير من المتخصّصين بذلك العلم أو الفن، إلّا عَرَضاً أو استطراداً أو استشهاداً، مع التثبّت ممّا يقول؛ لأنّهم أعلم منه باختصاصهم وفنّهم، كمن يتحدّث عن موضوع فقهي في مجلس يحضره الكثير من الفقهاء، أو موضوع طبّي في مجلس يحضره الأطباء.

ز ـ يجب علىٰ الخطيب أن يُراعي شعور المستمعين ومعتقداتهم، فبعض المجالس يحضرها ذوو معتقدات مختلفة، فلابدّ من اختيار موضوع مناسب مع طرح قويم، وأُسلوب سليم، لئلّا تحدث فتنة واختلاف.

حدّثني بعض المؤمنين أنّ صاحب أحد المجالس أخبر الخطيب بحضور بعض المخالفين في المجلس، وطلب منه مراعاة معتقداتهم، ولكن الخطيب لم

يراع ذلك فقرأ موضوعاً غير مناسب، ثم لم يستعمل الأُسلوب الصحيح في الإقناع أو الإلزام، فحَدَث بسبب ذلك تشنّج واستياء.

شروط شرح النصّ:

إنّ شرح النصّ يجب أن يشتمل علىٰ الشروط التالية:

أ ـ أن يدور الشرح حول النصّ ولا يشذّ عنه، ولا بأس أن يذكر الخطيب بعض الشواهد علىٰ قاعدة (الكلام يجرّ الكلام) أو (الشيء بالشيء يُذكر) أو (تداعي المعاني والمفاهيم)، ولكن بشرط أن يعود إلىٰ النصّ وصدر البحث سريعاً.

ب ـ أن يُشبع البحث بالأدلّة والشواهد المناسبة من الآيات الكريمة، والأحاديث الشريفة، والأخبار، وأقوال الأئمة والعلماء والحكماء.

ج ـ أن يطعّم شرحه وبيانه ببعض القصص والأمثلة والشعر المناسب؛ ليكون البحث جذّاباً بعيداً عن الجفاف.

د ـ أن يكون بين أجزاء البحث تناسق وترابط، كحَلَق السلسلة متّصل بعضها ببعض من غير انفكاك، وهو ما يُسمّىٰ بوحدة البحث أو وحدة الموضوع.

هـ ـ أن لا يكتفي بذكر آراء وأقوال الشيعة وحدهم، بل يذكر آراء وأقوال المذاهب الأُخر، وإذا أوردوا شبهةً مّا يردّها بروح موضوعيّة وأُسلوب علمي.

ملاحظات عن الموضوع وشرح النصّ:

١ ـ إذا أراد الخطيب التحدّث عن بعض الشبهات والردّ عليها فعليه ان يهيّئ الجواب الكافي والشافي لتبديد الشبهة، فإنّ ذكر الشبهة دون جواب كافٍ

يوجب تركيزها في أذهان المستمعين.

٢ ـ إذا كان الخطيب يريد ذكر شاهد علىٰ خُلُق رفيع أو موقف شريف فليقدّم الشواهد من التاريخ الإسلامي وأعلام المسلمين، وليعرض عن الشواهد الجاهليّة أو غير الإسلامية إلّا للاضطرار، فإنّ تاريخ المسلمين غنيٌ بكلّ فضيلة.

٣ ـ علىٰ الخطيب أن يكون موضوعيّاً عند عرضه بحثاً أو موضوعاً، سواءً في الشرح أو الاستدلال أو الاستشهاد، ويتجنّب المغالطة والمكابرة، فإنّ الحقّ أحقّ أن يُتّبع، والغاية الحقّة لا تبرّر الوسيلة الباطلة.

٤ ـ علىٰ الخطيب أن يضبط النصوص الواردة عن أهل بيت العصمة فلا يبدّل ولا يغيّر، ولا يقدّم ولا يؤخّر، ولا ينسب نصّاً إلىٰ غير قائله، وهنا أذكر نموذجين:

أ ـ قرأ الأُستاذ الوائلي في بعض مجالسه النصّ الآتي: «إنّ أهل الأرض يموتون، وأهل السماء لا يبقون»[(١)]، بهذه الصورة: «إنّ أهل السماء يموتون، وأهل الأرض لا يبقون». وكان الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء‏ﷺ حاضراً، فقال له: إنّ الأثر الذي ذكرتَه ليس كما ذكرتَ، بل اعكس تُصِب. إنّ الحسين لا يقول: إنّ أهل السماء يموتون؛ لأنّ أهل السماء ليسوا من جنس مَن يموت، إنّهم من المجرّدات، ثم أخذ الشيخ يشرح له ذلك[(٢)].

ب ـ يذكر أرباب المقاتل أنّ الحسين‏ عليه‌السلام لمّا رحل بمن معه من قصر بني مقاتل[(٣)] خفق برأسه خفقة وهو علىٰ ظهر فرسه ثم انتبه وهو يقول: «إنّا لله

(١) الإرشاد ٢: ٩٤.
(٢) تجاربي مع المنبر: ١٣٧.
(٣) أحد منازل الحجيج بين الكوفة ومكّة.

وإنّا إليه راجعون، والحمد لله ربّ العالمين». فقال له ولده علي الأكبر عليه السلام: «يا أبتِ جُعلتُ فداك! مِمّ حمدتَ اللهَ واسترجعتَ؟». فقال الحسين عليه السلام: «يا بنيّ إنّي خفقت برأسي خفقة فَعَنَّ لي فارس على فرس فقال: (القوم يسيرون والمنايا تسري إليهم) فعلمت أنّها أنفسنا نُعيت إلينا». فقال علي الأكبر عليه السلام: «يا أبتِ لا أراكَ اللهُ سوءاً، ألسنا على الحقّ؟»، قال: «بلى والذي إليه مرجع العباد»، فقال: «يا أبتِ إذاً لا نُبالي [أن] نموت محقّين» فقال له: «جزاك الله من ولدٍ خير ما جزى ولداً عن والده»[1].

هذه هي الحادثة وهذا هو الكلام الذي دار بين الحسين عليه السلام وعليّ الأكبر، وهو موجود في أكثر كتب المقاتل والتاريخ، ولكنّ البعض يقرأ النصّ هكذا: فقال علي الأكبر: «يا أبه إذاً لا نبالي أَوَقعنا على الموت أم وقع الموتُ علينا» في حين أنّ هذا النصّ هو للإمام علي عليه السلام وقد سُئل: ما الاستعداد للموت؟ فقال عليه السلام: «أداء الفرائض، واجتناب المحارم، والاشتمال على المكارم، ثم لا يبالي إنْ وَقَعَ (أَوَقعَ) على الموت، أو الموت وقع عليه. ثم قال: والله لا يبالي ابن أبي طالب أَوَقع على الموت أو الموت وقع عليه»[2]. فالخلط في النص وقع بسبب كلمة (لا يبالي) المشابهة لكلمة (لا نبالي) وبعدها ذَكَر المتكلّم كلام الإمام علي عليه السلام بدل كلام علي الأكبر.

٥ ـ على الخطيب أن يعبّر تعبيراً حسناً في المناسبات المختلفة، فإنَّ حُسْن التعبير يسبّب اقتناع وقبول السامع والتأثير فيه، حتّى لو كان الكلام مخالفاً للواقع، فكيف إذا كان موافقاً للواقع والحقيقة. قال ابن الرومي[3]:

---

(١) تاريخ الطبري ٥: ٤٠٨، ومقتل الحسين للسيد المقرم: ٢٢٧.

(٢) عيون أخبار الرضا ١: ٢٦٧، والبحار ٦: ١٣٧.

(٣) هو أبو الحسن علي بن العباس بن جُرَيج وقيل جُرجيس، المعروف بابن الرومي، مولى

في زُخرف القول ترجيحٌ لقائله والحقُّ قد يَعتريه بعضُ تغيير[١]
تقول هذا مُجاجُ النَحل تمدحه وإن تعِبْ قلت: ذا قَيُّ الزنابير[٢]
مدحاً وذمّاً وما جاوزتَ وَصْفَهما سحرُ البيانِ يُري الظلماء كالنور[٣]

قال شيخنا المظفّر: «رصانة التعبير وعذوبته يُعطي جمالاً في المعنىٰ لا نجده في التعبير الركيك الجافي، فيضفي جمال اللفظ علىٰ المعنىٰ جمالاً وعذوبة»[٤].

يُحكىٰ أنّ أحد الملوك رأىٰ في منامه أنّ أسنانه قد سقطت، فلمّا استيقظ طلب المعبّر فقال له: إنّ أهل بيتك جميعاً يهلكون. فغضب من قوله وأمر بإخراجه صاغراً، وكلّما جاءه معبّر قال الكلام نفسه، فأُصيب الملك بقلق

← عُبيد الله بن عيسىٰ بن جعفر بن المنصور العباسي. وُلِدَ في بغداد سنة ٢٢١ هـ، ومات مسموماً سنة ٢٨٣ هـ أو ٢٨٤ هـ. ديوان ابن الرومي ١: ٧ و ٩.

(١) زخرف القول: كاذبه، وفي بعض المصادر «والحقُّ قد يَعتريهِ سوءُ تعبيرِ».

(٢) مُجاج النحل: العسل.

(٣) ديوان ابن الرومي ٢: ١٦٩، وبقوله سحر البيان يشير إلىٰ قولهﷺ: «إنّ من البيان لسحراً».

قال الميداني في معنىٰ قول الرسولﷺ: «إنّ من البيان لسحراً»: «يعني أنّ بعض البيان يعمل عَمَلَ السِّحْرِ، ومعنىٰ السحر: إظهار الباطل في صورة الحق، وإنّما شُبِّه بالسحر لحدَّة عمله في سامعه وسرعة قبول القلب له». مجمع الأمثال للميداني ١: ٧، الباب الأوّل ـ رقم ١.

وقال ابن خلّكان في وفيات الأعيان ١: ٣٣، في ترجمة أبي اسحاق إبراهيم بن منصور الشافعي: «وقد رُوي عن الخطيب أبي إسحاق المذكور أنّه كان يقول: أنشَدَني شيخنا ابن الخل المذكور ببغداد ولم يُسمِّ قائلاً:

في زخرف القول تزيينٌ لباطله والحقُّ قد يعتريه سوء تعبير
تقول: هذا مُجاج النحل تمدحه وإن ذممت تقل: قيء الزنابير
مدحاً وذماً وما جاوزت وصفهما حسن البيان يُري الظلماء كالنور»

(٤) المنطق للشيخ المظفر ١: ٣٤.

نفسي شديد، وأخيراً عيّن جائزةً لمن يُخرجه من هذا الاضطراب بتعبير رؤياه تعبيراً مقنعاً، فجاءه رجل ذكيٌّ وسأله عن رؤياه، فلمّا قصّها الملك عليه، قال الرجل: البشارة يا حضرة الملك، فإنّ عمرك طويل، أطول من أعمار جميع أهل بيتك. فُسرّ الملك بهذه البشارة وأعطاه الجائزة، مع أنّ نتيجة كلامه وكلام السابقين واحدة، ولكنّه استعمل طريقةً أرضىٰ فيها الملك.

٦ـ أن تكون مدّة الخطبة مناسبة للمقام، فلا يُلقي موضوعاً مطوّلاً وبحثاً مفصّلاً في مجلس صغير، ولا يختار موضوعاً قصيراً وبحثاً مقتضباً للمجلس الكبير.

٧ـ يجب استعمال العبارات الواضحة والمفهومة لدىٰ المستمعين، وتجنّب العبارات الغامضة والمبهمة.

عن عائشة قالت: «كان كلام رسول الله ﷺ كلاماً فصلاً يفهمه كلّ مَن سَمِعَه»(١).

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «أحسنُ الكلام ما زانه النظام، وفَهِمَهُ الخاص والعامّ»(٢).

وقال أيضاً: «أحسن الكلام ما لا تمجّه الآذان، ولا يُتعب فَهْمُه الأذهان»(٣).

حدّثني الأخ الخطيب الشيخ حمزة الخويلدي قال: حدّثني الشيخ أحمد البهادلي: أنّ أحد الخطباء قرأ في بعض قُرىٰ العراق خطبة عن سورة الحمد وفضلها وآثارها، فكان يكرّر عبارة «سايكولوجية سورة الحمد»، فبعد الفراغ قال له أحد العلماء وكان حاضراً في المجلس: إنّ مستمعيك زاير فلان، وزاير

---

(١) سُنن أبي داود ٤: ٢٦١، الحديث ٤٨٣٩.

(٢) تصنيف غرر الحكم: ٢١٠، الحكمة ٤٠٤٦.

(٣) تصنيف غرر الحكم: ٢١٠، الحكمة ٤٠٥١.

فلان، وأمثالهم، وهؤلاء لا يعرفون معنىٰ سايكولوجية سورة الحمد، فقل بدل ذلك: الأثر النفسي لسورة الحمد.

٨ ـ أن يسيطر الخطيب علىٰ انفعالاته النفسيّة؛ لأنّه ربّما يكون في الخطيب نفسه شيء عن بعض الأشخاص فيريد أن ينوّه عنه من دون ذكر اسمه، فحينئذ تطفح علىٰ قراءته صبغة النقد اللاذع للشريحة التي فيها ذلك الشخص ممّا يسبّب توجّه ذهن المستمعين إلىٰ كلّ تلك الشريحة، فيستوجب التذمّر من الخطيب وسوء القالة فيه.

فقبل سنوات أُقيم مجلس تأبيني بمناسبة مرور سنةٍ واحدة علىٰ وفاة أحد كبار العلماء، ودُعي خطيب كبير لإلقاء خطبة في المجلس بالمناسبة، و كان هذا الخطيب متألّماً في نفسه من السلوك الاجتماعي والسياسي لبعض العلماء، فلمّا ارتقىٰ المنبر ثارت به انفعالاته النفسيّة، فاستهلّ كلمته بحديث في ذمّ علماء السوء، ثم ركّز كلامه علىٰ هذا الموضوع، مستشهداً بالآيات والأحاديث والأخبار، وغفل عن خصوصيّة المجلس، والتحدّث عن مقام وفضائل صاحب الذكرىٰ، والفقيد الراحل الذي كان مجتهداً كبيراً، وفقيهاً قديراً، و عالماً جليلاً، فتألّم الحاضرون لذلك، واعتبر بعضُهم الخطيبَ قاصداً ذمّ صاحب الذكرىٰ، مع أنّه لم يقصد ذلك، بل قصد بعض الحاضرين[1].

مع أنّ هذا الخطيب كان بمقدوره أن يقسّم العلماء إلىٰ صنفين: علماء أخيار أبرار مرضيّين ومنهم صاحب الذكرىٰ، وعلماء سوء منحرفين عن جادّة الصواب فينقدهم.

٩ ـ أن يبعث الخطيب النشاط في المستمعين لإبعادهم عن السأم والمَلل،

(١) البيان وفنّ الخطابة: ١٢٩، باختصار وتصرّف.

وذلك بذكر نكتة أو لطيفة أو طريفة، أو نادرة مناسبة، أو ذكر النبي صلى الله عليه وآله ليصلّوا عليه. فقد قال الإمام علي عليه السلام: «إنّ هذهِ القلوبَ تَمَلُّ كَما تَمَلُّ الأبدانُ، فَابْتَغُوا لها طَرَائِفَ الحِكَم»(١).

١٠ ـ علىٰ الخطيب أن يبذل جهده دائماً لخلق مناسبة في خطبته لمدح أهل البيت عليهم السلام وأشياعهم، والإشادة بمواقفهم الإسلاميّة والإنسانيّة؛ لأنّ أهل البيت هم مجمع الفضائل والكمالات ولا تتعدّاهم مكرمة، وأنّ مجلس الحسين عليه السلام هو مدرسة أهل البيت بل مدرسة الإسلام العظيم، فلابدّ من نشر الإسلام وتعاليمه وأخلاقياته عن طريق المنبر الحسيني، ومَن أولىٰ بذكر فضائله مِن أهل البيت عليهم السلام الّذين يمثّلون الإسلام العظيم، والرسول الكريم صلى الله عليه وآله في سلوكهم ومواقفهم وأخلاقهم؟

١١ ـ ينبغي للخطيب أن يدعو إلىٰ سبيل ربّه بالحكمة والموعظة الحسنة. والحكمة كما يقول الراغب في مفرداته: «إصابة الحق بالعلم والعقل»(٢)، فالخطيب عليه أن يتسلّح بسلاح العلم والعقل، ويستخدم السُبُل المؤثّرة والأساليب المقنعة في عمله الخطابي.

وينبغي له كذلك أن يستعمل الموعظة الحسنة، والكلام الجذّاب، المرقّق للقلوب، والمؤثّر في النفوس، ويبتعد عن الأساليب المنفّرة والألفاظ الجافّة.

أورد أبو داود في سُننه بسنده عن أبي موسىٰ قال: «كان رسول الله إذا بعث أحداً من أصحابه في بعض أمره قال: (بشّروا ولا تُنفّروا، ويسّروا

(١) نهج البلاغة: حكمة ٩١.
(٢) معجم مفردات ألفاظ القرآن: (الحكمة).

ولا تعسّروا»[١].

كما يجب عليه عنـد تعرّضه للمحاججات والمجادلات أن يتزوّد بقواعد فنّ الجدال والمناظرة الذي هو من الصناعات الخمس في علم المـنطق، ويـعرف أساليب الحوار، فيحاجج ويجادل بالتي هي أحسن، ويبتعد عن الشدّة والحدّة، والتحقير والاستهزاء. قال تبارك وتعالىٰ: ﴿وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[٢]، ﴿وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ ٱلْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[٣].

١٢ ـ ينبغي للخطيب أن يكون دقيقاً في الألقاب والأوصاف التي يـذكرها للأشخاص والأشياء.

حدّث الشيخ الوائلي قائلاً: «قرأت مرّةً مجلساً فـي النـجف فـعبّرت عـن عمر بن عبد العزيز الخليفة الأموي بالعبد الصالح، فقال لي الشيخ محمد حسين المظفر (ما الذي جعلك تعبّر عن هـذا الرجل بالعبد الصـالح وهـو لقب كـبير يُلقّب به مثل الإمام موسىٰ بن جعفر عليه السلام؟ أمّا مثل عمر بن عبد العزيز فيمكن أن يعبّر عنه بالرجل الطيّب مثلاً، أوَما قرأتَ أبيات شاعرنا فيه (أي السيد الرضي):

يابن عبد العزيز لو بكت العين فـتىً مـن أُمـيّةٍ لبكـيتك
غير أنّي أقول: إنّك قـد طـبت وإن لم يطب ولم يزكُ بيتك[٤]

أمّا أن تعطيه مقام العبوديّة وتنعته بالصالح فهذا ما لا يَـلتقي مـع الواقـع، ولو كان كذلك لتنازل عن الخلافة لأهلها كما فعل معاوية بن يزيد بن معاوية)

---

(١) سنن أبي داود ٤: ٢٦٠، الحديث ٤٨٣٥، وكنز العمال ٧: ٩٤، الحديث ١٨١٢٧، وغوالي اللآلي ١: ٣٨١.

(٢) سورة النحل: ١٢٥.

(٣) سورة العنكبوت: ٤٦.

(٤) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٤: ٦٠.

وشرع يوبخني توبيخاً شديداً شعرت معه بحرج، ولم أكد أُفلِت من قبضته حتىٰ رحت أعيد النظر في ألفاظي وأتأمّل طويلاً في الكلمة التي أُلقيها»[١].

وبالمناسبة: إنّني سمعتُ مرّة رجلاً يتحدّث عن مكانة الإمام المعصوم فقال: القرآن ميّت والإمام حي، فقلت له: إنّ هذا الكلام غير صحيح ولكن قل: القرآن صامت والإمام ناطق حتىٰ لا تصغّر موقع الكتاب العزيز.

قال الحاج جواد بدگت[٢]:

كلٌّ كتابُ الله لكنْ صامتٌ ... هذا وهذا ناطقٌ ومبينٌ[٣]

١٣ ـ ينبغي للخطيب أن يكون دقيقاً في ذكر الأخبار والآراء من حيث الإجماع وغيره، فلا يقول في شيء فيه خلاف بين العلماء بأنّه مُجمع عليه، بل يقول مثلاً: قال كثير من العلماء، أو قال: بعض العلماء أو بعض المؤرّخين كذا.

ذكر الأُستاذ الوائلي أنّه أورد مرّةً علىٰ المنبر مسألةً فقال: «إنّ هذه المسألة محل إجماع» وكان أحد الحاضرين العالم الشيخ عباس الرميثي تغمّده الله برحمته، قال: «فلما فرغت من القراءة جلست بجانب المنبر فتوجّه إليّ الشيخ

(١) تجاربي مع المنبر: ١٣٩.

(٢) هو الحاج جواد بن محمّد الحسين بن عبد النبي بن مهدي بن صالح بن علي الأسدي الحائري المعروف بالحاج جواد بدگت بالكاف الأعجمية، وهو لقبٌ لجدّهم مهدي، لأنّه أراد أن يقول: بَرَغَثْ، فقالها [بَدَگَتْ]: لتمتمةٍ فيه. وتُوفّي في حدود سنة ألف ومائتين ونيف وثمانين في كربلاء ودُفن بها. الطليعة من شعراء الشيعة ١: ٢٠٢، الرقم ٤٩. وقال السيد جواد شبّر: «ولد بكربلاء عام ١٢١٠ هـ وتُوفّي سنة ١٢٨١ هـ بكربلاء ودُفن فيها». أدب الطف ٧: ١٤٦.

(٣) أدب الطف ٧: ١٥١.

الرميثي وقال: إنّك ذكرتَ أنّ هذه المسألة مُجمعٌ عليها، ولكنّك لم تذكر هل هو إجماع منقول أم محصّل؟[١] وهل تَتَبّعت مَدرك هـذه المسألة؟ ثـم أُحبّ أن أعرف: هل أنّك درست هذا القسم من الأُصول وعرفتَ منشأ حجّية الإجماع؟ هل لأنّه إجماع أو لأنّه يكشف عن قول المعصوم... وأخذ يشرح لي جوانب ممّا يتعلّق بموضوع الإجماع، وقال: إنّي أُريد لك أن لا تقرأ شيئاً لم تـهضمه بعد، في الوقت الذي أُبارك لك فيه طموحك[٢]».

١٤ ـ وعلىٰ الخطيب أن لا يؤيس الناس مـن رحـمة الله، ولا يـؤمِنهم مـن عذابه. ففي رواية الديلمي عن رسول الله ﷺ أنّه قال: «ألا أُخبركم بالفقيه كـلّ الفقيه؟ قالوا بلىٰ يا رسول الله، قال: إنّ الفقيه كلّ الفقيه الذي لا يؤيـس الناس من رَوح الله، ولا يؤمنهم مكر الله، ولا يقنطهم من رحمة الله ...»[٣].

وقال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «الفقيه كلّ الفقيه من لم يقنّط الناس من رحمة الله، ولم يؤيسهم من رَوح الله، ولم يؤمنهم من مكر الله»[٤].

وفي رواية السيوطي والكليني قال عليه السلام: «ألا أُخبركم بالفَقيه حق الفَقيهِ؟ مَن لم يُقَنِّط ٱلناسَ مِنْ رَحْمَةِ ٱللهِ، ولم يـؤمنهم من عذاب الله، ولم يرخّص لهم في معاصي الله»[٥].

يريد من الفقيه: الفهيم الحكيم والعاقل الفَطِن العارف بأساليب البيان والدعوة

---

(١) الإجماع المحصّل: وهو ما ثبت واقعاً وعُلِم بلا واسطة النقل، والإجماع المنقول: وهو ما عُلم بالنقل، وينقسم إلىٰ متواتر وآحاد. الأُصول العامّة للفقه المقارن: ٢٧١ و ٢٧٤.

(٢) تجاربي مع المنبر: ١٣٨.

(٣) أعلام الدين بصفات المؤمنين: ١٠٠.

(٤) نهج البلاغة: الحكمة ٩٠.

(٥) سمط النجوم العوالي ٢: ٥١٤، والأُصول من الكافي ١: ٢٨، الحديث ٣، ومسند الإمـام علي للسيّد حسن القبانجي ١: ٥٣.

إلىٰ طـاعة الملك الديّان، والحافظ للتوازن في كلامه بين الترغيب والترهيب، أي الترغيب في طاعة الله وثوابه، والترهيب والتخويف من معصية الله وعذابه. والتحدّث عن عاقبة المطيعين وما أعدّ الله لهم من جنّة ونعيم، وعاقبة العاصين وما أعدّ الله لهم من عذاب وجحيم. فإنّ ذِكْرَ الجنّة ونعيمها، والترغيب فـيها، وذِكر النار وعذابها، والتحذير منها، لهما أثرٌ تربوي عظيم في النفوس؛ لذا بعث الله تعالىٰ الأنبياء مبشّرين ومـنذرين: مـبشّرين بـرحـمة الله وجـنّته ونـعيمه، ومنذرين من سخطه وعذابه وجحيمه.

قال تعالىٰ: ﴿لَيْسَ بِأَمَانِـيِّكُم وَلاَ أَمَانِيِّ أَهْلِ الكِتَابِ مَن يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ وَلاَ يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ اللهِ وَلِيّـاً وَلاَ نَصيراً * وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤمِنٌ فَأُوْلَئِكَ يَدخُلُونَ الجَنَّةَ وَلاَ يُظْلَمُونَ نَقِيراً﴾[1].

فعلىٰ الخطيب أن يتعامل مع المستمعين معاملة متوازنة في مسألة الخوف والرجاء، فيذكّرهم بوعد الله وثوابه، ووعيده وعقابه، ولا يكتفي بذكر أحدهما دون الآخر؛ لأنّ التأكيد علىٰ رحمة الله وعفوه ومغفرته يوجب الإغراء وتمادي البعض في المعاصي، والتأكيد علىٰ عذاب الله ونقمته يسبّب اليأس والقنوط من رحمة الله وغفرانه.

وفي الحقيقة ينبغي للخطيب أن يكون كـالطبيب الحـاذق يـعالج أمـراض المجتمع ويصف الدواء النافع لكلّ داء، وهذا هـو عـمل الأنـبياء والأوصـياء والأولياء. قال أمير المؤمنين عليه السلام في وصف رسول الله صلى الله عليه وآله: «طبيبٌ دوّار بطبّه قد أحكم مراهمه وأحمىٰ مواسمه، يَضَعُ ذلك حيث الحاجة إليه، من قلوبٍ عُميٍ وآذانٍ

(١) سورة النساء: ١٢٣ ـ ١٢٤.

صمٍّ وألسنةٍ بُكمٍ، متتبعٌ بدوائه مواضع الغفلة ومواطن الحيرة»[١].

١٥ ـ وعلىٰ الخطيب إذا أراد ذِكر الخالق جلّ وعلا، أو ذِكر الأنبياء أو الأوصياء أو العلماء، أن يذكرهم بكل أدب واحترام وتعظيم، وأن يتجنّب الكلمات المجافية للأدب.

«ورد في الحديث أنّ رجلاً قال: (مَن يُطعِ اللهَ ورسولَهُ فقد رشد، ومن يَعصهما فقد غوىٰ)، فقال له النبي صلىٰ الله عليه [وآله] وسلّم: (بئس الخطيب أنت، قُل: ومَن يعصِ الله ورسوله فقد غوىٰ). قال ابن منظور: «إنّما ذمّه لأنّه جمع في الضمير بين الله تعالىٰ ورسوله في قوله (ومَن يعصهما) فأمره أن يأتي بالمُظهَر ليترتب اسم الله تعالىٰ في الذكر قبل اسم الرسول، وفيه دليل علىٰ أنّ الواو تفيد الترتيب»[٢].

كما ورد أنّ معاوية قال لأَمَد بن لُبد المعمّر: «هل رأيتَ محمّداً؟» قال أَمَد: «مَن محمّد؟» قال: «رسُولُ الله»، قال أَمَد: «ويحك، أفلا فخّمته كما فخّمه الله فقلت: رسول الله؟!»[٣].

١٦ ـ وعلىٰ الخطيب أن يتجنّب الكلام الركيك والأمثلة غير المناسبة؛ لأنّ ذلك ممّا يحطّ من شخصيّته ويقلّل من شأنه، وربّما يكون سبباً للاستهزاء به.

كان عبيدة بن الزبير والياً من قِبَل أخيه عبد الله بن الزبير علىٰ المدينة المنوّرة، فقال يوماً في خطبته: «قد تَرونَ ما صنعَ الله بقومٍ في ناقةٍ قيمتها خمسة دراهم». فسُمّي مُقوّم الناقة، فبلغ ذلك أخاه عبد الله فعزله واستعمل

(١) نهج البلاغة: الخطبة ١٠٨.
(٢) لسان العرب: (عصا).
(٣) سفينة البحار: (فخم).

مصعباً [مكانه]»(١).

إنّ عبيدة قوّم ناقة الله التي هي آية من آيات الله لصالح النبيعليه السلام ومعجزة له، بخمسة دراهم، فاستنكر الناس كلامه ولقّبوه بمقوّم الناقة استهزاءً به، ففقد شخصيّته الاجتماعيّة، ممّا اضطرّ عبد الله بن الزبير إلىٰ عزله.

١٧ ـ إذا أراد الخطيب أن ينقد بعض الأشخاص علىٰ أعمالهم فعليه أن يتحفّظ من المساس بكرامة المؤمنين الصالحين، أو أن يكون سبباً لتضليل بعض المستمعين، فكلّ صنف وفئة عدا المعصومين فيهم الأخيار وفيهم بعض المنحرفين، فإذا انتقد الخطيبُ جماعةً دون الإشارة إلىٰ أنّ مقصوده المنحرفون منهم، فالمستمعون يسيئون الظن بتلك الشريحة، وفي هذا إجحاف بحقّ الأخيار وإساءة إليهم، وربّما يكون سبباً لتضليل بعض المستمعين.

الجزء الثالث: الرابط أو التخلّص:

يقوم الخطيب في آخر الشرح بإعداد النفوس وتهيئة أذهان المستمعين للانتقال بهم إلىٰ قضية الحسينعليه السلام وحديث كربلاء بصورة فنّية، بحيث يربط الموضوع بالإمام الحسينعليه السلام مسترسلاً وبصورة انسيابية، من دون قفزة أو طفرة مفاجئة في تسلسل الحديث. ويُسمّىٰ هذا العمل بالربط أو التخلّص أو التعريج، أو (الگُرِيز)(٢).

وحُسن الربط، والتخلّص الفنّي، والانتقال من الشرح إلىٰ واقعة الطف دليل القدرة الفنّية، والذوق السليم، وحُسن التنسيق، وسرعة البديهة.

---

(١) الكامل في التاريخ ٤: ٢٠٦ ـ ٢٠٧.

(٢) الگُريز: كلمة فارسية يقصد منها التخلّص. قال عبد الوهّاب عَلوب في المعجم الفارسي العربي: ٣٤٢: «گُريز زدن: الخروج عن الموضوع».

وهذا الجزء من الخطبة يحتاج إلىٰ مطالعات كثيرة في كتب الأخبار والتاريخ والمقاتل؛ لانتقاء الكلمات والأخبار والأشعار المناسبة لهذه النُقلة الفنّية، كما يحتاج إلىٰ ذكاء وفطنة ومهارة وذوق سليم. ويمكن الاستفادة من خبرات الخطباء الناجحين في هذا المجال.

والإخفاق في الربط الجيّد بين الموضوع وواقعة كربلاء يسبّب الفشل في التعزية التي هي جزء مهمّ جداً في الخطبة الحسينية، فتأتي التعزية حينئذ باردة.

وباستطاعة الخطيب أن يستفيد من كلِّ كلمة وخطبة ورسالة وشعر وموقف لسيّد الشهداء عليه السلام وأهل بيته وأنصاره، ويجعله رابطاً بين الموضوع وواقعة كربلاء، فإذا كان الحديث مثلاً عن الإصلاح، أو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يربطه بوصية الحسين عليه السلام إلىٰ أخيه محمد بن الحنفية، عند خروجه من المدينة المنورة إلىٰ مكّة المكرمة: «إنّي لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً، وإنّما خرجت لطلب الإصلاح في أُمّة جدّي محمّد صلى الله عليه وآله، أُريد أن آمر بالمعروف وأنهىٰ عن المنكر، وأسير بسيرة جدّي وأبي علي بن أبي طالب، فمَن قبلني بقبول الحقّ فالله أولىٰ بالحقّ، ومَن ردّ عليَّ هذا أصبر حتىٰ يقضي الله بيني وبين القوم، وهو خير الحاكمين»(١).

وإذا كان الحديث عن الحقّ وضرورة اتّباعه، ومقارعة الباطل ووجوب اجتنابه يربطه بقول الحسين عليه السلام في خطبته بكربلاء: «أمّا بعد فإنّ الدنيا قد تغيّرت وتنكّرت وأدبر معروفُها، ولم يَبق منها إلّا صبابة كصبابة الإناء، وخسيس عَيشٍ كالمرعىٰ الوبيل، ألا تنظرون إلىٰ الحقّ لا يُعمل به والباطل لا يُتناهىٰ عنه؟!

(١) مقتل الحسين للخوارزمي ١: ٢٧٣، ومقتل الحسين للسيّد المقرّم: ١٣٩.

ليرغبِ المؤمن في لقاء ربّه، فإنّي لا أرىٰ الموت إلّا سعادة ولا الحياة مع الظالمين إلّا بَرَماً»(١).

وإذا كان الحديث عن مُغريات الدنيا وأثرها في النفوس الضعيفة يَستشهد بقول الحسين عليه السلام: «الناس عبيد الدنيا، والدين لعق علىٰ ألسنتهم يحوطونه ما درّت معايشهم، فإذا مُحّصوا بالبلاء قلّ الديّانون»(٢).

وإذا كان الحديث عن مسئوليّة المسلم تجاه الظالمين يستشهد بخطبة الإمام الحسين عليه السلام في منطقة البَيضة، وقوله: «أيّها الناس، إنّ رسول الله صلّىٰ الله عليه [وآله] وسلّم قال: (من رأى سلطاناً جائراً مستحلّاً لحُرَم الله، ناكثاً لعهد الله، مخالفاً لسنّة رسول الله، يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان، فلَم يُغَيِّر عليه بفعل ولا قول كان حقّاً علىٰ الله أن يُدخِلَه مُدخَله) ألا وإنّ هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان، وتركوا طاعة الرحمن، وأظهروا الفساد، وعطّلوا الحدود، واستأثروا بالفَيء، وأحلّوا حرام الله، وحرّموا حلاله، وأنا أحقّ مَن غَيّر»(٣).

ملحوظات عن الرابط:

١ ـ يُمكن أن يكون الرابط آية، أو حديثاً، أو قصّةً، أو خبراً، أو شعراً، أو تعليقاً مناسباً يَستشهد به الخطيب للانتقال إلىٰ واقعة كربلاء.

فعلىٰ سبيل المثال: إذا كان الحديث عن بطولات الإمام علي عليه السلام يقول: وقد تجلّت بطولات الإمام علي عليه السلام في مواقف أبنائه وأحفاده في كربلاء، ثم يذكر مَن يريد منهم كالحسين عليه السلام مثلاً، أو العباس، أو علي الأكبر...

(١) الملهوف علىٰ قتلىٰ الطفوف: ١٣٨.

(٢) مقتل الحسين للخوارزمي ١: ٣٣٧.

(٣) تاريخ الطبري ٥: ٤٠٣، ومقتل الحسين للخوارزمي ١: ٣٣٥.

وإذا كان الحديث عن الكرم والسخاء يستشهد بالشعر الذي قاله الإمام الحسين عليه السلام:

إذا جادت الدنيا عليك فجُد بها ... علىٰ الخلق طُرّاً قبل أن تَتَفَلَّتِ

فلا الجودُ يُفنيها إذا هي أقبلَتْ ... ولا البخلُ يُبقيها إذا هي وَلَّتِ(١)

أو يذكر كرم سيد الشهداء عليه السلام وسخاءه وهباته وصِلاته، وأنّ داره كانت تستقبل الضيوف وذوي الحاجات أيّام تواجده في المدينة المنوّرة، ولكنّها أُغلقت وأُوحشت بعد رحيله واستشهاده.

وإذا كان الحديث عن الشهادة فيمكنه أن يستشهد بقول الحسين عليه السلام:

فإنْ تَكُنِ الدنيا تُعدُّ نَفيسةً ... فدارُ ثواب الله أعلىٰ وأنبلُ

وإن تكن الأبدان للموت أُنشئتْ ... فَقَتلُ امرئٍ بالسيف في الله أفضل

وإن تكن الأموال للتَرْكِ جمعها ... فما بالُ مَتروكٍ به المرءُ يَبخل

وإن تكن الأرزاق قَسْماً مُقَدّراً ... فَقِلّةُ حِرصِ المرءِ في الكسبِ أجمل(٢)

وإذا كان الحديث عن حياة الصحابي عمّار بن ياسر مثلاً ومواقفه، فآخر ما يأتي به من خبر عمّار موقفه في صفّين ومصرعه، ثم يذكر جلوس الإمام علي عليه السلام عنده باكياً وأَخْذَه رأسه وقوله:

ألا أيّها الموت الذي ليس تاركي ... أرحني فقد أفنيتَ كلّ خليل

أراك بصيراً بالذين أُحبّهم ... كأنّك تنحو نحوهم بدليل(٣)

ثم ينتقل إلىٰ كربلاء ووقوف الحسين عليه السلام علىٰ مصارع أصحابه وإخوته.

وإذا كان الحديث عن وفاء أنصار وأصحاب الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، أو أنصار

---

(١) مناقب آل أبي طالب ٤: ٧٤.

(٢) مقتل الحسين للخوارزمي ١: ٣٢١، و ٢: ٣٨.

(٣) حياة الإمام الحسن لباقر شريف القرشي ١: ٤٥٥.

الإمام علي عليه السلام يذكر أنصار الحسين عليه السلام ووفاءهم لسيّدهم، وقول الشيخ صالح التميمي(١) فيهم:

لقد صبروا صبر الكرام وقد قَضَوا | علىٰ رغبة منهم أُصول المكارم(٢)

ويذكر قول الحسين عليه السلام فيهم وفي أهل بيته: «أمّا بعد، فإنّي لا أعلم أصحاباً أولىٰ (أوفىٰ) ولا خيراً من أصحابي، ولا أهل بيت أبرَّ ولا أوصلَ مِن أهلِ بيتي»(٣).

وإذا كان الحديث عن وفاء النساء لأزواجهن يستطيع أن يذكر وفاء الرباب لزوجها الحسين عليه السلام وما قالته في رثائه، كقولها:

إنّ الذي كان نوراً يُستضاءُ به | بكربلاء قتيلٌ غيرُ مدفونِ
سبطَ النبي جزاك الله صالحةً | عنّا وجُنِّبتَ خُسرانَ الموازينِ
قد كُنتَ لي جَبَلاً صعباً ألوذُ به | وكنتَ تَصحبُنا بالرحمِ والدِينِ
مَن لليتامىٰ ومَن للسائلين ومَن | يُغني ويأوي إليه كلُّ مسكين
واللهِ لا أبتغي صهراً بصهرِكُمُ | حتّىٰ أُغيّبَ بين الرمل والطين(٤)

أو قولها عندما أَخَذَتِ الرأسَ الشريف ووضعتهُ في حجرها وقبّلته وقالت:

واحسيناً فلا نَسيتُ حسينا | أَقْصَدَتْهُ أسنّةُ الأعداءِ
غادروهُ بكربلاء قتيلاً | لاسقىٰ اللهُ جانبي كربلاء(٥)

---

(١) هو أبو سعيد الشيخ صالح بن درويش بن علي بن محمّد حسين بن زين العابدين، الكاظمي النجفي الحلّي البغدادي المعروف بالشيخ صالح التميمي. ولد في الكاظمية سنة ١٢١٨ هـ، وتُوفّي في بغداد يوم الخميس بعد الظهر لأربع عشرة ليلة بقيت من شعبان سنة ألف ومائتين وإحدىٰ وستين، ودُفن بالكاظمية. أُنظر الطليعة من شعراء الشيعة ١: ٤١٠، الرقم ١٢٤، وأدب الطف ٧: ٢٦.

(٢) أدب الطف ٧: ٢٣.

(٣) تاريخ الطبري ٥: ٤١٨.

(٤) الأغاني لأبي الفرج الإصفهاني ١٦: ١٤٢.

(٥) تذكرة الخواص: ٢٣٣ ـ ٢٣٤.

وإذا كان الحديث عن الصبر والصابرين وما أعدّ الله لهم يستشهد بالآية الكريمة: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّابِرِينَ * ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ * أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ﴾[1]، ثم يذكر بعض مصائب أهل البيت وصبرهم عليها.

وإذا كان الموضوع عن الجهاد يتخلّص إلىٰ جهاد أهل البيت.

وإذا كان الموضوع عن مصائب الدنيا وغدر الزمان يمكنه أن يستشهد بقول السيد محسن الأمين:

لا تأمَنِ الأيّامَ يوماً بعدما ... غَدَرَتْ بعترة أحمد المختار
فَجَعَتْ حسيناً بابنه مَن أشبه ... المختارَ في خُلُقٍ وفي أطوارِ...[2]

أو قول عليّ بن حمّاد العبدي[3]:

لا تأمَنِ الدهرَ إنّ الدهرَ ذو غِيَرٍ ... وذو لسانينِ في الدنيا ووجهينِ
أخنىٰ علىٰ عترة الهادي فشتّتَهُم ... فما ترىٰ جامعاً منهم لشخصين
بعضٌ بطيبةَ مدفونٌ وبعضهُمُ ... بكربلاء وبعضٌ بالغريين ...[4]

---

(١) سورة البقرة: ١٥٥ ـ ١٥٧.

(٢) الدرّ النضيد للسيد محسن الأمين: ١٩٠، فقد أورد قصيدة أبي الحسن التهامي في رثاء ولده، والتي أوّلها:

حُكمُ المنيّةِ في البريّةِ جاري ... ماهذه الدنيا بدار قرارِ

وبعد ذِكْرِ الموت والموعظة أضاف السيد أبياتاً مناسبة في علي الأكبر عليه السلام ثم أتمّ قصيدة التهامي في رثاء ولده.

والتهامي هو أبو الحسن علي بن محمّد بن الحسن العاملي الشامي، من شعراء الشيعة، سُجن بالقاهرة في ربيع الأوّل سنة ٤١٦ هـ، ثم قُتل سرّاً في سجنه في تسعة جمادى الأُولىٰ من السنة المذكورة. الكُنىٰ والألقاب ١: ٤٦.

(٣) هو أبو الحسن علي بن حمّاد بن عُبيد الله بن حمّاد العدوي العبدي البصري، وُلِدَ في أوائل القرن الرابع وتُوفّي في أواخره. أدب الطف ٢: ١٦٧.

(٤) أدب الطف ٢: ١٦١.

وهكذا يستمرّ إلىٰ أن يذكر المصيبة.

٢ ـ إنّ الرابط يختلف باختلاف المجالس والمستَمعين، فأحياناً يكون الرابط الواحد مناسباً في مجلس، وغير مناسب في مجلس آخر، فمثلاً يقال: إنّ أحد القرّاء في القرية تَخلّصَ بهذه القصّة، وذلك: أنّه كان عنده ديك له عدّة دجاجات، فكلّما جاء ديكٌ آخر أبعده عن التعرّض لحرمه، فمرض الديك مرّة فأقبل ديك ليسطو علىٰ حرمه، فقام إليه الديك المريض وقاتله إلىٰ أن وقع ميّتاً، ثم قال: ذكّرني هذا الديك بدفاعه عن حرمه حتىٰ الموت بالحسين عليه‌السلام ودفاعه عن عياله حتىٰ الموت...

فهذه القصّة قد تكون مؤثّرة في أهل القرىٰ قديماً، ولكنّها غير مناسبة اليوم لتطوّر الأحوال، وتفتّح الأذهان والعقول.

ويُنقل أنّ أحد الخطباء صعد المنبر في مدينة كربلاء بعد ظهر عاشوراء وقال: أشمّ رائحة الحريق، فتذكّر الحاضرون خيام الحسين عليه‌السلام المحترقة في تلك الساعة فبكوا. فأراد أحد القرّاء أن يستعمل هذا (التخلّص) في قرية، فلمّا قال: أشمّ رائحة الحريق، ظنّ الحاضرون أنّ حريقاً وقع في المجلس، فقاموا يفتّشون عن ذلك، وانهار ذلك المجلس.

٣ ـ ينبغي للخطيب أن لا يذكر مواقف تاريخية غير ثابتة للعترة الطاهرة، كمحاربة العباس عليه‌السلام يوم صفّين وما نُسب إليه من بطولات في هذه الحرب. لأنّ ولادة العباس عليه‌السلام كانت سنة ٢٦ هـ، وحرب صفّين كانت سنة ٣٧ هـ، فكان عمره آنذاك ١١ سنة.

ونحن لا نُنكر ما خصّ الله تعالىٰ هذه الأُسرة الطيّبة من الشجاعة والإقدام، ولكنّ العباس عليه‌السلام لم يَذكر حضورَهُ في صفّين أيُّ مؤرّخٍ لوقائعها، مع أنّ كثيراً

من الحوادث الجزئية فضلاً عن الأُمور المهمّة دُوّنت عن تلك الحرب.

ثم إنّ الإمام علياً عليه السلام كان في غنىً عن إشراك العباس في حروبه، والاستعانة به على صغر سنّه مع وجود الأبطال معه ـ كالإمامين الحسن والحسين عليهما السلام ـ ومحمّد ابن الحنفية، وعمّار، وهاشم المرقال، ومالك الأشتر، وعشرات أمثال هؤلاء الشجعان.

ولعلّه وقع اشتباهٌ بين العباس بن علي والعباس بن ربيعة بن الحارث بن عبدالمطلب الذي أبلىٰ يوم صفّين بلاء حسناً، وله مواقف مشهودة في ذلك اليوم(١).

(١) روىٰ عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدِّينَوَرِي في كتابه عيون الأخبار ١: ١٧٩ بسنده عن أبي الأغر التميمي قال: «بَيْنا أنا واقفٌ بِصفّين مرّ بي العباس بن ربيعة [بن الحارث بن عبد المطّلب] مكفّراً بالسلاح وعيناه تَبصّان من تحت المِغْفر كأنّهما عينا أرقم (أخبث الحيّات) وبيده صفيحة [أي سيف] له يمانية يُقلّبها، وهو علىٰ فرسٍ له صَعْب يمنعه ويُليّن من عريكته، إذ هتف به هاتفٌ من أهل الشام يقال له: عَرار بن أدهم: يا عباس، هَلُمَّ إلىٰ البِرَاز! قال العباس: فالنزول إذاً فإنّه إيَاسٌ من القُفُول، فنزل الشامي وهو يقول:

إنْ تَركبوا فرُكُوب الخيلِ عادتُنا   أو تَنزلونَ فإنّا معشرٌ نُزُلُ

وثنىٰ العباس وركه (رجله) فنزل وهو يقول:

وتصدُّ عنك مَخِيلةَ الرَجُل الـ   ـعِرِّيضِ مُوضحةٌ عن العَظْمِ
بُحسام سيفك أو لسانك والـ   ـكَلِمُ الأصيلُ كأرْغَبِ الكَلْمِ

ثم غضَّنَ (عَصَبَ) فَضَلات درعه في حُجْزَتِه (أي معقد الإزار) ودفع قوسه (فرسه) إلىٰ غلام له أسود يقال له: أسلم، كأنّي أنظر إلىٰ فلائل (فلافل) شعره، ثم دَلَف كلُّ واحد منهما إلىٰ صاحبه، فذكرتُ بهما قول أبي ذؤيب:

فتنازلا وتواقفت خيلاهما   وكلاهما بطل اللقاء مُخدَّعُ

وكفّ الناس أعنّة خيولهم ينتظرون (ينظرون) ما يكون من الرجلين فتكافحا بينهما (بسيفيهما) مَلِيّاً من نهارهما، لا يصل واحد منهما إلىٰ صاحبه لكمال لأْمته، إلىٰ أن لحظ العباس وَهْياً (وهناً) في درع الشاميّ؛ فأهوىٰ إليه بيده فهتكه إلىٰ ثُنْدُوَته (أي إلىٰ صدره)، ←

٤ ـ علىٰ الخطيب أن يتحاشىٰ ذكر الأرقام الخياليّة في حوادث كربلاء، فعلىٰ سبيل المثال:

أ ـ يذكر البعض أنّ الجيش المحارب للحسين عليه السلام يوم كربلاء بَلَغ مليوناً وستمائة ألف: مليون راجل وستمائة ألف فارسٍ(١).

والصحيح أنّ عدد الجيش الخارج لحرب الحسين عليه السلام كان ثلاثين ألفاً، وقد وردت في ذلك روايتان:

الأُولىٰ: روىٰ الشيخ الصدوق بسنده عن المفضّل بن عمر عن الإمام الصادق عن أبيه الباقر عن جدّه الإمام علي بن الحسين عليهم السلام، قال: «**إنّ الحسين بن علي ابن أبي طالب عليه السلام دَخَل يوماً إلىٰ (علىٰ) الحسن عليه السلام فلمّا نظر إليه بكىٰ، فقال له: ما يبكيك يا أبا عبد الله؟ قال: أبكي لِمَا يُصنع بك. فقال له الحسن عليه السلام: إنّ الذي يُؤتىٰ إليّ سُمٌّ يُدسُّ إليّ فأُقتَل به، ولكن لا يوم كيومك يا أبا عبد الله،**

← ثم عاد لمجاولته، وقد أضحر له (أي برز له) مفتَّق الدرع، فضربه العباس ضربة انتظم بها جوانحَ صدره، وخرّ الشاميُّ لوجهه؛ وكبَّر الناس تكبيرة ارتجَّت لها الأرض من تحتهم، وانشَامَ (وسما) العباس في الناس [وانساع أمره]، وإذا قائل يقول من ورائي: ﴿قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللهُ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ واللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ١٤ ـ ١٥]، فالتَفَتُّ وإذا أمير المؤمنين (رضي الله عنه) علي بن أبي طالب، فقال: يا أبا الأغر، مَن المُنازِل لعدوّنا؟ فقلت: هذا ابن أخيكم، هذا العباس بن ربيعة، فقال: إنّه لهو (وإنّه لهو)، يا عباس ألم أَنْهَكَ وابنَ عباس أن تُخِلّا بمركزكما أو تباشرا حرباً؟ قال: إنّ ذلك. يعني نعم (إنّ ذلك كان). قال: فما عَدَا مما بَدَا؟! قال: فأُدعىٰ إلىٰ البراز فلا أُجيب؟ قال: نعم، طاعة إمامك أولىٰ بك من إجابة عدوّك. ثم تغيّظ واستشاط حتىٰ قلت: الساعة الساعة، ثم تطامن وسكن ورفع يديه مبتهلاً فقال: اللهمّ أشكر للعباس مقامه واغفر له ذنبه، اللهمّ إنّي قد غفرت له فاغفر له». وذكره ابن الحديد في شرح نهج البلاغة: ٥ / ٢١٩.

(١) اكسير العبادات للدربندي ٣: ٤٣.

يَزدلف إليك ثلاثون ألف رجلٍ يَدَّعُون أنّهم من أُمّة جدّنا محمّد صلى الله عليه وآله ويَنتَحلُون دينَ الإسلام، فيجتمعون علىٰ قتلك، وسفك دمك، وانتهاك حرمتك، وسبي ذراريك ونسائك، وانتهاب ثقلك. فعندها تَحُلُّ ببني أُميّة اللعنة، وتَمطر السماءُ رماداً ودماً، ويبكي عليك كلّ شيء حتىٰ الوحوش في الفلوات والحيتان في البحار»[(١)].

الثانية: روىٰ الشيخ الصدوق بسنده عن ثابت بن أبي صفيّة قال: «نظر سيد العابدين علي بن الحسين عليه السلام إلىٰ عبيد الله بن العباس بن علي بن أبي طالب عليه السلام فاسْتَعْبَر، ثم قال: ما من يوم أشدّ علىٰ رسول الله من يوم أُحُد، قُتِلَ فيه عمّه حمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسوله، وبعده يوم مؤتة، قُتِلَ فيه ابن عمّه جعفر بن أبي طالب. ثم قال عليه السلام: ولا يوم كيوم الحسين عليه السلام، ازدلف إليه ثلاثون ألف رجل يزعمون أنّهم من هذه الأُمّة، كلٌّ يتقرّب إلىٰ الله عزّ وجلّ بدمه، وهو بالله يُذكّرهم فلا يتّعظون، حتّىٰ قتلوه بغياً وظُلْماً وعدواناً...»[(٢)].

ففي مثل هذه المواقف يستطيع الخطيب أن يستعمل العبارات المعبّرة عن ضخامة الجيش المحارب، وكثرة عدده، من دون ذكر الأرقام الكبيرة، فيقول: جاءته الجنود كقِطَع الليل المظلم، والسيل الجارف، والجَراد المنتشر، كما قال

---

(١) الأمالي للشيخ الصدوق: ١٧٧ ـ ١٧٨، المجلس ٢٤، الحديث ١٧٩، والبحار ٤٥: ٢١٨.

يُلاحَظ أنّ الشيخ باقر القرشي في كتابه حياة الإمام الحسن عليه السلام ٢: ٤٧٦، ذكر دخول الإمام الحسين علىٰ أخيه الإمام الحسن بعد مادُسّ إليه السُم. فلمّا نظر إليه بكىٰ فقال له: «ما يبكيك يا أبا عبد الله؟ قال: أبكي لما صنع بك، وقال الإمام الحسن: إنّ الذي أوتي إليّ سُمّ أُقتل به ولكن لا يوم كيومك يا أبا عبدالله...» ثم أكمل الحديث نفسه.

(٢) الأمالي للشيخ الصدوق: ٥٤٧، المجلس ٧٠، الحديث ٧٣١.

الشيخ حسن الدمستاني(١):

فأظَلّتهُمْ جُنُودٌ كالجَراد المُنتشِرْ

مَعَ شِمْرٍ وابن سعد كلّ كذّابٍ أشِرْ

فاصطلىٰ الجمعانِ نار الحرب في يوم عسر

واستدارت في رحىٰ الهيجاء أنصار الحسين(٢)

أو كما قال السيّد حيدر الحلّي(٣):

كفاني ضَنىً أن تُرىٰ في الحسين شَفَتْ آلُ مروانَ أضغانَها

فأغضبتِ الله في قتلهِ وأرضت بذلك شيطانها

---

(١) هو الشيخ حسن بن محمّد بن علي بن خلف بن إبراهيم بن ضيف الله بن حسن بن صدقة الدمستاني البحراني، لم تُذكر سنة ولادته ولكنّ وفاته في بلدة القطيف يوم الأربعاء ٢٣ ربيع الأوّل سنة ١١٨١ هـ، ودُفن في المقبرة الغربية من مقبرتَي الحباكة جنوب مسجد العابدات في القطيف. أُنظر الطليعة من شعراء الشيعة ١: ٢٣٨، وأدب الطف ٥: ٢٩٦.

(٢) نيل الأماني، ديوان الشيخ حسن الدمستاني: ١٩٥.

(٣) هو السيد حيدر بن سليمان بن داود بن سليمان بن داود الحسيني الحلّي، كان شاعراً بارعاً غير منازع، وأديباً أريباً لم يُدافع، وكان ذا إلمام بالعربية، مصنّفاً ضمّ إلىٰ الأدب نُسكاً وتقوىٰ، وتقرّب إلىٰ الله في مدح أهل البيت بالسبب الأقوىٰ. أخبرني السيّد حسن ابن السيّد هادي الكاظمي سلّمه الله: قال: أخبرني السيّد حيدر قال: رأيت في المنام فاطمة الزهراء عليها السلام، فأتيت إليها مُسلّماً عليها، مقبّلاً يديها، فالتفتت إليّ وقالت:

أناعيَ قتلىٰ الطف لازلتَ ناعياً تُهيج علىٰ طول الليالي البواكيا

فجعلت أبكي وانتبهت وأنا أردّد بهذا البيت، فجعلتُ أتمشّىٰ في بهوٍ لي وأنا أبكي وأحاول التتميم، ففتح الله عَلَيّ أنْ قلتُ متمّماً لها:

أعِدْ ذكرهم في كربلا إنّ ذكرهُم طوىٰ جَزَعاً طيّ السجلّ فؤاديا...

إلىٰ آخر ما قال في نظمه. قال: ثم إنّه أوصىٰ أن تُكتب وتُوضع معه في كفنه. الطليعة من شعراء الشيعة ١: ٢٩٧ ـ ٢٩٨.

وذكر الشيخ السماوي هذه الرؤيا أيضاً في ظرافة الأحلام: ٥٨.

توفّي السيد حيدر الحلّي سنة ١٣٠٦ هـ بالحلّة ودُفن في النجف الأشرف.

عشـــيّةَ أنـــهضها بـــغيُها فـــجاءته تـــركبُ طـــغيانها
بـــجمعٍ مِـــن الأرضِ سَـدَّ الفـروجَ وغَـــطّىٰ النُـــجُودَ وغِـــيطانَها
وطـــئ الوحشَ إذ لم يَـــجِد مَـهرباً ولازمَتِ الطـــيرُ أوكـــانها[١]

أو قول الشيخ حمّادي بن مهدي الكوّاز[٢]:

جـاءَتْ وقـائدُها العَـمىٰ وإلىٰ حرب الحسين يقودها الجَـهَلُ
بِـــجَحافلٍ بـالطفِّ أوّلُـــها وأخـــيرُها بـالشام مُـتّصلُ
ملءُ القفارِ عـلىٰ ابـن فـاطمةٍ جـندٌ ومـلءُ صـدورهم ذُحَـلُ
طَـمَّ الفـلا فـالخيلُ تـحتَهُمُ أرضٌ وفوقَهُم السَّـما ذُبُـل[٣]

ب ـ يَذكر البعضُ أنّ الحسين عليه السلام قَتَلَ يوم عاشوراء عشرة آلاف، وبعضهم قـال: اثني عشر ألفاً، وبعضهم: خمسين ألفـاً، وآخـر: أربعمئة ألف رجلٍ[٤].

وهذا العدد الكبير يحتاج إلىٰ حرب دامية تستمرّ عدّة أيام بل عدّة أسابيع، خصوصاً مع النظر إلىٰ وسائل القتال البطيئة آنـذاك، والمـفروض أنّ الإمـام الحسين عليه السلام كان يقاتل بصورة اعتياديّة لا علىٰ نحو الإعجاز.

ونحن لا نُنكر شجاعة الحسـين عليه السلام ولكـنّ هـذا العـدد أشـبه بـالأساطير التي تُحاك عادة حول العظماء. ثم إنّ عَظَمة الحسين عليه السلام لا تَعتمد علىٰ بـلوغ قتلاه هذا الرقم الخيالي. وقد أورد المسعودي وابن شهراشوب أرقاماً للـقتال

---

(١) ديوان السيد حيدر الحلّي: ١٠٩.

(٢) هو الشيخ حمّادي بن مهدي بن حمزة الشمّري الحلّي المعروف بالشيخ حمّادي الكـوّاز، وُلِدَ سنة ألف ومائتين وخمس وأربعين. وتُوفّي سنة ألف ومائتين وتسع وسـبعين بـالحلّة، ونُقل إلىٰ النجف فدُفن بها. الطليعة من شعراء الشيعة ١: ٢٩٢، الرقم ٨٥.

(٣) من قصيدة للشيخ حمّادي الكوّاز، أُنظر أدب الطف ٧: ١٦٣.

(٤) اكسير العبادات ٣: ٣٩، ونقله أيضاً عنه الميرزا النوري في اللؤلؤ والمرجان: ١٦٨.

واقعيّة ومقبولة.

قال المسعودي في إثبات الوصيّة: «ورُوي أنّه[١] قَتَلَ بيده ذلك اليوم ألفاً وثمانمائة مقاتل»[٢].

وأمّا ابنُ شهراشوب فقد أوصل القتلىٰ إلىٰ ألف وتسعمئة وخمسين قتيلاً[٣].

ففي مثل هذه المواطن يُمكن للخطيب أن يذكر شجاعة الحسين عليه السلام ومواقفه البطوليّة، مِن دون ذكر عدد القتلىٰ. فيستعين بما قاله بعض من شهد واقعة الطف: «ما رأيتُ مكثوراً[٤] قط قُتِلَ ولده وأخوته وبنو عمّه وأهل بيته أَربَطَ جأشاً ولا أمضىٰ جناناً ولا أَجرَأ من الحسين عليه السلام ولا رأيتُ قَبله ولا بَعدَهُ مثلَه، لقد رأيتُ الرجال تنكشف عنه إذا شدّ فيهم انكشاف المِعزىٰ إذا عاث فيها الذئب»[٥].

أو يقرأ ما قاله الشعراء في شجاعته، قال الشيخ صالح التميمي:

يكرّ عليهم مثلما كَرَّ حيدرٌ ... علىٰ أهل بدر والنفيرِ المُزاحِمِ[٦]

وقال السيد حيدر الحلّي:

سطا وهو أحمىٰ مَن يصونُ كريمةً ... وأشجعُ مَن يقتاد للحربِ عسكرا
فَرَافِدُهُ في حومة الضرب مُرْهَفٌ ... علىٰ قِلَّةِ الأنصارِ فيهِ تكَثّرا
تَعثّرَ حتّىٰ ماتَ في الهام حدّهُ ... وقائِمُهُ في كَفّهِ ماتَعثّرا[٧]

(١) أي الحسين عليه السلام.
(٢) إثبات الوصيّة لعلي بن الحسين المسعودي: ١٦٨.
(٣) مناقب آل أبي طالب لابن شهرآشوب ٤: ١١٠.
(٤) أي مغلوباً.
(٥) مقتل الحسين للخوارزمي ٢: ٤٤.
(٦) أنظر القصيدة في أدب الطف ٧: ٢٣.
(٧) ديوان السيد حيدر الحلّي: ٨٠.

أو يستعمل العبارات الدالّة علىٰ الشجاعة فيقول: حَمَلَ علىٰ القوم، فَقَلَبَ الميمنة علىٰ الميسرة، والميسرة علىٰ القلب، وأمثال ذلك. هذا بالنسبة للإمام الحسين عليه‌السلام وكذلك بالنسبة للعباس وعلي الأكبر والقاسم وسائر الهاشميين والأنصار.

ج ـ يذكر بعضهم أنّ يوم عاشوراء امتدّ إلىٰ اثنتين وسبعين ساعة؛ وذلك لأنّ الحوادث الكثيرة الواقعة يوم عاشوراء يُستبعد وقوعها في نهارٍ اعتيادي[١].

ولم يُفكّر هذا القائل بما يخلقه هذا القول الغريب من تساؤلات وشبهات بالنسبة للقوانين الكونيّة، إضافة إلىٰ مجافاته للواقع، وعدم اعتماده علىٰ مصدر صحيح وعقلاني، ثُمّ إنّ الموضوع لم يكن من موارد الكرامات والمعاجز التي هي فوق الإدراك العقلي والتي لابدّ من الإذعان بها، كما أنّ القائل لم يعتمد علىٰ رواية بل هو مجرّد استنتاج منه.

الجزء الرابع: المصيبة أو التعزية:

المصيبة هي الجزء الرابع من الخطبة الحسينية، ويجب الوصول إليها بطريقة فنّية وأُسلوب رقيق، فتذكر فيها آلام أهل البيت عليهم‌السلام ومصائبهم بصورة ترقّ لحالهم القلوب، وتحزن لآلامهم النفوس، فتبكي لحالهم العيون، وتسيل لمصائبهم الدموع.

فإذا أراد الخطيب أن تكون المصيبة رقيقة ومحزنة ومشجية ومثيرة للعواطف وباعثة للألم والحزن فعليه أن يبدي الشجا واللوعة، ويظهر الحزن والأسىٰ، فيبكي أو يتباكىٰ، وأن يتشبّه بأهل المصائب، ويتلبّس بشخصية

(١) اكسير العبادات في أسرار الشهادات ١: ٦٦٣.

صاحب العزاء؛ كي يؤثّر في النفوس لوعة، وفي العيون دمعة.

كما ينبغي له أن يطعّم المصيبة بأبيات من الشعر الرثائي، ويقرأها بلحن حزين وإنشاد رقيق؛ ليهيّج الأشجان، ويبعث الأحزان، ويفجّر الدموع.

وكذلك عليه أن يصوّر المصيبة تصويراً فنّياً، ويصفها وصفاً دقيقاً، بحيث يترك المستمعين يعيشون أجواء المصيبة ويتصوّرون المأساة.

وممّا يجب التوجّه له هو: قراءة المصيبة بلحن حزين وبصورة متّصلة، من غير توقّف أو قطع في الأثناء أو تَفلسُف؛ حتى لا تبرد العاطفة ولا تجفّ الدمعة لدىٰ المستمعين.

ملاحظات عن المصيبة:

١ ـ علىٰ الخطيب أن يعتمد في المصيبة مهما أمكن علىٰ الأخبار الصحيحة والموثوقة المذكورة في الكتب المعتبرة، وأن يتجنّب الأخبار التي يعلم كذبها.

٢ ـ لا يجوز للخطيب أن يخلق مصائب وحوادث لا أساس لها بُغية استدرار الدموع، فإنّ الكذب حرام، والغاية الحقّة لا تبرّر الوسيلة الباطلة، ولا يُطاع الله من حيث يُعصىٰ.

٣ ـ علىٰ الخطيب أن يتجنّب الأخبار الموجبة للتقليل من شأن أهل البيت عليهم السلام، والحط من منزلتهم، كالخبر الذي يقرأه البعض: أنّ سكينة لحقها أحد الأعداء يوم عاشوراء وضربها وسلبها خمارها فوقعت مغميّ عليها، ولمّا أفاقت وجدت نفسها مكشوفة الرأس وعندها عمّتها الحوراء زينب عليها السلام فقالت لعمّتها: يا عمّة هل من خمارٍ أو شيء أستر به رأسي، فقالت لها زينب: عَمَّتُك مثلُك (أي أنّها مكشوفة الرأس)، فإنّ مثل هذا الأمر لا يقبله أيُّ صاحب غيرة ودين؛ لأنّ الله تعالىٰ حفظ أهل البيت من أمثال هذه الحوادث.

أورد السيد عبد الرزّاق المقرّم أبيات الشيخ هادي آل كاشف الغطاء التي يقول فيها:

ساروا إلىٰ الكوفة بالسبايا ... تُساق فوق هُزّل المطايا
مغلولةَ الأيدي إلىٰ الأعناق ... تُسبىٰ علىٰ عُجُفٍ من النياق
حاسرة الوجه بغير برقع ... لا ستر غير ساعد وأذرع
قد تركت عزيزها علىٰ الثرىٰ ... وخلّفته في الهجير والعرىٰ
إن نظرت لها العيون وَلْوَلَت ... أو نظرت إلىٰ الرؤوس أعولت
تودّ أنّ جسمها مقبور ... ولا يراها الشامت الكفور

ثم قال معلّقاً عليها: «سمعت من الشاعر[١] أعلىٰ الله مقامه أنّه لمّا كان ينقل إلىٰ البياض[٢] ما كتبه في المسوّدة ووصل إلىٰ قوله:

تَوَدُّ أنّ جسمَها مقبورُ ... ولا يراها الشامتُ الكَفورُ

شاهد بعده مكتوباً:

وهي بأستارٍ من الأنوارِ ... تَحجُبُها عن أعين النُظّارِ

فتعجّب حيث لم ينظمه، وقد زاد تعجّبه أنّه لمّا نقله إلىٰ البياض وعاد إلىٰ المسوّدة لم يَرَ البيت مثبتاً في المسوّدة، فعلم أنّه شيء غيبي لا ينكره أهل الإيمان». ولا غرابة من الحجّة المنتظر ـ عجّل الله فرجه ـ إذا كتب هذا»[٣]، وأشار ناشر المقبولة إلىٰ هذه القصّة في كلمته التي ألحقها بالمقبولة.

فإذا كان الإمام الحجّة عليه السلام يتضايق من قول الشاعر في رؤية وجوه بنات الرسالة فكيف يرضىٰ عمّن أخبر عن كشف رؤوسهنّ!

---

(١) أي الشيخ هادي.

(٢) أي المبيّضة.

(٣) علي الأكبر هامش صفحة: ٢١ ـ ٢٢.

٤ ـ يمكن للخطيب أن يستفيد في المصيبة من الأخبار المُرسَلة المُثبتة في بعض كتب المقاتل والتاريخ، وكذا المسموعات من الخطباء الثُقات، شريطة أن لا تخالف الشرع والعقل، ولا يعلم بكذبها ووضعها، والأحسن أن ينسبها إلىٰ راويها، فيقول: روىٰ فلان أو يُروىٰ، أو ذَكروا، أو يُذكر، أو قال بعض الذاكرين أو الخطباء، أو سمعت بعضهم يقول، أو رأيت في كتاب فلان، أو ما شابه ذلك، وأن لا ينسبها إلىٰ المعصوم مباشرة[١]. قال أمير المؤمنين عليه السلام: «إذا حدَّثتم بحديث فاسندوه إلىٰ الذي حدّثكم، فإن كان حقّاً فلكم، وإن كان كذباً فعليه»[٢].

فمن الأخبار المُرسَلَة المُثبَتة في بعض الكتب ونَظَمها الشعراء: خبر زيارة هند لسبايا أهل البيت في خربة الشام. وقصّة أولاد مسلم، وخروج الرباب في طلب رضيعها وكذلك خروج الحوراء في طلب طفلة الحسين عليه السلام ليلة الحادي عشر من المحرّم، وخبر ليلىٰ وعلي الأكبر.

٥ ـ يجوز للخطيب أن يعتمد في المصيبة علىٰ بيان الحال المستفاد من أجواء المصيبة والقرائن الحاليّة، وقد أقرّ الإسلام هذه الطريقة فقال تعالىٰ:

---

(١) سُئل الإمام الخوئي قدس سره: هل يجوز للخطيب الحسيني أن ينقل القضايا التي لم يثبت وقوعها بعنوان أنّها واقعة كزواج القاسم بن الحسن عليه السلام بسكينة بنت الحسين عليه السلام؟ أم لابدّ من التثبّت في نقل ما أثبته العلماء، وطرح ما طرحوه؟
فأجاب سماحته: «لا يجوز النقل بعنوان الورود، وأمّا بعنوان الحكاية عن كتاب أو شخص فلا بأس به». المسائل الشرعيّة ٢: ٣٣٨.

(٢) سُئل الإمام الخوئي قدس سره: هل يجوز للخطيب الحسيني أن ينقل القضايا التي لم يثبت وقوعها بعنوان أنّها واقعة كزواج القاسم بن الحسن عليه السلام بسكينة بنت الحسين عليه السلام؟ أم لابدّ من التثبّت في نقل ما أثبته العلماء، وطرح ما طرحوه؟
فأجاب سماحته: «لا يجوز النقل بعنوان الورود، وأمّا بعنوان الحكاية عن كتاب أو شخص فلا بأس به». المسائل الشرعيّة ٢: ٣٣٨.

﴿وَيُطعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً * إِنَّمَا نُطعِمُكُمْ لِوَجهِ ٱللهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُوراً * إِنَّا نَخَافُ مِن رَبِّنَا يَوماً عَبُوساً قَمطَرِيراً﴾[1].

فأهل البيت قطعاً عندما أطعموا المسكين واليتيم والأسير لم يتكلّموا بشيء من هذا، ولكنّ القرآن الكريم بيّن حالهم، وتكلّم عن لسانهم.

وقد أشار بعضُ الشعراء إلىٰ بيان الحال بقوله:

لو كنتَ ساعةَ بَينِنا ما بَينَنا ... وشهدتَ كيف نُكرّر التوديعا
أَيْقنتَ أنّ من الدموعِ محدِّثاً ... وعلمتَ أنَّ من الحديثِ دموعا[2]

وقد استعمل شعراء الطف هذه الطريقة خصوصاً في أشعارهم الرثائية، قال السيد رضا الهندي[3]:

حَرَّ قلبي لزينبٍ إذ رأته ... تَرِبَ الجسمِ مُثخناً بالجِراحِ
أخرسَ الخطبُ نُطقَها فَدَعتهُ ... بدموعٍ بما تجِنُّ فصاحِ
يا منار الضُلّال والليل داجٍ ... وظِلالَ الرميضِ واليوم ضاحي
كنتَ لي يومَ كُنتَ كهفاً منيعاً ... سَجسَجَ الظِّلِ خافقَ الأرواحِ[4]

وقال السيد حيدر الحلي:

نَعَم لوت جيدها بالعتب هاتفةً ... بقومها وحشاها مِلؤُه ضَرَمُ
عجّت بهم مذ علىٰ أبرادها اختلفتْ ... أيدي العدوّ ولكنْ مَن لها بِهِمُ

(١) سورة الإنسان: ٨ ـ ١٠.

(٢) الكنىٰ والألقاب ٣: ٥٨.

(٣) هو السيد رضا بن محمّد بن هاشم النقوي الهندي النجفي، أبو أحمد، ولد في النجف الأشرف في حدود سنة ١٢٩٠ هـ وتُوفّي يوم الأربعاء الواحد والعشرين من جمادى الأُولىٰ سنة ١٣٦٢ هـ، ودُفن في النجف الأشرف. الطليعة من شعراء الشيعة ١: ٣٤٣، الرقم ١٠٠.

(٤) ديوان السيد رضا الهندي: ٥٣.

نــادت ويــا بُــعدهم عـنها مُـعاتبةً لهـم ويـا ليـتَهم مِـن عَـتبها أَمَـم[(١)]
قـومي الأُلىٰ عُـقدتْ قِـدماً مآزرهُـم علىٰ الحميّة ما ضِـيموا ولا اهـتُضِموا
عــهدي بـهم قِـصَرُ الأعـمارِ شأنُـهُمُ لا يَــــهرمون وللــــهيّابةِ الهَــرَمُ
مــا بـالُهم لا عَـفَتْ عـنهم رسـومُهُمُ قَرّوا وقـد حَـمَلَتنا الأيْـنُقُ الرُسُـم[(٢)]

فبناءً علىٰ هذا، يستطيع الخطيب أن يبيّن حال أهل البيتعليهم السلام، وأن يتكلَّم عن لسانهم بشرط أن لا ينسب الكلام إليهم مباشرةً، فيقول مثلاً: كأنّي بالحوراء زينب تخاطب أخاها بلسان الحال فتقول:

يــا مــنارَ الضُـلّال والـليلُ داجٍ وظِلالَ الرَميضِ واليومُ ضاحي[(٣)]

أو يقول كأني بالحوراء تهتف بقومها بلسان الحال فتقول:

عجّت بهم مذ علىٰ أبـرادهـا اخـتلفت أيدي العدو ولكن مَن لهـا بِـهِمُ...[(٤)]

أو إنّ الحوراء زينب خاطبت أخاها الحسين عليه السلام بلسان الحال قائلة:

إنسانَ عيني يا حسينُ أُخيَّ يا أملي وعِــقْدَ جُـمانيَ المـنضودا[(٥)]

٦ ـ يجوز في المصيبة تهويـل القضايا كنايةً عن عُظمها وشدّتها، كمـا قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في الخطبة الشقشقية: «أمَا والله لقد تقمّصها فلان و إنّه ليعلم أنّ محلّي منها محلّ القطب من الرّحا. ينحدر عـنّـي السيل، ولا يـرقىٰ إليّ الطير. فسدلتُ دونها ثوباً، وطويتُ عنها كشحاً، وطفقتُ أرتئي بـيـن أن أصـول

---

(١) الأَمَم: الشيءُ القريب. ترتيب كتاب العين: (أمم).
(٢) ديوان السيد حيدر الحلي: ١٠٦. والأينق: جمع قلّة لناقة. لسان العرب: (نوق).
(٣) ديوان السيد رضا الهندي: ٥٣.
(٤) ديوان السيد حيدر الحلي: ١٠٦.
(٥) ديوان الحاج هاشم الكعبي: ٤٦، هو الحاج هاشم بن حردان الكعبي الحويزي، تُوفّي سنة ألف مائة وإحدىٰ وثلاثين. الطليعة من شعراء الشيعة ٢: ٤٠٣، الرقم ٣٢٩.

بيدٍ جذّاء، أو أصبر علىٰ طخية عمياء، يهرم فيها الكبير، ويشيب فيها الصغير، ويكدح فيها مؤمن حتىٰ يلقىٰ ربّه. فرأيتُ أنّ الصبر علىٰ هاتا أحجىٰ، فصبرتُ وفي العين قذىً، وفي الحلق شجاً، أرىٰ تراثي نهباً»(١).

ويقول عليه السلام في خطبة أُخرىٰ: «فأغضيتُ علىٰ القذىٰ، وجرعتُ ريقي علىٰ الشجا، وصبرتُ من كظم الغيظ علىٰ أمرّ من العلقم، وآلم للقلب من وخز (حزّ) الشفار»(٢).

وكما قالت الصدّيقة فاطمة عليها السلام: «أتقولون: مات محمّد، فخطبٌ جليل استوسع وهنُه (وهيُه)، واستنهر فتقُه، وانفتق رتقُه، واظلمّتِ الأرضُ لغيبته، وكُسفت النجوم لمصيبته، وأَكْدَتِ الآمال وخشعت الجبال»(٣).

فعلىٰ هذا الأساس يستطيع الخطيب أن يقول مثلاً: اظلَمّت الدنيا يوم استشهاد الحسين عليه السلام، واهتزّت الأرض، وذابت القلوب وسالت العيون، فبكاه العالم العُلوي والسفلي، كما قال السيد ابن طاووس عند ذكر وصول خبر استشهاد مسلم بن عقيل إلىٰ سيد الشهداء عليه السلام وأهل بيته وأصحابه في زرود: «قال الراوي: وارتجّ الموضع بالبكاء والعويل لقتل مسلم بن عقيل، وسالت الدموع كلّ مسيل»(٤).

وقال السيد رضا الهندي:

أوقف الطِرفَ يستريح قليلاً ... فرماه القضا بسهمٍ متاح(٥)

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة ٣.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة ٢١٧.

(٣) المجالس السنية ٥: ٨٧، خطبة الزهراء عليها السلام.

(٤) الملهوف علىٰ قتلىٰ الطفوف: ١٣٤.

(٥) الطِرف: الفرس.

فهوىٰ العـرش للـثرىٰ وادلهـمّت　　برماد المصاب مـنه النـواحـي[١]

وقال الشيخ محمّد حسين الغروي الإصفهاني[٢] في الطفل الرضيع:

من دمه الزاكي رمـىٰ نـحو السـما　　فـــما أجـــلّ لطــفَه وأعــظما
لو كـــانَ لَـــم يَـرمِ بـــه إليــها　　لســاخت الأرضُ بـــمن عـليها[٣]

٧ـ يعتقد بعض الناس أنّ الخطيب يجب عليه أن يقتصر في المصيبة علىٰ ذكر الروايات والأخبار الصحيحة والحسنة والموثّقة فقط، وأن يـتجنّب ذكـر الروايات والأخبار الضعيفة والمرسلة والمسموعات.

وللإجابة عن هذا الكلام لابدّ لنا من التعرّف على أقسام الروايات من حيث متعلّقاتها:

أقسام الروايات:

القسم الأول: روايات العقائد:

وهذه الروايـات يجب التأكّد من صدورها، والتوثّق من صحّتها سنداً ومتناً، وموافقتها للكتاب العزيز.

القسم الثاني: روايات الأحكام الخمسة:

أمّا الواجبات والمحرّمات: فإنّ رواياتها يجب التأكّد من صحّتها سنداً ومتناً، وهذا ما يقوم به الفقهاء لمعرفة أحكام الله تعالىٰ ومن أجله فُتِحَ باب الاجتهاد، ليجتهد الفقيه حتّىٰ يتوصّل إلىٰ معرفة الأحكام الشرعية من أدلّتها المتّبعة، ومع

(١) ديوان السيد رضا الهندي: ٥٤، ولم أجد البيت الثاني في ديوانه ولكنّه مـحفوظ مـعروف لدىٰ خطباء المنبر الحسيني.

(٢) وُلِدَ سنة ١٢٩٦ هـ وتوفّي ليلة الخامس من شهر ذي الحجّة الحـرام سـنة ١٣٦١ هـ. أدب الطف ٩: ٢٢٢.

(٣) الأنوار القدسيّة للشيخ محمد حسين الإصفهاني الغروي: ٩٩.

هذا فإنّ الفقهاء لا يدّعون التوصّل إلىٰ الحكم الواقعي، بل يتعرّفون الحكم الظاهري الذي يُوجب لهم المعذّريّة والمنجّزيّة[(١)].

وأمّا المباحات: فإنّها موافقة لأصل الإباحة ودليل البراءة؛ ولذلك يُتسامح في رواياتها.

وأمّا المستحبات والمكروهات: فالمشهور بين الفقهاء هو التسامح في رواياتها وأدلّتها. قال الشهيد السيد محمد باقرالصدر تحت عنوان «قاعدة التسامح في أدلّة السنن»: «ذكرنا أن خبر غير الثقة إذا لم تكن هناك أمارات علىٰ صدقه فهو ليس بحجّة، ولكن قد يُستثنىٰ من ذلك الأخبار الدالّة علىٰ المستحبّات، أو علىٰ مطلق الأوامر والنواهي غير الإلزاميّة، فيقال بأنّها حُجّة

---

(١) «المُعَذِّريّة: تطلق المعذرية ويراد بها حكم العقل بلزوم قبول إعتذار الإنسان إذا عمل على وفق الحجة الملزمة وأخطأ الواقع، وليس للآمر معاقبته على ذلك ما دام قد اعتمد على ما أقامه له من الطرق وألزمه بالسير على وفقها، أو كان ملزماً بحكم العقل بالسير عليها كما هو الشأن في الحجج الذاتية. فالمشرّع الذي يجعل الطريق إلى قوانينه (جريدة الدولة الرسمية) مثلاً لا يسوغ له أن يعاقب مواطنيه إذا اعتمدوا عليها في سلوكهم وتبيّن فيها الخطأ في النقل بسبب من الطباعة أو غيرها، ولو قُدّر له أن يُعاقِب لكان عُرضةً لكثيرٍ من اللوم والتقريع مِن قِبَل العقل، ولكان أيسر ما يقال له: كيف تعاقبه على السير على وفق ما ألزمته بالسير عليه؟ أليس هذا هو الظلم بعينه؟!

المُنَجِّزيّة: ويريدون بها اعتبار ما تقوم عليه الحجّة من الأمور الموصلة إلى واقع ما تقوم عليه، بحيث يسوغ للمشرّع أن يعاقب إذا قُدّر لها إصابة الواقع مع تخلّف المكلَّف عنها، فليس للمواطن مثلاً إذا بُلّغ ـ بواسطة الجريدة الرسمية ـ بنفاذ قانونٍ مّا أن يتخلّف عن إمتثاله بدعوى عدم حصول العلم بمدلوله لإحتمال الخطأ أو الإشتباه في الطريق، ومن حقّ الدولة أن تعاقب وتعتبر عدم الأخذ بما في الجريدة تمرّداً وعصياناً، ولا يُجديه اعتذاره بأنّ هذه الطريق لم تُفِدني العلمَ، ما دام عالماً بجعلها طريقاً من قِبَل دولته أو مشرّعه، ومن هنا صحّ احتجاج المولى عليه والزامه بنتائج تمرّده»، الأُصول العامّة للفقه المقارن للسيّد محمّد تقي الحكيم: ٢٦ ـ ٢٧.

في إثبات الاستحباب أو الكراهة ما لم يُعلم ببطلان مفادها. ويستند في ذلك إلىٰ روايات فيها الصحيحة وغيرها، دلّت علىٰ أنَّ مَن بَلَغَهُ عن النّبي[ﷺ] ثواب علىٰ عَمَلٍ فَعَمِلَهُ كان له مثل ذلك الثواب، وإن كان النبي لم يَقُلْه[١]، بدعوى أنّ هذه الروايات تجعل الحجّية لمطلق البلوغ في موارد المستحبات، ومن أجل هذا يعبّر عن ذلك بالتسامح في أدلّة السنن»[٢].

فعلىٰ هذا الأساس فإنّ روايات السنن (المستحبات) يُتسامح فيها عند أكثر العلماء.

قال الشهيد الثاني زين الدين العاملي عند حديثه عن الخبر الضعيف: «وجوّز الأكثرُ العملَ به[٣] في نحو القصص والمواعظ وفضائل الأعمال، لا في نحو صفات الله المتعال وأحكام الحلال والحرام، وهو حَسَن حيث لا يبلغ الضعف حدّ الوضع والاختلاق، لِمَا اشتهر بين العلماء المحقّقين من التساهل بأدلّة (في أدلّة) السنن، وليس في المواعظ والقصص غير مَحض الخير، لِمَا ورد عن النبيﷺ من طريق الخاصّة والعامّة أنّه قال: مَن بَلَغه عن الله تعالىٰ فضيلة فأخذها وعمل بما فيها إيماناً بالله ورجاء ثوابه أعطاه الله تعالىٰ ذلك وإن لم يكن كذلك»[٤].

وقال الشيخ جعفر السبحاني: «اشتهر بين أصحابنا (التسامح في أدلّة السنن)

(١) قال الإمام الصادق عليه السلام: «من بَلَغه عن النبيﷺ شيء من الثواب ففعل ذلك طلب قول النبيﷺ كان له ذلك الثواب، وإن كان النبيﷺ لم يقله». المحاسن ١: ٩٣.
وقال أيضاً عليه السلام: «من بلغه عن النبيﷺ شيء من الثواب فعمله كان أجر ذلك له، وإن كان رسول اللهﷺ لم يقله». المحاسن للبرقي ١: ٩٣.
(٢) دروس في علم الأُصول ١: ٢٦١.
(٣) أي بالخبر الضعيف.
(٤) الدراية في علم مصطلح الحديث: ٢٩.

بمعنىٰ عدم اعتبار ما ذكروه من الشرائط في حجّية الأخبار الآحاد، من الإسلام والعدالة والضبط في الروايات الدالّة علىٰ المندوبات»(١).

وقال أيضاً: «هل يدخل في مفاد أخبار (مَن بَلَغ) نَقلُ فضائل أهل البيت عليهم السلام وذِكرُ مصائبهم استناداً إلىٰ أخبار الضعاف والقصص والمقاتل غير المعتبرة، كأن يقول: كان أمير المؤمنين عليه السلام يفعل كذا، ونزل علىٰ مولانا سيد الشهداء عليه السلام كذا، أم لا يدخل؟

الحقّ هو الأوّل، إذا ذكر المستند، ولم يبلغ [الخبر] الضعيف حدّ الوضع، ولم يكن المضمون غُلُوّاً وإغراقاً في حقّهم عليهم السلام.

ويمكن أن يؤيّد ذلك بما دلّ علىٰ رجحان الإعانة علىٰ البرّ والتقوىٰ، وما دلّ علىٰ رجحان الإبكاء علىٰ سيّد الشهداء عليه السلام مادامت الأرض والسماء، وأنَّ مَن أبكىٰ وجبت له الجنّة».

ثمّ نَقلَ كلام الشيخ مرتضىٰ الأنصاري قدس سره قائلاً: «إنّه استُدلّ علىٰ جواز ذلك بوجه آخر وهو: إنّ العقل يحكم بحُسن العمل مع الأمن من مضرّة الكذب علىٰ تقدير الكذب(٢)».

وقد أورد المحقّق الإصفهاني قدس سره عليه بما حاصله: «أنّ المناط في الحُسن والقُبح والجواز والحرمة بالصدق والكذب المخبرَيَّين لا الخبريّين(٣)

(١) رسالة التسامح في أدلّة السنن: ٥.

(٢) رسالة التسامح في أدلّة السنن: ٨١، عن مجموعة رسائل فقهية وأُصولية: ٢٩. من منشورات مكتبة المفيد. قال الباحث: إنّ مقصود المحقّق الأنصاري هو أنّ ذِكر أخبار مصائب أهل البيت عليهم السلام للإبكاء عمل حَسَن في نفسه ولا يستوجب ضرراً شرعيّاً من ترك واجبٍ أو فعل حرام حتىٰ يستوجب التأكّد من صحّة الخبر حسبما يفعله الفقهاء.

(٣) بعض العلماء ومنهم المحقّق الإصفهاني يعتمدون في صدق الخبر وحجّيته علىٰ المُخبَر ←

وهو (الكذب الُمخبَر) المعبَّر عنه في لسان الشرع بالقول بغير العلم، فما لا علم به ولا حجّة عليه تندرج الحكاية عنه في الكذب القبيح عقلاً والمحرّم شرعاً، ولا يختصّ قبح الكذب بصورة الإضرار عقلاً، كما لا اختصاص له شرعاً، وعليه: فنشرُ الفضيلة التي لا حجّة عليها، وذِكرُ المصيبة التي لا حجّة عليها قبيحٌ عقلاً ومحرّمٌ شرعاً؛ فكيف يعمّها أخبار مَن بلغ؟»[(١)].

ثم ردّ الشيخ السبحاني علىٰ المعترض قائلاً: «يظهر من اللُّغويين دخالة الاعتقاد في تحقّق الكذب لتعريفه بالإخبار عن الشيء بخلاف ماهو، مع العلم به، قال في أقرب الموارد: (كَذِب الرجل أي أخبر عن الشيء بخلاف ما هو، مع العلم به، ضدّ صَدَق)[(٢)].

وعليه فنشرُ الفضيلة التي لا حجّة عليها، وذِكرُ المصيبة التي لا دليل عليها، لا يدخلان تحت الكذب إلّا إذا كانا مخالفين للواقع مع العلم بهذه المخالفة.

فالظاهر تحقّق عنوان (الخاطئ) في المقام إذا أخبر عن شيء مخالف للواقع [ولم يعلم بالخلاف]، لا (الكاذب)، والشاهد علىٰ ذلك أنّك ترىٰ في العُرف عدم إطلاق الكاذب علىٰ الخاطئ والمُشتبِه، فلا يُقال لِمَن يَروي روايات غير معتبرة: إنّه كاذب. ويؤيّد ما ذكرنا أنّ الكذب علىٰ ما صرّح به أهل اللغة ضدّ الصدق، ومن الواضح أنّه لا يعتبر في تحقّق الخبر الصادق علم المخبِر بمطابقة خبره للواقع، بداهة إطلاق الصادق علىٰ مَن أخبر عمّا هو مطابق للواقع، وإن

← عنه، أي موافقة الخبر للواقع، والبعض الآخر يعتمد علىٰ الُمخبِر ووثاقته، مع غضّ النظر عن موافقة خبره للواقع، فما دام الُمخبِر ثقة فحديثه حُجّة شرعية.

(١) رسالة التسامح: ٨١، عن نهاية الدراية ٢: ٢٢٧.

(٢) أقرب الموارد: (كَذِب).

لم يعلم بالمطابقة.

وإن أبَيْتَ ذلك وكنت في شكّ فيه، فلا شبهة قطعاً في وجود المقتضي؛ لشمول أخبار (مَن بَلَغَ) لِمَا نحن فيه وهو إطلاقها[١]، وغاية ما يقتضي إشكاله‌ﷺ وجود المانع لهذا الشمول، أعني به: (الوقوع في الكذب القبيح المحرّم)، وأنت خبير بإمكان الاحتراز عن الكذب، والأمن من مضرّته، بذكر مستند المنقول الضعيف كما لايخفىٰ عليك؛ ولذا قيّدنا الجواز في المسألة بذكر المستند[٢]. ويرجع ما ذكرنا إلىٰ خروج المقام من تحت الكذب القبيح عقلاً، والمحرّم شرعاً، لا أنّه تخصيص في حكم العقل حتىٰ يقال باستحالته»[٣].

القسم الثالث: الروايات الأخلاقيّة:

إنّ علماء الأخلاق أيضاً يعتمدون كثيراً علىٰ المنقولات والأخبار والأحاديث المرسلة في كتبهم. قال أُستاذنا الشيخ محمّد رضا المظفر في تعريفه لكتاب (جامع السعادات): «من أهم ما يؤاخذ به كتابنا هذا: اعتماده علىٰ المراسيل في الأحاديث، وتسجيل كلّ ما يراه أمامه من المنقولات غثّها

---

(١) أي انّ الروايات تؤكّد علىٰ أنّ في ذكر فضائل أهل البيت‌عليهم‌السلام ومصائبهم أجراً كبيراً، ووردت أخبار كثيرة موثّقة وضعيفة ومُرسلة في الفضائل والمصائب، ثم إنّ روايات (مَن بلغ) يُستفاد منها التسامح في أدلّة السُنن، وهذه من السُنن، مع العلم بأنّ ذِكْر الفضائل والمصائب لا يستوجب تَرْكَ واجبٍ أو عَمَلَ حرامٍ حتّىٰ يستوجب التأكّد من صحّة الرواية لثبوت الحجّة الشرعية؛ فعليه: إن كانت رواية الفضيلة أو المصيبة صادقة فأصابت الواقع فَبِها، وإلّا فهي ممّا تشملها روايات مَن بلغ.

(٢) قال أمير المؤمنين‌عليه‌السلام: «إذا حَدّثتم بحديث فاسندوه إلىٰ الذي حدّثكم، فإن كان حقّاً فلكم، وإن كان كذباً فعليه». الأُصول من الكافي ١: ٤٢، ح ٧ ومسند الإمام علي‌عليه‌السلام ١: ٨٥.

(٣) رسالة التسامح في أدلّة السنن: ٨٠ ـ ٨٢.

وسمينها، من دون إشارة إلىٰ التميز ولا إلىٰ المصادر، حتىٰ نقل كثيراً عن (إحياء العلوم)، وتعمّد النقل عن مثل (جامع الأخبار)، و(مصباح الشريعة)، اللذين يشهد أُسلوبهما علىٰ وضع أكثر ما فيهما... والذي يُهوّن الخَطب في هذه المؤاخذة ـ علىٰ أنّ لها قيمتها الفنّية ـ أنّها لا تختصّ بهذا الكتاب وحده من بين كتب الأخلاق الإسلاميّة، بل هذا دَيْدَنُها. وكأنَّ هَمّ أصحابها من الاستشهاد بالمنقولات في أداء الفكرة نفسها، فإذا كانت بحسب نظرهم صحيحة مقبولة في نفسها، فلا يجب عندهم أن يكون الحديث الذي يتضمّنها صحيحاً مقبولاً في عُرف أهل الحديث، فإذا قال المحدِّث: (قال النبي أو الإمام كذا) يعني بذلك أنّ هذا القول ثابت بالنقل الصحيح الموثوق به، وإلّا فيقول: رُوي عنه كذا، أو ما يشبه، أمّا الأخلاقي فلا يعني بذلك القول إلّا أنّه مرويّ عنه بأيّ طريق كان»[١].

القسم الرابع: روايات الوقائع والحوادث التاريخية:

إنّ هذه الروايات يكفي فيها نقل الثقة، بل يكفي احتمال صدق الراوي وعدم العلم بكذبه، وبعبارة أُخرىٰ: لا يُشترط في نقل روايات التاريخ العلم بوقوعها حتماً، بل يكفي في نقلها من مصدرها احتمال صحّتها ووقوعها، مع عدم العلم بالخلاف؛ لأنّ الخبر بطبيعته يحتمل الصدق والكذب.

ثمّ إنّ أكثر الروايات التاريخية لا تكون بنفسها أمراً شرعياً قابلاً للوضع والرفع، ولا موضوعاً للأثر الشرعي الواجب التعبّد به، فلو ورد الخبر بأنّ الأعداء ظلموا أهل البيتﻋﻠﻴﻬﻢﺍﻟﺴﻼﻡ وضربوا النساء وأمثال ذلك،

---

(١) جامع السعادات: التعريف بالكتاب.

فهذه الأخبار لا يترتب عليها حكم شرعي للقارئ ولا للمستمعين حتّىٰ يجب التأكّد من صحّة الخبر لتثبت حجّيته، بل يُكتفىٰ بالنقل من الكتاب أو الراوي مع عدم العلم بكذب الخبر، وعدم مخالفته للأُصول الشرعيّة والعقليّة والاجتماعيّة.

والعلماء الذين دَوّنوا تاريخ الأنبياء وغزوات الرسول الأكرم وحياته وتاريخ الإسلام والأئمة اعتمدوا في أكثر ما نقلوه علىٰ هذه الطريقة، كالشيخ المفيد والسيد الأمين والشيخ القمي، فلا ترىٰ في كتبهم الروايات المسندة إلّا القليل. وحتىٰ الشريف الرضي سار علىٰ هذه الطريقة في (نهج البلاغة). ومن هنا فإنّ ما يُنقل في (نهج البلاغة) وكتب التاريخ والحوادث من أُمور و تشتمل علىٰ حُكمٍ شرعيٍّ لابدّ من إخضاعها للأُصول والقواعد المتّبعة في معرفة الأحكام، وكذلك روايات العقائد ومنها بعض روايات الفضائل التي تشتمل علىٰ أُمور عقائدية، وما لم يشتمل منها علىٰ حكم شرعي أو عقائدي، يُؤخذ به وإن كان ضعيفاً أو مُرسلاً.

قال الشيخ ناصر مكارم الشيرازي في تفسير آية النبأ: «استدلّ جماعة من علماء الأُصول علىٰ حجّية خبر الواحد بهذه الآية؛ لأنّها تقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾[1]، ومفهومها أنّ العادل لو جاء بنبأ فلا يلزم التبيّن، ويصحّ خبره... وأمّا في مورد التعليل الوارد في ذيل الآية[2] فالظاهر أنّه لا يشمل كلّ عمل بالأدلّة الظنّية، بل هو ناظر إلىٰ الموارد التي يكون العمل فيها بجهالة؛ لأنّ الآية

(١) سورة الحجرات: ٦.
(٢) أي قوله تعالىٰ: ﴿أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا علىٰ ما فعلتم نادمين﴾.

عوّلت علىٰ الجهالة، وتعرف أن أغلب الأدلّة التي يعوّل عليها العقلاء جميعاً في العالم في المسائل اليوميّة هي دلائل ظنّية (من قبيل ظواهر الألفاظ، وقول الشاهد، وقول أهل الخبرة، وقول ذي‌اليد، وأمثالها)، ومعلوم أنّه لا يعدّ أيٌّ ممّا أُشير إليه آنفاً بأنّه جهالة، ولو لم يطابق الواقع أحياناً، فلا يلتفت إلىٰ مسألة الندم فيه؛ لأنّه طريق عامّ.

وعلىٰ كلّ حال فإنّنا نعتقد بأنّ هذه الآية من الآيات المحكمات التي فيها دلالة علىٰ حجّية خبر الواحد حتىٰ في المواضيع. إضافة إلىٰ ذلك فإنّه لا يمكن إنكار أنّ مسألة الاعتماد علىٰ الأخبار الموثّقة هي أساس التاريخ والحياة البشرية، بحيث لو حذفنا مسألة حجّية خبر العادل أو الموثّق من المجتمعات الإنسانية لَانْحَذف كثيرٌ من التراث العلمي، والمعارف المتعلّقة بالمجتمعات البشرية القديمة، وحتىٰ كثير من المسائل المعاصرة التي نعمل علىٰ ضوئها اليوم، ولا يرجع الإنسان إلىٰ الوراء فحسب، بل تتوقّف عجلة الحياة؛ لذلك فإنّ إجماع العقلاء علىٰ حجيّته (جميعاً)، والشارع المقدّس أمضاه أيضاً (قولاً وعملاً).

إلّا أنّه بمقدار ما يُعطي خبر الواحد (الثقة) الحياة (نظامها) فإنّ الاعتماد علىٰ الأخبار غير الموثّقة خطر للغاية، وهو مدعاة إلىٰ اضطراب نظام المجتمع، ويجرّ الوبال والمصائب المتعدّدة، ويهدّد الحيثيّات وحقوق الأشخاص بالخطر، ويسوق الإنسان إلىٰ الانحراف والضلال، وكما عبّر القرآن الكريم تعبيراً طريفاً في الآية محل البحث [فقال:] ﴿فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ ما فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾[١]...

---

(١) سورة الحجرات: ٦.

وهذه اللطيفة[١] أيضاً تسترعي الانتباه والنظر، وهي: أنّ المسألة المهمّة هي الوثوق والاعتماد علىٰ الخبر ذاته، غاية ما في الأمر قد يحصل هذا الوثوق من جهة الاعتماد علىٰ الشخص الُمخبِر تارة، وتارة من القرائن الأُخر الخارجيّة؛ ولذلك فإنّنا قد نطمئن إلىٰ (الخبر) أحياناً وإن كان (الُمخبِر) فاسقاً.

فعلىٰ هذا الأساس فإنّ هذا الوثوق أو الاعتماد كيفما حصل ـ سواء أكان عن طريق العدالة والتقوىٰ وصدق القائل، أو عن طريق القرائن الخارجيّة ـ مُعتبرٌ عندنا، وأنّ سيرة العقلاء الّتي أمضاها الشارع الإسلامي مبنية علىٰ هذا الأساس.

ولذا فإنّنا نرىٰ في الفقه الإسلامي كثيراً من الأخبار ضعيفة السند، لكن لأنّها جرىٰ عليها (عمل المشهور)، ووقف علىٰ صحّة الخبر من خلال قرائن خاصّة، أصبحت هذه الأخبار (الضعيفة السند) معياراً للعمل، وجرت فتاوى الفقهاء علىٰ وفقها.

وعلىٰ العكس من ذلك قد تقع أخبار عندنا قائلها معتبر، ولكنّ القرائن الخارجيّة لا تساعد علىٰ قبولها، فلا سبيل لنا إلىٰ اتّباعها فنعرض عنها وإن كان الُمخبِر عادلاً و(معتبراً).

فبناءً علىٰ هذا: إنّ المعيار هو الاعتماد علىٰ الخبر نفسه في كلّ مكان وإن كان الغالب أنّ الوسيلة لهذا الاعتماد هي عدالة الراوي وصدقه، إلّا أنّ ذلك ليس قانوناً كلّياً»[٢].

---

(١) أي النكتة.

(٢) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ١٦: ٤٨٤ ـ ٤٨٧.

وإذا لم نعتمد هذه الطريقة في معرفة التاريخ والوقائع فعلينا أن نُسقِط كتب التاريخ والحوادث من حسابنا جملةً وتفصيلاً[١]، ومن الحوادث المـهمّة فـي

(١) هناك قرائن يُستفاد منها صحّة الخبر، منها:

١ ـ اعتراف العدو بالخبر، وذلك في المحاسن والفضائل، ومثاله: اعتراف عمرو بن العاص العدو اللدود بفضائل أمير المؤمنين عليه السلام وتعيينه يوم الغدير وليّاً وإماماً للمسلمين، فقد قال في قصيدته المعروفة بـ(الجلجلية) التي بعثها إلىٰ معاوية:

معاوية الحال لا تـجهلِ　　　وعن سُبُل الحق لا تعدِلِ

إلىٰ قوله:

نصرناك من جهلنا يابن هـند　　　علىٰ النبأ الأعـظم الأفـضلِ
وحيثُ رفعناك فوق الرؤوس　　　نـزلنا إلىٰ أسـفل الأسـفلِ
وكم قد سمعنا من المـصطفىٰ　　　وصـايا مـخصّصةً فـي عـلي
وفـي يـوم خُـمٍّ رقـىٰ مـنبراً　　　وبـلّغ والركب لم يـرحـلِ
وفـي كـفّه كـفّهُ مـعلناً　　　يـنادي بأمـر العـزيز العـلي
ألستُ بكم منكُمُ في النـفوس　　　بأولىٰ فـقالوا بـلىٰ فـافعلِ
فأنْـحلَه إمـرة المـؤمنين　　　مـن الله مُستَخْلِف المُنحلِ
وقـال فـمن كـنتُ مـوليً له　　　فـهذا له اليـوم نـعم الولي
فـوالِ مُـواليـه يـاذا الجـلال　　　وعـادِ مـعادِ أخـي المُـرسَلِ
ولا تنقضوا العهد من عـترتي　　　فـقاطِعُهُم بـيَ لم يُـوصِلِ
فـبخبخ شـيخك لمّـا رأىٰ　　　عُرىٰ عَـقدِ حـيدر لم تُـحْلَلِ

أنظر تمام القصيدة ومصدرها في الغدير للشيخ الأميني ٢: ١٧٣ ـ ١٧٦.

٢ ـ اعتراف الصديق غير المتّهم بالخبر، وذلك في المساوئ، ومثاله الخبر الآتي:

قال ابن أبي الحديد، «روىٰ الزبير بن بكّار في (الموفّقيات) ـ وهو غير متّهم علىٰ معاوية، ولا منسوب إلىٰ اعتقاد الشيعة، لِمَا هو معلوم من حاله من مجانَبَةِ علي عليه السلام، والانـحراف عنه ـ:

قال المطرّف بن المغيرة بن شعبة: دخلت مع أبي علىٰ معاوية، فكان أبي يأتـيه فـيتحدث معه ثم ينصرف إلي فيذكر معاوية وعقله ويُعجب بما يرىٰ منه، إذ جاء ذات ليـلة فأمسك عن العشاء ورأيته مغتمّاً، فانتظرته ساعة وظننت أنّه لأمرٍ حدث فينا، فـقلت: مـالي أراك

←

التاريخ الإسلامي واقعة الطف.

يقال: إنّ أحد العلماء طلب من قارئ حسيني أن يقرأ له مجلساً لا يذكر فيه إلّا الأخبار الصحيحة المؤكّدة، فصعد المنبر وبعد الافتتاح قال: إنّ الحسين عليه السلام ولد في المدينة، واستُشهد في كربلاء يوم عاشوراء، وحُملت عياله سبايا إلىٰ الشام، ثم رجعوا بهم إلىٰ المدينة، ونزل من المنبر.

ومن الغريب أنّ بعض المؤمنين يقول: إنّي لا أُصدّق أبداً بِكُلِّ ما يقال في الراديو والتلفزيون والصحف؛ لأنّ المخبرين في هذه الأجهزة لم تثبت عدالتهم ووثاقتهم عندي!

صحيح أنّ بعض الأخبار التي تنشرها الصحف والراديو والتلفزيون غير صحيحة، ولكن كلّ عاقل يعلم بأنّ كثيراً من الأحداث تقع في البلد وخارجه يوميّاً، وإنكار ذلك بحجّة عدم الاعتماد علىٰ الناقل إنكار للضرورات، نعم لابدّ من معرفة الصحيح والسقيم منها، وتمييز الحقّ من الباطل إذا أردنا ترتيب الأثر

← مغتمّاً منذ الليلة ؟ فقال: يا بُني، جئت مِن عندِ أكفر الناس وأخبثهم، قلت: وما ذاك ؟ قال: قلت له وقد خلوت به: إنّك قد بلغت سنّاً يا أمير المؤمنين، فلو أظهرتَ عدلاً وبسطت خيراً، فإنّك قد كبرت، ولو نظرت إلىٰ إخوتك من بَني هاشم فوصلت أرحامهم، فوالله ما عندهم اليومَ شيءٌ تخافه، وإنّ ذلك ممّا يبقىٰ لك ذكره وثوابه، فقال: هيهات، هيهات! أيُّ ذِكرٍ أرجو بقاءه! مَلَك أخو تيم، فعدل وفعلَ ما فعل، فما عدا أن هلكَ حتّىٰ هلك ذكره، إلّا أن يقول قائل: أبو بكر، ثم مَلَك أخو عدي، فاجتهد وشمّر عشر سنين، فما عدا أن هلك حتّىٰ هلك ذكره إلّا أن يقول قائل: عمر، وإن ابنَ أبي كبشةَ (أي رسول الله صلى الله عليه وآله) ليُصاح به كلَّ يوم خمس مرات: (أشهد أنّ محمداً رسول الله)، فأيّ عمل يبقىٰ، وأيّ ذِكرٍ يدوم بعد هذا لا أباً لك ! لا والله إلّا دَفْناً دفناً. شرح نهج البلاغة ٥: ١٢٩ ـ ١٣٠، والأخبار الموفّقيات للزبير بن بكّار: ٥٧٦ ـ ٥٧٧، وذَكَرَ المسعودي الخبرَ في مروج الذهب ٤: ٣٣٨، وأضاف: «ثم مَلَك أخونا عثمان، فمَلَك رجلٌ لم يكن أحدٌ في مثل نَسَبِه، فعَمِل ما عَمِل [وعُمِل به ما عُمِل]، فوالله ما عدا أن هلك فهلك ذكره وذكرُ ما فُعِل به...».

علىٰ ما سمعناه.

والعجيب مِن هؤلاء أنّهم يُصدّقون بكلام أطفالهم ونسائهم عندما يذكرون لهم قضيّةً ما، ويرتّبون الأثر علىٰ كلامهم مِن دون أن يشترطوا العدالة والوثاقة وغير ذلك ممّا يشترطونه في أخبار الحوادث والتاريخ!

وعلىٰ كلّ حال، فطبيعة الحوادث التاريخيّة تختلف عن طبيعة العقائد والأحكام، وأنّ واقعة كربلاء قد اشتملت علىٰ كثير من الحوادث التي تعسّر علينا معرفتها إن اشترطنا العدالة في الراوي، فمثلاً يذكر أرباب المقاتل أنّ سنان بن أنس طعن الحسين برمحه، وأنّ مالك بن النسر ضرب الحسين عليه السلام بسيفه علىٰ رأسه، وأمثال ذلك. وهذه الأخبار وأمثالها رواها لنا المشاهدون للواقعة أمثال حميد بن مسلم وغيره، فهل يُمكن في مثل هذه المواقف اشتراط حضور بعض المؤمنين العدول لينقلوا لنا الحادث، مع قول الإمام الحسين عليه السلام: «إنّه مَن سمع واعيتنا أو رأىٰ سوادنا فلم يجبنا ولم يُغثنا كان حقّاً علىٰ الله عزّ وجلّ أن يَكُبّه علىٰ منخريه في النار»[1].

٨ـ يختتم الخطباء عادة المصيبة ببيت أو أكثر من الشعر المناسب للمقام، فمثلاً إذا كانت المصيبة تدور حول كلام زينب مع أخيها الحسين عليه السلام يقول الخطيب حينئذ:

أأُخيّ ما عوّدْتَني مِنكَ الجَفا فعلامَ تَجفُوني وتجفو مَن مَعي
أنْعِمْ جواباً ياحسين أمَا ترىٰ شمرَ الخَنا بالسوط ألّم أضلعي[2]

(١) ثواب الأعمال وعقاب الأعمال: ٣٠٦.

(٢) من قصيدة للشيخ محمد شريف بن فلاح الكاظمي نزيل الغري. وُلدَ في مدينة الكاظمية ونشأ فيها ثم هاجر إلىٰ النجف وقرأ العلوم فيها في الربع الأخير من القرن الثاني عشر ←

أو ماشابه ذلك من الأبيات المناسبة.

وإذا كانت مصيبة علي الأكبر عليه السلام يقرأ:

ياكوكباً ماكان أقصر عمره … وكذا تكون كواكب الأسحار[١]

أو يقرأ عن لسان الإمام الحسين عليه السلام أو عن لسان ليلىٰ:

بُنيَّ اقتطعتُك مِن مُهجتي … علامَ قطعتَ جميلَ الوصال[٢]

وأمثال ذلك.

وإن كانت مصيبة عبدالله الرضيع يقول:

لهف نفسي علىٰ الرضيع الظامي … فطَمَته السهام قبل الفطام

وإذا كانت مصيبة العباس عليه السلام يقرأ عن لسان الحسين عليه السلام:

عباسُ كبش كتيبتي وكنانتي … وسَرِيُّ قَومي بل أعزُّ حُصوني

ياساعدي في كلّ مُعتَرَكٍ بهِ … أسطُو وسيفُ حِمايتي بيميني

لِمَنِ اللوا أُعطي وَمَن هو جامعٌ … شَملي وفي ضَنَك الزحام يَقيني[٣]

← للهجرة. أُنظر أدب الطف ٦: ١٢٣، وقال الشيخ محمّد السماوي: الشريف ابن فلاح الكاظمي الشهير بالسيد شريف الكاظمي، تُوفّي سنة ألف ومائتين وعشرين كما في التكملة. أُنظر الطليعة من شعراء الشيعة ١: ٣٩٢، الرقم ١١٩.

(١) انظر ديوان التهامي شرح وتحقيق الدكتور علي نجيب عطوي: ٤٦٧.

(٢) من قصيدة للسيد مهدي البحراني، هو السيد مهدي ابن السيد علي ابن السيد محمّد ابن السيد إسماعيل ابن السيد محمّد الغياث ابن السيد علي المشعل ابن السيد أحمد المقدّس (المعروف بالحمزة الشرقي) ابن السيد هاشم البحراني ابن السيد علوي عتيق الحسين ابن السيد حسين الغريفي البحراني النجفي. وُلِدَ في النجف الأشرف سنة ١٣٠١ هـ وتُوفّي في النجف في شهر ذي الحجّة الحرام سنة ١٣٤٣ هـ. أدب الطف ٩: ١٠٠، وشعراء الغري ١٠: ١٢٦.

(٣) من قصيدة للشيخ حسن بن علي بن عبد الحسين بن نجم السعدي الرباحي الدجيلي ←

وهكذا في المصائب الأُخر يقرأ الشعر المناسب للمقام.

والجدير بالذكر: أنّ الشطر الثاني من البيت الأخير الذي يختتم به الخطيب خطبته يُقرأ عادة بصوت منخفض، علامة على الانتهاء من المصيبة.

ويُستحسن بعد الانتهاء من ذكر المصيبة أن يختم الخطيبُ المجلسَ بالدعاء للمؤمنين والمؤمنات، ولِمؤسّس أو مؤسّسي المجلس بـالقبول، ثـم الفـاتحة لأرواح المؤمنين والمؤمنات، مع الصلاة علىٰ محمّد وآل محمّد.

← الأصل اللملومي المحتد، النجفي المولد والمسكن والمدفن، الشهير بقفطان. وُلِدَ في النجف الأشرف سنة ١١٩٩ هـ وتُوفّي بالنجف سنة ١٢٧٩ هـ. أدب الطف ٧: ١٠٥ و ١١٣.

رابعاً
ما يجب التوجه إليه في الخطبة الحسينية

مقدمة

يتعرض الخطيب الحسيني أثناء خطبته لكثير من القضايا والاحداث والاشخاص، فينبغي له التأكد من النصوص والروايات.

وربما يُسال عن بعض ما يورده من اخبار أو فضائل أو غير ذلك فعليه أن يحتفظ بالمصادر ليبرزها عند الضرورة.

ثم إن الثورة الحسينية قد استهدفها الاعداء واطلقوا بعض الشبهات ضدها، فعلىٰ الخطيب أن يرد في خطبته الشبهات ويكشف واقع هذه الثورة المباركة ودوافعها واهدافها ونتائجها.

كما أن بعض الاولياء يفسرون النهضة الحسينية العظيمة على غير واقعها وذلك نتيجة قلة الوعي وعدم التدبر. فمن الضروري أن تشمل الخطبة الحسينية على ذكر الأسباب والدوافع والأهداف الحقيقية لثورة الإمام الحسين عليه السلام تصحيحاً لما وقع فيه الأعداء والاولياء.

فلهذه الامور نذكر بعض التوصيات التى يجب على الخطيب مراعاتها في الخطبة الحسينيّة.

١ ـ توصيات عن الثورة الحسينيّة

١ ـ ربّما اعتقد بعض عوام الشيعة أنّ الحسين عليه السلام إنّما نهض من أجل أن يُستشهد فيمنحه الله الشفاعة يوم القيامة، أو أنّه عليه السلام وطّن نفسه للقتل ليفتدي بذلك ذنوب شيعته.

إنّ هذه الفكرة تُشبه كثيراً عقيدة المسيحيين في توطين عيسىٰ بن مريم عليه السلام نفسه للصَلب ليفتدي بذلك خطايا آدم عليه السلام وذريّته؛ ولذا يسمّونه (المخلّص والفادي)[١].

فعلىٰ الخطيب أن يذكر الأسباب الصحيحة لثورة سيد الشهداء عليه السلام وتوطين نفسه للقتل والشهادة، فإنّ الإمام الحسين عليه السلام ثار من أجل الدفاع عن دين الله، وشريعة رسول الله، وإحياء العدل والحقّ، والقضاء علىٰ الظلم والباطل، وهذا الأمر يتبيّن بوضوح في وصيّته وخُطَبِه ورسائله التي رافقت ثورته الاسلاميّة العظيمة. ففي وصيّته لأخيه محمد بن الحنفيّة يقول: «إنّي لم أخرج أشِراً ولا بطِراً ولا مُفسِداً ولا ظالماً، وإنّما خرجتُ لطلب الإصلاح في أُمّة جدّي محمّد صلى الله عليه وآله، أُريد أن آمر بالمعروف، وأنهىٰ عن المنكر، وأسير بسيرة جدّي وأبي علي بن أبي طالب، فمَن قبلني بقبول الحق فالله أولىٰ بالحق، ومَن ردّ عليَّ هذا أصبر حتىٰ يقضي

(١) جاء في المنجد: (فدىٰ): الفادي لقب السيد المسيح الذي فدى البشريّة بدمه الكريم. وقال الشيخ محمد جواد البلاغي في كتابه الهدىٰ إلىٰ دين المصطفىٰ ١: ٣٣١ ورد في كتاب الهداية ٤: ٢٨٠ لبعض الكتّاب المسيحيين ما يلي: «إنّ الله سبحانه وتعالىٰ أظهر رحمته ومحبّته بتجسّد الكلمة الأزليّة، فلبس هذا الجسد، وكان يلزم أن يكون الفادي طاهراً قدّوساً منزّهاً عن النقص حتىٰ يفي للعدل الإلهي حقّه، ويُخلّص الخطاة. فالمسيح (يسوع) قام بهذا الأمر وقدّم نفسه فداءً عنّا. فالعدل الإلهي كان يستوجب عقابنا وموتنا أي في جهنم النار إلىٰ الأبد فمات الفادي الكريم عوضاً عنّا، ووفىٰ للعدل الإلهي حقّه».

الله بيني وبين القوم، وهو خير الحاكمين»[١].

وفي خطبته في البيضة[٢] قال: «أيّها الناس، إنّ رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه [وآله] وسلّم ـ قال: (من رأى سلطاناً جائراً، مُسْتَحِلاً لحُرمِ الله، ناكثاً لعهد الله، مخالفاً لسنّة رسول الله، يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان، فلَم يُغيّر عليه بفعل ولا قول، كان حقّاً علىٰ الله أن يُدخله مُدخَله). ألا وإنّ هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان، وتركوا طاعة الرحمن، وأظهروا الفساد، وعطّلوا الحدود، واستأثروا بالفيء، وأحلّوا حرام الله، وحرّموا حلاله، وأنا أحقّ مَن غَيَّر»[٣].

وفي كتابه إلىٰ رؤساء الأخماس وإلىٰ الأشراف من أهل البصرة، قال في آخره: «... وقد بعثت رسولي إليكم بهذا الكتاب وأنا أدعوكم إلىٰ كتاب الله وسنّة نبيّه ـ صلّىٰ الله عليه [وآله] وسلّم ـ فإنّ السنّة قد أُميتت وإنّ البدعة قد أُحييت، وإن تسمعوا قولي وتطيعوا أمري أهدكم سبيل الرشاد»[٤].

هذه كلّها وثائق تاريخيّة، تُضاف إليها الزيارات الصادرة من الأئمة الهداة والتي تنطق بوضوح عن أهداف الإمام الحسين عليه السلام من ثورته الإسلاميّة العظيمة وممّا ورد في زيارته: «أشهد أنك أمرتَ بالقسط والعدل ودعوت إليهما، وأنّك صادق صدّيق، صدقت فيما دعوت إليه»[٥].

«أشهد أنك قد أقمت الصلاة، وآتيت الزكاة، وأمرت بالمعروف، ونهيت عن

(١) مقتل الحسين للخوارزمي ١: ٢٧٣، ومقتل الحسين للسيد المقرم: ١٣٩.
(٢) وهي منزل من منازل الحاج بين العراق والحجاز.
(٣) تاريخ الطبري ٥: ٤٠٣.
(٤) تاريخ الطبري ٥: ٣٥٧.
(٥) اقبال الأعمال، الزيارة الرجبية والشعبانية: ٧١٢، ومفاتيح الجنان المعرب: ٤٣٩.

المنكر، وتلوت الكتاب حقّ تلاوته، وجاهدت في الله حقّ جهاده، وصبرت علىٰ الأذىٰ في جنبه وعبدته مخلصاً حتىٰ أتاك اليقين»(١).

«فأَعْذَرَ في الدعاء ومنح النصح وبذل مهجته فيك(٢) ليستنقذ عبادك من الجهالة، وحيرة الضلالة، وقد توازر عليه مَن غرّته الدنيا، وباع حظّه بالأرذل الأدنىٰ، وشرىٰ آخرته بالثمن الأوكس، وتغطرس وتردّىٰ في هواه، وأسخطك وأسخط نبيّك، وأطاع من عبادك أهل الشقاق والنفاق، وحَمَلَةَ الأوزار، المستوجبين للنار (النار)، فجاهدَهُم فيك صابراً محتسباً حتىٰ سُفك في طاعتك دمُه، واستُبيح حريمُه»(٣).

أجل، إنّ الإمام الحسين عليه السلام نهض ليستنقذ عباد الله من الجهالة وحيرة الضلالة اللتين بثّهما الحكمُ الأُموي الجاهلي الضّال، فاستُشهد في هذا السبيل، واستُبيح حريمه، فأكرمه الله بأنواع الكرامات ومنها الشفاعة في الآخرة، وجعله مصباح هدىً وسفينة نجاة(٤)، فكم من هالك نجا بسببه، وضالٍّ اهتدىٰ ببركته!

إنّ مدرسة الحسين عليه السلام تُربّي المؤمنين المجاهدين الواعين، وتدعو العصاة إلىٰ التوبة والاستغفار، وطاعة المَلِك القهّار، والخوف من عذاب النار.

---

(١) المزار الكبير للمشهدي: ٣٧٥، ومفاتيح الجنان المعرب: ٤٤٤.

(٢) أي في الله تعالىٰ.

(٣) المزار الكبير للمشهدي: ٤٢٢، ومفاتيح الجنان المعرب: ٤٢٩.

(٤) روىٰ المحدّث الكبير إبراهيم بن محمد الجويني في كتابه فرائد السمطين ٢: ١٥٥ بسنده عن الحسين بن علي عليه السلام مايلي «قال: دخلت علىٰ رسول الله ـ صلىٰ الله عليه [وآله] وسلم ـ وعنده أُبيُّ بن كعب، فقال لي رسول الله ـ صلىٰ الله عليه [وآله] وسلم ـ: مرحباً بك يا أبا عبد الله يا زين السماوات والأرض، قال أُبيٌّ: وكيف يكون يا رسول الله زين السماوات والأرض أحدٌ غيرك؟ قال يا أُبيُّ: والذي بعثني بالحقّ نبيّاً إنّ الحسين بن علي في السماء أكبر منه في الأرض، وإنّه لمكتوب علىٰ يمين العرش أنّه مصباح هدىً وسفينة نجاة ...».

٢ ـ هناك بعض الأشعار والأقوال في ثورة الحسين عليه السلام وجهاده موجبة للشبهة، فعلىٰ الخطيب أن يوضّحها ويُبيّن المراد منها، مثال ذلك:

أ ـ قول الشيخ محسن أبو الحَبّ في قصيدته عن لسان الحسين عليه السلام:

إن كان دينُ محمّدٍ لم يَستَقِم إلّا بقتلي ياسيوفُ خُذيني[١]

فليس معناه أن الحسين عليه السلام يقول: إن كنتُ مانعاً في طريق استقامة الدين فيا سيوف خذيني حتّىٰ يستقيم الدين، بل معناه: إن كان دين محمّد صلى الله عليه وآله لم يستقم إلّا بجهادي وشهادتي وقتلي في سبيله، فأنا مستعدّ أن أُقدّم نفسي للقتل والشهادة، من أجل أن ترتوي من دمي شجرة الإسلام. وهذا كما قال السيد جعفر الحلي[٢]:

وما رأى السبطُ للدينِ الحنيف شِفاً إلّا إذا دمُه في نصرهِ سُفكا[٣]

ب ـ قول النبي صلى الله عليه وآله للحسين عليه السلام: «إنّ الله قد شاء أن يراك قتيلاً»[٤]، أي شاء الله أن يراك مجاهداً مضحّياً في سبيله، وجهادك مع غفلة الناس وعدم نصرتهم لك يجرّ إلىٰ الشهادة والقتل الذي به إحياء دين الله. وهذا ما أكّدت عليه الحوراء زينب بطلة كربلاء وشريكة سيد الشهداء في الثورة عندما قال لها ابن زياد في مجلسه: «كيف رأيتِ صُنعَ الله بأخيك وأهل بيتك؟ فقالت: ما رأيتُ إلّا جميلاً، هؤلاء قوم كَتَبَ اللهُ عليهم القتلَ فبرزوا إلىٰ مضاجعهم...»[٥] وهي تشير إلىٰ قوله

---

(١) من قصيدة للشيخ محسن أبو الحب الكبير، انظر أدب الطف ٨: ٥٦.

(٢) هو السيد جعفر بن حمد بن محمّد حسن بن عيسىٰ بن كامل بن منصور بن كمال الدين الحسيني الحلّي النجفي. وُلِدَ في نصف شعبان سنة ألف ومائتين وسبعٍ وسبعين، وتُوفّي فجأةً بالنجف لسبع بقين من شعبان سنة ١٣١٥، الطليعة من شعراء الشيعة ١: ١٧٤ و ١٧٦.

(٣) سحر بابل للسيد جعفر السيد حمد الحلي: ٣٥٠.

(٤) الملهوف علىٰ قتلىٰ الطفوف لابن طاووس: ١٢٨.

(٥) مقتل الحسين للخوارزمي ٢: ٤٧، وتاريخ الطبري ٥: ٤٥٧.

تعالىٰ: ﴿قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ﴾(١).

وليس في هذا جبرٌ أو سلبُ اختيار، بل إنّ الباري عزّ وجلّ عَلِم بحبّ الحسين عليه السلام للشهادة وتشوّقه للقتل في سبيل الله، فكتب وقضىٰ له بذلك.

وقد صرّح سيد الشهداء عليه السلام باشتياقه هذا في عدّة مواطن، منها:

في مكّة المكرمة عندما أراد الرحيل عنها، خطب قائلاً: «خُطّ الموت علىٰ ولد آدم مخطّ القلادة علىٰ جيد الفتاة، وما أولهني إلىٰ أسلافي اشتياق يعقوب إلىٰ يوسف، وخِير لي مصرع أنا لاقيه، كأنّي بأوصالي تُقطّعها عُسلان الفَلَوات بين النواويس وكربلا، فيملأُنَ منّي أكراشاً جوفاً، وأجربةً سغباً، لا محيص عن يوم خُطّ بالقلم، رضا الله رضانا أهل البيت، نصبر علىٰ بلائه ويوفّينا أُجور الصابرين»(٢).

وفي ذي حُسُم(٣) أو كربلاء خطب في أصحابه قائلاً: «إنّه قد نزل بنا من الأمر ما قد ترون، وإنّ الدنيا قد تغيّرت وتنكّرت وأدبر معروفها، واستمرّت جذّاء، ولم يبق منها إلّا صبابة كصبابة الإناء، وخسيس عيش كالمرعىٰ الوبيل، ألا ترون إلىٰ الحقّ لا يُعمل به، وإلىٰ الباطل لا يُتناهىٰ عنه؟! لِيَرغَبِ(٤) المؤمن في لقاء ربّه (في لقاء الله مُحقّاً)، فإنّي لا أرىٰ الموت إلّا سعادة (شهادة) والحياة مع الظالمين إلّا بَرَمًا»(٥).

---

(١) سورة آل عمران: ١٥٤.

(٢) الملهوف علىٰ قتلىٰ الطفوف: ١٢٦، ومقتل الحسين للخوارزمي ٢: ٨، مع اختلاف يسير.

(٣) منزل من منازل الحاج بين مكّة وكربلاء.

(٤) اللام هنا لام الطلب والأمر وليست لام التعليل، أي إنّ الحسين عليه السلام طلب من مخاطبيه أن يرغبوا في لقاء الله تعالىٰ، وذلك عن طريق جهاد الظالمين.

(٥) الملهوف علىٰ قتلىٰ الطفوف: ١٣٨، وتاريخ الطبري ٥: ٤٠٤، ومقتل الحسين للخوارزمي ٢: ٧.

ولمّا زار أبو عبدالله عليه‌السلام قبر جدّه رسول الله وغفا علىٰ القبر جاءه جدّه في منامه، وأخبره عن قتله واستشهاده، ثم قال رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله له: «إنّ لك في الجنّة لدرجات لن تنالها إلّا بالشهادة»[١].

أجل، إنّ الشهادة كرامة يُكرِمُ اللهُ بها أولياءه؛ ولذا كانت أُمنيّة الْـمخلِصين ورغبة الصالحين. قال الإمام علي عليه‌السلام: «إنّ الموت طالبٌ حثيث، لا يَفُوته المُقيم، ولا يُعجزه الهارب، إنّ أكرم الموت القتل، والذي نفس ابن أبي طالب بيده لألف ضربة بالسيف أهون عليّ من ميتةٍ علىٰ الفراش في غير طاعة الله»[٢].

ويحدّثنا الإمام عليه‌السلام في بعض خطبه عن إخبار الرسول له بظهور الفتنة من بعد رحيله، وتكليفه بقتال أهل الفتنة، قال الإمام: «فقلت: يا رسول الله، أوَليس قد قلتَ لي يوم أُحُد حين استُشهد مَن استُشهد من المسلمين وحِيزت عنّي الشهادة فشقّ ذلك عليّ، فقلتَ لي: ابشر فإنّ الشهادة مِن ورائك، فقال لي: (إنّ ذلك لكذلك، فكيف صبرك إذن؟) فقلت: يا رسول الله، ليس هذا مِن مَواطن الصبر، ولكن مِن مَواطن البُشرىٰ والشكر»[٣].

وقد خاطب الشيخ صالح الكواز الحلّي[٤] سيد الشهداء في قصيدةٍ له قائلاً:

ضربتَ بالسيفِ ضرباً لو تُساعِدُهُ ... يدُ القضاءِ لَزالَ الشركُ وانقَشَعا
بل لو تشاءُ القضا أنْ لا يكونَ كما ... قد كانَ غيرَ الذي تهواهُ ما صنعا

---

(١) مقتل الحسين للخوارزمي ١: ٢٧١.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة ١٢٣.

(٣) نهج البلاغة: الخطبة ١٥٦.

(٤) هو الشيخ صالح بن مهدي بن حمزة الكوّاز الحلّي، أخو حمّادي الكوّاز. تُوفّي سنة ألف ومائتين وإحدىٰ وتسعين بالحلّة، ونُقل إلىٰ النجف فدُفن بها. الطليعة من شعراء الشيعة ١: ٤٣٤، الرقم ١٣٠.

لكـــنّكُم شـــئتُمُ مـــا شـــاء بـــارِئكُم فـــحكمُهُ ورضـــاكُـــم يَـجريان مـعا
ومـا قُـهرتُم بشـيءٍ غـيرِ مـا رَغِـبَتْ له نـــــفُوسُكمُ شـــــوقاً وإنْ فَـــظَعا
لا تَشـــمتَنَّ رزايـــاكـــم عـــدوُّكُـــمُ فـــما أمـــات لكـــم وحـياً ولا قـطعا
تَـــتَبَّعوكم ورامـــوا مَـــحوَ فـــضلِكُمُ فـــخيّب الله مَـــن فـــي ذلكُـم طـمعا
أنّىٰ وفي الصلوات الخمس ذكـرُكُـمُ لدىٰ التَشـــهّد للـــتوحيدِ قـــد شـفعا
فما أعـابكَ قـتلٌ كـنتَ تَـرقَبُهُ بـه لك اللهُ جَـــــمَّ الفـــــضلِ قـــــد جَـمَعا
ومـــا عـــليكَ هـوانٌ أنْ يُشـالَ عـلَى المـــيّادِ مـنكَ مُـحَيّاً للـدُجىٰ صَـدَعا
كأنَّ جسمكَ موسى مُـذْ هـوىٰ صَـعِقَاً وأنّ رأسَكَ روحُ الله مُـــــذ رُفِـــعا(١)

٣ ـ علىٰ الخطيب أن يُحارب التصوّرَ القائل بأنّ ثورة الحسينعليه‌السلام ضدّ يزيد كانت نتيجة العداء الشخصي بينهما، أو العداء القَبَلي والعشائري بين بني هـاشم وبنـي أُميّة، أو لقضايـا خاصّة كقضية أُرينب أو زينب بـنت إسـحاق، أو أنّ الحسينعليه‌السلام كان في خُلقه نوع من العزّة والإباء عن الخضوع للآخرين حـتىٰ لو كان في هذا الخضوع مصلحة للإسلام والمسلمين، و أمثال هذه التصوّرات الخاطئة.

فالمعلوم من سيرة الإمام الحسينعليه‌السلام ومواقفه أنّهعليه‌السلام كـان قـائداً رسـالياً يتحرّك في نطاق المسئوليّة الشرعيّة وما يتكفّل مصلحة الإسلام والمسـلمين، شأنه شأن جدّه وأبيه وأخيه وسائر القادة الإلهيين.

ففي أيام معاوية تحمّل الأذىٰ والجـور الفـردي، وصـبر ليـحفظ مـصالح المسلمين، كما فعل أخوه الإمام الحسـنعليه‌السلام، بـل كـمـا فـعل الإمـــام أمـير المؤمنينعليه‌السلام بعد رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله، وهو القائل لمّا عزموا علىٰ بيعة عثمان: «لقد

(١) ديوان الشيخ صالح الكواز الحلّي: ٣١.

عَلِمتُم أنّي أحقّ الناس بها من غيري. وواللهِ لأُسْلِمَنَّ ما سَلِمَتْ أُمور المسلمين، ولم يكن فيها جَورٌ إلاّ عَلَيّ خاصّة، إلتماساً لأجر ذلك وفضله، وزهداً فيما تنافستموه من زُخرُفِه وزِبْرِجِه»[١].

أمّا في حكومة يزيد فقد اختلف التكليف الشرعي؛ لذا رفض سيد الشهداء عليه السلام الخضوع للطاغية، وأعلن الثورة، وضحّىٰ بنفسه وبأهل بيته وأنصاره دفاعاً عن شريعة الإسلام، وحفاظاً علىٰ كرامة المسلمين، وإيقاظاً للأُمّة من سَباتها، وإشعارها بالمسئوليّة.

إن موقف الحسين الرافض لبيعة يزيد لم يصدر من منطلق شخصي أو مزاجي، بل صَدَرَ من منطلق رسالي؛ لأنّ مبايعة يزيد تأييد لمواقفه الإجرامية والإلحاديّة، والقضاء علىٰ الإسلام المحمّدي الأصيل، والرجوع إلىٰ ضلال الجاهلية. لذا لمّا طلب والي يزيد علىٰ المدينة من الإمام الحسين عليه السلام أن يُبايع له قال له:

«إنّا أهل بيت النبوّة، ومعدن الرسالة، ومُختلف الملائكة، ومَهبَط الرحمة، بنا فتح الله، وبنا خَتَمْ (يختم)، ويزيد رجلٌ فاسقٌ، شاربُ خمر، قاتل النفس المحرّمَة، مُعلنٌ بالفسق، فمثلي لا يُبايعُ لمثلِهِ»[٢]، أي إنّ الإمام أكّد له موقعيته من الإسلام ومسئوليّته في حفظه والدفاع عنه.

وأمّا العداء الشخصي والقَبَلي بين يزيد والحسين عليه السلام وأُسرتيهما فكان

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة ٧٤.

(٢) مقتل الحسين للخوارزمي ١: ٢٦٧. وورد النص في كتاب الفتوح لأحمد بن اعثم الكوفي ٥: ١٤ هكذا «ويزيد رجل فاسق شارب خمر قاتل النفس المحرمة، معلن بالفسق، ومثلي لايبايع لمثله (مثله)». وفي مثير الأحزان لإبن نما الحلي: «ويزيد فاسق، شارب الخمر، وقاتل النفس، ومثلي لا يبايع لمثله».

موجوداً وواقعاً؛ وسببه الاختلاف العميق بين الطرفين في العقيدة والهدف والاتجاه والخط، فأهلُ البيت يريدون إقامة العدل والقسط في المجتمع، ودعوة الناس إلىٰ الله تعالىٰ، والأُمويون يطلبون الرئاسة والمُلك والتسلّط والاستعلاء علىٰ الناس. ولذا قال أبو سفيان لعثمان بعد أن بُويع بالخلافة: «قد صارت إليك بعد تَيم وعَدِي فأَدِرْها كالكرة، واجْعَلْ أوتادها بني أُميّة، فإنّما هو المُلك، ولا أدري ما جنّة ولا نار»(١). فإنّه يرىٰ الأشياء بمنظاره الخاص.

ولم يكن بين الحسين عليه السلام ويزيد عداءٌ شخصي، بل هو عداء حضاريٌّ بين مبدأين مختلفين، واتّجاهين متضادّين، هما مبدأ الإسلام ومبدأ الكفر، واتّجاه الحق واتّجاه الباطل ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ﴾(٢).

فالحسين عليه السلام ويزيد يختلفان في الخطّ والهدف، فكلّ منهما يمثّل مبدأً

---

(١) الاستيعاب في معرفة الأصحاب ليوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البرّ ٤: ٢٤١، ثم قال ابن عبد البر «وله أخبار من نحو هذا رديئة ذكرها أهل الأخبار لم أذكرها وفي بعضها مايدل علىٰ أنه لم يكن إسلامه إسلاماً سالماً».

وفي الأغاني ٦: ٣٥٥: «إنّ أبا سفيان دخل علىٰ عثمان بعد أن كُفَّ بصره فقال: هل علينا من عين؟ قال: لا، فقال: يا عثمان، إنّ الأمر أمرٌ عالميّة، والمُلك مُلك جاهلية، فاجعل أوتاد الأرض بني أميّة». وقال في صفحة ٣٥٦: «لمّا وليّ عثمان الخلافة دخل عليه أبو سفيان فقال: يا معشر بني أميّة، (إنّ الخلافة صارت في تيم وعدي حتّىٰ طَمِعتُ فيها، وقد صارت إليكم، فتلقّفوها بينكم تلقّف الكرة، فوالله ما من جنّة ولا نار) فصاح به عثمان: قُم عنّي، فعل الله بك وفعل».

إنّما أمر أبو سفيان عثمان بهذا الأمر علىٰ أساس العرف القَبَلي، فإنّ رئيس القبيلة يحكم علىٰ أفراد القبيلة، وحكمه نافذٌ حتّىٰ لو كان بعضهم خليفةً أو رئيساً أو أميراً أو غير ذلك. وعندما نقرأ تاريخ خلافة عثمان نراه قد نفّذ أوامر وتعاليم سيّده أبي سفيان، فأطلق العنان لبني أميّة أن يتحكّموا في المسلمين كيفما يشاءون، فكان بيت المال تحت تصرّفهم، وكان الحكم بأيديهم، وأكثر الحكّام منهم، فعاثوا في الأرض فسادا واستبدوا بالأُمور.

(٢) سورة الإسراء: ٨٤.

وعقيدة وفكراً يختلف عن الآخر، فالحرب بينهما حرب مبادئ وأفكار ومعتقدات، يسير أبو عبد الله بسيرة جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله وأبيه أمير المؤمنين علي عليه السلام في إقامة الحقّ والعدل، ونشر الإسلام، ويسير يزيد بسيرة جدّه أبي سفيان وأبيه معاوية في محاربة الإسلام وطلب الرئاسة والمُلك؛ ولذا فقد جحد بعثة الرسول الكريم، ونزول الوحي عليه، متّهماً إيّاه بالقيام من أجل المُلك والسلطان لا غير، فقال في شعره:

لَعِبَت هاشم بالمُلكِ فلا خبرٌ جاءَ ولا وحيٌ نَزَلْ[١]

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «إنّا وآل أبي سفيان أهل بيتين تعادينا في الله، قلنا: صدق الله، وقالوا: كذب الله. قاتل أبو سفيان رسولَ الله، وقاتل معاويةُ عليَّ بن أبي‌طالب، وقاتل يزيدُ بن معاوية الحسينَ بن علي، والسفياني يقاتل القائم»[٢].

قال الأديب:

عبدُ شمس قد أَضْرَمَتْ لبني هاشم ناراً يَشيبُ منها الوليدُ
فابنُ حرب للمصطفىٰ وابنُ هند لعلي وللحسين يزيد[٣]

٤ ـ إنّ واقعة كربلاء تُمثّل البطولة والمأساة، فينبغي للخطيب أن يذكر المواقف البطوليّة للإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته رجالاً ونساءً، وأن يتجنّب الأخبار التي تُظهر بعضهم بمظهر المتراجع عن قضيّته، أو طالب المستحيل عند الشدّة، فمثلاً: يذكر الخوارزمي أنّ الحوراء زينب عليها السلام استشعرت من كلمات أخيها الحسين عليه السلام ليلة العاشر أنّه مقتول لا محالة؛ لذا قالت له: «يا أخي هذا

(١) الملهوف على قتلى الطفوف: ٢١٥.
(٢) معاني الأخبار للشيخ الصدوق: ٣٤٦، والبحار ٣٣: ١٦٥.
(٣) النزاع والتخاصم للمقريزي: ٣٣.

كلام مَن أيقن بالموت، قال: نعم يا أُختاه، قالت: إذن فردّنا إلىٰ حرم جـدّنا، فقال يا أُختاه: لو تُرك القطا لنام»[١].

فهل يُعقل مثل هذا الطلب من زينب؟ وهي بطلة كربلاء وشريكة الحسين في ثورته؟ وهل جاءت إلىٰ كربلاء للسلامة والراحـة، أم جـاءت لتـقوم بـدورها الجهادي بعد الحسين عليه‌السلام إكمالاً لثورته؟ وقـد أحسـن الشـيخ مـحمّد عـلي الأوردبادي[٢] بقوله:

فـتشاطرت هـي والحسـين بـدعوة حَــتَمَ القــضاءُ عــليهما أن يُــندَبا
هــذا بــمُشتَبَك النــصولِ وهــذه في حيث معترك المكاره في السِبا[٣]

ثمّ إذا كان الحسين عليه‌السلام قد أشرف علىٰ القتل والشهادة فكيف تقول له: «ردّنا إلىٰ حرم جدّنا» وهو ما ليس بمقدور الحسين عليه‌السلام بالطُرق العاديّة حينذاك، وقد أُحيط به؟

٥ ـ علىٰ الخطيب أن يُشيد بمعطيات ثورة الحسـين عليه‌السلام، كـإحياء الديـن، وتقويم الشريعة، وحفظ الإسلام، كما قال السيد جعفر الحلّي:

---

(١) مقتل الحسين للخوارزمي ١: ٣٣٨.

(٢) هو الشيخ محمّد علي ابن الشيخ أبي القاسم بن محمّد تقي بن مـحمّد قـاسم الاوردبـادي التبريزي النجفي. وُلِدَ في تبريز سـنة ١٣١٠ هـ. الطـليعة مـن شـعراء الشـيعة ٢: ٢٧٧، الرقم ٢٨٣.

وجاء في شعراء الغري: هو الشيخ محمّد علي ابن الشيخ أبي القاسم بـن مـحمّد تـقي بـن محمّد قاسم الغروي الأوردبادي. وُلِدَ في النجف ٢١ رجب سنة ١٣١٢ هـ ونشأ بها علىٰ أبيه. شعراء الغري ١٠: ٩٥، وفي هامش الطليعة قال: تُوفّي في النجف في ١ صفر ١٣٨٠ هـ، ودُفن مع أبيه بالحجرة الرابعة في الصحن الشريف علىٰ يسار الداخل من الباب الكبير.

(٣) من قصيدة له في الحوراء زينب عليها‌السلام أثبتها الشيخ جعفر النقدي فـي كـتابه حـياة السيّدة زينب عليها‌السلام: ١٥٨.

بـقتلِهِ فـاحَ للإسـلام نشـرُ هـدىً   فكـلّما ذكَـرَتْهُ المسـلمونَ ذكـا
وصانَ سـترَ الهُـدىٰ مِـن كـلّ خـائنةٍ   سـترُ الفـواطـمِ يـومَ الطـفّ إذ هُـتكا
نـفسي الفـداء لفـادٍ شـرعَ والدهِ   بـنفسهِ وبـأهليهِ ومـا مَـلَكا
قَـد آثـرَ الديـنَ أن يَـحيا فـقحّمها   حيثُ اشتقام القنا الخِطّي واشتبكا(١)

نعم، استشهاد الحسين عليه السلام بذلك الشكل الفجيع مصيبة عظيمة، ورزيّة جليلة، وقد عظمت وجلّت هذه المصيبة علىٰ أهل السماوات والأرض، وقَتْلُ المؤمن العادي فاجعةٌ، وفقدُ العالم النافع يثلم ثلمة في الإسلام، فكيف بفقد وقتل سيد شباب أهل الجنّة، وخامس أصحاب أهل الكساء، وريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله؟! فإنّه حتماً يورث الألم والمصاب في النفوس المؤمنة، ويحزّن القلوب، ويسيّل الدموع. قال النبي الأعظم صلى الله عليه وآله: «**إن لقتل الحسين عليه السلام حرارةً في قلوب المؤمنين لا تبردُ أبداً**»(٢).

فالحسين عليه السلام عَبرة وعِبرة، وهو قتيلٌ فاتح، وشهيدٌ منتصِر، ومظلومٌ ظافر. والدروس التي أملاها علىٰ الناس في الجهاد والتضحية من أجل الحقّ وإحياء الشريعة هي من أسمىٰ الدروس وأعلاها. ونحن نبكيه مجاهداً ثائراً، وشهيداً مظلوماً. وقد اعتُدي علىٰ حرمة الإسلام والمسلمين بالاعتداء علىٰ الحسين عليه السلام وأهل بيته وأنصاره. وثورة الحسين عليه السلام رفعت رأس المسلمين، وأعزّت الإسلام؛ لأنّ الجهاد عزٌّ للإسلام والمسلمين، والحسين عليه السلام إمام المجاهدين، وسيّد الشهداء، فثورته أعظم الثورات ومصيبته أعظم المصائب.

فعلىٰ كلّ حال، قضيّة الحسين عليه السلام فكرٌ وعاطفةٌ، وبطولةٌ ومأساةٌ، فيجب

---

(١) سحر بابل وسجع البلابل: ٣٥٠.
(٢) مستدرك الوسائل ١٠: ٣١٨.

علىٰ الخطيب أن يؤكّد علىٰ معطياتها كما يؤكّد علىٰ مأساته ومظلوميّته، وأنْ لا يترك أحدهما علىٰ حساب الآخر.

قال سيد قطب في تفسيره لقول الله تعالىٰ: ﴿إنّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنا والذينَ آمَنُوا في الحياةِ الدُنيا وَيَومَ يَقُومُ الأَشْهَادُ﴾[(١)]: «... الناس يقصرون معنىٰ النصر علىٰ صُوَر معيّنة معهودة لهم، قريبة الرؤية لأعينهم، ولكنّ صور النصر شتىٰ، وقد يتلبّس بعضها بصُوَر الهزيمة عند النظرة القصيرة. إبراهيمعليه السلام وهو يُلقىٰ في النار فلا يرجع عن عقيدته ولا عن الدعوة إليها.. أكان في موقف نصرٍ أم في موقف هزيمة؟ ما من شكّ ـ في منطق العقيدة ـ أنّه كان في قمّة النصر وهو يُلقىٰ في النار. كما أنّه انتصر مرّة أُخرىٰ وهو ينجو من النار. هذه صورة وتلك صورة. وهما في الظاهر بعيد من بعيد. فأمّا في الحقيقة فهما قريب من قريب!..

والحسين ـ رضوان الله عليه ـ وهو يُستشهد في تلك الصورة العظيمة من جانب، المفجعة من جانب! أكانت هذه نصراً أم هزيمة؟ في الصورة الظاهرة وبالمقياس الصغير كانت هزيمة. فأمّا في الحقيقة الخالصة وبالمقياس الكبير فقد كانت نصراً.

فما من شهيد في الأرض تهتزّ له الجوانح بالحبّ والعطف، وتهفو له القلوب وتجيش بالغيرة والفداء كالحسين ـ رضوان الله عليه ـ يستوي في هذا المتشيّعون وغير المتشيّعين من المسلمين. وكثير من غير المسلمين!

وكم من شهيد ما كان يملك أن ينصر عقيدته ودعوته ولو عاش ألف عام كما نصرها باستشهاده. وما كان يملك أن يُودِع القلوب من المعاني الكبيرة، ويحفّز الألوف إلىٰ الأعمال الكبيرة بخطبة مثل خطبته الأخيرة التي يكتبها

---

(١) سورة غافر: ٥١.

بدمه، فتبقىٰ حافزاً محرّكاً للأبناء والأحفاد، وربّما كانت حافزاً محرّكاً لخُطىٰ التاريخ كلّه مدىٰ أجيال.

ما النصر؟ وما الهزيمة؟ إنّنا في حاجة إلىٰ أن نراجع ما استقرّ في تقديرنا من الصُور ومن القِيم قبل أن نسأل: أينَ وعدُ الله لرسله وللمؤمنين بالنصر في الحياة الدنيا!»[١].

وممّا يناسب كلام السيد قطب هذا أبيات للشيخ الدكتور أحمد الوائلي[٢] يخاطب بها سيد الشهداء عليه السلام.

---

(١) في ظلال القرآن، المجلد السابع ٢٤: ٧٩ ـ ٨٠.

(٢) قال الأُستاذ علي الخاقاني هو: «شيخ أحمد بن الشيخ حسّون بن سعيد بن حمّود الليثي الشهير بالوائلي، خطيب شهير، وأديب مرهف، ولد في النجف يوم الجمعة ١٧ ربيع الأوّل أوائل عام ١٣٤٢ هـ، ونشأ بها على أبيه، وهو من الخطباء الشعراء... شعراء الغري ١: ٢٩٣.
وذكر الشيخ محمّد هادي الأميني في معجم رجال الفكر والأدب في النجف خلال ألف عام ٣: ١٣١٥، ولادته سنة ١٣٤٦ هـ ١٩٢٧ م.
لقد وافاه الأجل في مدينة الكاظمية المقدّسة يوم الإثنين ١٤ جمادى الثانية ١٤٢٤ هـ الموافق للرابع عشر من تموز ٢٠٠٣ م، وحُمل جثمانه في يوم الثلاثاء إلى كربلاء ثم إلى النجف الأشرف ودُفن في غرفة في صحن كميل بن زياد عليه الرحمة.
وكان يوم وفاته يوماً مشهوداً في أوساط الشيعة العرب، وحضر تشييعه مئات الآلاف. كما أقيمت له مجالس الفاتحة والتأبين في العراق والخليج ولبنان وإيران والمدن العربية وغيرها التي يتواجد فيها الشيعة العرب.
لقد فُجع العالم الإسلامي بعالم جليل، ومفكّر إسلامي كبير، وخطيب بارع، وعميد لمؤسسة المنبر الحسيني، وعبقريّ فتح آفاق جديدة للخطباء الحسينيين، وسيبقىٰ نهجه الخطابي مثالاً رائعاً يُقتدىٰ به بعد وفاته كما كان في حياته. وإنّ تجاوب الجماهير الشيعيّة المؤمنة بالحزن والأسىٰ على وفاته خير دليل على تعلّق هؤلاء بسيّدهم الإمام الحسين عليه السلام وتكريمهم لخدّامه المخلصين لمبادئه.
تغمد الله تعالىٰ الفقيد الراحل بواسع رحمته ورضوانه، وأسكنه فسيح جنانه، ونسأل الله أن يجمعنا معه في رحاب آل محمّد عليهم السلام، إنّه سميعٌ مجيب.

يـمّمتُ يـومَكَ كـالظماءِ بـلفحةِ الصـحراءِ تـلتمسُ الغـديرَ ورودا
فـرأيتُ بـينَ شـروقهِ وغـروبهِ صوراً تعزُّ علىٰ النعوتِ حدودا
مـثلتَ خـيَّرها ومـثَّلَ شـرَّها نـفرٌ فكـنتَ سَـماً وكـانَ صـعيدا
فـرأيـتكَ العـملاقَ جـيداً مـتلعاً ينعىٰ عـلى الأقـزامِ تُـهطع جـيدا
ورأيـتُكَ الفكـرَ الحـصيفَ يشـقُّ أسـتارَ الغـيوبِ ويستشفُّ بـعيدا
فـإذا أراقـوا اليـومَ زاكـيةَ الدمـا فـغداً سـترفعُها الشـعوبُ بـنودا
ورأيتُكَ النـفسَ الكـبيرةَ لم تكـنْ حـتىٰ عـلىٰ مَـنْ قـاتلوكَ حـقودا
فـعلمتُ أنَّكَ نـائلٌ مـا تـبتغي حـتماً وإنْ يكُ شـلْوُك المـقدودا
وبأنَّ مـن قـتلوكَ ودّوا عكسَ مـا قدْ كانَ لو علموا المدىٰ المقصودا
ظـنّوا بأن قـتلَ الحسـينَ يـزيدُهم لكـنَّما قـتلَ الحسـينُ يـزيدا(١)

وقال أيضاً في بعض قصائدة:

يـمّمت يـومك أسـتجلي روائِـعَهُ فأشـبعت نـاظري مـوَّارة صُـور
مـا رمتُ رائِـعةً إلّا وُجـدتَ بـه كأنَّ كـلَّ سـموٍّ فـيه مـنحصر
هـو المـدى ميَّز الشَّـوط البـعيد بـه أعـنة الركب مَن جدُّوا ومَـن قـصروا
يـؤذيه أنَّا دأبـنا أن نـطالعه مـن عَـبرة وهـو فـيما يـحتوي عِـبَر
لو شئت قلت: وما زهـو الفـتوح سـوى دنـياك، إنَّك دنـياً مـلؤُها ظـفر
لقـد رأيـتك فـيها ألف قـادمةٍ تـهوى الشَّـواهـق إذ تُـستوبأ الحُـفَر
ومـارداً زحـم الأعـصار مـنكبه حـتَّى لواه، ومـا أَلوت بـه الغِـيَر
وفكـرة تسـتشفُّ الغـيب، مـا وُلدت إلّا لتـخلد، والطـغيان يـنتحر

---

(١) من لا يحضره الخطيب ١: ٢١٨.

مـا ضـرَّها وهـي تـرجـو كـلَّ عـاقبة ... إذا تـعجَّل مـن لذَّاتـه أَشـر
قـد يَـخدع الوهـمُ سكـراناً فـيجعله ... يـظنُّ أنَّ الَّـذي فـي كأسـه القـمر
أُنـبِئكَ أنَّ دماً أهـرقت أَلويـةٌ ... شـمٌّ إذا مـا استحرَّ الخـطب تـنتشر
ولوعـةٌ فـي رضـيع أثكـلوك بـه ... وجـبهةٌ وسَـمُوا أو خـنصراً بـتروا
قـذائـفٌ قـد أدالت مـن عـروشِهِمُ ... ورحت وحـدك فـي المـيدان تـنتصر
فازِوِ الخـلود فـما كـان الخـلود سـوى ... وثـيقةٍ وقَّـعتها بـاسمك العُـصُر(١)

٢ ـ توصيات عن النصوص والروايات

١ ـ لابدّ للخطيب من التتبّع والبحث فيالروايات؛ لئلا ينسب بعض القضايا أو النصوص إلىٰ غير صاحبها، فقد نقل بعض العلماء والكُتّاب روايات وأخباراً نسبوا فيها قضايا وأُموراً إلىٰ غير أصحابها الواقعيّين، وذلك عن طريق الخـطأ وقلّة التحقيق، ومثال ذلك:

أ ـ نَسَبَ الشيخ عباس القمّي الأبيات التالية إلىٰ ابن حجر الهيتمي وهي:

أهـوىٰ عـليّاً أمـيرَ المـؤمنينَ ولا ... أرضى بسبّ أبـي بكـر ولا عُـمرا
ولا أقـول إذا لم يُـعطيا فَـدَكاً ... بنتَ النـبيِّ رسـولِ الله: قـد كَـفَرا
اللهُ يَـعلمُ مـاذا يأتـيانِ بـهِ ... يومَ القيامةِ مِن عُذْرٍ إذا اعْتَذَرا(٢)

بينما هي للكُميت شاعر أهل البيت مُثبَتَةٌ في ديوانه، ونصّها:

أهـوىٰ عـليّاً أمـيرَ المـؤمنينَ ولا ... ألومُ يـوماً أبـا بكـر ولا عُـمرا
ولا أقـولُ وإنْ لم يُـعطيا فَـدَكاً ... بـنتَ النـبيِّ ولا مِـيراثَـه: كَـفَرا

(١) ديوان الشعر الواله في النبيّ وآله للشيخ أحمد الوائلي: ٧٧ ـ ٧٨.
(٢) الكنىٰ والألقاب ١: ٢٥٧، (ابن حجر)، وسفينة البحار ٢: ٩٨، (ابن حجر).

اللهُ يــــعلمُ مــاذا يأتــيانِ بـــه ... يوم القيامة مِن عُذْرٍ إذا اعتذرا[١]

وقال ابن أبي الحديد: «قال أبو بكر[٢]: حدّثني أبو جعفر: محمد بن القاسم قال: حدّثني علي بن الصبّاح قال: أنشدنا أبو الحسن رواية المفضّل للكُميت:

أهوىٰ عليّاً أمير المـؤمنين ولا ... أرضى بشتم أبي بَكر ولا عُمرا

ولا أقول وإنْ لم يُعطيا فَدَكاً ... بنتَ النبيِّ ولا مِيراثَـها: كَـفرا

الله يـــعلم مـــاذا يَـحضُران بـه ... يوم القيامة من عُذرٍ إذا اعتذرا

قال ابن الصبّاح: فقال لي أبو الحسن: أتقول إنّه قد أكفرهما في هذا الشعر! قلت: نعم، قال: كذلك هو»[٣].

وللسيّد الحِمْيَري مناقشة حادّة مع الكُميت حول هذه الأبيات. قال المرزباني: «قيل: إنّ السيّد الحميري حجّ في أيّام هشام بن عبد الملك فلقي الكُميت فسلّم عليه وقال له: أنت القائل:

ولا أقول إذا لم يُعطيا فَدَكاً ... بنتَ النبيِّ ولا مِيراثَه: كَـفرا

الله يـعلم مــاذا يأتـيان بـهِ ... يوم القيامة من عُذرٍ إذا حضرا

قال الكُميت: نعم قُلتُه تقيّةً من بني أُميّة، وفي مضمون قولي شهادة عليهما أنّهما أخذا ماكان في يدها، فقال السيّد: لولا إقامة الحجّة لَوَسِعَني السكوتُ، لقد ضعفتَ يا هذا عن الحق، يقول رسولُ الله ﷺ: «فاطمةٌ بَضعةٌ مِنّي يُريبُني ما رابَها، وإنّ اللهَ يَغضبُ لِغضبها ويرضىٰ لِرضاها» فخالفتَ رسولَ الله ﷺ. وهَبَ لها فَدَكاً بأمر الله له، وشهد لها أميرُ المؤمنين والحسن والحسين وأُمُّ أيمن بأنّ رسول الله أقطع فاطمة فدكاً. فلَمْ يَحكُما لها بذلك، والله تعالىٰ يقول: ﴿يَرِثُنِي

(١) أُنظر شرح الهاشميات لمحمد محمود الرافعي: ٨٣ ـ ٨٤.

(٢) أي أحمد بن عبدالعزيز الجوهري.

(٣) شرح نهج البلاغة ١٦: ٢٣٢.

وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوب﴾[١] ويقول: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَان دَاوُد﴾[٢]. وهم يجعلون سبب مصير الخلافة إليهم: الصلاة، وشهادة المرأة لأبيها أنّه ﷺ قال: مُرُوا فلاناً بالصلاة بالناس. فصُدّقتْ المرأة لأبيها، ولم تُصدّق فاطمة وأمير المؤمنين والحسن والحسين وأُمّ أيمن في مثل فَدَك، وتُطالَبُ مثل فاطمة البيّنة علىٰ ما ادّعت لأبيها. وتقول أنتَ مثل هذا القول!

وبعد: فما تقول في رجل حلف بالطلاق إنّ الذي طلبت فاطمة هو حقّ، وإنّ علياً والحسن والحسين وأُمّ أيمن ما شهدوا إلّا بحقّ، ما تقول في طلاقه؟ قال [الكُميت]: ما عليه طلاق.

قال [السيّد]: فإنْ حلف بالطلاق أنّهم قالوا غير الحق؟ قال [الكُميت]: يقع الطلاق لأنّهم لا يقولون إلّا الحقّ.

قال [السيّد]: فانظر في أمرك. فقال الكُميت: أنا تائبٌ إلىٰ الله ممّا قلتُ، وأنت يا أبا هاشم أعلمُ وأفقهُ منّا»[٣].

ب ـ ورد في كتاب الإرشاد أنّ رجلاً جاء إلىٰ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام فقال: «يا أمير المؤمنين، إنّي مررتُ بوادي القُرىٰ فرأيتُ خالدَ بن عرفطة قد مات بها فاستغفِرْ له، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: (مَه، إنّه لَمْ يَمُتْ ولا يموتُ حتّىٰ يقودَ جيشَ ضلالةٍ صاحبُ لوائهِ حبيبُ بنُ حِماز)[٤]. فقام رجل من تحت المنبر

---

(١) سورة مريم: ٦.

(٢) سورة النمل: ١٦.

(٣) أخبار السيد الحميري لمحمّد بن عمران المرزباني: ٦٠ ـ ٦١.

(٤) أورد ابن الأثير في أُسد الغابة ١: ٦٧٢، اسم حبيب بن حِماز برقم ١٠٤١ فقال: هو من أصحاب النبي ﷺ وشهد معه الأسفار، لا يعرف له إلّا حديث واحد، وقد ضبط اسم أبيه قائلاً: حِماز: بِحاء مكسورة، وميم خفيفة، وآخره زاي.

←

فقال: يا أمير المؤمنين، والله إنّي لـك شيعة، وإنّي لك محبّ، قال عليه السلام: (ومَـن أنتَ؟) قال: أنا حبيب بن حِماز، قـال عليه السلام: (إيّاك أن تحملها، ولَتَحمِلَنّها فتدخل بها من هذا الباب) وأومأ بيده إلىٰ باب الفيل.

فلمّا مضىٰ أميرُ المؤمنين عليه السلام وقضىٰ الحسنُ بن علي عليه السلام من بعده، وكانَ من أمر الحسين عليه السلام ومن ظهوره ماكان، بعث ابن زياد بعُمَر بن سعد إلىٰ الحسين عليه السلام وجعل خالد بن عرفطة علىٰ مقدمته، وحبيب بن حِماز صاحب رايته، فسار بها حتىٰ دخل المسجد من باب الفيل»[1].

← قال الباحث: ورد في بعض المصادر: حبيب بن حِماز وفي بعضها حَمّاد، وفي بعضها عمّار والأصح ما قاله ابن الأثير في أُسد الغابة.

(١) الإرشاد للشيخ المفيد ١: ٣٢٩.

قال ابن الأثير في ترجمة خالد بن عُرفُطَة: «استخلفه سعد بن وقّاص علىٰ الكوفة ونـزلها، وهو معدود في أهلها، ولمّا دخل معاوية الكوفة سنة إحدىٰ وأربعين خرج عليه عبدالله بن أبي الحوساء بالنُخَيْلة، فبعث إليه معاويةُ خالد بن عُرفُطة العذري، حليف بني زهـرة، فـي جمع من أهل الكوفة، فقتل ابن أبي الحوساء، ويـقال: ابـن أبـي الحـمساء، فـي جـمادى الأولى».

وأضاف ابن الأثير قائلاً: «وروى عَفّان عن حمّاد بن سلمة، عن علي بن زيد، عن أبي عثمان النهدي، عن خالد بن عرفطة: أن النبي صلى الله عليه وآله قال له: **(يا خالد، إنها ستكون أحـداث وفُـرقة واختلاف، فإذا كان ذلك؛ فإن استطعت أن تكون المقتول لا القاتل فافعل)** وتوفي بـالكوفة سنة ستين، وقيل: سنة إحدى وستين، عام قتل الحسين بن علي».

أُسد الغابة في معرفة الصحابة ٢: ١٣٢، الرقم ١٣٧٨. كما ذكره ابن عبد البرّ القرطبي فـي الاستيعاب ٢: ١٨ ـ ١٩، برقم ٦٣٦. قائلاً: «قال خليفة بن خيّاط: لمّا سلّم الأمر الحسن إلى معاوية خرج عليه عـبدالله ابـن أبـي الحـوساء بـالنخيلة، فـبعث إليـه مـعاوية خـالد بـن عرفطة العذري حليف بني زهرة في جمع من أهل الكوفة، فقتل ابن الحوساء، ويـقال ابـن أبي الحمساء، وذلك في جمادى الأولى سنة إحدى وأربعين فيما ذكره أبو عبيدة والمدائني، وفي ذلك الشّهر كان الاجتماع على معاوية. قال أبو عمر: سكن خالد بن عرفطة الكـوفة، ومات بها سنة ستين، وقيل: سنة إحدى وستين عام قُتِل الحسين رضي الله عنهم».

ولكن لم يَذكُر أحد من أرباب المقاتل والمؤرّخين أنّ جيش ابن سعد دخل المسجد، وأنّ خالد بن عرفطة كان علىٰ مقدّمته، وأنّ حبيب بن حِماز كان يحمل رايته ودخل بها إلىٰ المسجد من باب الفيل، وليس لخالد وحبيب ذِكر في واقعة كربلاء.

والصحيح هو ما أورده أبو الفرج في مقاتل الطالبيين: قال: «بينما علي عليه السلام علىٰ المنبر، إذ دخل رجل، فقال: يا أمير المؤمنين، مات خالد بن عرفطة، فقال: لا والله ما مات، إذ دخل رجل آخر فقال: يا أمير المؤمنين، مات خالد ابن عرفطة، فقال: لا والله ما مات، إذ دخل رجل آخر وقال: يا أمير المؤمنين، مات خالد بن عرفطة، فقال: لا والله ما مات، ولا يموت حتىٰ يدخل من باب هذا المسجد[1] براية ضلالة يحملها له حبيب بن عمّار، قال: فوثبَ رجلٌ فقال: يا أمير المؤمنين، أنا حبيب بن عمّار، وأنا لك شيعة. قال عليه السلام: فإنّه كما أقول. [قال الراوي]: فقَدِمَ خالدُ بن عرفطة علىٰ مقدّمة معاوية يحمل رايته حبيب بن عمّار»[2].

قال أبو الفرج بعد ذكره لمجيء معاوية إلىٰ الكوفة بعد عام الصلح: «ودخل معاوية الكوفة بعد فراغه من خطبته بالنُخيلة وبين يديه خالد بن عرفطة ومعه رجل يقال له: حبيب بن عمّار، يحمل رايته حتىٰ دخل الكوفة، فصار إلىٰ المسجد، فدخل من باب الفيل، فاجتمع الناس إليه»[3].

---

(١) أي باب الفيل.

(٢) مقاتل الطالبيين: ٧١.

وذكر الرواية أيضاً ابن أبي الحديد المعتزلي في شرح نهج البلاغة ١٦: ٢٣٥، وعبارته: «والله لقد قدم خالد بن عرفطة علىٰ مقدمة معاوية يحمل رايته حبيب بن حماد».

(٣) مقاتل الطالبيين: ٧٠ ـ ٧١.

ج ـ ذكر الشيخ الطبرسي رحمه الله(١) عند تفسيره لسورة التكاثر الرواية التالية: «عن زر بن حبيش عن الإمام علي عليه السلام أنّه قال: ما زلنا نشكّ في عذاب القبر حتىٰ نزلت ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ﴾(٢) إلىٰ قوله: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾(٣) يريد في القبر، ﴿ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾(٤) بعد البعث».

فقد نَسب الشك في عذاب القبر إلىٰ الإمام علي عليه السلام وهو بعيد جداً؛ إذ هو القائل: «لو كُشف الغطاء ما ازددتُ يقيناً»(٥).

والصحيح ما ذكره الفخر الرازي في تفسيره الكبير عن زر بن حبيش أنّه قال: «كنت أشكّ في عذاب القبر حتىٰ سمعت علي بن أبي طالب يقول: (إنّ هذه الآية تدلّ علىٰ عذاب القبر)»(٦).

د ـ ورد في مقتل الحسين عليه السلام للسيّد عبد الرزّاق المقرّم رحمه الله ما يلي: «وأوّل ما شاهده [عمر بن سعد] مِن غضبِ الله عليه ذهاب ولاية الرَي، فإنّه لمّا رجع من كربلاء طالبه ابن زياد بالكتاب الذي كتبه بولاية (الري) فادّعىٰ ابن سعد ضياعه، فشدّد عليه بإحضاره، فقال له ابن سعد: تركتُه يُقرأ علىٰ عجائز قريش اعتذاراً منهنّ...»(٧).

والصحيح: أنّ ابن زياد طالَبَ ابن سعد بالكتاب الذي كتبه إليه في قتل الحسين عليه السلام والذي حمله إليه شمر بن ذي الجوشن وسلّمه إيّاه في كربلاء، وفيه

---

(١) مجمع البيان للطبرسي ١٠: ٤٣٢.

(٢) سورة التكاثر: ١.

(٣) سورة التكاثر: ٣.

(٤) سورة التكاثر: ٤.

(٥) معجم الفاظ غرر الحكم (كَشَفَ).

(٦) مفاتيح الغيب للفخر الرازي ٣٢: ٧٨، تفسير سورة التكاثر.

(٧) مقتل الحسين للسيد المقرّم: ٢٠٥.

ما يلي: «أمّا بعد... انظُر فإنْ نزلَ حسينٌ وأصحابُه علىٰ الحكم (حكمي) واستسلموا، فابْعث بهم إليّ سَلَماً[١]، وإنّ أَبَوا فَازحَفْ إليهم حتىٰ تَـقتُلَهم وتـمثِّلَ بـهم، فـإنّهم لذلك مستحقّون، فإنْ قُتِلَ حسينٌ فأوطئ الخيلَ صدرَهُ وظهرَهُ، فإنّه عـاقٌّ مشـاقٌّ (شاقّ)، قاطعٌ ظلومٌ، وليسَ دهري في هذا أن يضرّ[٢] بعد الموت شيئاً، ولكِنْ عليَّ قولٌ لو قد قتلتُه فعلتُ هذا به. إنْ أنتَ مضيتَ لأمرنا فـيه جـزيناك جـزاءَ السـامع المطيع، وإنْ أبيتَ فاعتزلْ عمَلَنا وجُندَنا، وخلِّ بين شمر بـن ذي الجـوشن وبـين العسكر فإنّا قد أمرناهُ بأمرنا. والسلام»[٣].

إنّ هذا الكتاب وثيقة تُدين ابن زياد فـي قتله الإمام الحسين عليه السلام، فأراد ابن زياد أن يستلم الكتاب حتىٰ يخفيه أو يتلفه، ومن ثمّ يُـلقي تـبعة قـتل سـيد الشهداء عليه السلام علىٰ ابن سعد ليتخلّص هو من الجريمة الشنعاء التي ارتكبها. ففطِن ابن سعد لذلك فلم يسلّمه إليه.

روىٰ الطبري في تاريخه أنّ عبيد الله بن زياد قال لعمر بن سعد بعد قـتله الحسين عليه السلام: «أيـن الكتـاب الذي كتبتُ به إليك في قتل الحسين؟ قال: مَضيتُ لأمرك وضاعَ الكتاب. قال: لَتجيئنّ به. قـال: ضاع. قال: والله لَـتجيئنّي بـه. قال: تُرِك (تركتُه) والله يُقرأ علىٰ عجائز قريش اعتذاراً إليهنّ (منهنّ) بالمدينة، أمّا والله لقد نصحتُك في حسين نصيحةً لو نَصَحْتُها أبي سعد بن أبي وقّاص كنتُ قد أدّيتُ حقّه. فقال عثمان بن زياد أخو عبيد الله: صدق والله، لَوددتُ أنّه ليس

---

(١) أي أسارىٰ مستسلمين. ففي الصحاح: السَلَم: الاستسلام، وفي ترتيب كتاب العين أخـذه سَلَماً: أي أسره، أُنظر (سَلَمَ).

(٢) لعل الأنسب: ولست أرىٰ أنّ هذا يضرّ.

(٣) تاريخ الطبري ٥: ٤١٥، وقريب منه في مقتل الحسين للخوارزمي ١: ٣٤٨.

من بني زياد رجل إلّا وفي أنفه خزامة[١] إلىٰ يوم القيامة وإنّ حسيناً لم يُقتل. قال: فوالله ما أنكر ذلك عليه عبيد الله»[٢].

هـ ـ تحدّث الشيخ الطوسي رحمه الله عن حكم الأسير في الحرب قبل الإثخان وبعده، فذكر الأقوال في ذلك، ثُمّ قال: «والّذي رواه أصحابنا: (أنّ الأسير إنْ أُخذ قبل انقضاء الحرب والقتال، بأنْ تكون الحربُ قائمةً والقتالُ باقياً، فالإمام مُخَيَّر بين أنْ يقتلهم، أو يقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف ويتركهم حتّىٰ ينزفوا، وليس له المَنّ ولا الفداء؛ وإنْ كان أُخذ بعد وضع الحرب أوزارها وقضاء الحرب والقتال، كان [الإمام] مخيّراً بين المَنّ والمفاداة: إمّا بالمال أو النفس، وبين الاسترقاق وضرب الرقاب، فإنْ أسلموا في الحالين سقط جميع ذلك وصار حكمه حكم المسلم)»[٣].

واتّبعه الشيخ الطبرسي في مجمع البيان[٤].

والصحيح ما ذكره العلّامة الحلّي في كتاب (مختلف الشيعة) عن الشيخ الطوسي نفسه في كتابيه (الخِلاف) و(المبسوط): «بأنّ الأسير إذا أُخذ قبل أنْ تضع الحرب أوزارها تخيّر الإمام بين أنْ يضرب رقبته وبين أنْ يقطع الأيدي والأرجل ويترك (يتركه) حتىٰ ينزف الدم ويموت، وإنْ أُخذ بعد انقضاء القتال تخيّرَ بين المَنّ والفداء والاسترقاق وليس له قتله»[٥].

وقال السيد الخوئي: «هذا هو مذهب علماء الشيعة الإمامية، والضحّاك،

---

(١) أي علامةً علىٰ أنّه عبدٌ رقّ.
(٢) تاريخ الطبري ٥: ٤٦٧.
(٣) التبيان في تفسير القرآن للشيخ الطوسي ٩: ٢٩١، تفسير الآية ٤ من سورة محمّد صلى الله عليه وآله.
(٤) أُنظر مجمع البيان ٩: ١٦٢، تفسير الآية ٤ من سورة محمّد صلى الله عليه وآله.
(٥) مختلف الشيعة للعلّامة الحلّي ٤: ٤٢١، وأُنظر الرواية في الفروع من الكافي ٥: ٣٢، كتاب الجهاد.

وعطاء، والحسن»[١].

٢ـ إذا رأىٰ الخطيب في كتاب مّا رواية تحتوي علىٰ نصّ مبهم وغير واضح فعليه أن يُفتّش عن النص الواضح والصريح في كُتبٍ أُخرىٰ لنفس المؤلف أو لغيره حتىٰ يتبيّن له الحق، ومثال ذلك:

أ ـ روىٰ الطبري في تفسيره بسنده عن علي بن أبي طالب[عليه السلام] قال: لمّا نزلت هذه الآية علىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله ﴿وأَنـذِرْ عَشِـيرَتَكَ الأَقْـرَبِينَ﴾[٢] دعـاني رسول الله فقال لي يا علي: إنّ الله أمرني أن أنذر عشيرتي الأقـربين فـضقت بذلك ذرعا وعرفت أنّي متىٰ ما أُنـاديهم[٣] بـهذا الأمـر أرَ مـنهم مـا أكـره، فصمتُّ[٤]، حتىٰ جاء جبرائيل[٥] فقال يا محمّد: إنّك إلّا تفعل مـا تُـؤمر بـه يُعذبك ربّك. فاصنع لنا صاعاً من طعام، واجعل عليه رِجل شاة، واملأ لنا عُسّاً من لبن، ثم اجمع لي بني عبد المطلب حتىٰ أكلّمهم وأُبلّغهم ما أُمرت به. [قال:] ففعلت ما أمرني به، ثم دعوتهم له؛ وهم يومئذٍ أربعون رجلاً، يزيدون رجلاً أو ينقصونه؛ فيهم أعمامه: أبو طالب وحمزة والعباس وأبو لهب؛ فلما اجتمعوا إليه دعاني بالطعام الذي صنعت لهم، فجئت به، فلما وضعته تناول رسول الله صلى الله عليه وآله حِذيةً[٦] من اللحم فشقّها بأسنانه ثم ألقاها في نواحي الصحفة[٧]، وقال خذوا

---

(١) البيان في تفسير القرآن: ٢٥٩.

(٢) سورة الشعراء: ٢١٤.

(٣) وفي تاريخ الطبري ٢: ٣٢٠، «ومتىٰ أُباديهم بهذا الأمر أرىٰ منهم ما أكره»، وفي البداية والنهاية لابن كُثير ٣: ٥٢ وفي تفسيره ٣: ٣٠١، «عرفت أنّي إن بادأت (بادرت) بها قومي رأيت منهم ما أكره».

(٤) وفي تاريخ الطبري: فصمتُّ عليه.

(٥) وفي تاريخ الطبري: «حتىٰ جاءني جبرئيل».

(٦) الحِذية من اللحم: ما قُطع منه طولاً.

باسم الله(٨)، فأكل القوم حتىٰ ما لهم بشيء حاجة، وما أرىٰ إلّا مواضع أيديهم، وأيم الله الذي نفس علي بيده؛ إن كان الرجل الواحد ليأكل ما قدّمت لجميعهم. ثم قال[ﷺ] إسقِ الناس(٩)، فجئتهم بذلك العُس فشربوا حتىٰ رووا منه جميعاً، وأيم الله إن كان الرجل الواحد منهم ليشرب مثله. فلما أراد رسول الله ﷺ أن يكلّمهم بَدَرَهُ أبولهب إلىٰ الكلام فقال لهدّ(١٠) ما سحركم به صاحبكم! فتفرّق القوم ولم يكلّمهم رسول الله.

فقال الغد يا علي؛ إنّ هذا الرجل قد سبقني إلىٰ ما قد سمعت من القول، فتفرّق القوم قبل أن أكلّمهم، فعُدْ لنا من الطعام مثل الذي صنعت، ثم اجمعهم لي.

قال: ففعلت ثم جمعتهم ثم دعاني بالطعام فقرّبته لهم، ففعل كما فعل بالأمس، فأكلوا حتىٰ ما لهم بشيء حاجة، ثم قال: اسقهم، فجئتهم بذلك العُس، فشربوا حتىٰ روُوا منه جميعاً، ثم تكلّم رسول الله ﷺ فقال: «(يا بني عبدالمطلب، إنّي والله ما أعلم شاباً في العرب جاء قومه بأفضل مما جئتكم به؛ إنّي قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة، وقد أمرني الله أن أدعوكم إليه، فأيّكم يؤازرني علىٰ هذا الأمر علىٰ أن يكون أخي وكذا وكذا، قال: فأحجم القوم عنها جميعاً، وقلت: وإنّي لأحدثهم سنّا...، أنا يا نبيَّ الله أكون وزيرك(١١). فأخَذَ برقبتي ثم قال: (إنّ هذا أخي وكذا وكذا، فاسمعوا له وأطيعوا). قال: فقام القوم يضحكون، ويقولون

---

(٧) الصَحفة: قصعة كبيرة منبسطة. أقرب الموارد (صحف).

(٨) وفي السيرة النبوية لابن كُثير ١: ٤٥٧: «قال: كُلُوا باسم الله».

(٩) وفي تاريخ الطبري: «إسقِ القوم».

(١٠) لهدّ: كلمة يتعجب بها. وفي بعض المصادر: «لَقِدْماً سَحَرَكم الرجل».

(١١) وفي تاريخ الطبري: «أكون وزيرك عليه».

لأبي طالب: قد أمرك أن تسمعَ لابنك وتطيع»(١).

إنّنا للتعرف علىٰ ما قاله النبيﷺ ذاك اليوم بحاجة إلىٰ مراجعة كُتب أُخرىٰ.

فالطبري نفسه وضّح لنا ذلك في تاريخه، حيث أنّه ذكر الرواية نفسها وبنفس السند إلىٰ أن وصل إلىٰ قولهﷺ «يا بني عبد المطلب، إنّي والله ما أعلم شاباً في العرب جاء قومه بأفضل مما جئتكم به؛ إنّي قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة، وقد أمرني الله أن أدعوكم إليه، فأيّكم يؤازرني علىٰ هذا الأمر علىٰ أن يكون أخي ووصيّ وخليفتي فيكم؟» قال: فأحجم القوم عنها جميعاً، وقلت: وإنّي لأحدثهم سنّا...، أنا يا نبيَّ الله أكون وزيرك عليه. فأخذَ برقبتي، ثم قال: «إنّ هذا أخي ووصيّ وخليفتي فيكم، فاسمعوا له وأطيعوا» قال: فقام القوم يضحكون، ويقولون لأبي طالب: قد أمرك أن تسمعَ لابنك وتطيع»(٢).

ب ـ تحدّث الطبري وابن هشام وابن كُثير عن معركة بدر ومقدّماتها فقالوا: «وأتاه(٣) الخبر عن قريش بمسيرهم ليمنعوا عِيرهم(٤)، فاستشار النبيﷺ الناسَ، وأخبرهم عن قريش، فقام أبو بكر رضي الله عنه، فقال فأحسن، ثم قام عمر بن الخطاب فقال فأحسن،ثم قام المقداد بن عمرو، فقال: يا رسول الله، امضِ لِمَا أمرك الله، فنحن معك؛ والله لا نقول كما قالت بنو إسرائيل لموسىٰ: ﴿اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هٰهُنا قَاعِدُون﴾(٥)؛ ولكن اذهب أنت وربّك

---

(١) جامع البيان في تفسير القرآن ١٩: ٧٥. وعبارة «كذا وكذا» ذكرها ابن كُثير في السيرة النبوية ١: ٤٥٩، والبداية والنهاية ٣: ٥٣، وتفسير القرآن العظيم ٣: ٣٠٢.

(٢) تاريخ الطبري ٢: ٣٢٠ ـ ٣٢١.

(٣) أي رسول اللهﷺ.

(٤) أي قافلتهم التجارية التي خرج المسلمون ليغتنموها.

(٥) سورة المائدة: ٢٤.

فقاتلا إنّا معكما مقاتلون. فوالذي بعثك بالحقّ لو سرت بنا إلىٰ بَرْك الغِماد ـ يعني مدينة الحبشة ـ لجالدْنا معك من دونه حتىٰ تبلغه. فقال له رسول الله خيراً، ودعا له بخير»[١].

إنّ الكثير من المؤرّخين لواقعة بدر والمفسّرين للآيات ٥ ـ ٨ من سورة الأنفال، لم يذكروا كلام الشيخين، بل اكتفوا عن كل واحد منهما بقول: فقال فأحسن. فللتعرّف علىٰ ما قاله الشيخان لابدّ من مراجعة مصادر تاريخية وتفسيرية متعددة.

وبعد التتبع والبحث نرىٰ الواقدي والمقريزي والحلبي ذكروا ما يلي: «ومضىٰ رسول الله ﷺ حتىٰ إذا كان دُوين بدر أتاه الخبر بمسير قريش، فاستشار الناس، فقام أبو بكر رضي الله عنه فقال فأحسن، ثم قام عمر فقال فأحسن، ثم قال: يا رسول الله، إنّها والله قريشٌ وعِزُّها، والله ما ذلّت منذ عَزّت، والله ما آمنت منذ كفرت، والله لا تُسلم عزّها أبداً، ولَتُقاتِلَنّكَ، فاتّهب[٢] لذلك أُهبته، وأَعِدَّ لذلك عُدّته. ثم قام المقداد بن عمرو فقال يا رسول الله، امضِ لأمر الله فنحن معك، والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لنبيّها: ﴿اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هٰهُنا قَاعِدُون﴾، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنّا معكما مقاتلون؛ والذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلىٰ برك الغماد[٣] لسرنا؛ فقال له رسول الله خيراً ودعا له بخير[٤].

---

(١) تاريخ الطبري ٢: ٤٣٤. والسيرة النبوية لابن هشام ٢: ٢٢٧، والسيرة النبوية لابن كُثير ٢: ٣٩٢.

(٢) وفي السيرة الحلبية ٢: ٣٨٦، «فتأهب لذلك أهبته».

(٣) هو موضع بأقصىٰ اليمن. إمتاع الأسماع هامش صفحة ٧٤.

(٤) إمتاع الأسماع للمقريزي: ٧٣ ـ ٧٤. والمغازي للواقدي ١: ٤٨، وإنسان العيون (السيرة

فاتضح لنا ما قاله عمر. وللتعرف علىٰ ما قاله أبو بكر نقرأ في البحار ومجمع البيان وتفسير القمّي ما يلي: «فقام أبو بكر فقال يا رسول الله: إنّها قريش وخيلاؤها، ما آمنت منذ كفرت، ولا ذلت منذ عزّت، ولم تخرج (نخرج) علىٰ هيئة الحرب[١].

أمّا موقف النبيﷺ ممّا قاله الشيخان والمقداد فقد أفصح عنه أنس بن مالك وابن مسعود:

روى مسلم في صحيحه، وأحمد في مسنده، وابن كثير في البداية والنهاية عن أنس، قال: «إنّ رسول اللهﷺ شاور حين بلغه إقبال أبي سفيان، قال: فتكلّم أبوبكر فأعرض عنه، ثمّ تكلّم عمر فأعرض عنه»[٢].

وروى الطبري في تأريخه بسنده عن عبدالله بن مسعود، قال: «لقد شهدتُ من المقداد مشهداً لأن أكون أنا صاحبه أحبّ إليّ ممّا في الأرض من شيء؛ كان رجلاً فارساً، وكان رسول اللهﷺ إذا غضب احمارّت وجنتاه[٣]؛ فأتاه المقداد على تلك الحال، فقال: أبشر يا رسول الله؛ فوالله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَهُنَا قَاعِدُونَ﴾، ولكن والذي بعثك بالحقّ لنكوننّ من بين يديك ومن خلفك، وعن يمينك وعن شمالك، أو

← الحلبيّة) ٢: ٣٨٦.

(١) مجمع البيان للطبرسي ٤: ٤٣٢. والبحار ١٩: ٢١٧ و ٢٤٧. وتفسير القمّي ١: ٢٥٨.

(٢) صحيح مسلم ١٢: ١٢٤، ومسند أحمد ٤: ٥٦٥ و ٥٦٦، الحديث ١٣٣٢٩ و ١٣٣٣٠، والبداية والنهاية ٣: ٣٢١.

(٣) قال ابن منظور احمرّ الشيءُ واحمارّ بمعنىً [واحد]. يقال: احمرّ الشيءُ احمراراً إذا لزم لونه فلم يتغيّر من حال إلىٰ حال، واحمارّ يحمارُّ احميراراً، إذا كان عَرَضاً حادثاً لا يثبُت كقولك: جعل يحمارُّ مرّة ويصفارُّ أُخرىٰ. لسان العرب (حمر).

يفتح الله لك»[١].

وقال ابن كثير: «روى البخاري في صحيحه: [قائلاً] حدثنا أبو نعيم، حدثنا إسرائيل عن مخارق عن طارق بن شهاب قال: سمعت ابن مسعود يقول: شهدت من المقداد بن الأسود مشهداً لأن أكون [أنا] صاحبه أحب إليّ ممّا عدل به، أتى النبيﷺ وهو يدعو على المشركين. فقال: لا نقول كما قال قوم موسىلموسى إذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون، ولكن نقاتل عن يمينك وعن شمالك وبين يديك وخلفك، فرأيت النبيﷺ أشرق وجهه وسرّه»[٢].

قال ابن كثير في السيرة: «روى ابن أبي حاتم في تفسيره، وابن مردويه، واللفظ له، من طريق عبدالله بن لهيعة، عن يزيد بن أبي حبيب، عن أسلم، عن أبي عمران، أنّه سمع أبا أيوب الأنصاري يقول: قال رسول الله ونحن بالمدينة: (إنّي أخبرت عن عير أبي سفيان أنّها مقبلة، فهل لكم أن نخرج قِبَل هذه العير لعلّ الله يُغْنمْناها؟) فقلنا: نعم. فخرج وخرجنا، فلما سرنا يوماً أو يومين قال لنا: (ما ترون في القوم، فإنّهم قد أخبروا بمَخرجهم؟) فقلنا: لا والله مالنا طاقة بقتال القوم، ولكنا أردنا العير. ثم قال: (ما ترون في قتال القوم؟) فقلنا مثل ذلك.

فقام المقداد بن عمرو فقال: إذاً لا نقول لك يا رسول الله كما قال قوم موسىلموسى: ﴿اذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَهُنَا قَاعِدُون﴾.

قال: فتمنَّينا معشر الأنصار لو أنا قلنا مثل ما قال المقداد، أحبُّ إلينا من أن يكون لنا مال عظيم، فأنزل الله عز وجل على رسوله: ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ

(١) تاريخ الطبري ٢: ٤٣٤.

(٢) البداية والنهاية لابن كثير ٣: ٣٢١.

بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقاً مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ﴾[١] وذكر تمام الحديث[٢].

إنّ الذي نستفيد من هذه الروايات:

أ ـ إنّ الشيخين أشارا على رسول الله ﷺ أن يتجنب الحرب مع قريش، لأنّ قريش ما آمنت منذ كفرت... فقال لكل واحد منهما: اجلس، ثم أعرض عنهما.

ب ـ إنّ كلام الشيخين أغضب الرسول ﷺ حتّىٰ احمرّت وجنتاه، فتكلّم المقداد بعدهما مباشرة فحوّل غضب الرسول ﷺ إلى الرضا وتأثّره إلى السرور، حتّى أشرق وجهه «وضحك»[٣].

ج ـ إنّ موقف المقداد تمنّاه ابن مسعود كما تمنّاه الأنصار لأنه وقع موقع الرضا من النبي الكريم ﷺ.

هذا ما جرى في هذه الحادثة، ولنا أن نتساءل: لماذا غضب النبي ﷺ من كلام الشيخين حتّى احمرّت وجنتاه؟ واسترّ لكلام المقداد حتّى أشرق وجهه وضحك؟

والجواب: إنّ رسول الله ﷺ أخبر المسلمين بفوات القافلة التجارية لقريش، وخروج قريش للحرب، فهو بين أمرين: إمّا الانسحاب من الموقف والرجوع إلى المدينة، وإمّا الدخول في الحرب.

وفي الرجوع إلى المدينة إحباط للمسلمين وانكسار لهم، وربّما لاحقهم القرشيون إلى عقر دارهم. والدلائل تشير إلى أنّ الله سبحانه استدرج المشركين والمسلمين للحرب الّتي ستكون في مصلحة الإسلام والمسلمين. قال تعالى في سورة الأنفال: ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقاً مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ﴾

---

(١) سورة الأنفال: ٥.

(٢) السيرة النبوية لابن كثير ٢: ٣٩٤ ـ ٣٩٥.

(٣) الكشّاف ٢: ١٥٥، تفسير الآية ٥ من سورة الأنفال.

يُجادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ ما تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُساقُونَ إِلى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ * وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللهُ إِحْدىٰ الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللهُ أَن يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ * لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾[١]. وهكذا الآيات ٤١ ـ ٤٤.

وقد أخبر الرسولﷺ أصحابه بأنّ الله تعالى أمره بالحرب مع قريش، ويُفهم هذا من كلام المقداد عندما قال: «يا رسول الله، امضِ لأمر الله فنحن معك»[٢] أو: «يا رسول الله، امضِ لِما أمرك الله فنحن معك»[٣].

وكان الموقف يتطلّب ترغيب المسلمين في الجهاد، وتحريضهم على القتال، ولكنّ الشيخين ثبّطا عزم المسلمين بتعظيمهما أمر قريش، بأنّها: لا تؤمن ولا تذلّ ولا تتوانى عن الحرب، وأنّ المسلمين لم يتهيّأوا للحرب، ومعنىٰ ذلك سينهزمون إذا ما حاربوهم.

وأما المقداد فقد تلافى الموقف المثبّط الذي أوجده الشيخان، فقال كلاماً قوّى به عزم المسلمين، ورفع معنوياتهم، وهيأهم للجهاد والحرب مع قريش مهما كانت قوّتهم واستعدادهم. ولذلك فرح النبيﷺ من كلام المقداد ودعا له بالخير.

٣ ـ من وظيفة الخطيب الرسالي ردّ الاتهامات وصدّ الحملات الموجّهة ضدّ الإسلام وأهل البيت عليهم السلام وأشياعهم، ولابدّ قبل ردّ الاتهام التأكّد من وجود

---

(١) سورة الأنفال: ٥ ـ ٨.

(٢) امتاع الأسماع للمقريزي ٧٤، والمغازي للواقدي ١: ٤٨. وأنساب العيون (السيرة الحلبي) ٢: ٣٨٦.

(٣) تاريخ الطبري ٢: ٤٣٤، والسيرة النبوية لابن هشام ٢: ٢٢٧، والسيرة النبوية لابن كثير ٢: ٣٩٢.

التهمة في المصدر الذي يذكره الخصم؛ إذ ربما تكون التهمة نتيجة خطأ مطبعي، وبهذا الصدد إليكم الحادثة التالية:

ورد في بعض كتب ومحاضرات المخالفين اتّهام الشيعة بجواز الصلاة إلىٰ قبر المعصوم مع استدبار القبلة، استناداً إلىٰ ما ورد في كتاب المزار من بحار الأنوار عن كتاب الدروس للشهيد الأوّل في آداب الزيارة، قال: «وسادسها ـ صلاة ركعتين للزيارة عند الفراغ ... ولو استدبر القبلة وصلّىٰ جاز، وإنْ كان غير مستحسن إلّا مع البعد»[١].

وعندما راجعت كتاب البحار الجديد والقديم وجدت العبارة نفسها موجودة هناك، فاستغربت لذلك، مع العلم بأنّ كل مُسلم يجب عليه أن يتوجّه في صلاته إلىٰ الكعبة المشرّفة وهي قبلة المسلمين قال تعالىٰ: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾[٢]، وهذا موضع وفاق بين العلماء وفقهاء الشيعة يؤكّدون علىٰ وجوب اتّجاه المصلّي إلىٰ القبلة، ومع عدم معرفة القبلة واتّساع الوقت يُصلّي إلىٰ الجهات الأربع للاطمئنان بإصابة القبلة في إحداها[٣].

وعلىٰ كلّ حال فإنّني حَدَستُ بوقوع خطأٍ في النقل؛ لذا راجعت كتاب الدروس الشرعيّة في فقه الإماميّة الطبعة الجديدة والقديمة فوجدت العبارة هكذا: «وسادسها صلاة ركعتي الزيارة عند الفراغ ... ولو استدبر القبر وصلّىٰ

---

(١) البحار ١٠٠: ١٣٥، طبعة دار الكتب الإسلامية ـ طهران، وفي بعض طبعات بيروت ٩٧: ١٣٥.

(٢) سورة البقرة: ١٤٤.

(٣) أنظر الرسائل العمليّة المتضمّنة لفتاوىٰ فقهاء الإمامية ـ قسم العبادات ـ باب الصلاة، القبلة.

جاز وإنْ كان غير مستحسن إلّا مع البعد»[١] فكُتِبَتْ خطأً في البحار «ولو استدبر القبلة» بدل «ولو استدبر القبر».

وقوله: «وإنْ كان غير مستحسن إلّا مع البعد» قرينة واضحة علىٰ أنّ المراد: استدبار القبر دون استدبار القبلة.

وإنّما قال الشهيد الأوّل: «ولو استدبر القبر وصلّىٰ جاز، وإنْ كان غير مستحسن إلّا مع البعد» لِمَا ورد في بعض الروايات النهي عن الصلاة أمام قبر المعصوم، وعلّلوه بأنّ فيه إساءة أدَب وهَتك حرمة بالنسبة لصاحب القبر، هذا مع القرب من القبر، وأمّا مع البعد فلا إساءة أدب للمعصوم. وأمّا الصلاة عن يمين القبر وشماله مع استقبال القبلة فلا بأس بها، بل هي موجبة للثواب الجزيل كما ورد في روايات أهل البيت عليهم السلام[٢].

وخلاصة القول: أنّ النبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام هم عبادٌ مخلصون للّه عزّ وجلّ ولكن لا يجوز جعل قبورهم قبلة للصلاة إليهم، بل لابدّ من التوجّه إلىٰ الكعبة المشرّفة، وهذا ما تفعله الشيعة الإمامية عند صلاتها في كلّ مكان. وإنّ العتبات المقدّسة مفتوحة للجميع ويستطيع مَن يحبّ الوقوف علىٰ الحقيقة أن يقصدها ويرىٰ صلاة الزائرين هناك.

٤ ـ ربّما تحيّر المفكّرون الإسلاميّون في توجيه بعض النصوص لمخالفتها للأُصول العلميّة بسبب وقوع الخطأ في نقل النصّ، مثال ذلك: ما يُذكر عن الإمام علي عليه السلام أنّه قال: «لا تقسروا أولادكم علىٰ أخلاقكم فإنّهم مخلوقون لزمانٍ غير زمانكم» فإنّ الكثيرين تحيّروا في توجيه كلمة (أخلاقكم) مع أنّ الأخلاق

---

(١) الدروس الشرعية في فقه الإمامية ٢: ٢٣.

(٢) أنظر وسائل الشيعة ٥: ١٦٠، كتاب الصلاة باب ٢٦ من أبواب مكان المصلّي.

الفاضلة كالأمانة والحياء والعفّة والوفاء وغيرها ثابتة لا تتغيّر، ولكن لدىٰ التحقيق تبيّن أنّ الإمام أمير المؤمنين عليه‌السلام قد قال: «لا تقسروا أولادكم علىٰ آدابكم فإنّهم مخلوقون لزمانٍ غير زمانكم»(١) والآداب تتغيّر في المجتمعات من عصر إلىٰ عصر.

٣ـ توصيات عن مصادر الأخبار

١ ـ من الضروري للخطيب أن يكتب مصادر ومراجع الأخبار والأحاديث والأقوال والأشعار التي يقرأها، ويدوّن أيضاً دار النشر ومكان وسنة الطبع، وذلك لمراجعة المصدر والمرجع إذا اقتضىٰ الأمر، خصوصاً مع تعدّد الطبعات واختلاف الأجزاء والصفحات أحياناً؛ ولأنّ بعض الكُتب عندما يُعاد طبعها يُحذف منها بعض العبارات أو الروايات أو الأشعار، وإليكم بعض النماذج:

أ ـ حدّثني الأخ الخطيب السيّد محمّد حسن الكشميري، أنّه قرأ في سنة ١٤١٥ هـ في إمارة قطر، فتحدّث عن آية الولاية: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾(٢) ونزولها في الإمام علي عليه‌السلام لمّا تصدّق بخاتمه، وقال: إنّ الشيخ الأميني في كتاب (الغدير). أورد أسماء العلماء الّذين ذكروا نزول الآية في أميرالمؤمنين عليه‌السلام وأوصلهم إلىٰ ٦٦ شخصاً، منهم أبو سعد السمعاني في كتابه (فضائل الصحابة).

---

(١) أُنظر شرح النهج لابن أبي الحديد ٢٠: ٤٣١، الحِكم المنسوبة للإمام أمير المؤمنين عليه‌السلام، الرقم ١٠٢.

(٢) سورة المائدة: ٥٥.

قال: وبعد يومين جاءني أستاذ سوداني يُدرّس في جامعة الدوحة وبيده كتاب (فضائل الصحابة) للسمعاني وقال لي: لم أجد في هذا الكتاب ما ذكرتَه بالأمس من نزول آية الولاية في الإمام علي عليه السلام. واتّهم صاحب الغدير بالافتراء علىٰ العلماء، وكان الكتاب الّذي بيده مطبوعاً في مصر سنة ١٣٤٧ هـ.

فقلت له: لا تعجل حتىٰ آتيك بالجواب. ثم أخذتُ أفتّش عن نسخة قديمة لكتاب (فضائل الصحابة)، فعثرتُ علىٰ نسخة حجريّة في مكتبة الشيخ علي آل ثاني حاكم قطر سابقاً ووجدتُ الرواية فصوّرتُ الصفحة وجئتُ بها الىٰ الأُستاذ السوداني، فلمّا قابَلْنا النسخة التي عنده مع النسخة الحجرية وجدنا أنّهم قد أسقطوا ثلاثة اسطر من الكتاب وفيها حديث الولاية.

ب ـ كما حدّثني الأخ الخطيب الشيخ محمّد الفاضلي قائلاً: قرأتُ قبل سنوات في العشرة الأُولىٰ من محرّم في حيدرية طهران، فذكرت تشبيب عبد الرحمن بن حسّان بن ثابت برملة بنت معاوية بن أبي سفيان، وقوله فيها:

رملُ هل تذكرينَ يومَ غزالٍ ... إذ قطعنا مسيرنا بالتمنّي
إذ تقولين: عَمرُك الله هل شيءٌ ... وإنْ جلَّ سوفَ يُسلِيكَ عنّي؟

وقوله:

طال ليلي وبتُّ كالمجنونِ ... ومللتُ الثواءَ في جيرونِ
فلذاك اغتربتُ بالشام حتّىٰ ... ظنّ أهلي مرجّمات الظنون
هي بيضاء مثل لؤلؤة الغوّاص ... مِيزَتْ من جوهرٍ مكنون
ثم خاصرتُها إلىٰ القبّةِ الخضراء ... نمشي في مرمرٍ مسنون
عن يساري إذا دخلتُ إليها ... وإذا ما تركتُها عن يميني

وذكرتُ أنّ عباس محمود العقّاد يذكر هذا الخبر في كتابه (معاوية بن أبي سفيان في الميزان).

قال: فجاءني أحدُ المستمعين بعد يومٍ أو يومين وقال لي: راجعت الكتابَ فلم أجد هذا الخبر. فقلت له: امهلني حتىٰ آتيك بالمصدر. ثم راجعت المصدر الذي نقلتُه عنه فوجدتُه فيه، وتبيّن لنا حذفُهُم هذا الخبر في بعض الطبعات.

ج ـ عُوتب أبو الطيّب المتنبّي[(١)] علىٰ تركه مدح الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، فقال مرتجلاً:

وتركتُ مدحي للوصيِّ تعمّداً ... إذ كان نوراً مستطيلاً شاملا

واذا استطال الشيءُ قام بنفسه ... وصفاتُ ضوءِ الشمس تذهبُ باطلا

إنّ هذين البيتين ذُكرا في بعض طبعات ديوان المتنبّي وحُذفا في بعض الطبعات، فممّن أثبتهما الأُستاذ عبدالرحمن البرقوقي في الطبعة ذات الجزأين[(٢)]: ولكنّه حذفهما في الطبعة ذات الأربعة أجزاء في مجلدين.

كما ذكرهما الشيخ ناصيف اليازجي في شرحه لديوان المتنبي المطبوع في جزء واحد[(٣)]، وحذفهما في شرحه المطبوع في جزأين[(٤)].

---

(١) هو أبو الطيّب أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد الجُعفي الكندي الكوفي. وُلِدَ بالكوفة سنة ٣٠٣ هـ، وقُتل سنة ٣٥٤ هـ بالقرب من النعمانية (بلد بين واسط وبغداد). الكنىٰ والألقاب ٣: ١٢١.

(٢) أُنظر شرح ديوان المتنبي لعبد الرحمن البرقوقي ٢: ٥٤٦.

(٣) أُنظر العَرف الطيّب في شرح ديوان أبي الطيّب: ٦٣٩، مكتبة دار البيان بغداد، المطبعة الأدبية، بيروت، سنة ١٣٠٥ هـ ١٨٨٧ م. قال في شرح البيتين: «المراد بالوصي: وصي الخلافة، وهو علي بن أبي طالب عند فرقة، وتعمداً: حال أي متعمداً. يقول: انما تركت مدحه لأنّ المدح هو التنويه بفضائل الممدوح وهو غنيٌّ عن ذلك، لأنّ فضائله ظاهرة لا تحتاج إلى من ينوّه بذكرها، ثم قال: ويروىٰ: وكذا صفات الشمس تذهب باطلاً.

د ـ مَدَحَ الشريفُ الرضيّ[١] عمرَ بن عبد العزيز علىٰ منعه شَتمَ الإمام علي عليه السلام كما كانت عادة الأُمويين قائلاً:

يابنَ عبد العزيز لو بكتِ العينُ ... فتىً من أُميّةٍ لَبَكَيتُكْ
غيرَ أنّي أقول: إنّك قد طبتَ ... وإنْ لَمْ يَطِبْ ولم يزكُ بيتك
أنتَ نزّهتنا عن السبِّ والشتمِ ... فلو أمكنَ الجزا لَجَزيتُك ...

وأورد ابن أبي الحديد في شرحه لنهج البلاغة[٢] اثني عشر بيتاً، وورد هذا الشعر في ديوان الشريف الرضي في بعض الطبعات ولكنه حُذف في طبعات أُخرىٰ.

٢ ـ يمكن للخطيب أن يستفيد من المحاضرات المسجّلة للأساتذة الخطباء ولكن بشرط عدم التعويل المطلق على ما يرد في المحاضرة، بل يراجع مصادر النصوص والأخبار والروايات والأسماء المذكورة في الخطبة، لأنّ الخطيب ربّما يقرأ مضمون النصّ، أو بعضه، أو يقدّم أو يؤخّر، أو يذكر اسماً مكان اسم، أو حادثة مكان حادثة. كما ينبغي له مراجعة الآيات القرآنية من نفس القرآن الكريم، ولا يعتمد على كتب التفسير أو غيرها لوقوع الخطأ في بعضها، وكذلك نصوص الحديث ونهج البلاغة وما شابه.

---

(٤) أُنظر طبعة دار صادر بيروت.

(١) هو أبو الحسن محمّد بن الحسين بن موسىٰ بن محمّد بن موسىٰ بن إبراهيم بن موسىٰ بن جعفر عليه السلام. وُلِدَ سنة ٣٥٩ هـ ببغداد وتُوفّي السادس من محرّم سنة ٤٠٦ هـ، ودفن بداره في بغداد ثم نُقل إلىٰ مشهد الحسين عليه السلام بكربلاء. الطليعة من شعراء الشيعة ٢: ٢١٩، وأدب الطف ٢: ٢١٦.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ٤: ٢٨٠.

الباب الثالث

أهمّ الطرق المساعدة في التفهيم والتوعية

الفصـل الأوّل: التوضـيح والتبـيين

الفصل الثاني: دراسة و تحليل روايات الأحداث والأحاديث

الفصل الثالث: التنبيه علىٰ مقصود المتكلّم

الفصل الأوّل

التوضيح والتبيين

أوّلاً : التعريف
ثانياً: التقسيم
ثالثاً: التجزيء أو التجزئة
رابعاً: التعميم ثم التخصيص
خامساً: التمثيل والتشبيه
سادساً: ضرب الأمثال
سابعاً: القصص
ثامناً: المقابلة
تاسعاً: المقارنة والمفاضلة والمقايسة
عاشراً: ذكر العلّة والسبب أو الحكمة
حادي عشر: التفصيل بعد الإجمال
ثاني عشر: ذكر حقيقة مقبولة لدىٰ السامع لقياس حقيقة أُخرىٰ عليها

أوّلاً
التـعــريف

للتعريف عدّة أقسام:

١ ـ التعريف اللغوي:

إنّ بيان المعنىٰ اللغوي لمفردات البحث حسبما ذكره علماء اللغة يعرّف المستمع بالمقصود من المفردة، فبعض الكلمات لها عدّة معانٍ، مثل كلمة (عين).

وبعضها من الأضداد، أي تُطلق علىٰ معنىً وعلى ضدّه، مثل كلمة (قُرْء) التي تُطلق على الحيض وعلى الطهر، وكلمة (جون) التي تأتي بمعنىٰ الأبيض والأسود.

وبعض الكلمات لها معنىً لغوي وآخر اصطلاحي بحسب العلم الذي استخدم الكلمة، وربما تكون مَناسَبَةٌ بين المعنىٰ اللغوي والمعنىٰ الاصطلاحي، كما في كلمة الصلاة فإنّ معناها في اللغة الدعاء، قال تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً﴾[1]. أي ما كان دعاؤهم إلّا صفيراً وتصفيقاً. ومنه:

---

(١) سورة الأنفال: ٣٥.

صلاة الميّت أي الدعاء للميّت؛ لأنّه «لا صلاة إلّا بطهور»[١]، وهذه لا طهور فيها، و«لا صلاة إلّا بوضوء» وهذه لا وضوء فيها[٢]، و«لا صلاة إلّا بفاتحة الكتاب»[٣]، وصلاة الميت لا فاتحة فيها. ثمّ أُطلقت كلمة الصلاة في الشريعة الإسلامية علىٰ الفريضة المعروفة لِمَا بينَهما من مناسبة؛ لأنّ الصلاة الشرعيّة فيها دعاء.

وكذلك كلمة (الصوم) معناها اللغوي الإمساك قال الشاعر:

خيلٌ صيامٌ وخيلٌ غيرُ صائمةٍ تحتَ العجاجِ وأُخرىٰ تَعلِكُ اللُّجُما[٤]

أي ممسكة عن الأكل، ومنه قوله تعالىٰ عن مريم عليها السلام: ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْماً فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيّاً﴾[٥]، ثم أُطلِقَتْ علىٰ فريضة الصوم وذلك بمناسبة الإمساك فيها عن الأكل والشُرب والجُماع، وغير ذلك ممّا هو مذكور في كتب الفقه.

والحجّ معناه اللغوي القصد والزيارة، وأُطلقت علىٰ فريضة الحجّ، لأنّ الحجّ فيه زيارة البيت الحرام.

وممّا تجدر الإشارة إليه أنّ بعض الكلمات واضحة المعنىٰ، غنيّة عن التعريف، مفهومة لدى الناس، فلا حاجة إلىٰ التماس تعريف لها، كالإنسان، الشمس، الصدق، الكذب، الأمانة ...

---

(١) مستدرك الوسائل ١: ٢٨٧، كتاب الطهارة، الباب ١ من أبواب الوضوء، الحديث ٢.

(٢) مستدرك الوسائل ١: ٢٩٠، كتاب الطهارة، الباب ٢ من أبواب الوضوء، الحديث ٤.

(٣) مستدرك الوسائل ٤: ١٥٨، كتاب الصلاة، الباب ١ من أبواب القراءة في الصلاة، الحديث ٥.

(٤) مجمع البيان للطبرسي ٢: ٥، تفسير الآية ١٨٣، من سورة البقرة.

(٥) سورة مريم: ٢٦.

وبعض الأشياء يعسر ذكر تعريف محدّد لها، كالوطن، والحرّية، وهي مألوفة لدى الناس، فلا ضرورة لإيراد تعريف لها.

٢ ـ التعريف الاصطلاحي:

لكلّ علمٍ مصطلحات خاصّة به، فمِن مصطلحات علم القرآن: الُمحكَم، المتشابه، التفسير، التأويل، الناسخ والمنسوخ ...

ومن مصطلحات علم أُصول الفقه: سُنّة الرسول، سُنّة أهل البيت، سيرة الصحابي، سيرة المتشرّعة، حجّية خبر الواحد، الإجماع، القياس، دليل العقل، بناء العقلاء، الاستصحاب، البراءة الشرعيّة والبراءة العقلية ...

ومن مصطلحات علم المنطق: الجنس والنوع والفصل، القضيّة الحمليّة والقضيّة الشرطيّة، التصوّر والتصديق، القياس، النِسب الأربعة ...

ومن مصطلحات علم الفقه: قاعدة لا ضرر، قاعدة إصالة الصحّة، قاعدة نفي الحرج، قاعدة اليد، قاعدة الإلزام، قاعدة سُوق المسلمين، قاعدة الفراغ والتجاوز، الواجب العيني، الواجب الكفائي ...

ومن مصطلحات علم الفلسفة: إصالة الوجود، الماهية، واجب الوجود، ممكن الوجود، ممتنع الوجود، العلّة والمعلول، البديهيّات، الجوهر والعَرَض، العلم الحضوري والعلم الحصولي، العلّة الفاعليّة، العلّة المادّية، العلّة الصوريّة والعلّة الغائية ...

وهكذا في سائر العلوم توجد اصطلاحات خاصّة بكلٍّ منها.

فعلىٰ الخطيب إذا أراد الاستفادة من الاصطلاحات العلميّة أن يُعرِّف الاصطلاح الذي يذكره في أثناء خطابته، ويوضّحه ويُبيّن المقصود منه؛ وذلك

لتيسير استيعاب المطلب لدى المستمعين.

٣ ـ التعريف بذكر خواصّ الشخص أو الشيء وصفاته المميّزة له:

يمكن تعريف الشخص أو الشيء بذكر صفاتٍ له أو خواص تميّزه عن غيره كقول الله تعالىٰ في تعريف المؤمنين: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ * ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾[١].

وكقول رسول الله ﷺ في تعريف المسلم: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده»[٢].

وقول الإمام علي عليه السلام في تعريف المتّقين: «المتّقون هم أهل الفضائل، منطقهم الصواب، وملبسهم الاقتصاد، ومشيهم التواضع، غضّوا أبصارهم عمّا حرّم الله عليهم، ووقفوا أسماعهم علىٰ العلم النافع لهم، نزلت أنفسهم منهم في البلاء كالتي نزلت في الرخاء، ولولا الأجل الذي كُتب عليهم لم تستقرَّ أرواحهم في أجسادهم طرفة عين، شوقاً إلىٰ الثواب، وخوفاً من العقاب»[٣].

٤ ـ التعريف بالمثال:

«وهو تعريف الشيء بذكر بعض أفراده ومصاديقه مثالاً له. ومن نوع التعريف بالمثال (الطريقة الاستقرائية) المعروفة في هذا العصر التي يدعو لها علماء التربية؛ لتفهيم الناشئة، وترسيخ القواعد والمعاني

(١) سورة المؤمنون: ١ ـ ٢.

(٢) نهج الفصاحة: ٦٢٥، الحديث ٣٠٨٠.

(٣) نهج البلاغة: الخطبة ١٩٣.

الكلّية في أفكارهم»[١].

ومن أمثلة التعريف بالمثال أن تقول في تعريف المُسكر المائع: كالخمر والعرق والويسكي، والمسكر الجامد كالهيروئين والكوكائين والأفيون، والظالم: كفرعون ونمرود ويزيد، والحكم الإسلامي: كحكومة الرسولﷺ والإمام علي عليه السلام.

٥ ـ التعريف بالتشبيه:

«وهو أن يُشبّه الشيء المقصود تعريفه بشيء آخر لجهة شبهٍ بينهما، على شرط أن يكون المشبَّه به معلوماً عند المستمع، بأنّ له جهة الشبه هذه، ومثاله تشبيه الوجود بالنور، وجهة الشبه بينهما أنّ كُلّاً منهما ظاهرٌ بنفسه مُظهِرٌ لغيره[٢]. وهذا النوع من التعريف ينفع كثيراً في المعقولات الصرفة، عندما يُراد

(١) المنطق للشيخ المظفر: ١١٨.

(٢) إنّ عناصر التشبيه ثلاثة: المشبّه والمشبّه به وجهة الشبه، فإذا اختلّ أحدها بطل التشبيه، ومثاله حديث: «أصحابي كالنجوم بأيّهم اقتديتم اهتديتم»، فأصحابي: مشبّه، والنجوم: مشبّه به، وجهة الشبه: الاهتداء بكل واحدٍ من الصحابة كالاهتداء بكل نجم.

إنّ هذا التشبيه غير صحيح، لأنّنا نعلم بالضرورة أنّ في السماء ملايين النجوم ولا يُهتدىٰ إلّا بعددٍ قليلٍ منها، والباقي مهملة لا يُهتدىٰ بها، فلو كان نصّ الحديث «أصحابي كالنجوم» كان التشبيه صحيحاً، لأنّ بعض النجوم يُهتدىٰ بها وبعضها لا يُهتدىٰ بها، وكذلك الصحابة. ولكنّ هذا خلاف مقصود الواضع لهذا الحديث، لأنّه أراد إضفاء صفة الهداية علىٰ كلّ صحابي وهو غير صحيح وخلاف الواقع بالبداهة.

هذا من الناحية البلاغية والمنطقية.

وأمّا من الناحية الواقعية، فإننا نعلم بالضرورة وبشهادة الكتاب السنّة والتاريخ أنّ في الصحابة مؤمنين أبراراً، وأنّ منهم منافقين أشراراً، وقد صدرت من بعضهم مخالفات للأحكام الإسلامية ممّا استوجب إقامة الحدّ الشرعي عليه. فمع هذا كيف ←

تقريبها إلىٰ المستمع بتشبيهها بالمحسوسات؛ لأنّ المحسوسات إلىٰ الأذهان أقرب، ولتصوّرِها آلف. فمن ذلك تشبيه المتباينَين، بالخطّين المتوازيين؛ لأنّهما لا يلتقيان أبداً»[١].

ومن أمثلة التعريف بالتشبيه: تشبيه العلم بالنّور والحياة، والجهل بالظلام والموت، فنقول: العلم نور وحياة، والجهل موت وظلام. قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام:

لا فضل إلّا لأهل العلم إنَّهُمُ ... على الهدىٰ لِمَنِ استَهدىٰ أدلّاءُ[٢]

وقيمة المرء ماقد كان يحسنه ... والجاهلون لأهل العلم أعداء[٣]

← يُهتدىٰ بهم جميعاً.

ولهذه الأُمور وغيرها أكّد المحقّقون من علماء الحديث كذب هذا الحديث وعدم صحّته، وقد أوصل بعض المحقّقين عدد المصرّحين بكذب هذا الحديث إلىٰ أكثر من ثلاثين من علماء السنّة، منهم: أحمد بن حنبل، وأبو بكر البزّار، والدارقطني، وابن حزم، والبيهقي، وابن عبد البر، وابن عساكر، وابن الجوزي، وأبو حيان الأندلسي، والذهبي، وابن القيّم الجوزية، وابن حجر العسقلاني، والسخاوي، والمتقي الهندي، والمناوي، والشوكاني، والسبكي، ومحمّد ناصر الألباني، وغيرهم. انظر الرسائل العشر في الأحاديث الموضوعة في كتب السنّة، الرسالة الأولىٰ للسيّد علي الميلاني.

(١) المنطق للشيخ المظفر: ١١٩.

(٢) ديوان الإمام علي عليه السلام لقطب الدين الكيدري: ٣٠، وفي ديوان الإمام علي لنعيم زرزور: ٦:

ما الفضل إلّا لأهل العلم إنّهم ... علىٰ الهدىٰ لمن استهدىٰ أدلّاءُ

وفي بعض المصادر كجواهر الأدب ٢: ٤٥١: «ما الفخر إلّا لأهل العلم إنّهم».

(٣) ديوان الإمام علي عليه السلام لقطب الدين الكيدري: ٣٢، وأمّا في ديوان الإمام علي عليه السلام لنعيم زرزور: ٦، وجواهر الأدب ٢: ٤٥١:

وقَدرُ كلّ امرئٍ ما كان يحسنه ... .

فــقُم بــعلمٍ ولا تــبغِ بــه بَـدَلاً فالناسُ موتىٰ وأهلُ العلم أحياء[١]

ومن أمثلة التعريف بالتشبيه، قول رسول الله ﷺ: «أنا مـدينة العـلم وعـليّ بابها، فمن أراد المدينـة فليأتها من بابـها»[٢]. وقوله ﷺ: «أنـا مدينـة الحكـمة وعليٌّ بابها فمن أراد الحكمة فليأت الباب»[٣]. وقوله ﷺ: «أنا دار الحكمة وعليّ بابها»[٤] فشبّه نفسه بـمدينة العـام أو مـدينة أو دار الحكـمة، وشـبّه الإمـام علياً عليه السلام ببابها، فلا يمكن الدخول إلىٰ المدينة أو الدار إلّا من الباب، كذلك لا يمكن الاستفادة من علوم الرسول الأكرم ﷺ إلّا عن طريق الإمام عـلي عليه السلام. والمعلوم أنّ علوم الإمام أمير المؤمنين عليه السلام التـي أخـذها مـن اسـتاذه النـبي الكريم ﷺ نقلها إلى أولاده المعصومين عليهم السلام، لذا كان يقول عليه السلام عن موقعه وموقع بقية أهل البيت عليهم السلام: «نحن الشِّعار والأصحاب، والخَزَنَةُ والأبـواب، ولا تـؤتىٰ البيوت إلّا من أبوابها، فمَن أتاها من غير أبوابها سُمّيَ سارقاً»[٥].

---

(١) ديوان الإمام علي عليه السلام للكيدري: ٣٢، وفي ديوان الإمام علي عليه السلام لنعيم زرزور: ٦:

فـفز بـعلمٍ ولا تـطلب بـه بـدلاً ....

وفي جواهر الأدب ٢: ٤٥١:

ففز بعلمٍ تـعش حـيّاً بـه أبـداً الناس موتىٰ وأهل العلم أحياء

(٢) كنز العمال ٦: ٤٠١.

(٣) كنز العمال ٦: ٤٠١.

(٤) سنن الترمذي ٤: ٤٧٦، باب فضائل عليّ بن أبي طالب، الحديث ٣٧٢٣.

(٥) نهج البلاغة: الخطبة ١٥٤.

ثانياً
التقسـيم

«قسمة الشيء تجزئته وتفريقه إلىٰ أُمور متباينة. وهي من المعاني البديهيّة الغنيّة عن التعريف، وما ذكرناه فإنّما هو تعريف لفظي ليس إلّا، ويُسمّىٰ الشيء (مَقْسَماً)، وكلّ واحد من الأُمور التي انقسم إليها يُسمّىٰ (قِسْماً) تارةً بالقياس إلىٰ المَقْسَم نفسه، و(قسيماً) تارةً أُخرىٰ بالقياس إلىٰ غيره من الأقسام»(١).

«ومن أجل أن نُقسّم الشيء قسمةً صحيحة لابدّ من استيفاء جميع ما له من الأقسام، بمعنىٰ أن تكون القسمة حاصرةً لجميع جزئياته أو أجـزائـه. ولذلك أُسلوبان [أو طريقتان]:

١ ـ طريقة القسمة الثنائيّة:

وهي طريقة التـرديد بين النفي والإثبات، والنفي والإثبات (وهما النقيضان) لا يَرتفعان، أي لا يكون لهما قسم ثالث، ولا يَجتمعان، أي لا يكونان قِسْماً واحداً، فلا محالة تكون هذه القسمة ثنائية، أي ليس لها أكثر مـن قسـمين، وتكون حاصرة جامعة مانعة»(٢).

---

(١) المنطق للشيخ المظفر: ١٢٣.

(٢) المنطق للشيخ المظفر ١: ١٣٠.

ومثاله: ما أورده الشيخ حسن ابن الشهيد الثاني في فضيلة العلم، فقال:
«إنّ المعقولات تنقسم إلىٰ موجودة ومعدومة، وظاهرٌ أنّ الشرف للموجود.
ثمّ الموجود ينقسم إلىٰ جماد ونامٍ، ولا ريب أنّ النامي أشرف.
ثمّ النامي ينقسم إلىٰ حسّاس وغيره، ولا شكّ أنّ الحسّاس أشرف.
ثمّ الحسّاس ينقسم إلىٰ عاقل وغير عاقل، ولا ريب أنّ العاقل أشرف.
ثمّ العاقل ينقسم إلىٰ عالِم وجاهل، ولا شكّ أنّ العالم أشرف.
فالعالِم حينئذ أشرف المعقولات»[1].

٢ ـ طريقة القسمة التفصيليّة:

«وهي تقسيم الشيء ابتداءً إلىٰ جميع أقسامه المحصورة»[2].

مثاله: حديث رسول الله ﷺ: **«الناس رجلان عالم ومتعلّم، ولا خير فيما سواهما»**[3].

مثاله: قول الإمام علي عليه السلام: **«الكلام كُلُّه ثلاثة أشياء: اسم وفعل وحرف»**[4].

وقوله عليه السلام: **«الناس ثلاثة: فعالِمٌ ربّاني، ومتعلّمٌ علىٰ سبيل نجاة، وهمجٌ رعاع**

---

(١) معالم الأُصول: ١٣.

(٢) المنطق للشيخ المظفر ١: ١٣٣.

(٣) نهج الفصاحة: ٦٣٤، الرقم ٣١٤٥.

(٤) قال ابن أبي الحديد في مقدّمة شرح نهج البلاغة عند حديثه عن الفضائل العلميّة للإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «ومن العلوم علم النحو والعربية: وقد علم الناس كافّة أنّه هو الذي ابتدعه وأنشأه وأملىٰ علىٰ أبي الأسود الدؤلي جوامعه وأُصوله، من جملتها: الكلام كلّه ثلاثة أشياء: اسمٌ وفعلٌ وحرفٌ، ومن جملتها تقسيم الكلمة إلىٰ معرفة ونكرة، وتقسيم وجوه الإعراب إلىٰ الرفع والنصب والجرّ والجزم، وهذا يكاد يُلحق بالمعجزات؛ لأنّ القوّة البشرية لا تفي بهذا الحصر، ولا تنهض بهذا الاستنباط». شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١: ٢٤.

أتباع كلّ ناعق، يميلون مع كلّ ريح، لم يَستضيئوا بنور العلم، ولم يَلجأوا إلىٰ رُكنٍ وثيق»[١].

وقوله عليه السلام: «الرزق رزقان: رزق تطلبه ورزق يطلبك فإن لم تأته أتـاك»[٢].

وقوله عليه السلام: «العلم علمان: مطبوع ومسموع، ولا يـنفع المسـموع إذا لم يكـن المطبوع»[٣].

وقال عليه السلام في عهده الشريف لمالك الأشتر عندما ولّاه علىٰ مصر: «وأشـعر قلبك الرحمة للرعية، والمحبة لهم، واللطف بهم، ولا تكونَنّ عليهم سـبعاً ضـاريا تغتنم أكلهم، فإنّهم صنفان: إمّا أخو لك في الدين، أو نظير لك في الخلق»[٤].

وفائدة التقسيم أو القسمة تمييز المعاني والأنواع عن بعضها، فتحصل مـن ذلك مجموعة من المعاني والمفاهيم كما أنّها تساعد الخطيب علىٰ التوسّع في البحث، وإيصال المعاني والمفاهيم المختلفة إلىٰ الجمهور.

---

(١) نهج البلاغة: الحكمة ١٤٧.

(٢) نهج البلاغة: الحكمة ٣٧٩.

(٣) نهج البلاغة ـ الحكمة ٣٣٨.

(٤) نهج البلاغة ـ الكتاب ٥٣.

ثالثاً
التَجزِيء أو التَجزِئة

المراد بالتجزئة أو التجزيء هو ذكر أمثلة لأجزاء متعدّدة من مفهوم كلّي، ثم استخلاص النتيجة أي المفهوم الكلّـي أو الاكتفاء بفهم المستمع له، كقول الإمام علي عليه السلام في التأكيد علىٰ حتمية الموت والفناء للإنسان مهما كان قويّاً وعظيماً: «وإنّ لكم في القرون السالفة لعبرة، أين العمالقة وأبناء العمالقة، أين الفراعنة وأبناء الفراعنة، أين أصحاب مدائن الرَّس، الذين قَتلُوا النَبيّين وأطفأوا سُنن المرسَلين، وأحيَوا سُنن الجبّارين؟»[1].

فالمفهوم الكلّي من ذكر هؤلاء أنّهم جميعاً كُتب عليهم الفناء والموت، فإذاً أنتم أيضاً تموتون.

ومثلاً نقول: «مات زيد، ومات عمرو، ومات خالد... إذاً كلّ إنسان يموت».

(١) نهج البلاغة: الخطبة ١٨٢.

رابعاً
التعميم ثم التخصيص

أي أن يبدأ الخطيب بذكر العامّ ثم يخصّ بعض المصاديق أو الأجزاء بالتأكيد، كقوله تعالىٰ: ﴿حَافِظُوا عَلَىٰ ٱلصَّلَوَاتِ وَٱلصَّلَاةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾(١)، فإنّ الصلاة الوسطى من جملة الصلوات ولكنّه خصّها بالذكر للتأكيد عليها.

وكقول النبي الكريمﷺ: «لا تزول قدم عبدٍ يومَ القيامة حتّىٰ يُسأل عن أربعة: عن عُمره فيما أفناه، وعن شبابه فيما أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه، وعن حبّنا أهل البيت»(٢). فمع أنّ دور الشباب من جملة العُمر فقد خصّه بالذكر لأهمّيته.

وكقولهﷺ: «إنّ كلّ ربا موضوع، ﴿فَلَكُمْ رُؤُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾(٣)، قضىٰ الله أنه لاربا، وإنّ ربا العباس بن عبد المطلب موضوعٌ كُلّه،

---

(١) سورة البقرة: ٢٣٨.

(٢) مناقب آل أبي طالب ٢: ١٧٥.

(٣) إشارة إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُؤْمِنِينَ * فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُؤُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾. سورة البقرة: ٢٧٨ ـ ٢٧٩.

وإنّ كلّ دم كان في الجاهليّة موضوع، وإنّ أوّل دم أضع دم [عامر] بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب ـ وكان مسترضعاً في بني ليث فقتله بنو هذيل ـ فهو أوّل ما أبدأ به من دماء الجاهليّة»(١).

وفائدة ذكر الخاصّ بعد العام: إمّا للتنبيه علىٰ مزيّة وفضل في الخاصّ حتّىٰ كأنّه لفضله ورفعته جزءٌ آخرُ مغايرٌ لِمَا قبله؛ ولهذا خصّ الصلاةَ الوسطى بالذكر لزيادة فضلها، وخصّ دَورَ الشباب لأهميته؛ وإمّا للتأكيد علىٰ إجراء الحكم العام بدون استثناء حتىٰ ربا العباس، وحتىٰ دم عامر بن ربيعة، مع أنّهما قريبان من رسول الله ﷺ.

(١) تاريخ الطبري ٣: ١٥٠.

خامساً

التمثيل والتشبيه

لتقريب الحقائق إلىٰ الأذهان خصوصاً المعنويّة منها، بمقدور الخطيب أن يستعمل طريقة التمثيل والتشبيه وذلك بتمثيل وتشبيه مقصوده بشيء محسوس ومقبول لدى المستمعين. وهذا ما استعمله القرآن الكريم والنّبي الحبيب وأهل بيته الأطهار والحكماء.

أمّا القرآن الكريم: فلمّا أراد أن يشجّع الناس على الإنفاق في سبيل الله، وأراد أن يُبيّن لهم ما في هذا الإنفاق من بركة ونماء، مثّل وشبّه لهم ذلك بحبّة الحنطة الّتي يزرعها الفلّاح فتنبت سبع سنابل، وكلّ سنبلة تحتوي علىٰ مئة حبّة أو أكثر. أي أنّ الحبّة الواحدة تضاعفت إلىٰ ٧٠٠ حبّة. قال تعالىٰ: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَٱللهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَٱللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾(١).

ولمّا أراد سبحانه أن يُبيّن ضَعف اعتماد المشركين علىٰ أصنامهم، مثّلهم باعتماد العنكبوت علىٰ بيتها الواهي فقال تعالىٰ: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ

---

(١) سورة البقرة: ٢٦١.

ٱللهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ ٱلعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتاً وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾(١).

وأمّا الرسول الشفيق ﷺ: فعندما أراد أن يُبيّن للناس موقع أهل بيته من الدين والهداية إلىٰ الحقّ، شبّههم بسفينة نوح التي انحصرت النجاة فيها يومئذٍ، فقال ﷺ: «مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح، من ركبها نجا ومن تخلّف عنها غرق»(٢).

وأما أهل البيت عليهم السلام فقد مثّل أمير المؤمنين عليه السلام آل محمد عليهم السلام بنجوم السماء فقال: «ألا إنّ مَثَل آل محمد عليهم السلام كمثل نجوم السماء: إذا خوىٰ نجمٌ طلع نجم»(٣) ومعنىٰ ذلك أنّ الدنيا لا تخلو من حجّةٍ لله تعالىٰ.

وقال عليه السلام عن نفسه وموقعيته في هداية الناس إلىٰ الحق: «إنّما مثلي بينكم كمثل السراج في الظلمة، يستضيء به مَن ولجها، فاسمعوا أيها الناس وعوا، وأحضِروا آذان قلوبكم تفهموا (تفقهوا)»(٤).

وأمّا الحكماء فقد وعظ لقمان الحكيم ولده قائلاً: «يا بُنيَّ، إنّ الدنيا بحرٌ عميقٌ قد هلك فيها عالم كثير، فاجعل سفينتك فيها الإيمان، واجعل شراعها التوكّل، واجعل زادك فيها تقوىٰ الله، فإنْ نجوتَ فبرحمة الله، وإن هلكتَ فبذنوبك»(٥).

---

(١) سورة العنكبوت: ٤١.

(٢) المستدرك علىٰ الصحيحين ٣: ٨١، ح ٣٣٦٥.

(٣) نهج البلاغة ـ الخطبة ١٠٠.

(٤) نهج البلاغة ـ الخطبة ١٨٧.

(٥) النور المبين للسيّد نعمة الله الجزائري: ٣٦٨ ـ ٣٦٩، والميزان في تفسير القرآن ١٦: ٢٢٩.

سادساً
ضـرب الأمثـال

من الأساليب البلاغيّة للتوعية والتفهيم وتقريب المقصود إلىٰ الذهن أُسلوب ضرب الأمثال. فإنّ المتحدِّث يُعيّن شخصاً أو شيئاً حقيقياً أو فرضياً فيضرب المثل به، فالباري عزّ وجلّ لمّا أراد أن يُحَذِّرَ الناس من كفران النعمة، ضرب لهم مثلاً بقرية كانت تعيش في رغد وأمان، ثمّ كفرت بأنعم الله تعالىٰ فسلبهم نعمتهم، وهكذا تكون عاقبة مَن يَكفر بنِعَم الله تعالىٰ، قال عزّ وجلّ: ﴿وَضَرَبَ ٱللهُ مَثَلاً قَرْيَةً كانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيها رِزْقُها رغَدَاً مِن كُلِ مَكانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللهِ فَأَذاقَها ٱللهُ لِباسَ ٱلجُوعِ وَٱلخَوْفِ بِما كانُوا يَصْنَعُونَ﴾[1].

ولمّا أراد الإمام علي عليه السلام أن يُبيّن للناس حتميّة الموت لكلّ إنسان وعدم استطاعة أحد التخلّص منه مهما كان عظيماً وقديراً وقويّاً، ضربَ المثلَ بنبيّ الله سليمان بن داود عليه السلام فقال: «أوصيكم عباد الله بتقوىٰ الله الذي ألبسكم الرياش، وأسبغ عليكم المعاش، فلو أنّ أحداً يجد إلىٰ البقاء سُلّما، أو لدفع الموت سبيلاً لكان ذلك سليمان بن داود عليه السلام الذي سُخّر له مُلك الجنّ والإنس، مع النبوّة وعظيم الزلفة.

---

(١) سورة النحل: ١١٢.

فلمّا استوفىٰ طُعمته واستكمل مدّته، رمته قِسيّ الفناء بنبال الموت، وأصبحت الديار منه خالية والمساكن معطّلة، وورثها قوم آخرون»[١].

وعندما أراد سبحانه وتعالىٰ أن يُبيّن تأثير الإيمان والكفر سلباً وإيجاباً في تقرير مصير الإنسان يوم القيامة، وعدم تأثّره بالعلاقات العائلية والاجتماعية ضرب لهم مثلين، قال تعالىٰ:

﴿ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً للذّينَ كَفَرُوا امْرَأَةَ نُوحٍ وَامرأَةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيا عَنْهُمَا مِنَ اللهِ شَيْئاً وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخلينَ * وَضَرَبَ اللهُ مَثَلاً للذّينَ آمَنُوا امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتاً فِي الجَنَّةِ وَنَجِّنِي من فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ القَوْمِ الظالِمِينَ﴾[٢].

فاقتران زوجتي نوح ولوط عليهما السلام بنبيّين كريمين لم يصنهما من دخول النار يوم القيامة نظراً لكفرهما وخيانتهما.

واقتران آسية بنت مزاحم بالطاغية فرعون لم يمنعها من دخول الجنّة وذلك جزاءً لإيمانها ومواقفها الكريمة.

بل إنّ الارتباط النسبي والسببي بالأنبياء والأولياء يستوجب مضاعفةً العقاب للعاصين، ومضاعفة الثواب للمطيعين وذلك لقدسية وحرمة هذا الارتباط. وعلىٰ هذا الأساس يُخاطب سبحانه زوجات نبينا الحبيب بقوله:

﴿يا نِسَاءَ النَّبِيّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبيّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا العَذابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَىٰ اللهِ يَسِيراً * وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ للهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحاً نُّؤتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقاً كَرِيماً﴾[٣].

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة ١٨٢.

(٢) التحريم: ١٠ ـ ١١.

(٣) الأحزاب: ٣٠ ـ ٣١.

سابعاً
القصــص

«إنّ القصّة [والحكاية] من أروع ما يُعينُ علىٰ الإقناع، ويقرّب الغرض إلىٰ الأذهان، [ويوضّح المعنىٰ المطلوب]. وأصبحت القصّة في العصور الأخيرة أدباً وفنّاً قائماً برأسه، يستعين بها دعاة الأفكار الحديثة؛ لتلقين العامّة وإقناعهم وإن كانت من صنع الخيال. والسرّ أنّ في طبيعة الإنسان شهوة الاستماع إلىٰ القصّة فيلتذ بها؛ وذلك لإشباع غريزة حبّ الاطلاع، أو لغير ذلك من غرائزه، وقد يعتبرها شاهداً ودليلاً باعتبارها تجربة ناجحة»[1].

قد يذكر الخطيب المعنى الذي يقصده مصوّراً في قصّة حقيقيّة أو فرضيّة؛ وذلك لتوضيح المعنى المراد تقريبه إلىٰ أذهان المستمعين وإقناعهم. فمن القصص الفرضيّة: والخياليّة قصص (كليلة ودمنة) التي وُضِعت علىٰ لسان الحيوانات. ومن القصص الحقيقيّة قصص الأنبياء. قال تعالىٰ: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾[2].

---

(١) المنطق للشيخ المظفر: ٤٤٧.

(٢) سورة يوسف: ١١١.

ومن القصص الوعظيّة ما ورد: بأنّ الإسكندر دخل مدينةً فتحها، فسأل عمّن بقي من أولاد الملوك بها، فقيل: رجل يسكن المقابر، فدعا به، فقال: له ما دعاك إلىٰ لزوم هذه المقابر؟ فقال: أحببت أن أميّز بين عظام الملوك وعظام عبيدهم، فوجدتها سواء[١]. وإلىٰ هذا المعنىٰ أشار ايليا أبو ماضي بقوله:

انظري كيف تساوى الكلُّ في هذا المكانْ
وتلاشىٰ في بقايا العبدِ ربُّ الصولجان
والتَقيْ العاشق والقالي فما يفترقان[٢]

والجدير بالذكر أنّ كثيراً من الأخبار التاريخيّة والدينيّة الصحيحة يستطيع الخطيب أن يوردها بصورة قصص وحكايات واقعيّة مستعيناً بها في التوضيح والإقناع. وفي الآونة الأخيرة أُلّفت من الأخبار بعض الكتب القصصيّة منها:

(قصص الأبرار) للشهيد المطهّري.

(قصص الأبرار) من بحار الأنوار للسيّد مرتضىٰ الميلاني.

(القصص النافعة) للباحث.

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١ : ٣٢٧.

(٢) الجداول لايليا ابو ماضي : ١٠.

ثامناً
المقابلــة

من الأساليب التوضيحيّة والإقناعيّة أن يَذكر الخطيب الشيء أو الشخص، ثم يذكر ما يقابله (أي ضدّه)، حتىٰ يَتبيّن الحَسن من القبيح، والخير من الشـر، والحق من الباطل، فالأشياء تُعرف بنظائرها، وتتميز بـأضدادهـا. قـال أمـير المؤمنين عليه السلام: «واعلموا أنّكم لن تعرفوا الرشدَ حـتّىٰ تـعرفوا الذي تَـرَكـه، ولن تأخذوا بميثاق الكتاب حتىٰ تعرفوا الذي نَقَضه، ولن تُمسكوا به حتّىٰ تعرفوا الذي نَبَذه»[1].

فمثلاً عندما يَذكر العدلَ وحُسنه يَذكر مقابله: الجورَ وقُبحَه، وعندما يَذكر فوائد ومحاسن الصدق والأمانة والوفاء يذكر مقابله: أضرار ومساوئ الكذب والخيانة والغدر، وعندما يريد أن يُدافع عن أحد أو يحمده يذكر محاسنه ثم يذكر مقابله: مساوئ أعدائه، كما فعل أبو فراس الحمدانـي[2] فـي قـصيدته

(١) نهج البلاغة: الخطبة ١٤٧.

(٢) هو الأمير أبو فراس الحارث بن سعيد الحمداني العدوي التغلبي، وُلِدَ بمنبج سـنة ٣٢٠ هـ وقُتل يوم الأربعاء لثمان خلون من ربيع الآخر في حربٍ كانت بينه وبين غلام سيف الدولة سنة ٣٥٧ هـ. أدب الطف ٢: ٦٣.

الشافية، حيث أجرىٰ مقابلة بين أفعال العلويين وأفعال العباسيين، فقال مخاطباً العباسيين:

يا باعةَ الخَمرِ كُفّوا عن مَفاخِرِكُم ... لِمعشرٍ بَيعُهُم يومَ الهياجِ دمُ
خَلُّوا الفَخارَ لِعَلّامينَ إنْ سُئِلُوا ... يومَ السؤالِ وعمّالِينَ إنْ عَلِمُوا
لا يَغضبون لغيرِ اللهِ إنْ غَضِبوا ... ولا يُضيعونَ حُكمَ اللهِ إن حكموا
تُنْشىٰ التلاوةُ في أبياتهم أبداً ... وفي بيوتكم الأوتارُ والنغم[1]
إذا تلوا سورة غنّىٰ إمامكُمُ ... قِفْ بالديارِ التي لَمْ يَعفِها القِدَمُ
منكم عُليّةُ أَمْ منهم وكان لكم ... شيخُ المغنّين إبراهيمُ أَمْ لهُمُ
ما في ديارِهِمُ للخمرِ مُعتَصَر ... ولا بيوتهُمُ للسوءِ معتصم
ولا تبيتُ لهم خُنثىٰ تُنادمهُم ... ولا يُرىٰ لَهُمُ قِرْدٌ له حَشَمُ
الحِجرُ والبيتُ والأستارُ منزلهُم ... وزمزمٌ والصفا والركنُ والحرمُ[2]

ومن أروع المقابلات ما نظمه ابن الصيفي[3] علىٰ لسان بعض الهاشميين مخاطباً الأمويين:

---

(١) وفي بعض المصادر بدل «أبداً»: سَحَراً.

(٢) ديوان أبي فراس الحمداني: ٢٥٩، وشرح الشافية: ٥١ ـ ٥٢.

(٣) هو أبو الفوارس سعد بن محمّد بن سعد بن الصيفي التميمي الملقّب شهاب الدين، المعروف بـ (حَيْص بَيْص) الشاعر المشهور. كان فقيهاً شافعيّ المذهب...، وإنّما قيل له (حيص بيص) لأنّه رأىٰ الناس يوماً في حركة مزعجة وأمرٍ شديد فقال: ما للناس في حيص بيص، فبقي عليه هذا اللقب، ومعنىٰ هاتين الكلمتين: الشدّة والاختلاط، تقول العرب: وقع الناس في حيص بيص، أي في شدّة واختلاط.
وكانت وفاته ليلة الأربعاء سادس شعبان سنة أربع وسبعين وخمسمائة ببغداد، ودُفن من الغد بالجانب الغربي من مقابر قريش، رحمه الله تعالىٰ. وفيات الأعيان ٢: ٣٦٢ و ٣٦٥، الرقم ٢٥٨.

مَلَكْنا فكـان العـفُو مِـنّا سـجيّةً فلمّا مَلَكْتمْ سالَ بالدَّمِ أبـطحُ(١)
وحلّلتُمُ قَـتْلَ الأُسـارىٰ وطـالَما غدونا عن الأسرىٰ نعفُّ ونـصفحُ
فــحسبكُمُ هـذا التـفاوتُ بـيننا وكلُّ إناءٍ بـالذي فـيه يَـنضحُ(٢)

(١) وفي بعض المصادر: ولمّا ملكتم.
(٢) قـال ابـن خـلّكان فـي وفـيات الأعـيان ٢: ٣٦٤. «قـال الشـيخ نـصر الله بـن مـجلي مشارف الصناعة بـالمخزن، وكـانَ مـن ثـقات أهـل السـنّة: رأيت فـي المـنام عـلي بـن أبي طالب (رضي الله عنه)، فقلت له: يا أمير المؤمنين، تفتحون مكّـة فـتقولون مَـنْ دخـل دار أبي سفيان فهو آمن، ثـم يـتمُّ عـلىٰ ولدك الحسـين يـوم الطَّـفِّ مـا تَـمَّ؟ فـقال: أمـا سمعت أبيات ابن الصيفي في هذا؟ فقلت: لا، فقال: اسْمَعْها منه، ثـم اسـتيقظت فـبادرت إلىٰ دار حيص بيص، فخرج إليَّ، فذكرتُ له الرؤيا فشهق وأجهش بـالبكاء، وحـلف بـالله إنْ كانت خَرَجَتْ مِن فَمي أو خَطّي إلىٰ أحد، وإنْ كـنتُ نـظمتُها إلّا فـي ليـلتي هـذه، ثـم أنشدني:

مَــلَكْنا فكـان العـفُو مِـنّا سجيّةً فلمّا مَلَـكْتمْ سالَ بالدَّمِ أبـطحُ...»

وقد شطّر هذه الأبيات الشيخ عبد الحسين الحلّي المتوفّىٰ سنة ١٣٧٥ هـ قائلاً:

مــلكنا فكـان العـفوُ مـنّا سـجيَّةً بــيوم بــه بــطحاءُ مكّــةَ تُـفتحُ
فسالت بفيضِ العفو منّا بِـطاحُكُم ولمّـا مـلكتم سـال بـالدم أبـطح
وحــلّلتُمُ قـتل الأسـارىٰ وطـالما فَكَكْـنا أسيراً مـنكُمُ كـادَ يُـذبح
وفي يومِ بدرٍ مُذ أَسَـرْنا رجـالَكُم غدونا عن الأسرىٰ نـعفُّ ونَـصفح
فــحسبكمُ هــذا التــفاوتُ بَـينَنا فأيُّ قــبيلٍ فــيه أربــىٰ وأربَـحُ
ولا غـروَ إذ كـنّا صَـفَحْنا وُجـزتُمُ فكــلُّ إنــاءٍ بـالذي فـيه يـنضح

أدب الطف ٣: ٢٩٨.

كما خمّسها السيد محمّد ابن السيد صادق الفحّام النجفي قائلاً:

نَعَمْ جدُّنا المختارُ ليسَ أُميةً وجدّتُنا الزهراءُ ليسَتْ سُـميّةً
ونحنُ ولاةُ الأمرِ لَسْنا رَعِيّةً مَلكنا فكان العفو منّا سجيّة
ولمّا ملكتم سال بالدم أبطح
أمَا نحنُ يا أهلَ الضلالةِ والعَمَىٰ عَفَونا بيوم الفتح عنكم تَكرُّما
عَلامَ أبَحتُم بالطفوف لنـا دَمـا وحلّلتُم قتل الأسارىٰ وطـالما

←

وإذا كان المقصود الترغيب في العمل الصالح فمن المُستحسن أن يَذكر نتيجة ذلك العمل وعاقبته، ثم يَذكر ما يقابله، كما قال تعالىٰ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ * وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ * وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ﴾(١).

وقوله سبحانه: ﴿فَمَنْ يَعمَل مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ﴾(٢). وقوله عز مَن قائل: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا﴾(٣).

← غَدونا عن الأسرىٰ نَعفُّ ونصفحُ

ونحنُ أُناسٌ لَمْ يَكُ الغدرُ شأنَنا ... ولا الأخذُ بالثأرِ الذي كان دَيْننا

ولكنّما نعفو ونكظِمُ غَيظَنا ... فحسبكُمُ هذا التفاوتُ بينَنا

وكلُّ إناءٍ بالذي فيه ينضح

أعيان الشيعة ٩: ٣٦٨، القطع الكبير.

(١) سورة الليل: ٥ ـ ١٠.

لمزيد من الاطلاع أُنظر أقسام التقابل في المنطق لأُستاذنا المظفر، والقواعد البلاغية للدكتور محمود البستاني.

(٢) سورة الزلزلة: ٧ ـ ٨.

(٣) سورة فصّلت: ٤٦.

أُنظر بحثاً نافعاً عن المقابلة في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢: ١٠٣، وفي معاهد التنصيص ٢: ٢٠٧.

تاسعاً
المقارنة والمفاضلة والمقايسة

إذا أراد الخطيب أن يُعرّف المستمعين فضل شخصٍ علىٰ شخص أو شيء علىٰ شيء، ففي هذه الحالة يستطيع أن يُجري مقارنة أو مفاضلة أو مقايسة.

١ ـ المقارنة:

هي إجراء موازنة بين شيئين أو شخصين، أو بين أشياء أو أشخاص.

جاء في المعجم الوسيط: «قارَنَ الشيءَ بالشيء: وازنه به، وقارَنَ بين الشيئين أو الأشياء: وازن بينها، ويقال الأدب المقارَن أو التشريع المقارَن، وهي مُحْدَثة»[١].

وورد في المعجم الفلسفي: «المقارنة: عمليّة ذهنيّة تقوم علىٰ ربط موضوع بآخر برابط واحد؛ لاستخلاص أوجه الشبه والاختلاف بينهما، وقد يشمل هذا الربط موضوعين أو أكثر»[٢].

---

(١) المعجم الوسيط: (قَرَنَ).

(٢) المعجم الفلسفي: (المقارنة).

وفي عصرنا الحاضر أصبح عمل المقارنة من الأساليب المتّبعة لمعرفة الأفضل من الأشياء والأشخاص والعلوم والفنون. فمثلاً لمعرفة فضل الإسلام علىٰ الناس، يقارنون بين حالة الناس قبل ظهور الإسلام وبعده. قال تعالىٰ: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا﴾[(١)]. وقال سبحانه: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُون﴾[(٢)].

وكثير من خطب الرسول صلى الله عليه وآله والإمام علي عليه السلام والزهراء عليها السلام والأئمة الطاهرين عليهم السلام استُعملت فيها المقارنة. وفي العصر الحديث أُلّفت كتب كثيرة علىٰ هذا المنوال، كالأدب المقارن والفقه المقارن وأُصول الفقه المقارن والتشريع المقارن ...

٢ ـ المفاضلة:

وهي أيضاً إجراء موازنة بين شيئين أو شخصين أو أشياء أو أشخاص ليحكم بفضل أحدهما علىٰ الآخر. ولابدّ من أن يكون بينهما فضل، وبالمفاضلة يثبت الأفضل منهما. أمّا إذا كان لأحدهما فضل، والآخر لا فضل له، فلا معنىً للمفاضلة، فلا يفاضل مثلاً بين أبي ذر وأبي جهل، ولا بين العالم والجاهل، ولا بين المسلم والكافر. وكذلك إذا كان الفضل بيّناً واضحاً جداً فلا مجال للمفاضلة، قال الشاعر:

---

(١) سورة آل عمران: ١٠٣.

(٢) سورة الانفال: ٢٦.

أَلَمْ تَرَ أنّ السيفَ يُزرىٰ بحدّه ... إذا قيلَ إنّ السيفَ أمضىٰ من العصا(١)

فالمفاضلة بين السيف والعصا من حيث قوّة القطع والشدّة لا معنىً لها؛ لأنّ السيف أمضىٰ وأشدّ من العصا، وهذا أمر بيّن للجميع.

نعم يمكن إجراء مفاضلة بين السيف والعصا بالنظر لفوائد كلٍّ منهما، كما أجرىٰ بعضهم مفاضلة بين السيف والقلم، ففضّل بعضهُم القلم علىٰ السيف قائلاً:

هَذِّبْ يَراعكَ وانْصُرْ دولةَ القلَمِ ... واحمِلْ عَلَىٰ الدهر في جيشٍ مِن الكَلِمِ
السيفُ يُثلَمُ إنْ طال القِراعُ بهِ ... وفي اليراعةِ سيفٌ غيرُ مُنثَلِمِ
لم يُقسِم الربُّ في الذكرِ المُبينِ بهِ ... وإنّما شرّف الأقلامَ بالقَسَمِ
لا يصلح السيف إلّا للقراعِ وذا ... للعلم للفضل للآداب للنعمِ
إن أصبحت أُمّة بالسيف بائدة ... إنّ اليراعةَ تُحيي سالفَ الأُممِ
ما علّم الله إنساناً بصارمه ... وإنّما علّم الإنسان بالقلم
تستغمدُ الصارم المسلول نبعته ... طوعاً بجري مدادٍ لا بجري دم
إن أصبح السيف يروي عن يدٍ خَبَراً ... فذو اليراعة يروي عن يدٍ وفمِ
كم نغمة لك في الأقلام قائلةٌ ... إنّ الحُسام المُحَلّىٰ آية النقمِ
إنْ كان للسيف حكم في الوغىٰ فلها ... في السلم رائعة الأحكام والحِكَمِ

---

(١) ذكر عبد الله الحسن في كتابه مناظرات في الإمامة: ٣٤٦، هذا الشعر للشيخ إبراهيم ابن الشيخ سليمان البحراني القطيفي من أبيات أوّلها:

يقولون لي فَضِّلْ عَلَيّاً عليهِمُ ... فلستُ أقولُ التبرُ أعلىٰ من الحصا
إذا أنا فضّلتُ الإمامَ عليهِمُ ... أكن للذي فضّلتهُ متنقّصا

إنّ اليـــراع ليســـعى طـوع أنـملنا (سعياً علىٰ الرأس لا سعياً علىٰ القـدم)[(١)]

وقال أبو الفتح البُستي[(٢)]:

إذا أقسَمَ الأبـطالُ يـوماً بسيفهم ... وعدّوهُ ممّا يجلبُ المـجدَ والكَـرمْ

كفىٰ قـلمُ الكـتّاب فـخراً ورفـعةً ... مَدىٰ الدهرِ أنّ اللهَ أقسَمَ بـالقلم[(٣)]

يشير إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾[(٤)] أي يكتبون.

وقال ابن الرومي:

إنْ يَخدِمِ القـلمَ السـيفُ الذي خـضَعَتْ ... لَــهُ الرقــابُ ودانَتْ خَــوفَهُ الأُمَــمُ

فــالموتُ والمــوتُ لا شــيءٌ يـغالِبُه ... مــازال يَــتبعُ مــا يَــجري بـه القـلمُ

كــذا قــضى الله للأقــلامِ مُـذ بـرِيَتْ ... أنّ السيوفَ لهـا مُـذْ أُرهـفَت خـدمُ[(٥)]

وفضّل آخرون السيف علىٰ القلم فـقال أبــو الطـيّب المـتنبّي فـي بـعض

---

(١) شعراء الغري ٧: ٥٤. والقصيدة للشيخ علي الشرقي وهو الشيخ علي ابـن الشـيخ جـعفر ابن محمّد حسن بن أحمد بن موسىٰ بن حسـن بـن راشـد بـن نـعمة بـن حسـين الشـهير بالشرقي. وُلِدَ في النجف عام ١٣٠٩ هـ، وتُوفّي سنة ١٣٨٤ هـ كما في معجم رجال الفكر والأدب في النجف خلال ألف عام ٢: ٧٤١، وشعراء الغري ٧: ٣.

(٢) هو أبو الفتح علي بن محمّد الشاعر الكاتب الأديب صـاحب القـصيدة النـونيّة المشـتملة علىٰ الحكم والمواعظ، أوردها الدميري في حياة الحيوان في (ثعبان) منها قوله:

زيــادة المــرءِ فـي دنـياه نـقصانُ ... وربحه غـير مـحض الخـير خسـرانُ

يا خادم الجسم كـم تسـعىٰ لخـدمته ... أتـطلب الربـح مـمّا فـيه خسـران

أقبل علىٰ النفس واستكمل فـضائلها ... فأنت بـالنفس لا بـالجسم إنسـان...

وذكرها السيد أحمد الهاشمي في جواهر الأدب ٢: ٤٣٠.

توفّي البُستي ببخارىٰ سنة ٤٠٠ هـ. والبُستي نسبة إلىٰ بُست كقُفل مدينة من بلاد كابل بـين سجستان وغزنين وهراة كثيرة الأشجار والأنهار. الكُنىٰ والألقاب ٢: ٧٤.

(٣) جواهر الأدب ٢: ٣٢٧.

(٤) سورة القلم: ١.

(٥) ديوان ابن الرومي ٣: ٢٨٤، وجواهر الأدب ٢: ٣٢٦.

قصائده الحماسيّة:

حتّىٰ رجعتُ وأقلامي قوائـلُ لي ... المجدُ للسيف ليس المجدُ للقلمِ
أُكتُبْ بنا أبـداً بـعد الكـتابِ بـهِ ... فـإنّما نـحن للأسـياف كـالخدمِ
مَن اقتضىٰ بسوى الهنديّ حاجتهُ ... أجابَ كلَّ سؤالٍ عن هَلٍ بِـلَمِ[1]

وقال البُحتري[2] في هيبة السيف:

تَـعنُو له وزراءُ المـلكِ خـاضعةً ... وعادةُ السيفِ أنْ يَستَخْدِمَ القَلَما[3]

والخلاصة: أنّ بعضهم يعتبر السيف أفضل من القـلم، وبـعضهم بـالعكس. والحقّ أنّ كلّ واحد منهما نافع في الوقت المناسب؛ ولذلك أمر الإسلام بالتعلّم والتفقّه من جهة، كما أمر بالاستعداد للجهاد والدفاع عن الإسلام، فقال تعالىٰ: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مااَسْتَطَعْتُمْ مَـنْ قُـوَّةٍ وَمِـنْ رِبـاطِ اَلْخَـيْلِ تُـرْهِبُونَ بِـهِ عَـدُوَّ اَللهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾[4]. ونَصَرَ اللهُ الإسلامَ بالقرآن الكريم، وسيوف المسلمين ومواقفهم الكريمة، خصوصاً مواقف الإمام أمير المؤمنين عليه‌السلام.

هذه مفاضلة كانت بين السيف والقلم.

وهناك مفاضلات بين العلم والمال، فبعضهم يقدّم هذا، وبعضهم يُقدِّم ذاك: قال الإمام علي عليه‌السلام في حديث له مع تلميذه كُميل بن زياد مفضِّلاً العلم علىٰ المال:

---

(١) ديوان أبي الطيّب المتنبّي، شرح أبي البقاء العكبري ٤: ١٥٩.

(٢) هو أبو عبادة الوليد بن عُبيد بن يحيىٰ الطائي. وُلِدَ سنة ٢٠٦ هـ بمنبج من أعمال الشـام، وتُوفّي بمنبج سنة ٢٨٤ هـ. والبُحْتُري نسبةً إلىٰ بُحْتُر وهو أحد أجداده. الكُنىٰ والألقاب ٢: ٥٧.

(٣) ديوان البحتري ٢: ١٤٨.

(٤) سورة الأنفال: ٦٠.

«ياكُميل، العلم خير من المال، العلم يحرسك وأنت تحرس المال، والمال تنقصه النفقة، والعلم يزكو على الإنفاق، وصنيع المال يزول بزواله.

يا كميل بن زياد، معرفة العالِم (صحبة العالِم) دِين يُدان بـه، يكسب الإنسـان الطاعة في حياته، وجميل الأُحدوثة بعد وفاته، والعلم حاكم والمال محكوم عليه.

يا كميل هلك خُزّان الأموال وهم أحياء، والعلماء باقون مابقي الدهر، أعـيانهم مفقودة وأمثالهم في القلوب موجودة»[١].

وقال بعض الأُدباء في تقديم العلم علىٰ المال:

بــالعلمِ والعــقلِ لا بــالمال والذَهَبِ ... يــزداد رفــع الفــتىٰ قـدراً بـلا طَـلَبِ
كـم يــرفَع العِـلمُ أشـخاصاً إلىٰ رُتَبٍ ... ويــخفضُ الجــهلُ أشـرافاً بــلا أدبِ
العــلمُ كـنزٌ فــلا تَــفنىٰ ذخــائره ... والمــرء مــا زاد عــلماً زاد بــالرتبِ
فالعلمَ فَـاطْلُبْ لِكَـي يُـجدِيكَ جـوهرُهُ ... كالقوتِ للجسم لا تطلب غنى الذهبِ[٢]

وقال أحد الأُدباء في تقديم المال:

المــال أنـفع للـفتىٰ مـن عـلمه ... والفـقر أقـتل للـفتىٰ مـن جـهله
ما ضرّ مَن رفـع الدراهِـمُ قـدرَهُ ... جهلٌ يُناط إلىٰ دنـاءة أصـلهِ[٣]

وقال آخر:

أبو الأصفر المـنقوش أنـفعُ للـفتىٰ ... من الأصل والعلم الخطير المـقدّمِ
وما مدح العـلمَ امـروٌّ ظـفرت بـهِ ... يداه ولكـن كـلّ مـقوٍ ومُـعدِمِ[٤]

وممّا يجدر ذكره هو أنّ الخطيب يستطيع أنْ يَستَشهد علىٰ أفضليّة شخص

(١) نهج البلاغة، الحكمة ١٤٧، ومسند الإمام علي عليه السلام ١: ٥٦.
(٢) جواهر الأدب ٢: ٤٥٠.
(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٠: ١٣٥.
(٤) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٠: ١٣٥.

على آخر بذكر مفاخرةٍ أو مفاضلةٍ جرت بينهما، مثال ذلك:

أ ـ إنّ معاوية بن أبي سفيان كَتَبَ إلىٰ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام كتاباً يقول فيه: «إنّ لي فضائل: كان أبي سيّداً في الجاهليّة، وصرت مَلِكاً في الإسلام، وأنا صهرُ رسول الله، وخال المؤمنين، وكاتب الوحي»[١]، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: «أبِالفضائل يبغي عَلَيَّ ابن آكلة الأكباد؟ أُكتُبْ ياغلام:

محمّدٌ النبيُّ أخـي وصـهري وحمزةُ سيّدُ الشـهداءِ عَـمّي
وجعفرٌ الذي يُضحي ويُمسي يَطيرُ مع الملائكةِ ابـنُ أُمّـي
وبنتُ محمّدٍ سَكَني وعِـرْسي منوطٌ لحمُها بِدَمِي ولَـحمي
وسـبطا أحـمدٍ ولدايَ مـنها فأيُّكُـمُ له سـهمٌ كسـهمي
سـبقتُكُمُ إلىٰ الإسـلامِ طُـرّاً غلاماً ما بـلغتُ أوانَ حُـلمي
فأوجَبَ لي ولايـتَهُ عـليكُم رسـولُ اللهِ يـومَ غـديرِ خُـمّ
فـويلٌ ثـمّ ويـلٌ ثـمّ ويـلٌ لِمَن يَلقَى الإلهَ غداً بظُلمي»

فلمّا قرأ معاوية الكتاب قال: «اخفُوا هذا الكتاب لا يقرأهُ أهلُ الشام فيميلوا

(١) قال ابن أبي الحديد في حديثه عن معاوية: «وكان أحد كتّاب رسول الله صلى الله عليه وآله، واختُلف في كتابته له كيف كانت، فالّذي عليه المحقّقون من أهل السيرة أنّ الوحي كان يكتبه عليّ عليه السلام وزيد بن ثابت وزيد بن أرقم، وأنّ حنظلة بن الربيع التيمي ومعاوية بن أبي سفيان كانا يكتبان له إلىٰ الملوك وإلىٰ رؤساء القبائل، ويكتبان حوائجه بين يديه، ويكتبان ما يُجبىٰ من أموال الصدقات وما يُقسَّم في أربابها». شرح نهج البلاغة ١: ٣٣٨.
وقال عبّاس محمود العقّاد: «الحقيقة التي ينبغي أن تُذكر في هذا المقام هي: أنّ معاوية لم يكن من كتّاب الوحي كما أشاع خدّام دولته بعد صدر الإسلام، ولكنّه كان يكتب للنبي صلى الله عليه وآله في عامّة الحوائج وفي إثبات مايُجبىٰ من الصدقات وما يقَسَّم في أربابها، ولم يُسمع عن ثقةٍ قَط أنّه كتب للنبي شيئاً من آيات القرآن الكريم». أبو الشهداء الحسين بن علي للعقّاد: ٦٤.

إلىٰ ابن أبي طالب»[١].

ب ـ وكتب معاوية أيضاً إلىٰ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام كتاباً جاء فيه: «نحن بنو عبد مناف ليس لبعضنا علىٰ بعض فضلٌ، إلّا فضل لا يُستذَلّ بـه عـزيز، ولا يُسترَقّ به حرّ، والسلام». فلمّا انتهىٰ كتاب معاوية إلىٰ الإمام وقرأه قـال: «العجب لمعاوية وكتابه»، ثم دعا عبيد الله بن أبي رافع كاتبه وقال له: اكتب إلىٰ معاوية: «... وأمّا قولك: إنّا بنو عبد مناف، فكذلك نحن، ولكن ليس أُميّة كهاشم، ولا حربٌ كعبد المـطّلب، ولا أبـو سـفيان كأبـي طـالب، ولا المـهاجر كـالطّليق، ولا الصريح كاللّصيق، ولا المُحقّ كالمبطل، ولا المؤمن كالمُدغل. ولبئس الخَـلَف خَلَفٌ يتبعُ سلَفاً هوىٰ في نار جهنّم.

وفي أيدينا بعدُ فضلُ النبوّة التي أذللنا بها العزيز، ونَعَشْنا بها الذّليل.

ولمّا أدخل الله العرب في دينه أفواجاً، وأسلمت له هذه الأُمّة طوعاً وكرهاً، كنتم ممّن دخل في الدين: إمّا رغبةً وإمّا رهبة، علىٰ حين فاز أهل السبق بسبقهم، وذهب المُهاجرون الأوّلون بفضلهم. فلا تجعلَنَّ للشيطان فيك نصيباً، ولا علىٰ نفسك سبيلاً. والسلام»[٢].

٣ ـ المقايسة:

قال ابن منظور: «قِستُ الشيءَ بغيره وعـلىٰ غـيره أَقِـيْسُ قَـيْسَاً وقِـياساً فانقاس إذا قدَّرته علىٰ مثاله»[٣].

---

(١) كنز العمّـال ١٣: ١١٢، الحديث ٣٦٣٦٦، والبـدايـة والنـهاية لابـن كـثير الدمشـقي ٨: ٩ ـ ١٠، وأُنظر مصادر الخبر في كتاب الغدير للشيخ الأميني ٢: ٥٤.

(٢) نهج البلاغة: الكتاب ١٧.

(٣) لسان العرب (قَوَسَ).

فالمقايسة: أن تقدِّرَ شيئاً بشيء، أو شخصاً بشخص آخر، شريطة أن يكون بينهما تقارب وتشابه وتناسب؛ لذا يقول الإمام علي عليه السلام: «لا يُقاس بآلِ محمّد من هذه الأُمّة أحد، ولا يُسَوّىٰ بهم مَن جَرَتْ نِعمتُهم عليه أبداً. هم أساس الدين، وعماد اليقين، إليهم يَفيء الغالي وبهم يُلحق التالي، ولهم خصائص حقّ الولاية، وفيهم الوصيّةُ والوراثة»[1].

ويقول السيد رضا الهندي مخاطباً أمير المؤمنين عليه السلام:

قاسوكَ أبا حسنٍ بسواكَ وهَلْ بالطوَدِ يُقاسُ الذرّ[2]

ويقول عمرو بن العاص في قصيدته الجلجلية مخاطباً معاوية:

نصرناكَ مِن جهلِنا يابْنَ هند عَلَىٰ النَبأ الأعظمِ الأفضلِ
وكَمْ قَدْ سَمِعْنا مِن المصطفىٰ وصاياً مخصّصةً في علي
فإنْ كان بَينَكُما نسبةٌ فأينَ الحُسامُ مِن المِنجَل
وأينَ الثُريّا وأينَ الثَرىٰ وأينَ معاويةٌ مِن علي[3]

نعم يمكن مقايسة الإمام علي عليه السلام برسول الله صلى الله عليه وآله. قال سبحانه وتعالىٰ في آية المباهلة: ﴿فَقُلْ تَعَالَوا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ﴾[4]. وكان رسول الله صلى الله عليه وآله قد دعا يوم المباهلة الحسن والحسين وفاطمة وعلياً، فقوله تعالىٰ: ﴿أبناءَنا﴾ يقصد الحَسنين، وقوله: ﴿نساءَنا﴾ يقصد الصديقة فاطمة، وقوله: ﴿أنفسنا﴾ يقصد الإمام عليّاً، ولذا كان

(١) نهج البلاغة: الخطبة ٢.
(٢) ديوان السيد رضا الهندي: ٢١.
(٣) الغدير للشيخ الأميني، ترجمة عمرو بن العاص ٢: ١٧٤.
(٤) سورة آل عمران: ٦١.

يقول ﷺ : «إنَّ علياً منّي وأنا منه ، وهو ولي كلّ مؤمن من بعدي»(١).

وقوله ﷺ : «عليّ منّي وأنا من علي ، ولا يؤدّي عنّي إلاّ أنا أو عليّ»(٢).

وقال لعليّ: «أنت منّي وأنا منك»(٣).

وقال الشيخ جابر الكاظمي(٤) في تخميس أُزريّة الشيخ كاظم الأُزري:

إنْ تُميّزْهُما بلفظٍ مِن اسمٍ ... لا تُميّزْهُما بعلمٍ وحلمٍ

فهما واحدٌ كروحٍ بجسمٍ ... إنّما المصطفىٰ مدينةُ علمٍ

وهو الباب مَن أتاه أتاها(٥)

ومن القصيدة نفسها قول الأُزري:

أنتَ بعدَ النبيِّ خيرُ البَرايا ... والسما خيرُ ما بها قَمَرَاها

لكَ ذاتٌ كذاتِهِ حيث لولا ... أنّها مِثْلُها لَما آخاها

قد تَراضَعْتُما بِثَدي وِصَالٍ ... كانَ مِن جوهرِ التَجَلّي غِذَاها(٦)

---

(١) سنن الترمذي ٤ : ٤٧١ ، باب مناقب علي بن أبي طالب ، الحديث ٣٧١٢.

(٢) سنن الترمذي ٤ : ٤٧٤ ، باب مناقب علي بن أبي طالب ، الحديث ٣٧١٩.

(٣) سنن الترمذي ٤ : ٤٧٣ ، باب مناقب علي بن أبي طالب ، الحديث ٣٧١٦.

(٤) هو الشيخ جابر بن عبد الحسين بن عبد الحميد بن الجواد بن أحمد بن الخضر بن العباس ابن محمّد بن المرتضىٰ بن أحمد بن محمود بن محمّد بن الربيع الربعي من ربيعة ، المعروف بالشيخ جابر الكاظمي ، وجدّه الجواد أبو قبيلة الجوادات في بلد بين بغداد وسامراء . وُلِدَ الشيخ جابر سنة ١٢٢٢ هـ وتُوفّي في صفر سنة ١٣١٣ هـ بالكاظمية، ودُفن في الصحن الشريف . الطليعة من شعراء الشيعة ١ : ١٦٩ ، الرقم ٣٥.

(٥) تخميس الأزريّة للشيخ جابر الكاظمي : ٥٢ ـ ٥٣.

(٦) المصدر نفسه : ٨٣ ـ ٨٤.

عاشراً
ذكر العلّة والسبب أو الحكمة

إنّنا نؤمن بأنّ الله تعالىٰ لم يَخلق شيئاً عبثاً. قال سبحانه: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلاً ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾[1].

كما أنّه سبحانه وضع كلّ جزءٍ من أجزاء هذا الكون في مكانه المناسب؛ ولذا قيل: «بالعدل قامت السموات والأرض»، فلو زادت المسافة بين الشمس والأرض لَجمدت الأرض ومَن عليها، ولو قلّت المسافة بينهما لاحترقت الأرض بحرارة الشمس ولما أمكن السُكنىٰ عليها. وهكذا بالنسبة إلىٰ بقيّة ما خَلَق الله تعالىٰ.

من الأساليب البيانيّة للتوضيح والإقناع ذكر العلّة الباعثة علىٰ العمل، والغاية أو الحكمة منه، وكما يقول العلماء: «الأعمالُ مُعلّلةٌ بالغايات». فيمكننا التماس العِلَل أو الحِكَم في التكوين والتشريع والحوادث والوقائع.

---

(١) سورة ص: ٢٧.

أ ـ ذكر العلل في التكوين:

يستطيع الخطيب أن يلتمسَ العلل والأسباب والحِكم في التكوين من القرآن الكريم ومن أقوال المعصومين عليهم السلام ومن تجارب واكتشافات العلماء. قال تعالىٰ:

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالحَجِّ﴾(١).

﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالقَمَرَ نُوراً وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالحِسَابِ مَا خَلَقَ اللهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾(٢).

ونظراً إلىٰ تقدّم العلوم في العصر الحديث، واكتشاف الكثير من أسرار الطبيعة وقوانينها، فقد ظهر للعلماء أنّ مجموعة من العلوم الحديثة والقوانين الكونيّة تحدّث عنها القرآن الكريم من قبل حتىٰ أوصلها البعض إلىٰ سبعمئة وخمسين آية. ومعرفة هذه الآيات وما اكتشفه العلماء تساعد الخطيب في مهامّه الخطابيّة.

ومن الكتب التي اهتمّت بالتفسير العلمي للقرآن:

(التفسير العلمي للآيات الكونيّة في القرآن) لحنفي أحمد.

(التكامل في الإسلام) لأحمد أمين النجفي.

(الطبيعيات والإعجاز العلمي للقرآن الكريم) و (المنهج الإيماني للدراسات الكونيّة في القرآن الكريم) للدكتور عبد العليم عبد الرحمن خضر.

(القرآن والعلم الحديث) و(الله والعلم الحديث) لعبد الرزاق نوفل.

(القرآن والطب الحديث) للشيخ محمد الخليلي.

---

(١) سورة البقرة: ١٨٩.

(٢) سورة يونس: ٥.

(مع الطب في القرآن الكريم) للدكتور عبد الحميد دياب، والدكتور أحمد قرقوز.

وبالإضافة إلىٰ الآيات القرآنية يستفيد الخطيب من أحاديث الرسول ﷺ وأحاديث أهل البيت عليهم السلام في كشف أسرار الطبيعة. فمثلاً قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في الحكمة من خلق الجبال علىٰ الأرض: «فَطَرَ الخلائق بقدرته، ونَشرَ الرياحَ برحمته، ووتَّدَ بالصخور مَيَدانَ أرْضِه»[١].

وقال: «وجَبَلَ جلاميدَها، ونشوزَ متونِها وأطوادِها، فأرساها في مراسيها، وألزمها قراراتِها، فَمَضَت رؤوسُها في الهواء، ورَسَت أُصولُها في الماء، فأَنْهَدَ جبالها عن سهولها، وأساخَ قواعدَها في متون أقطارها ومواضعِ أنصابها، فأشهقَ قِلالَها، وأطالَ أنشازَها وجَعَلَها للأرضِ عِماداً، وأرَّزَها فيها أوتادا، فَسَكَنَتْ علىٰ حَرَكتها[٢] مِن أنْ تَميدَ بأهلِها، أو تَسِيخَ بحِملِها، أو تزول عن مواضعها»[٣].

وقال عن الأرض: «وعَدَّلَ حركاتِها بالراسياتِ من جلاميدها، وذوات الشناخيب الشُّمِّ (الصُم) من صياخيدها، فَسَكَنَتْ من المَيَدان[٤]، لرسوب الجبال في قِطَعِ أديمها، وتَغَلْغُلِها مُتَسَرِّبَةً في جَوْباتِ خَياشيمِها، ورُكُوبِها أعناقَ سهول الأرَضين وجراثِيمِها»[٥].

فالإمام أمير المؤمنين عليه السلام تحدّث في كلماته هذه عن الحكمة من خلق

(١) نهج البلاغة: الخطبة ١.
(٢) علىٰ حركتها: أي مع حركتها.
(٣) نهج البلاغة: الخطبة ٢١١.
(٤) ماد الشيء، يميد ميداً [ومَيَداناً] تحرّك ومال. وفي الحديث: «لمّا خلق الله الأرض جعلت تميد فأرساها بالجبال». لسان العرب (مَيَدَ).
(٥) نهج البلاغة: الخطبة ٩١.

الجبال، وذكر حكمتين لها:

الأُولىٰ: إنّ أُصول الجبال تمتد إلىٰ أعماق الأرض وجذورها، وتنتشر في أنحاء هذا الكوكب؛ ولأنّها قويّة ومتّصلة الجذور فهي كالهيكل العظمي لجسم الأرض، تحفظها من التلاشي وتَفَرُّقِ أجزائِها، خصوصاً مع شدّة حركتها الموضعيّة والانتقاليّة.

الثانية: مع سرعة حركة الأرض حول نفسها نراها مستقرّة لا مَيَدَان فيها ولا اضطراب؛ وذلك بسبب تعديل حركتها بالجبال. ولو كانت الأرض مضطربة لَتَعذّر الاستقرار عليها.

وقد أخذ الإمام عليه السلام هذه المعلومات من القرآن الكريم حيث يقول: ﴿وَتَرَىٰ الجِبَالَ تَحْسَبُها جَامِدَةً وهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنعَ اللهِ الّذي أتقَنَ كُلَّ شَيء﴾[1].

وقوله: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الأرْضَ مِهَاداً* والجِبَالَ أوْتَاداً﴾[2].

والأوتاد مرّةً تُضرب في جسمٍ آخر، مثل: أوتاد الخيمة التي تُضرب في الأرض كي لا يقتلعها الهواء، ومرّةً تُضرب في جسمٍ الشيء نفسه لتتماسك أجزاؤه مثل: السفينة والباب والأرض.

كما أنّ الإمام الصادق عليه السلام أملىٰ علىٰ تلميذه المفضّل بن عمر حكماً وأسراراً تكوينيّةً مهمّة جداً في عالَم الإنسان والحيوان والنبات والطبيعة بصورة عامّة سُمّيَت باسم (توحيد المفضّل)، وقد قام الشيخ محمّد الخليلي رحمه الله بتأليف كتابٍ سمّاه (شرح توحيد المفضّل) شَرَحَ فيه ما أملاه الإمام الصادق عليه السلام من علوم طبيعية.

---

(١) سورة النمل: ٨٨.

(٢) سورة النبأ: ٦ ـ ٧.

ب ـ ذكر العلل في التشريع:

إنّنا نعتقد بأنّ الله سبحانه عليم حكيم وغنيّ حميد، لم يُشرِّع سبحانه تشريعاً إلّا لمصلحةٍ تعود على العباد.

قال سبحانه في علّة إرسال الرُسُل: ﴿رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَىٰ اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾(١).

وقالت الصديقة فاطمة الزهراء عليها السلام:

«فجعل اللهُ الإيمان تطهيراً لكم من الشرك، والصلاةَ تنزيهاً لكم عن الكِبر، والزكاة تزكيةً للنفس ونماءً في الرزق، والصيامَ تثبيتاً (تبييناً) للإخلاص، والحجّ تشييداً للدين، والعدلَ تنسيقاً للقلوب، وطاعتَنا نظاماً للملّة، وإمامَتنا أماناً من الفُرقة، والجهاد عزّاً للإسلام وذلّاً لأهل الكفر والنفاق، والصبرَ معونةً على استيجاب الأجر، والأمرَ بالمعروف والنهي عن المنكر مصلحةً للعامّة، وبِرّ الوالدين وقايةً من السخط، وصلةَ الأرحام مَنسأةً في العمر ومنماةً للعدد، والقصاص حقناً للدماء، والوفاء بالنذر تعريضاً للمغفرة، وتوفيةَ المكاييل والموازين تغييراً للبخس، والنهيَ عن شرب الخمر تنزيهاً عن الرجس، واجتناب القذف حجاباً عن اللعنة، وتركَ السرقة إيجاباً للعفّة، وحرّم الله الشرك إخلاصاً له بالربوبيّة»(٢).

وقال الإمام الصادق عليه السلام للمفضّل بن عمر لمّا سأله قائلاً: لِمَ حرّم اللهُ الخمر؟:

«حرّم الله الخمر لفعلها وفسادها؛ لأنّ مُدمنَ الخمر تورثه الارتعاش، وتذهب بنوره، وتهدم مروءته، وتحمله على أن يجرأ على ارتكاب المحارم، وسفك

(١) سورة النساء: ١٦٥.

(٢) الاحتجاج ١: ٢٥٨ ـ ٢٥٩، والمجالس السنية ٥: ٨٢.

الدماء، وركوب الزنا، و لا يؤمَنْ إذا سكر أن يثبَ على حُرَمِه وهو لا يعقل ذلك، ولا يزيد شاربها إلاّ كلّ شر»(١).

فبامكان الخطيب أن يتعرّف أسرار وحكم التشريع الإلهي، ثم يذكر ذلك للمستمعين لتقوية عقيدتهم ولإقناعهم بأنّ الله تعالىٰ لمّا كلّفهم بالتكاليف الشرعية لم يكن ذلك إلّا لمصلحة تعود علىٰ الناس أنفسهم. قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «يا عباد الله أنتم كالمرضىٰ والله ربّ العالمين كالطبيب، فصلاح المريض فيما يعلمه الطبيب ويُدبّره به، لا فيما يشتهيه المريض ويقترحه، ألَا فسلّموا الله أمره تكونوا من الفائزين»(٢).

وقد ألّف الشيخ الصدوق كتاباً سمّاه (علل الشرائع) ذكر فيه أحاديث وردت في علل الأحكام الشرعيّة أو الحكمة من تشريعها.

ج ـ ذكر العلل في الحوادث والوقائع:

إنّ الحوادث الاجتماعيّة والوقائع التاريخيّة لا تصدر عن فراغ، بل لابدّ لها من سنن وأسباب وعلل ـ قال الله تعالىٰ: ﴿وَإِنْ كادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْها وَإِذاً لا يَلْبَثُونَ خِلافَكَ إِلّا قَلِيلاً * سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنا قَبْلَكَ مِن رُسُلِنا وَلا تَجِدُ لِسُنَّتِنا تَحْوِيلاً﴾(٣)، وقال سبحانه: ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم سُنَنٌ فَسِيرُوا في الأرضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ المُكَذِّبِينَ﴾(٤).

فالخطيب البارع هو الذي يَستنبط أو يَستخلص الأسباب والعلل ويُبيّنها

---

(١) علل الشرائع: ٤٧٦.

(٢) التفسير المنسوب إلىٰ الإمام العسكري عليه السلام: ٤٩٥، والبحار ٤: ١٠٧.

(٣) سورة الإسراء: ٧٦ ـ ٧٧.

(٤) سورة آل عمران: ١٣٧.

للجمهور. ويُمكنه ذكر العلّة عن لسان صاحب العمل والحادثة نفسه، كما قال أمير المؤمنين عليه السلام في سبب مواقفه الصارمة ممّن خرج عليه:

«اللهم إنّك تعلم أنّه لم يكن الذي كان منّا منافسة في سلطان، ولا التماس شيء من فضول الحطام، ولكنْ لنردّ المعالم من دينك، ونظهر الإصلاح في بلادك، فيأمن المظلومون من عبادك، وتقام المُعَطّلة من حدودك»(١).

وكما قال الإمام الحسين عليه السلام في سبب ثورته:

«إنّي لم أخرج أشِرَاً ولا بَطِراً ولا مُفسِداً ولا ظالماً، وإنّما خرجت لطلب الإصلاح في أُمّة جدّي محمّد صلى الله عليه وآله، أُريد أن آمر بالمعروف، وأنهىٰ عن المنكر، وأسير بسيرة جدّي وأبي علي بن أبي طالب، فمَن قَبِلَني بقبول الحقّ فالله أولىٰ بالحقّ، ومَن ردّ عليَّ هذا أصبر حتىٰ يقضي الله بيني وبين القوم، وهو خير الحاكمين»(٢).

وكما قال معاوية لأهل العراق: «إنّي والله ما قاتلتُكُم لتصوموا ولا لتُصلّوا ولا لتَحجّوا ولا لتُزكّوا، إنّكم لتفعلون ذلك، وإنّما قاتلتُكُم لأَتأمّرَ عليكم وقد أعطاني الله ذلك وأنتم كارهون»(٣).

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة ١٣١.

(٢) مقتل الحسين للخوارزمي ١: ٢٧٣، ومقتل الحسين للسيد المقرّم: ١٣٩.

(٣) مقاتل الطالبيين: ٧٠، وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٦: ٤٦.

حادي عشر
التفصيل بعد الإجمال

بمقدور الخطيب أن يصوغ الفكرة بعبارات مختصرة ومجملة، ثم يقوم ببيان وتفصيل ما أجمله، كما قال عزّ مِن قائل: ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾[1]، ثم فصّل وبيّن ما أجمله فقال: ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُم بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾[2].

وكقوله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[3] هذا مجمل، فصّله بقوله: ﴿تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۞ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ۞ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾[4].

---

(١) سورة الحج: ١.

(٢) سورة الحج: ٢.

(٣) سورة الصف: ١٠.

(٤) سورة الصف: ١١ ـ ١٣.

ثاني عشر
ذكر حقيقة مقبولة لدىٰ
السامع لقياس حقيقة أُخرىٰ عليها

إنّ بعض الأخبار والقضايا يصعب علىٰ المستمعين قبولُها، فيمكن للخطيب أن يذكر شيئاً مقبولاً عندهم ثم يقيس عليه ما يقصده، فيقع موقع القبول؛ لأنّ حكم الأمثال فيما يجوز وما لا يجوز واحد، والشاهد علىٰ ذلك:

أ ـ أذكر إنّني قرأت في بعض المجالس الخبر القائل بأنّ رأس الحسين عليه السلام كان يقرأ القرآن علىٰ الرمح، ثم قُلت: إنّ هذا ليس بعزيز علىٰ الله تعالىٰ، فقد أنطق الشجرة فكلَّمَتْ موسىٰ، مع أنّ الشجرة في الأصل لا قدرة لها علىٰ الكلام، أمّا الحسين عليه السلام فهو شهيد والشهداء أحياء عند ربهم، وليس علىٰ الله بعزيز أن يجعل رأسه يتلو القرآن الكريم بعد انفصاله عن البدن، وهي كرامة خصّه الله بها.

فلمّا فرغت من المجلس قال لي أحد الحاضرين: إنّني لم أزل أسمع الخطباء يذكرون خبر تلاوة رأس الحسين عليه السلام للقرآن وهو علىٰ الرمح فلم يقبله عقلي، ولكنّني اليوم لمّا سمعتُ كلامك اقتنعتُ بصحّة الخبر وبكيتُ كثيراً، إذ تَمثّلَ لي رأس الحسين عليه السلام وهو يتلو القرآن علىٰ الرمح.

ب ـ أورد ابن أبي الحديد المعتزلي في شرح النهج خبر خروج أبي العاص ابن الربيع زوج زينب بنت رسول الله ﷺ مع المشركين يوم بدر، و أنّه أُسِر، فلمّا بعث أهلُ مكة في فداء أسراهم، بعثَتْ زينب في فداء أبي العاص بعلِها بمال، وكان فيما بَعثَتْ به قلادة كانت خديجة أُمّها أدخلتها بها علىٰ أبي العاص ليلة زفافها عليه، فلمّا رآها رسولُ الله ﷺ رقّ لها رقّةً شديدة، وقال للمسلمين: «إن رأيتم أن تُطلقوا لها أسيرها، وتَردّوا عليها ما بَعثَتْ به من الفداء فافعلوا» فقالوا: نعم يا رسول الله، نفديك بأنفسنا وأموالنا. فرَدُّوا عليها ما بَعثَتْ به، وأطلَقوا لها أبا العاص بغير فداء.

ثم علّق علىٰ الخبر هذا قائلاً: قرأتُ علىٰ النقيب أبي جعفر يحيىٰ بن أبي زيد البصري العلوي ﷺ هذا الخبر، فقال: أترىٰ أبا بكر وعمر لم يشهدا هذا المشهد! أمَا كان يَقتضي التكرّم والإحسان أن يُطيّب [أبو بكر] قلبَ فاطمة بفدك، ويستوهبها لها من المسلمين! أتَقْصُرُ منزلتها عند رسول الله ﷺ عن منزلة زينب أُختها، وهي سيّدة نساء العالمين! هذا إذا لم يثبت لها حقّ، لا بالنِّحلة ولا بالإرث.

فقلتُ له: فَدَك بموجب الخبر الذي رواه أبو بكر قد صار حقّاً من حقوق المسلمين، فلم يجز له أن يأخذه منهم. فقال: وفداء أبي العاص بن الربيع قد صار حقّاً من حقوق المسلمين، وقد أخذه رسول الله ﷺ منهم.

فقلتُ: رسولُ الله صاحب الشريعة، والحكم حكمه، وليس أبو بكر كذلك. فقال: ما قلتُ: هلّا أخذه أبو بكر من المسلمين قهراً فدفعه إلىٰ فاطمة، وإنّما قلتُ: هلّا استَنزَلَ المسلمين عنه واستوهَبَه منهم لها كما استوهب رسول الله ﷺ المسلمين فداء أبي العاص! أتراه لو قال: هذه بنت نبيّكم قد حَضَرَتْ تطلب

هذه النّخلات، أفتطيبون عنها نفساً؟ أكانوا منعوها ذلك؟

فقلتُ له: قد قال قاضي القضاة أبو الحسن عبد الجبّار بن أحمد نحو هذا، قال: إنّهما لم يأتيا بحَسَنٍ في شرع التكرّم، وإن كان ما أتياه حَسَناً في الدّين»[١].

وقال المرحوم الشيخ محمود أبو ريّة ـ من علماء الأزهر ـ في كتابه (شيخ المضيرة): «كنّا نشرنا كلمة بمجلّة (الرسالة) المصريّة[٢] عن موقف أبي بكر من الزهراء في هذا الميراث ننقل منها ما يلي: إنّنا إذا سلّمنا بأنّ خبر الآحاد الظنّي يخصّص الكتاب القطعي، وأنّه قد ثبت أنّ النبي قال: (إنّا لا نورّث) وأنّه لا تخصيص في عموم هذا الخبر، فإنّ أبا بكر كان يسعه أن يُعطي فاطمة ـ رضي الله عنها ـ بعض تركة أبيها، كأنْ يخصّها بفَدَك، وهذا من حقّه الذي لا يعارضه فيه أحد؛ إذ يجوز للإمام أن يخصّ من يشاء بما شاء، وقد خصّ نفسُه الزبيرَ ابن العوّام ومحمدبن مسلمة وغيرهما ببعض متروكات النبي، علىٰ أنّ فَدَكاً هذه التي منعها أبو بكر من فاطمة لم تلبث أن أقطَعَها الخليفة عثمان لمروان»[٣].

---

(١) شرح نهج البلاغة ١٤: ١٩٠.

أقول: إنّ الذي أتياه ما كان حَسَناً في الدين ولا في العقل ولا في عرف الكرام، فهل من الدين والخُلُق الكريم اتّهام فاطمة الزهراء عليها السلام بادعائها ما ليس لها؟ مع نصّ القرآن الكريم علىٰ طهارتها من الرجس وهو يشمل كلّ باطل ومنه الكذب! ثم مطالبتها بالبيّنة وهي صاحبة اليد واليد أمارة المِلكيّة. وممّا يدلّ علىٰ تملّك أهل البيت عليهم السلام لها ما قاله الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في رسالته إلىٰ عثمان بن حنيف: «بلىٰ كانت في أيدينا فَدَك من كلّ ما أظلّته السماء، فشحّت عليها نفوس قوم، وسَخَتْ عنها نفوس قوم آخرين، ونعم الحَكَمُ الله». نهج البلاغة، الكتاب ٤٥.

(٢) مجلة الرسالة المصرية، العدد ٥١٨، السنة الحادية عشرة.

(٣) شيخ المضيرة: ١٦٩، الطبعة الثالثة.

قال شريف مكة قتادة بن إدريس مشيراً إلىٰ هذا المعنىٰ:

ليتَ شعري ما كانَ ضَرَّهُما الـ ـحفظُ لعهدِ النبيِّ لو حفظَاها
كانَ إكرامُ خاتمِ الرُّسُلِ الها دي البشيرِ النذيرِ لو أكرماها
إنّ فعلَ الجَميلِ لم يأتياه وحسانَ الأخلاقِ مَا اعْتَمداها
ولكانَ الجميلُ أنْ يُقطِعَاها فَدَكاً لا الجميلُ أنْ يَقطعاها
وَلَو ابْتِيعَ ذاك بالثمنِ الـ غالي لما ضاعَ في اتّباعِ هواها
أتَرى المسلمينَ كانوا يلومو نَهُما في العطاءِ لو أعطَيَاها
كانَ تحتَ الخضراءِ بنتُ نبيٍّ صادقٍ ناطقٍ أمينٍ سواها
بنتُ مَن؟ أُمُّ مَن؟ حليلةُ مَن؟ ويلٌ لِمَن سنَّ ظُلمها وأذاها(١)

ج ـ وقال ابن أبي الحديد أيضاً: «وكان رسول الله ﷺ لمّا أطلق سبيل أبي العاص أخذ عليه فيما نرىٰ، أو شرط عليه في إطلاقه، أو أنّ أبا العاص وعد رسول الله ابتداء بأنْ يَحْمِلَ زينبَ إليه إلىٰ المدينة.

فلمّا قدم أبو العاص مكة أمرها باللحوق بأبيها، فأخذَتْ تتجهّز. فقدّم لها كنانة بن الربيع [أخو أبي العاص] بعيراً فركبته، وأخذ قوسه وكنانته، وخرج بها نهاراً يقود بعيرها وهي في هودج لها، وتحدّث بذلك الرّجال من قريش والنساء، وتلاومت في ذلك، وأشفقت أن تخرج ابنة محمد من بينهم علىٰ تلك الحال، فخرجوا في طلبها سراعاً حتىٰ أدركوها بذي طوى، فكان أوّل من سبق إليها هبّار بن الأسود بن المطّلب بن أسد بن عبد العزّىٰ بن قصي، ونافع بن عبد القيس الفهري، فروّعها هبّار بالرمح وهي في الهودج، وكانت حاملاً، فلمّا رجعت طرحت ما في بطنها، وقد كانت من خوفها رأت دماً وهي في الهودج،

(١) المجالس السنية ٥: ١٠٥.

فلذلك أباح رسول الله ﷺ يوم فتح مكة دَم هبّار بن الأسود».

قال ابن أبي الحديد: «وهذا الخبر أيضاً قرأتُه على النقيب أبي جعفر ﷺ فقال: إذا كان رسول الله ﷺ أباح دم هبّار بن الأسود؛ لأنّه روّع زينب فألقت ذا بطنها فظهر الحال أنّه لوكان حيّاً لأباح دم مَن روّع فاطمة حتّىٰ ألقت ذا بطنها».

فقلت: أرْوِي عنكَ ما يقوله قوم أنّ فاطمة رُوّعت فألقت مُحسناً؟ فقال: لا تروِه عنّي، ولا تَروِ عنّي بطلانه، فإنّي متوقّفٌ في هذا الموضع، لتعارض الأخبار عندي فيه»(١).

د ـ يُروىٰ أنّ المستنصر العباسي خرج يوماً إلىٰ زيارة قبر سلمان الفارسي رضي الله عنه ومعه السيد محمد بن علي الإقساسي(٢)، فقال له المستنصر وهما في الطريق: إنّ من الأكاذيب ما يرويه غلاة الشيعة، من مجيء علي بن أبي طالب من المدينة إلىٰ المدائن، لمّا تُوفّي سلمان الفارسي، وتغسيله إيّاه، ورجوعه من ليلته، فأجابه السيّد المذكور بقول أبي الفضل التميمي في ردّ مَن أنكر ذلك:

أنكرتَ ليلةَ إذ سار الوصيّ بها — إلىٰ المدائن لمّا أن لها طلبا
وغسّل الطُهرَ سلماناً وعاد إلىٰ — عراصِ يثربَ والإصباحُ ما وجبا
وقلتَ ذلك من قولِ الغلاة وما — ذنب الغلاة إذا لم يذكروا كذبا
فآصفٌ قبل ردّ الطرف من سبأٍ — بَعرشِ بلقيسَ وافىٰ يَخرقُ الحُجُبا

---

(١) شرح نهج البلاغة ١٤: ١٩١ ـ ١٩٣.

(٢) هو السيد محمّد بن علي بن حمزة الإقساسي الحسيني نقيب الكوفة، كان فاضلاً أديباً جليساً للخلفاء العباسيين، ومن شعره قوله ـ وقد زعم الخليفة المنتصر بُعد خبر تغسيل أو حضور أمير المؤمنين عليه السلام جنازة سلمان الفارسي في المدائن، وهو في المدينة ـ فقال له الإقساسي:

أنكرتَ ليلةَ إذ سار الوصيّ بها — إلىٰ المدائن لمّا أن لها طلبا...

توفّي سنة ٥٧٥ هـ. الطليعة من شعراء الشيعة ٢: ٢٧٠، الرقم ٢٨٠.

فأنتَ في آصفٍ لم تَغْلُ فيه بلىٰ — في حيدرٍ أنا غالٍ كان ذا عَجَبا
إنْ كانَ أحمدُ خيرَ المرسلينَ فذا — خيرُالوصيّينَأوكلُّالحديثِهبا»(١)

فالشاعر هنا أشار إلىٰ مجيء آصف بن برخيا وصيّ نبي الله سليمان بن داود عليه السلام بعرش بلقيس من اليمن إلى فلسطين في أقلّ من طرفة عين، وهذه حقيقة ذكرها القرآن الكريم، ثم قاس علىٰ هذه الحقيقة بأنّ محمداً صلى الله عليه وآله خير من سليمان عليه السلام، ووصيُّهُ الإمامُ أميرُ المؤمنين خيرٌ من آصف، فإذا كان بمقدور آصف أن يأتي بعرش بلقيس من سبأ، فلو أراد أن يسير إلىٰ سبأ بصورة غير عاديّة لفعل، وقياساً علىٰ قدرة آصف الخارقة للعادة فليس ببعيد علىٰ الإمام علي عليه السلام ـ الذي هو أفضل من آصف وأقدر علىٰ الخوارق ـ أن يسير في ليلة واحدة من المدينة المنورة إلىٰ المدائن لتغسيل سلمان الفارسي ودفنه، ثم الرجوع إلىٰ المدينه في ليلته.

وقد نظم كثير من الشعراء هذه المنقبة للإمام، منهم: الشيخ علاء الدين الشَفَهيني(٢) في قصيدته العَلَوية، حيث قال:

وبليلةٍ نحوَ المدائنِ قاصداً — فيها لسلمانٍ بُعثتَ مغسّلا

وقال الشيخ كاظم الأُزري:

مَن تَولّىٰ تغسيلَ سلمانَ إلّا — ذاتُ قدسٍ تَقدّسَتْ أسماها
ليلةٌ قد طوىٰ بها الأرضَ طَيّاً — إذ نأَتْ دَارُهُ وشطّ مداها(٣)

(١) مصادر نهج البلاغة للسيد عبد الزهراء الحسيني ١ : ١٤٨، والغدير ٥ : ٢٨.

(٢) هو أبو الحسن علاء الدين الشيخ علي بن الحسين المعروف بالشفهيني، المتوفّىٰ في حدود الربع الأوّل من القرن الثامن، والمدفون في الحلّة حيث يعرف قبره الآن في محلّة المهدية. البابليات ١ : ٩٣، الرقم ٣٥، وأُنظر أدب الطف ٤ : ١٧٤.

(٣) تخميس الأزرية : ٥٢ ـ ٥٣.

الفصل الثاني

دراسة وتحليل روايات الأحداث والأحاديث

أوّلاً: روايات المنافقين.

ثانياً: روايات الواهمين.

ثالثاً: روايات من حفظ المنسوخ ولم يحفظ الناسخ.

رابعاً: روايات أهل الكتاب.

خامساً: روايات المغيّرين للأخبار عن واقعها.

من الطرق المساعدة في التفهيم والتـوعية الديـنيّة: دراسة وتحليل روايات الأحـداث والأحـاديث الواردة في الكُتب ومناقشتها، فما وافق منها الكتاب العـزيز والسنّة الصحيحة والعقل أُخذ به، وما خالفها تُـرِك .

مقدّمـة

تحتوي روايات الأحداث والأحاديث المذكورة في كتب المسلمين علىٰ الغثّ والسمين، والصحيح والسقيم، فلا يمكن الاعتماد بصحّتها بحجّة وجودها في كتبهم واعتبارها من المسلّمات؛ لأنّ الإسرائيليّين والمنافقين والزنادقة وأهل الأغراض السيّئة وضعوا أحاديث كثيرة ونسبوها إلىٰ الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله أو إلىٰ غيره من الأنبياء والأئمة الطاهرين. فلابدّ من التحقّق والتثبّت من صحّة الروايات؛ وذلك بدراستها وتمحيصها ومناقشتها للوصول إلىٰ الحقيقة، قال سبحانه وتعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا﴾[1].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله في حجّة الوداع: «قد كثرت عليّ الكذّابة وستكثر، فمن كذب عليّ متعمّداً فليتبوّأ مقعده من النار. فإذا أتاكم الحديث فاعرضوه علىٰ كتاب الله وسنّتي، فما وافق كتاب الله وسنّتي فخذوا به، وما خالف كتاب الله وسنّتي فلا تأخذوا به»[2].

---

(١) سورة الحجرات: ٦.

(٢) الاحتجاج ٢: ٤٧٧.

وقال أمير المؤمنين عليه السلام في سبب اختلاف الأحاديث: «إنّ في أيدي الناس حقّاً وباطلاً، وصدقاً وكذباً، وناسخاً ومنسوخاً، وعامّاً وخاصّاً، ومحكماً ومتشابهاً، وحفظاً وَوهماً، ولقد كذب على رسول الله صلى الله عليه وآله على عهده، حتّى قام خطيباً، فقال: مَن كذب عليّ متعمّداً فليتبوّأ مقعدهُ من النار.

وإنّما أتاك بالحديث أربعة رجال، ليس لهم خامس:

رجل منافق مظهر للإيمان، متصنّع بالإسلام، لا يتأثّم ولا يتحرّج، يكذب على رسول الله صلى الله عليه وآله متعمّداً، فلو علم الناسُ أنّه منافق كاذب لم يقبلوا منه، ولم يصدّقوا قوله، ولكنّهم قالوا: صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله، رآه وسمع منه، ولَقَفَ عنه، فيأخذون بقوله، وقد أخبرك الله عن المنافقين بما أخبرك، ووصفهم بما وصفهم به لك، ثم بقوا بعده، فتقرّبُوا إلى أئمة الضلالة، والدعاة إلى النار بالزّور والبهتان، فولّوهم الأعمال، وجعلوهم حكّاماً على رقاب الناس، فأكلوا بهم الدنيا، وإنّما الناس مع الملوك والدنيا إلّا مَن عصمَ الله. فهذا أحد الأربعة.

ورجلٌ سمع مِن رسول الله شيئاً لم يحفظه على وجهه، فَوَهِمَ فيه ولم يتعمّد كذباً، فهو في يديه، ويرويه ويعمل به، ويقول: أنا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وآله، فلو علم المسلمون أنّه وَهِمَ فيه لم يقبلوه منه، ولو علم هو أنّه كذلك لرفضه.

ورجل ثالث سمع من رسول الله صلى الله عليه وآله شيئاً يأمر به، ثم إنّه نهى عنه وهو لا يعلم، أو سمعه ينهى عن شيء ثم أَمَرَ به وهو لا يعلم، فحفِظ المنسوخ ولم يحفظ الناسخ، فلو علم أنّه منسوخ لَرَفَضَهُ، ولو علم المسلمون إذ سمعوه منه أنّه منسوخ لَرَفضوه.

وآخر رابع لم يَكذِبْ على الله ولا على رسوله، مبغض للكذب خوفاً من الله، وتعظيماً لرسول الله صلى الله عليه وآله، ولم يَهِمْ، بل حفظ ماسمع على وجهه، فجاء به على سمعه، لم يزد فيه ولم يَنقُص منه، فهو حَفِظَ الناسخ فعمل به، وحَفِظَ المنسوخ فجنّب عنه،

وعرف الخاصّ والعامّ، والمحكم والمتشابه، فوضع كل شيء موضعه.

وقد كان يكون من رسول الله ﷺ الكلام له وجهان: فكلام خاصّ، وكلام عامّ، فيسمعه مَن لا يعرف ما عنىٰ الله سبحانه به، ولا ما عنىٰ رسول الله ﷺ فيحملُه السامع، ويوجّهه علىٰ غير معرفة بمعناه، وما قُصد به، وما خَرَجَ من أجله. وليس كلّ أصحاب رسول الله ﷺ من كان يسأله ويستفهمه، حتىٰ إن كانوا ليحبّون أن يجيء الأعرابي والطّارئ، فيسأله عليه السلام حتىٰ يسمعوا، وكان لا يمرّ بي من ذلك شيء إلّا سألتُه عنه، وحفظته.

فهذه وجوه ما عليه الناس في اختلافهم وعللهم في رواياتهم»[١].

بيّن الإمام عليه السلام في حديثه هذا أقسام الأحاديث والروايات الصحيح منها وغير الصحيح. فالروايات غير الصحيحة كما ذكرها الإمام عليه السلام هي:

١ ـ روايات المنافقين،

٢ ـ روايات الواهمين والواهلين.

٣ ـ روايات من حفظ المنسوخ ولم يحفظ الناسخ.

ولم تنحصر الروايات غير الصحيحة في هذه الأقسام الثلاثة بل يُضاف إليها:

٤ ـ روايات أهل الكتاب.

٥ ـ روايات المغيّرين للأخبار عن واقعها.

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة ٢١٠.

أوّلاً
روايات المنافقين

اختلق المنافقون روايات وأحاديث لدعم كيان الظالمين، ولاستحصال المال والجاه والمنصب من وراء ذلك. وحركة الوضع والاختلاق نشطت في أيام معاوية فشملت مجموعة من الصحابة والتابعين.

قال ابن أبي الحديد المعتزلي: «إنّه خالط الحديثَ كذبٌ كثيرٌ، صدر عن قوم غير صحيحي العقيدة، قصدوا به الإضلال وتخبيط القلوب والعقائد، وقصد به بعضهم التنويه بذكر قوم كان لهم في التنويه بذكرهم غرضٌ دنيوي. وقد قيل: إنّه افتُعل في أيّام معاوية خاصّة حديثٌ كثيرٌ علىٰ هذا الوجه، ولم يسكت المحدّثون الراسخون في علم الحديث عن هذا، بل ذكروا كثيراً من هذه الأحاديث الموضوعة وبيّنوا وَضْعَها، وأنّ رواتها غير موثوق بهم، إلّا أنّ المحدّثين إنّما يطعنون فيما دون طبقة الصحابة، ولا يتجاسرون في الطعن على أحد من الصحابة؛ لأنّ عليه لفظ (الصُحبَة)؛ علىٰ أنّهم قد طعنوا في قوم لهم صُحبة كبُسر بن أرطاة وغيره»[1].

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١١: ٤٢.

وقال أيضاً: «كَتَبَ معاوية إلىٰ عماله في جميع الآفاق: أن انظروا مَن قِبَلكم من شيعة عثمان ومحبّيه وأهل ولايته والذين يروون فضائله ومناقبه، فأدنـوا مجالسهم وقرّبوهم وأكرموهم، واكتبوا لي بكلّ ما يَروي كلّ رجل منهم، واسمه واسم أبيه وعشيرته.

ففعلوا ذلك حتىٰ أكثروا في فضائل عثمان ومناقبه؛ لِمَا كـان يـبعثه إليـهم معاوية من الصلات والكساء والحـباء والقـطائع، ويـفيضه فـي العـرب مـنهم والموالي، فكثر ذلك في كلّ مصر، وتنافسوا في المنازل والدنيا، فليس يجيء أحد مردودٌ من الناس عاملاً من عمّال معاوية، فيَروي في عثمان فـضيلة أو منقبة إلّا كَتبَ اسمه وقرّبه وشفّعه. فلبثوا بذلك حيناً.

ثم كتب إلىٰ عمّاله إنّ الحديث في عثمان قد كثُر وفَشا في كلّ مصر وفي كلّ وجه وناحية، فإذا جاءكم كتابي هذا فادعوا الناس إلىٰ الروايـة فـي فـضائل الصحابة والخلفاء الأوّلين، ولا تتركوا خبراً يرويه أحد من المسلمين في أبي تراب إلّا وتأتوني بمناقض له في الصحابة، فإنّ هـذا أحبّ إليّ وأقـرُّ لعـيني، وأدحض لحجّة أبي تراب وشيعته، وأشدّ إليهم (عـليهم) مـن مـناقب عـثمان وفضله (وفضائله).

فَقُرِئَتْ كُتُبُه علىٰ الناس، فرُوِيَتْ أخبارٌ كثيرة في مناقب الصحابة مفتعلة لا حقيقة لها، وجَدَّ الناسُ في رواية ما يجري هذا المجرىٰ حتىٰ أشادوا بذكر ذلك الكثير الواسع، حتى رووه وتعلّموه كما يتعلّمون القرآن، وحتى علّموه بـناتهم ونساءهم وخدمهم وحَشَمهم، فلبثوا بذلك ماشاء الله...

فظهر حديث كثير موضوع، وبهتان منتشر، ومضى علىٰ ذلك الفقهاء والقضاة والولاة، وكان أعظم الناس في ذلك بلية القرّاء المراءون، والمستضعفون الذين

يظهرون الخشوع والنسك فيفتعلون الأحاديث ليحظوا بذلك عند ولاتهم، ويُقرّبوا مجالسهم، ويُصيبوا به الأموال والضياع والمنازل؛ حتى انتقلت تلك الأخبار والأحاديث إلىٰ أيدي الديّانين الذين لا يستحلّون الكذب والبهتان، فَقَبِلُوها ورووها، وهم يظنّون أنّها حقّ، ولو علموا أنّها باطلة لما رَووها، ولا تديّنوا بها»[(١)].

وأضاف ابن أبي الحديد قائلاً: «وروىٰ ابن عرفة المعروف بنفطويه ـ وهو من أكابر المحدّثين وأعلامهم ـ في تاريخه ما يناسب هذا الخبر، وقال: إنّ أكثر الأحاديث الموضوعة في فضائل الصحابة افتُعلت في أيام بني أُميّة، تقرّباً إليهم بما يظنون أنّهم يرغمون به أُنوف بني هاشم»[(٢)].

وروىٰ ابن أبي الحديد أيضاً عن الإمام محمد الباقر عليه‌السلام في حديث له قوله: «... ووجد الكاذبون الجاحدون لكذبهم وجحودهم موضعاً يتقرّبون به إلىٰ أوليائهم وقضاة السوء وعمّال السوء في كلّ بلدة، فحدّثوهم بالأحاديث الموضوعة المكذوبة، ورووا عنّا ما لم نَقُلْه ومالم نَفْعَلْه، ليبغّضونا إلىٰ الناس، وكان عُظْمُ ذلك وكبره زمن معاوية بعد موت الحسن عليه‌السلام...»[(٣)].

فبسبب وضع الأحاديث واختلاقها بعدد كبير جداً، ألّف المحققون من العلماء كتباً بيّنوا فيها الأحاديث الموضوعة، وأسماء الوضّاعين والكاذبين في الحديث والرواية، وقد ذكر العلّامة الكبير الشيخ الأميني رحمه‌الله في موسوعة الغدير أسماء سبعمئة كذّابٍ ووضّاع، كما سجّل قائمة في المواضيع

(١) شرح البلاغة لابن أبي الحديد ١١: ٤٤ ـ ٤٦.
(٢) شرح البلاغة لابن أبي الحديد ١١: ٤٦.
(٣) شرح البلاغة لابن أبي الحديد ١١: ٤٣.

والمقلوبات بلغ عددها (٤٠٨٦٨٤) حديثاً[١]. ثم قال: «فلا يُستكثر قول يحيىٰ بن معين: كَتَبْنا عن الكذّابين وسجرنا به التنّور وأخرجنا به خبزاً نضيجاً»[٢].

قال محمد بن حمدويه: سمعت البخاري (أي صاحب الصحيح) يقول: «أحفظ مائة ألف حديث صحيح، وأحفظ مائتي ألف غير صحيح»[٣].

ألّف العلماء بعض الكتب في الأحاديث والأخبار الموضوعة والمكذوبة منها:

(الموضوعات) لعبد الرحمن بن الجوزي، المتوفّىٰ ٥٩٧ هـ.

(المنار المنيف في الصحيح والضعيف)، للحافظ ابن قيّم الجوزيّة، المتوفّىٰ ٧٥١ هـ.

(اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة) لجلال الدين السيوطي، المتوفّىٰ سنة ٩١١ هـ.

(تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأحاديث الشنيعة الموضوعة) للحافظ علي بن محمّد بن عراق الكناني، المتوفّى سنة ٩٦٣ هـ.

(تذكرة الموضوعات) لمحمد طاهر بن علي الهندي الفتني، المتوفّىٰ سنة ٩٨٦ هـ، وفي ذيلها قانون الموضوعات والضعفاء، له أيضاً.

---

(١) انظر كتاب الغدير للشيخ الأميني ٥: ٣٠١ ـ ٤٧٥. ففيه يذكر سلسلة الكذّابين والوضّاعين، كما يذكر سلسلة الموضوعات علىٰ النبي الأمين صلى الله عليه وآله من الصفحة: ٤٧٦ ـ ٥٣١، وكذلك يذكر سلسلة الموضوعات في الخلافة في الصفحة: ٥٣٢ ـ ٥٦٥، ويذكر أيضاً تحت عنوان (غثيثة التزوير) في الصفحة: ٥٦٧ ـ ٥٩٧.

(٢) أُنظر تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ١٤: ١٨٩.

(٣) صحيح البخاري، شرح وتحقيق الشيخ قاسم الشماعي الرفاعي، المقدّمة: ٢٣.

(الأخبار الدخيلة) للشيخ محمّد تقي التُستري، المتوفّىٰ في ١٩ ذي الحـجّة ١٤١٥ هـ.

(مستدرك الأخبار الدخيلة) للشيخ محمّد تقي التُستري.

(أضواء علىٰ السنّة المحمدية أو دفاعٌ عن الحديث)، للشيخ محمود أبو ريّة.

ثانياً
روايات الواهمين والواهلين

ومثالها ما ذكره البخاري ومسلم في صحيحيهما: «عن ابن عباس، واللفظ لمسلم [قال]:... لمّا أُصيب عمر دخل صهيب يبكي ويقول: وا أخاه! وا صاحباه! فقال عمر: يا صهيب، أتبكي عليّ وقد قال رسول الله ﷺ: (إنّ الميّت يُعذَّب ببعض بكاء أهله عليه) قال ابن عباس: فلمّا مات عمر، ذكرتُ ذلك لعائشة، فقالت: يرحم الله عمر، لا والله ما حدّث رسول الله: إنّ الله يُعذّب المؤمنَ ببكاء أحد[1]، ولكن قال: (إنّ الله يزيد الكافرَ عذاباً ببكاء أهله عليه)، قال: وقالت عائشة: حسبكم القرآن: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾[2]. قال ابن عباس عند ذلك: واللهُ أضحك وأبكىٰ»[3].

---

(١) وفي صحيح البخاري «ببكاء أهله عليه».

(٢) سورة الأنعام: ١٦٤.

(٣) صحيح مسلم ٦: ٢٠٦، كتاب الجنائز، باب ٩ الحديث ٢٣، وصحيح البخاري ١: ٥٤٩ ـ ٥٥٠، كتاب الجنائز، الباب ٨١٧، الحديث ١٢٠٢، والسُنن الكبرىٰ للبيهقي ٥: ٤٤٦، كتاب الجنائز، الحديث ٧٢ ـ ٧٧، ومسند أحمد ١: ١٦٤، الحديث ٢٨٨، وأشار ابن عباس إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿وأنّه هو أضحك وأبكىٰ﴾، النجم: ٤٣، أي إنّ الضحك والبكاء من الغرائز التي أودعها الله في الإنسان، فهو يَضحك عند الفرح ويَبكي عند الحزن.

وفي صحيح مسلم: «ذُكر عند عائشة أنّ ابن عمر يرفع إلىٰ النبي: (إنّ الميّت يُعذَّب في قبره ببكاء أهله عليه). فقالت: وَهِلَ[١]، إنّما قال رسول الله: إنّه يُعذَّب بخطيئته ـ أو بذنبه ـ وإنّ أهله ليبكون عليه الآن»[٢].

في سنن أبي داود بسنده عن ابن عمر، قال: «قال رسول الله: (إنّ الميت لَيُعذَّب ببكاء أهله عليه). فذُكر ذلك لعائشة، فقالت: وَهِل ـ تعني ابن عمر ـ إنّما مرّ النبي علىٰ قبرٍ فقال: (إنّ صاحب هذا [القبر] لَيُعذّب وأهله يبكون عليه) ثم قَرَأَتْ آية ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾[٣]، قال عن أبي معاوية: علىٰ قبر يهودي»[٤].

وفي صحيح مسلم أيضاً بسنده عن عبد الله بن أبي بكر عن أبيه عن عَمرة بنت عبد الرحمن أنّها أخبرته أنّها سمعت عائشة وذُكر لها أنّ عبد الله بن عمر يقول: «إنّ الميّت ليعذّب ببكاء الحيّ، فقالت عائشة: يغفر الله لأبي عبدالرحمن، أمَا إنّه لم يكذب ولكنّه نسي أو أخطأ، إنّما مرّ رسول الله علىٰ [قبر] يهوديّة يُبكىٰ عليها فقال: إنّهم ليبكون عليها وإنّها لتُعذّب في قبرها»[٥].

قال الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم عن روايات النهي عن البكاء

---

(١) وهل: بفتح الواو وفتح الهاء وكسرها، أي غلط ونسي.

(٢) وهل: بفتح الواو وفتح الهاء وكسرها، أي غلط ونسي.

(٣) سورة الأنعام: ١٦٤.

(٤) سنن أبي داود ٣: ١٩٤، كتاب الجنائز، الحديث ٣١٢٩، وسنن النسائي ٤: ١٧، كتاب الجنائز، باب النياحة علىٰ الميت.

(٥) صحيح مسلم ٦: ٢٠٨، كتاب الجنائز، باب ٩ الحديث ٢٧، وسنن الترمذي ٢: ١٢٣ ـ ١٢٤، كتاب الجنائز، باب ٢٥، الحديث ١٠٠٦، وصحيح البخاري، المجلد الأوّل: ٥٥٠، كتاب الجنائز، الحديث ١٢٠٣، وسنن النسائي ٤: ١٧ ـ ١٨، والسنن الكبرىٰ للبيهقي ٥: ٤٤٥، الحديث ٧٢٧٥.

المروية عن رسول الله ﷺ: «وهذه الروايات من رواية عمر بن الخطّاب وابنه عبد الله ـ رضي الله عنهما ـ وأنكرت عائشة ونسبتها إلىٰ النسيان والاشتباه عليهما، وأنكرتْ أن يكون النبيّ قال ذلك واحتجّت بقوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾[1]، قالت: وإنّما قال النبي في يهوديّة: (إنّها تُعذّب وهم يبكون عليها)، يعني تُعذّب بكفرها في حال بكاء أهلها لا بسبب البكاء»[2].

وذكر ابن أبي الحديد المعتزلي في شرحه لكلام الإمام علي عليه السلام في حديثه عن اختلاف الخبر: «ورجلٌ سمع من رسول الله شيئاً ولم يحفظه علىٰ وجهه فوَهِمَ فيه»، قال المعتزلي: «فقد وقع ذلك، وقال أصحابنا في الخبر الذي رواه عبد الله ابن عمر: (إنّ الميّت ليعذّب ببكاء أهله عليه): إنّ ابن عباس لمّا رُوي له هذا الخبر قال: ذهل (وهل) ابن عمر، إنّما مرّ رسول الله ﷺ علىٰ قبر يهودي فقال: إنّ أهله ليبكون عليه وإنّه ليعذّب».

وقالوا أيضاً: إنّ عائشة أنكرت ذلك وقالت: ذَهل أبو عبد الرحمن، إنّما قال عليه السلام: إنّهم ليبكون عليه وإنّه ليعذّب بجرمه»[3].

---

(١) سورة الأنعام: ١٦٤.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي ٦: ٢٠٢.

(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١١: ٤٧.

ثالثاً
روايات مَن حَفِظَ المنسوخَ
ولم يحفظِ الناسخ

ومثالها حديث زيارة القبور، ففي رواية عن الإمام علي عليه السلام: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّي كنتُ نَهيتُكم عن زيارة القبور، فزوروها فإنّها تذكّركُم الآخرة»(١).

قال الفخر الرازي: «والزيارة: إتيان الموضع، وذلك لأغراض كثيرة وأهمّها وأولاها بالرعاية: ترقيق القلب، وإزالة حبّ الدنيا، فإنّ مشاهدة القبور تورث ذلك، على ما قال عليه السلام: كنتُ نَهيتكُم عن زيارة القبور ألَا فزوروها فإنّ في زيارتها تذكرة»(٢).

وقال صلى الله عليه وآله: «كنتُ نَهيتكُم عن زيارة القبور، فزوروا القبور، فإنّها تُزهّد في الدنيا وتُذكّر الآخرة»(٣).

وقال صلى الله عليه وآله: «كنتُ نَهيتكُم عن زيارة القبور، ألَا فزوروها فإنّها ترقّق القلب

---

(١) مسند أحمد ١: ٤٠٥، الحديث ١٢٣٦، و ٧: ٦٣٣، الحديث ٢٣٣٩٣، وكنز العمال ١٥: ٦٥٢، الحديث ٤٢٥٨٧ و ٤٢٥٩٧.

(٢) مفاتيح الغيب للفخر الرازي ٣٢: ٧٦ ـ ٧٧، سورة التكاثر، وروىٰ الحديث أبو داود في سننه ٣: ٢١٨، والمتقي الهندي في كنز العمال ١٥: ٦٤٨، الحديث ٢٥٦٦.

(٣) كنز العمال ١٥: ٦٤٦، الحديث ٤٢٥٥٤.

وتُدمع العين، وتُذكّر الآخرة، ولا تقولوا: هُجرا»(١).

وفي صحيح مسلم: «نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها»(٢).

وفي مسند أحمد عن رسول الله ﷺ، أنّه قال: «كنتُ نهيتكم عن ثلاث: عن زيارة القبور فزوروها فإنّ في زيارتها عِظة وعبرة»(٣).

فالنبيّ الكريم نهىٰ أوّلاً عن زيارة القبور لمصلحة كان يراها، ثم نَسَخَ النهيَ وأمر بزيارة القبور(٤)، ومع ذلك فإنّ بعض الصحابة حفظ النهي ولم يحفظ الأمر.

فعن عبد الله بن أبي مَليكة قال: «إنّ عائشة أقبلت ذات يوم من المقابر، فقلت لها: يا أُمّ المؤمنين مِن أين أقبلتِ؟ قالت: مِن قبر أخي عبد الرحمن بن أبي بكر، فقلتُ لها: أليس كان رسول الله نهىٰ عن زيارة القبور؟ قالت: نعم، كان نهىٰ [عن زيارة القبور] ثم أمر بزيارتها»(٥).

---

(١) كنز العمال ١٥: ٦٤٦، الحديث ٤٢٥٥٥. ورواه الحاكم في المستدرك ١: ٧١١ الحديث ١٤٣٣.

(٢) صحيح مسلم ٧: ٤٠، كتاب الجنائز، باب ٣٦ الحديث ١٠٧، ومسند أحمد ٧: ٦٢١، الحديث ٢٣٣٤٦.

(٣) مسند أحمد ٧، ٦٣٦، الحديث ٢٣٤٠٣، وقريب منه في كنز العمال ١٥، ٦٤٧، الحديث ٤٢٥٥٨.

(٤) إنّ الرسول الكريم إنّما نهىٰ أوّلاً عن زيارة القبور؛ لأنّ أصحابها كانوا من المشركين والكفرة، ولا تجوز زيارة هؤلاء، ولذا نهىٰ الرسول ﷺ عن زيارة قبورهم وتعميرها وتجصيصها، كلّ ذلك حتّىٰ تندرس وتضمحل وينقطع أثرها؛ فإنّ زيارة القبر تكريم لصاحبه، ولا كرامة للمشرك والكافر. ولمّا مضت علىٰ ظهور الإسلام مدّة وتوفّي واستُشهد بعض المسلمين واندثر أثر المشركين نسخ النبيّ ﷺ ما نهىٰ عنه من زيارة القبور وأمر بزيارتها وقال: «إنّي كنت نهيتكم عن زيارة القبور [أي قبل هذا] فزوروها» أي من الآن فما بعد.

(٥) المستدرك للحاكم ١: ٧١٠، الحديث ١٤٣٢، والسنن الكبرىٰ للبيهقي ٥: ٤٥٨ ـ ٤٥٩، الحديث ٧٣٠٨.

ولم يكتفِ النبيﷺ بالحثّ علىٰ زيارة القبور بل قام بنفسه بزيارة قبر أُمّه وقبور شهداء أُحد وقبور البقيع. فقد روت عائشة أنّهﷺ قال لها: «إنّ جبرائيل أتاني... فقال: إنّ ربّك يأمرك أنْ تأتي أهل البقيع فتستغفر لهم، قالت: قلتُ: كيف أقول لهم يا رسول الله؟ قال: قولي: السلام علىٰ أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، ويرحم الله المستقدِمين منّا والمستأخِرين، وإنّا إن شاء الله بكم للاحقون»[١].

وروىٰ البيهقي بسنده عن سليمان بن بُريدة عن أبيه قال: «كان رسول الله يعلّمهم إذا دخلوا المقابر فكان قائلهم يقول: السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، إنّا إن شاء الله بكم لاحقون، نسأل الله لنا ولكم العافية»[٢].

وروىٰ مسلم في صحيحه بسنده عن أبي هريرة قال: «زار النبيُّ قبر أُمّه فبكىٰ وأبكىٰ مَن حوله...»[٣].

وفي رواية أُخرىٰ قالﷺ: «إنّي كنت نهيتكم عن ثلاث: عن زيارة القبور... وإنّ محمداً قد أُذن له في زيارة قبر أُمّه»[٤].

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي ٧: ٣٧، كتاب الجنائز، باب ٣٥ الحديث ١٠٣، وكنز العمال ١٥: ٦٤٨، الحديث ٤٢٥٦٤.

(٢) السُنن الكبرىٰ ٥: ٤٦١، الحديث ٧٣١٣، ورواه مسلم في صحيحه ٧: ٤٥، وأحمد في مسنده ٧: ٦٢٨، الحديث ٢٣٣٧٣.

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي ٧: ٤٠، كتاب الجنائز، باب ٣٦ الحديث ١٠٦.

(٤) مسند أحمد ٧: ٦٣٦، الحديث ٢٣٤٠٤، وقريب منه في كنز العمال ١٥: ٦٤٧، الحديث ٤٢٥٥٩.

رابعاً
روايات أهل الكتاب

إنّ قسماً من روايات أهل الكتاب مجافية للواقع، سواء الموجود منها في كتبهم قبل الإسلام، أو ما اختلقوه بأنفسهم في أيّام الإسلام، وقد أُصطُلح عليها بالإسرائيليات نسبة إلىٰ بني إسرائيل، من يهود أو نصارىٰ. وقد أُلّفت بعض الكتب في هذا المعنىٰ منها: (الإسرائيليات وأثرها في كتب التفسير)، للدكتور رمزي نعناعة، كما أنّ الشيخ محمود أبو ريّة من علماء الأزهر تحدّث عن روايات أهل الكتاب في كتابه (أضواء علىٰ السنّة المحمدية) تحت عنوان الإسرائيليّات في الحديث فقال: «لمّا قويت شوكة الدعوة المحمّدية واشتدّ ساعدها، وتحطّمت أَمامها كل قوّة تنازعها لم يرَ مَن كانوا يقفون أَمامَها ويصدّون عن سبيلها، إلّا أن يكيدوا لها من طريق الحيلة والخداع، بعد أن عجزوا عن النيل منها بِعُدَد القوّة والنزاع.

ولمّا كان ﴿أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ﴾[1]؛ لأنّهم بزعمهم شعب الله المختار، فلا يعترفون لأحد غيرهم بفضل، ولا يقرّون لنبي بعد موسىٰ برسالة،

---

(١) سورة المائدة: ٨٢.

فإنّ رهبانهم وأحبارهم لم يجدوا بدّاً ـ وبخاصّة بعد أن غُلبوا علىٰ أمرهم وأُخرجوا من ديارهم ـ مِن أن يستعينوا بالمكر، ويتوسّلوا بالدهاء؛ لكي يصلوا إلىٰ ما يبتغون، فهداهم المكر اليهودي إلىٰ أن يتظاهروا بالإسلام ويطووا نفوسهم علىٰ دينهم؛ حتىٰ يخفىٰ كيدُهُم، ويجوز علىٰ المسلمين مكرهم، وقد كان أقوىٰ هؤلاء الكُهّان وأشدّهم مكراً، كعب الأحبار، ووهب بن منبّه، وعبد الله بن سلام.

ولمّا وجدوا أنّ حِيَلهم قد راجت بما أظهروه من كاذب الورع والتقوىٰ، وأنّ المسلمين قد سكنوا إليهم واغترّوا بهم، جعلوا أوّل همّهم أن يضربوا المسلمين في صميم دينهم، وذلك بأن يدسّوا إلىٰ أُصوله التي قام عليها ما يريدون من أساطير وخرافات وأوهام وترّهات؛ لكي تهي هذه الأُصول وتضعف.

ولمّا عجزوا عن أن ينالوا من القرآن الكريم؛ لأنّه قد حُفِظَ بالتدوين واستظهره آلاف من المسلمين، وأنّه قد أصبح بذلك في مَنَعةٍ مِن أن يُزاد فيه كلمةٌ أو يتدسّس إليه حرفٌ، اتّجهوا إلىٰ التحدّث عن النبي فافتروا ـ ما شاءوا أن يفتروا ـ عليه أحاديث لم تصدر عنه، وأعانهم علىٰ ذلك أنّ ما تحدّث به النبيُّ في حياته لم يكن محدود المعالم، ولا محفوظ الأُصول؛ لأنّه لم يُكتب في عهده صلوات الله عليه كما كُتب القرآن، ولا كَتَبهُ صحابتهُ من بعده، وأنّ في استطاعة كلِّ ذي هوىً أو دخلة سيّئة، أن يتدسّس إليه بالافتراء، ويسطو عليه بالكذب.

ويسّر لهم كيدهُم أن وجدوا الصحابةَ يرجعون إليهم في معرفة ما لا يعلمون من أُمور العالَم الماضية، واليهود بما لهم من كتاب وما فيهم من علماء كانوا يُعتَبرون أساتذة العرب فيما يجهلون من أُمور الأديان السابقة، إن كانوا

مخلصين صادقين...».

وأضاف قائلاً: «من أجل ذلك كلّه أخذ أُولئك الأحبار يبثّون في الدين الإسلامي أكاذيب وترّهات، يزعمون مرّة أنّها في كتابهم أو من مكنون علمهم، ويدّعون أُخرىٰ أنّها ممّا سمعوه من النبيﷺ، وهي في الحقيقة من مفترياتهم، وأنّىٰ للصحابة أن يفطنوا لتمييز الصدق من الكذب من أقوالهم، وهم من ناحية لا يعرفون العبرانية التي هي لغة كُتُبهم، ومن ناحية أُخرىٰ كانوا أقلّ منهم دهاءً وأضعف مكراً، وبذلك راجت بينهم سوق هذه الأكاذيب، وتلقّىٰ الصحابة ومن تبعهم كلّ ما يُلقيه هؤلاء الدُهاة بغير نقدٍ أو تمحيص، معتبرين أنّه صحيح لا ريب فيه»[١].

يمكننا أن نقسّم روايات أهل الكتاب إلىٰ أربعة أقسام:

القسم الأوّل:

الروايات المذكورة في كتبهم قبل الإسلام ثم تسرّبت بعد ذلك إلىٰ كتب المسلمين، ومثاله: رواية داود وأُورِيّا وزوجته.

ورد في الكتاب المقدّس (التوراة) ما يلي:

«ولمّا جاء الربيع، وهو وقت خروج الملوك إلىٰ الحرب، أرسل داود (يُوآب)[٢] والقادة معه علىٰ رأس كلّ جيش بني إسرائيل، فسحقوا (بني عَمُّون) وحاصروا مدينة (رِبَّة)، وأمّا داود فبقي في (أُورشليم)[٣].

وعند المساء قام داود عن سريره وتمشّىٰ علىٰ سطح القصر، فرأىٰ علىٰ السطح امرأةً تستحم وكانت جميلة جداً. فسأل عنها، فقيل له: (هذه بَتْشابَعُ بنت

---

(١) أضواء علىٰ السنّة المحمّدية: ١٤٩ ـ ١٥١، وما بعدها.

(٢) قائد الجيش.

(٣) أي القدس.

أَلِيْعامَ زوجة أُورِيّا الحِثّي). فأرسل إليها رُسُلاً عادوا بها، وكانت [قد] اغتسلت وتطهرت[١]، فدخل عليها ونام معها، ثم رجعت إلىٰ بيتها. وحين أحسّت أنّها حُبلىٰ أعلمته بذلك. فأرسل داود إلىٰ يُوآب يقول: (أرسِلْ إليّ أُورِيّا الحِثّي). فأرسله، فلمّا جاء سأله داود عن سلامة يُوآب والجيش وعن الحرب. ثم قال له: (إنزل إلىٰ بيتك واغسل رجليك واسترح)[٢].

فخرج أُورِيّا من القصر، وتبعته هدية من عند داود، فنام علىٰ باب القصر مع الحرس ولم ينزل إلىٰ بيته. فلمّا قيل لداود: (أُوريّا لم ينزل إلىٰ بيته). دعاه وقال له: (أما جئت من السفر؟ فما بالك لا تنزل إلىٰ بيتك؟) فأجابه أُوريّا: (تابوت العهد ورجال إسرائيل ويهوذا مقيمون في الخيام، ويُوآب وقادة سيّدي الملك في البرّية، فكيف أدخل بيتي وآكل وأشرب وأنام مع زوجتي؟ لا وحياتك، لاأفعل هذا). فقال له داود: (أقم هنا اليوم وغداً أصرفك). فبقي أُورِيّا في أورشليم. وفي اليوم التالي دعاه داود فأكل معه وشرب حتىٰ سكر، ثم خرج مساءً فنام حيث ينام الحرس، ولم ينزل إلىٰ بيته.

فلمّا طلع الصباح كتب داود إلىٰ يُوآب مكتوباً وأرسله بيد أُوريّا يقول فيه: (وجّهوا أُوريّا إلىٰ حيث يكون القتال شديداً، وارجعوا من ورائه فيضربه العدو فيموت). وكان يُوآب يحاصرالمدينة، فعيّن لأُوريّا موضعاً علِمَ أنّ للعدو فيه رجالاً أشداء. فخرج رجال المدينة وحاربوا يُوآب فسقط لداود بعض القادة ومن بينهم أُوريّا الحثّي، فأرسل يُوآب وأخبر داود بكل ما جرىٰ في الحرب... وسمعت زوجة أُوريّا أنّ زوجها مات فناحت عليه. ولمّا انتهت أيام مناحتها

---

(١) أي من طمثها.

(٢) قال الشيخ البلاغي في كتاب (الهدىٰ إلىٰ دين المصطفىٰ) ١: ١٤٦، في تعليقه علىٰ كلام داود لأُورِيّا: «وغرضه أن يقارب أُوريّا امرأته فيتّموه أمر الحمل».

أرسل داود [إليها] وضمّها إلىٰ بيته، فكانت زوجةً له وولدت له ابناً.

واستاء الرب ممّا فعله داود، فأرسل الربّ (ناثان) النبي إلىٰ داود، فجاءه وقال له: (كان رجلان في إحدىٰ المدن، أحدهما غني والآخر فقير، وكان للغني غنم وبقر كثير جداً، ولم يكن للفقير غير نعجة واحدة صغيرة اشتراها وربّاها وكبرت معه ومع بنيه، تأكل من لقمته وتشرب من كأسه وترقد في حضنه وكانت عنده كابنته. فنزل بالرجل الغني ضيف فلم يشأ أن يأخذ من غنمه وبقره ليُهيّأ طعاماً للضيف، بل أخذ نعجة الرجل الفقير وهيّأها طعاماً له). فغضب داود علىٰ الرجل الغني جدّاً وقال لناثان: (حَيٌّ هُو الرَبُّ، الرجل الذي صنع هذا يستوجب الموت، وبدل [النعجة] الواحدة يردّ أربعاً، جزاء ما فعله دون شفقة).

فقال ناثان له: (أنت هو الرجل، هذا ما قاله الربّ إلهُ إسرائيل): (أنا مسحتك[1] ملكاً علىٰ بني إسرائيل، وأنقذتك من يد شاول، وأعطيتك بيته وزوجاته، وجعلتك ملكاً علىٰ إسرائيل ويهوذا معاً، وإن كان ذلك قليلاً فأنا أُضاعفه لك، فلماذا احتقرت كلامي وارتكبت القبيح في عيني؟ قتلتَ أُوريّا الحثّي بالسيف ـ سيف بني عمّون ـ وأخذت امرأته زوجة لك. والآن جيلاً بعد جيل لن يموت أحدٌ من نسلك إلّا قتلاً، لأنّك فعلت هذا)، وهذا أيضاً ما قال الربّ: (ها أنا أُثير عليك الشر من أهل بيتك، وآخذ زوجاتك وأدفعهنّ إلىٰ غيرك فيضاجعهنّ في وضح النهار، أنت فعلت ذلك سرّاً وأنا أفعل هذا الأمر علىٰ عيون جميع بني إسرائيل وفي وضح النهار).

---

(١) وفي نسخة أُخرىٰ (لقد اخترتك ملكاً علىٰ إسرائيل)، اُنظر التفسير التطبيقي للكتاب المقدّس، سفر صموئيل الثاني الأصحاح ١٢: ٦٦٢.

فقال داود لناثان: (خطِئت إلىٰ الربّ)[١]. فقال له ناثان: (الربّ غفر خطيئتك فلا تموت، ولكن لأنّك استهنت بالربّ بفعلك هذا، فالابن الذي يولد لك يموت).

وانصرف ناثان إلىٰ بيته...»[٢].

وقد انتقلت هذه الرواية إلىٰ كتب المسلمين ولكن بشيء من التهذيب والتغيير.

في حديث علي بن الجهم مع الإمام الرضا عليه السلام واتّهامه الأنبياء عليهم السلام بصدور المعاصي منهم، واستدلاله بالآيات التي يُستشف منها عدم عصمتهم، مثل قوله عزّ وجلّ في داود عليه السلام: ﴿وظنّ داودُ أنّما فتنّاه﴾[٣] قال له الإمام الرضا عليه السلام: «ويحك يا علي، اتّقِ الله ولا تَنْسُب إلىٰ أنبياء الله الفواحش، ولا تتأوّل كتاب الله برأيك، فإنّ الله عزّ وجلّ يقول: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي العِلْمِ﴾[٤]».

ثم أخذ الإمام يوضّح له المعنىٰ الصحيح للآيات التي استشهد بها، إلىٰ أن وصل إلىٰ قصّة داود عليه السلام. فقال له الإمام عليه السلام: وأمّا داود، فما يقول مَن قِبَلكم فيه؟ فقال علي بن الجهم: يقولون: إنّ داود كان في محرابه يُصلّي إذ تصوّر له إبليس علىٰ صورة طير أحسن ما يكون من الطيور، فقطع [داود] صلاته وقام ليأخذ

---

(١) وفي نسخة ثانية للكتاب المقدّس: (قد أخطأت إلىٰ الرب). أُنظر التفسير التطبيقي للكتاب المقدّس، العهد القديم، سفر صموئيل الثاني الأصحاح ١٢: ٦٦٢.

(٢) الكتاب المقدّس، سفر صموئيل الثاني، الأصحاح ١٢: ٣٨٤ ـ ٣٨٦، تحت عنوان داود وبتشابع.

(٣) سورة ص: ٢٤.

(٤) سورة آل عمران: ٧.

الطير، فخرج الطير إلىٰ الدار، فخرج في أثره، فطار الطير إلىٰ السطح، فصعد في طلبه، فسقط الطير في دار أُوريّا بن حنّان، فاطّلع داود في أثر الطير، فإذا بامرأة أُوريّا تغتسل، فلمّا نظر إليها هواها، وكان أُوريّا قد أخرجه [داود] في بعض غزواته، فكتب إلىٰ صاحبه [أي رئيس الجيش] أن قَدِّمْ أُوريّا أَمام الحرب، فقُدّم فظفر أُوريّا بالمشركين، فصَعب ذلك علىٰ داود، فكتب إليه ثانية: أن قدِّمْهُ أمام التابوت، فقُتل أُوريّا، وتزوّج داود بامرأته(١).

فضرب الرضا عليه السلام بيده علىٰ جبهته وقال: إنّا لله وإنّا إليه راجعون، لقد نَسَبْتُم نبيّاً من أنبياء الله إلىٰ التهاون بصلاته حتىٰ خرج في أثر الطير، ثم بالفاحشة ثم بالقتل.

فقال [علي بن الجهم] يا بن رسول الله: فما كانت خطيئته؟ فقال: ويحك إنّ داود إنّما ظنّ أنّه ما خلق الله عزّ وجل خلقاً هو أعلم منه، فبعث الله عزّ وجلّ إليه الملَكَين فتسوّرا المحراب، فقالا: ﴿خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَاحْكُمْ بَيْنَنَا بِالحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَىٰ سَوَاءِ الصِّرَاطِ * إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الخِطَابِ﴾(٢) فعجّل داود عليه السلام علىٰ المدّعىٰ عليه فقال: ﴿لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِ﴾(٣) ولم يسأل المُدّعي البيّنةَ علىٰ ذلك، ولم يُقبِل علىٰ المُدّعىٰ عليه فيقول له: ماتقول؟ فكان هذا خطيئة

---

(١) ذكر هذه القصّة أيضاً علي بن إبراهيم القمّي في تفسيره ٢: ٢٣٠. مع شيء من التفصيل، وأوردها كذلك السيّد نعمة الله الجزائري في قصص الأنبياء: ٣٨٦. وعلّق عليها قائلاً: «أقول هذا الحديث محمولٌ علىٰ التقيّة لموافقته مذهب العامّة ورواياتهم، وعدم منافاته لقواعدهم من جواز مثله علىٰ الأنبياء».

(٢) سورة ص: ٢٢ ـ ٢٣.

(٣) سورة ص: ٢٤.

حُكمِهِ، لا ما ذهبتم إليه، ألا تسمع الله عزّ وجلّ يقول: ﴿يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي ٱلْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِالْحَقِّ﴾[١].

[قال ابن الجهم] فقلتُ: يابن رسول الله، فما قصّته مع أُوريا؟

فقال الرضا عليه السلام: إنّ المرأة في أيّام داود كانت إذا مات بعلها أو قُتل لا تتزوّج بعده أبداً، وأوّل من أباح الله عزّ وجلّ له أن يتزوج بامرأة قُتل بعلها، داود، فذلك الذي شقَّ علىٰ [الناس من قِبَل] أُوريا... قال: فبكىٰ علي بن الجهم وقال: يابن رسول الله أنا تائب إلىٰ الله عزّ وجلّ [لا أُحدّث] بعد يومي هذا إلّا بما ذكرتَه»[٢].

القسم الثاني:

الروايات التي اختلقوها لإظهار أفضليّتهم علىٰ سائر الأُمم، أو أفضليّة مقدّساتهم علىٰ مقدّسات المسلمين. ومثالها: تفضيلهم بيت المقدس علىٰ الكعبة المشرّفة[٣]، فقد روىٰ زرارة، قال: «كنتُ قاعداً جنب أبي جعفر عليه السلام[٤] وهو مُحْتَبٍ مُستقبل الكعبة، فقال عليه السلام: (أمَا إنّ النظر إليها عبادة) فجاءه رجل من بجيلة يقال له عاصم بن عمر، فقال لأبي جعفر عليه السلام: إنّ كعب الأحبار كان يقول: إنّ الكعبة تسجد لبيت المقدس في كلّ غداة.

(١) سورة ص: ٢٦.

(٢) الأمالي للشيخ الصدوق: ١٥٣، المجلس ٢٠، الحديث ١٤٨، وعيون أخبار الرضا ١: ١٧٠ ـ ١٧١.

(٣) أُنظر الإسرائيليات في الحديث: ١٤٩ وما بعدها من كتاب (أضواء علىٰ السنّة المحمديّة) لمحمود أبو ريّة، وكتاب (الإسرائيليات وأثرها في كتب التفسير) للدكتور رمزي نعناعة.

(٤) أي الإمام محمّد الباقر عليه السلام.

فقال أبو جعفر عليه السلام: (فما تقول فيما قال كعب؟) فقال [الرجل]: صدق، القولُ ما قال كعب. فقال أبو جعفر عليه السلام: (كَذِبْتَ وكَذِبَ كعب الأحبار معك). وغضب عليه السلام».

قال زرارة: «ما رأيتُه استقبل أحداً بقول: كذبت، غيره. ثم قال عليه السلام: ما خلق الله عزّ وجلّ بقعةً في الأرض أحبَّ إليه منها ـ وأومأ بيده نحو الكعبة ـ ولا أكرم على الله عزّ وجلّ منها، لها حرّم الله الأشهر الحرم في كتابه يوم خلق السماوات والأرض، ثلاثة متوالية للحج: شوال وذو القعدة وذو الحجة، وشهر مفرد للعمرة، وهو رجب»(١).

القسم الثالث:

الروايات التي وضعوها ليسجّلوا فضلاً لهم على أُمّة الإسلام. ومثالها: الرواية التالية:

ذكر البخاري في صحيحه حديث الرسول صلى الله عليه وآله عن المعراج وما جرى له في السماء وما أمَرَه الله تعالى به إلى قوله صلى الله عليه وآله: «ثم فُرِضَتْ عَلَيَّ الصَلَواتُ خمسينَ صلاةً كُلَّ يومٍ، فرجعتُ، فمررتُ على موسى فقال: بما أُمِرْتَ؟ قلت: أُمِرْتُ بخمسينَ صلاةً كلّ يوم، قال: إنّ أُمّتك لا تستطيع خمسين صلاة كلّ يومٍ، وإنّي والله قد جرَّبتُ الناسَ قبلَكَ وعالجتُ بني إسرائيلَ أشدّ المعالَجَة، فارْجِعْ إلى ربّك فاسْأَلْهُ التخفيفَ لأُمّتك، فرجعتُ، فوَضَعَ عنّي عشراً، فرجعتُ إلى موسى فقال: مثلَهُ، فرجعتُ فوضَعَ عنّي عشراً، فرجعتُ إلى موسى فقال: مثلَهُ، فرجعتُ فوضَعَ عنّي عشراً، فرجعتُ إلى موسى فقال: مثلَهُ، فرجعَتُ فأُمِرْتُ بعشر صَلَواتٍ كلّ يومٍ، فرجعتُ

(١) الفروع من الكافي للشيخ الكليني ٤: ٢٣٩ ـ ٢٤٠، الحديث ١.

فقال: مثلَهُ، فرجعتُ، فأُمِرْتُ بخمس صَلَواتٍ كلّ يوم، فرجعتُ إلىٰ موسىٰ فقال: بما أُمِرْتَ؟ قلتُ: أُمِرْتُ بخمس صلواتٍ كلّ يومٍ، قال إنّ أُمّتك لا تستطيع خمس صلواتٍ كلّ يومٍ، وإنّي قد جرّبتُ الناسَ قبلَكَ وعالجتُ بني إسرائيل أشدّ المعالجة، فارْجِعْ إلىٰ ربّك فاسْأَلْهُ التخفيفَ لأُمّتك، قال: سألتُ ربّي حتّىٰ استحييتُ، ولكنْ أرضىٰ وأُسلِّمُ، قال: فلمّا جاوزتُ نادىٰ منادٍ أمضيتُ فريضتي وخفّفتُ عن عبادي»(١).

وهذه الرواية يصعب الأخذ بها، لما فيها من المؤاخذات التالية:

أ ـ إذا كان الله تعالىٰ أمر نبيّه الكريم أن يبلّغ أُمّته بفرض خمسين صلاة عليهم، ومرّ رسول الله علىٰ موسىٰ عليه السلام فسأله عمّا أمره الله تعالىٰ، فأخبره بفرض خمسين صلاة، فأمره موسىٰ أن يرجع إلىٰ ربّه ويطلب التخفيف عن أُمّته، فهل كان موسىٰ أرفق بأُمّة محمّد صلى الله عليه وآله من محمّد نفسه الذي يقول تعالىٰ عنه: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾(٢)؟

ب ـ هل كان موسىٰ أرفق وأرحم بأُمة محمّد صلى الله عليه وآله من الله تعالىٰ الرحمن الرحيم، فيشدّد عليهم وموسىٰ يخفّف عنهم؟

ج ـ إنّ الله تعالىٰ حكيم ولا يأمر بأمرٍ خالٍ من الحكمة، ولا يُكلِّف عباده فوق طاقتهم، قال سبحانه: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا﴾(٣)، وهذا لا يتّفق مع فرض خمسين صلاة ـ لا خمسين ركعة ـ فلو فرضنا أنّ كلّ صلاة تستغرق مع مقدّماتها ١٢ دقيقة، فالنتيجة تكون ٦٠٠ دقيقة (أي عشر ساعات)،

(١) صحيح البخاري ٥: ١٣٣ ـ ١٣٤، الباب ١٠٤، الحديث ٣٩٣. ووسائل الشيعة ٤: ١٣، كتاب الصلاة، باب ٢، الحديث ٥. وتفسير علي بن إبراهيم القمّي ٢: ١٢.

(٢) سورة التوبة: ١٢٨.

(٣) سورة البقرة: ٢٨٦.

فيحتاج المسلم أن يصرف من وقته كلّ يوم عشر ساعات لأداء خمسين صلاة، فمتىٰ ينام؟ ومتىٰ يعمل؟ ومتىٰ يقوم بأعماله البيتيّة؟ فهل يُعقل أنّ الله الحكيم يكلّف الناس بمثل هذا التكليف الشاق، وهو القائل: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾(١)، ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾(٢)، ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ﴾(٣)؟

د ـ إنّ مفهوم هذه الرواية هو عدم علمه تعالىٰ بضعف أُمّة محمّد ﷺ في أداء خمسين صلاة كلّ يوم، في حين كان موسىٰ عليه السلام يعلم ذلك.

هـ ـ ظاهر هذه الرواية صدور النسخ علىٰ الحكم قبل مجيء زمان العمل به، وهذا ممّا لا يجوّزه العلماء(٤).

القسم الرابع:

الأخبار التي وضعها المسيحيّون لرفع مستوىٰ عيسىٰ وأُمّه مريم عليهما السلام علىٰ سائر الناس، وألقوها إلىٰ بعض المسلمين، فرووها ونسبوها إلىٰ رسول الله ﷺ ولم يذكروا من رواها لهم من أهل الكتاب.

روىٰ أبو هريرة أنّ النبي ﷺ قال: «ما من مولود يولَد إلّا والشيطان يمسّه حين يولَد، فيستهلّ صارخاً من مسّ الشيطان إيّاه إلّا مريم وابنها» ثم يقول أبو هريرة: «واقرأوا إن شئتم ﴿وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَها مِنَ

---

(١) سورة البقرة: ١٨٥.

(٢) سورة الحج: ٧٨.

(٣) سورة المائدة: ٦.

(٤) أُنظر البيان في تفسير القرآن للإمام الخوئي: ٢٤٩، باب النسخ في القرآن، الرقم ٢٣.

الشَّيطانِ الرَّجِيمِ﴾(١)،(٢).

ومعنىٰ الحديث: أنّ الشيطان يطعن كلّ ابن آدم إلّا عيسىٰ بن مريم وأُمّه، وبذلك لم يسلم من طعن الشيطان أحد غيرهما من بني آدم أجمعين، حتّىٰ أُولو العزم من الرُسُل: نوح وإبراهيم وموسىٰ وعيسىٰ، ومحمّد (صلوات الله عليهم). مع أنّ الكتاب العزيز يحكي لنا كلام إبليس: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَلأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلاّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ المُخْلَصِينَ * قَالَ هَذا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ * إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾(٣).

فالأنبياء والرسل والأوصياء من عباد الله المخلَصين (أي المعصومين من الذنب) فلا سلطان للشيطان عليهم؛ ولم يختصّ الأمر بعيسىٰ وأُمّه عليهما السلام.

ثمّ إنّ المخلَصين المعصومين حسبما ورد في الروايات لم يصرخوا عند ولادتهم كما يفعل الناس العاديّون، بل يخرّون ساجدين إلىٰ الأرض ناطقين بالشهادة لله بالوحدانيّة فور مجيئهم إلىٰ الدنيا.

إضافة إلىٰ ذلك أنّ الأطبّاء لم يؤيّدوا سبب صراخ الطفل حين الولادة بمسّ الشيطان له وايذائه، بل يذكرون أسباباً أُخر لذلك.

---

(١) سورة آل عمران: ٣٦.

(٢) صحيح البخاري المجلد ٣، الباب ٢٥٧: ٣٥٩، الحديث ٩٧٤.

(٣) سورة الحجر: ٣٩ ـ ٤٢.

خامساً
روايات المغيّرين للأخبار عن واقعها

قام بعض الرواة بتحريف وتغيير بعض الأحداث حفاظاً منه علىٰ سُمعة جماعتهم.

ومثاله: حَدَثان وقعا في خراسان لصحابيّين كلّ منهما فَقَدَ حياته بسبب معاوية بن أبي سفيان الخليفة الأموي، ولكنّ بعض الرواة حاول أن يحرّف الحدث عن واقعه ويغيّره حفاظاً منه على سمعة معاوية، وإليكم الحدثين:

١ ـ روىٰ ابن الأثير «أنّ الحَكَم بن عمرو الغفاري صحب النبيﷺ حتىٰ توفّي، ثم سكن البصرة، واستعمله زياد بن أبيه علىٰ خراسان(١)، وغزا الكفار فغنم غنائم كثيرة، فكتب إليه زياد: إنّ أمير المؤمنين ـ يعني معاوية ـ كتب أن يصطفىٰ له الصفراء والبيضاء، فلا تقسّم في الناس ذهباً ولا فضّة. فكتب إليه الحكم: بلغني ما ذكرتَ من كتاب أمير المؤمنين، وإنّي وجدت كتاب الله قبل كتاب أمير المؤمنين، وإنّه والله لو أنّ السماء والأرض كانتا رتقاً علىٰ عبد ثم اتّقىٰ الله تعالىٰ جعل له مخرجاً والسلام. وقسّم الفيء بين المجاهدين [بعد ما

---

(١) باعتبار أنّ حاكم العراق كان يُعيّن حكّام مناطق إيران وأُمراء الجيش هناك.

أخرج الخمس]. وقال الحَكَمُ: اللّهم إن كان لي عندك خير فاقبضني إليك. فمات بخراسان بمَروْ سنة خمسين»[١].

فالرواية هذه ذكرت سبب وفاة الحكم وهو دعاؤه على نفسه. ولكنّنا عندما نراجع مصادر أُخر تنكشف لنا الحقيقة ويتوضّح لنا سبب وفاته.

روى الطبري في تاريخه بسنده عن عبدالرحمن بن صُبح، قال: «كتب إليه زياد: والله لئن بقيتُ لك لأقطعنَّ منك طابقاً سَحتاً»[٢]. وذلك أنّ زياداً كتب إليه لما ورد بالخبر عليه بما غنم: إنّ أمير المؤمنين كتب إليّ أن أصطفي له [كلّ] صفراء وبيضاء والروائع فلا تحرّكنّ شيئاً حتّىٰ تُخرِج ذلك.

فكتب إليه الحكم: أمّا بعد، فإنّ كتابك ورد، تذكر أنّ أمير المؤمنين كتب إليّ أن أصطفي له كلّ صفراء وبيضاء والروائع، ولا تحرّكنّ شيئاً؛ فإنّ كتاب الله عزّ وجلّ قبل كتاب أمير المؤمنين، وإنّه والله لو كانت السماوات والأرض رتقاً

---

(١) أُسد الغابة ٢: ٥٢، وتاريخ الطبري ٥: ٢٥١، والاستيعاب لابن عبد البر ١: ٤١٢، الرقم ٥٤٣، والكامل في التاريخ ٣: ٤٧٠، وأخذ الرواية عنهم الشيخ القمي من غير تحقيق فذكرها في سفينة البحار (حَكَمَ).

(٢) تاريخ الطبري ٥: ٢٥١.

والطابِق والطابَق: العضو من أعضاء الإنسان كاليد والرجل ونحوهما، وفي حديث عليٍّ عليه السلام: «إنّما أُمِرَ في السارق بقطع طابِقه أي يده».

وفي حديث عمران بن حصين: أنّ غلاماً له أبَق فقال: لئن قدرتُ عليه لأقطعنّ منه طابقاً، قال: يُريد عضواً. لسان العرب: (طَبَقَ).

سحت الحجّام الختانَ سحتاً: استأصله، وسحت رأسَه سحتاً، وأسحته: استأصله حلقاً. وأسحتَ الرجلَ: استأصل ما عنده، وقوله عزّ وجلّ: ﴿فيُسحِتَكُمْ بعذاب﴾ طه: ٦١، وقُرِئَ ويَسْحَتَكُم، بفتح الياء والحاء، ويُسحت أكثر، أي يستأصلكم. أُنظر لسان العرب: (سَحَتَ). فعلىٰ هذا، معنىٰ كلام زياد: «لأقطعنّ منك طابقاً سحتاً»: أي لأقطعنّ منك عضواً مستأصلاً إيّاه.

على عبد اتقى اللهَ عزّ وجلّ جعل الله سبحانه وتعالى له مخرجاً.

وقال للناس: اغدوا على غنائمكم؛ فغدا الناس، وقد عزل الخمس، فقسّم بينهم تلك الغنائم؛ قال: فقال الحَكَم: اللهمّ إن كان لي عندك خير فاقبضني؛ فمات بخراسان بمرو(١).

وقال الحاكم في المستدرك: «إنّ معاوية لمّا فعل الحكم في قسمة الفيء ما فعل، وجّه إليه مَن قيّده وحبسه، فمات في قيوده ودُفن فيها وقال: إنّي مخاصم»(٢).

وقال ابن حجر العسقلاني في الاصابة في ترجمة الحَكم: «إنّ معاوية عتب عليه في شيء، فأرسل عاملاً غيره فقيّده فمات في القيد سنة خمسٍ وأربعين، وقال المدائني مات سنة خمسين، وقال العسكري سنة إحدىٰ وخمسين»(٣).

وقال أيضاً في تهذيب التهذيب في ترجمة الحَكَم الغفاري: «إنّ معاوية وجّهه عاملاً على خراسان ثم عتب عليه في شيء، فأرسل عاملاً غيره، فحبس الحَكَم وقيّده فمات في قيوده»(٤).

وقال ابن كثير في حوادث سنة خمسين وموت الحَكَم الغفاري: «يقال إنّه حُبس إلى مات بمرو في هذه السنة، وقيل في سنة إحدى وخمسين ﷺ»(٥).

فالحقيقة التي حاول بعض الرواة إخفاءها هي: أنّ الحَكَم الغفاري لم يمت بدعائه على نفسه، بل إنّ الحاكم الأموي معاوية أرسل إليه مَن قيّده وحبسه

---

(١) تاريخ الطبري ٥: ٢٥١ ـ ٢٥٢.

(٢) المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري ٤: ٥٥٢، الرقم ٥٩٢٥.

(٣) الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني ٢: ٣٠، الرقم ١٧٧٩.

(٤) تهذيب التهذيب ٢: ٣٩٨.

(٥) البداية والنهاية ٨: ٥١.

حتّىٰ مات في قيوده، لأنّه عصى معاوية وأطاع الله في تقسيم الغنائم.

ومن الجدير بالذكر: أنّ زياداً لما استعمل الحَكَمَ على خراسان، حذّره عمران بن حصين من طاعة زياد في معصية الخالق، فقد قال ابن الأثير في ترجمة الحكم: «روى ابن منده، عن الحسن: أنّ زياداً استعمل الحَكَم بن عمرو الغفاري على البصرة، فلقيه عمران بن حصين في دار الإمارة بين الناس، فقال: أتدري فيم جئتك[1]؟ أتذكر أنّ رسول الله لمّا بلغه الذي قال له أميره: قم فقَع في النار، فقام الرجل ليقع فيها، فأُدرِكَ فأمسك، فقال النبي «لو وقع فيها لدخل النار»، ثم قال: «لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق»؟ قال: بلى. قال: إنما أردت

(١) وفي مسند أحمد أتدري لم جئتك؟ فقال له: لم؟ قال هل تذكر قول رسول الله صلى الله عليه وآله للرجل الذي قال له أميره: قَعْ في النار؟ فأُدرك فاحتبس فأُخبر بذلك النبي صلى الله عليه وآله فقال: لو وقع فيها لدخل النار جميعاً لا طاعة لمخلوق في معصية الله تبارك وتعالى. قال [الحَكَم]: نعم، قال: إنّما أردت أن أذكّرك هذا الحديث. وأمّا خبر الرجل الذي أمره آمره أن يدخل النار فقد رواه مسلم في صحيحة قال: «حدّثنا محمد بن عبدالله بن نمير وزهير بن حرب وأبو سعيد الأشج، وتقاربوا في اللفظ. قالوا: حدّثنا وكيع، حدّثنا الأعمش عن سعد بن عبيدة، عن أبي عبدالرّحمن، عن عليّ، قال: بعث رسول الله صلى الله عليه وآله سريّة، واستعمل عليهم رجلاً من الأنصار، وأمرهم أن يسمعوا له ويطيعوا. فأغضبوه في شيء، فقال: اجمعوا لي حطباً. فجمعوا له، ثمّ قال: أوقدوا ناراً، فأوقدوا، ثمّ قال: ألم يأمركم رسول الله صلى الله عليه وآله أن تسمعوا لي وتُطيعوا؟ قالوا: بلى، قال: فادخلوها، قال: فنظر بعضهم إلى بعض، فقالوا: إنّما فررنا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله من النّار، فكانوا كذلك، وسكن غضبه، وطُفِئت النّار. فلمّا رجعوا ذكروا ذلك للنبيّ صلى الله عليه وآله. فقال: (لو دخلوها ما خرجوا منها، إنّما الطّاعة في المعروف)».

وفي رواية أُخرىٰ قال لهم أميرهم: «أُدخلوها، فأراد ناس أن يدخلوها، وقال الآخرون: إنّا قد فررنا منها، فذُكر ذلك لرسول الله فقال للّذين أرادوا أن يدخلوها: (لو دخلتموها لم تزالوا فيها إلى يوم القيامة) وقال للآخرين قولاً حسناً. وقال: (لا طاعة في معصية الله إنّما الطاعة في المعروف). صحيح مسلم ١٢: ١٩١، كتاب الإمارة، باب ٨ الحديث ٤٠ ـ ٣٩.

أن أُذكّرك هذا الحديث[١].

وقد روي أن عمران قاله للحكم لمّا ولي خراسان، وهو الصحيح؛ فإن الحكم لم يل البصرة لزياد قط»[٢].

فالحَكم بن عمرو لم يدعُ علىٰ نفسه بالموت، بل مات مقيّداً بالحديد في الحبس بأمر من معاوية بن أبي سفيان؛ لأنّه قسّم الغنائم ومنها الذهب والفضّة كما أمره الله تعالىٰ، ولم يُطِعْ معاوية في اصطفاء الصفراء والبيضاء له دون الغزاة في سبيل الله. أمّا الذي دعا علىٰ نفسه فهو الربيع بن زياد بعد ما بَـلَغَه قـتلُ حجر بن عدي وأصحابه علىٰ يد جلاوزة معاوية[٣].

٢ ـ ذكر ابن الأثير في أسد الغابة في ترجمة الربيع بن زياد الحارثي «أنّ زياد ابن أبيه استعمله على خراسان فغزا بلخ، ثم قال: قال ابن حبيب: كتب زيادُ ابن أبيه إلى الربيع بن زياد هذا: إنّ أمير المؤمنين معاوية كتب يأمرك أن تحرز الصفراء والبيضاء، وتقسّم ماسوى ذلك، فكتب إليه [الربيع]: إنّي وجدت كتاب الله قبل كتاب أمير المؤمنين. ونادى في الناس أن اغدوا على غنائكم، فأخذ الخمس وقسّم الباقى على المسلمين، ودعا الله تعالى أن يميته، فما جمع حتّىٰ مات»[٤].

توعز هذه الرواية وفاة الربيع إلى دعائه على نفسه بسبب مضايقة زياد

---

(١) أُسد الغابة ٢: ٥٢ ـ ٥٣، وفي مسند أحمد المجلد ٦: ٨٩٠، الحديث ٢٠٩٣٥. لفظه «لو وقع فيها لدخلا النار جميعاً لا طاعة في معصية الله تبارك وتعالى». أراد من قوله لدخلا النار أي الآمر والمأمور.

(٢) أُسد الغابة ٢: ٥٣ ـ ٥٤.

(٣) أُنظر أُسد الغابة ٢: ١٦٤، وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١١: ٣٧.

(٤) أسد الغابة ٢: ٢٥٥، وشرح النهج لابن أبي الحديد ١١: ٣٧.

ومعاوية له في الغنائم. ولكنّ الحقيقة شيء آخر.

قال ابن الأثير بعد ذكره لقصة الربيع والغنائم: «وقد تقدّم أنّ هذا القول قاله الحَكَم بن عمرو الغفاري، وأمّا الربيع بن زياد فإنّه لمّا أتاه مقتل حجر بن عدي قال: اللهمّ إن كان للربيع عندك خير فاقبضه، فلم يبرح من مجلسه حتّىٰ مات»[١].

وروى الذهبي في تاريخ الإسلام عن أبي أحمد الحاكم قوله: «لمّا بلغ الربيع بن زياد مقتل حجر بن عدي دعا فقال: اللهم إن كان للربيع عندك خير فاقبضه إليك وعجّل، فزعموا أنّه لم يبرح من مجلسه حتّىٰ ماتﷺ، يقال توفي سنة اثنتين وخمسين»[٢].

وقال في تهذيب التهذيب في ترجمة الربيع الحارثي: «فلمّا بلغه مقتل حجر بن عدي وأصحابه قال: اللهمّ إن كان للربيع عندك خير فاقبضه وعجّل، فمات في مجلسه. وكان قتل حجر وأصحابه سنة ٥١»[٣].

تبيّن ممّا ذكرناه أنّ الحَكَم بن عمرو الغفاري مات مقيّداً في الحبس بسبب مخالفته لأوامر معاوية في اصطفاء الذهب والفضّة له دون المجاهدين، ولم يمت بدعائه على نفسه كما رواه البعض.

وأمّا الذي دعا على نفسه فمات هو الربيع بن زياد الحارثي، وذلك لمّا بلغه قتل حجر بن عدي الكندي الذي لم يطع معاوية في البراءة من الإمام عليّعليه السلام، ولم يمت بسبب مخالفته لمعاوية في أمر الصفراء والبيضاء من الغنائم.

وكلا الحدثين يقع وزرهما على معاوية الذي سبّب الوفاة لهذين الصحابيّين

---

(١) أسد الغابة ٢ : ٢٥٦.

(٢) تاريخ الإسلام للذهبي، حوادث سنة ٤١ ـ ٥٠ : ٢٠٦.

(٣) تهذيب التهذيب للذهبي ٣ : ٦٩، الرقم ١٩٥٢.

الجليلين، ولكنّ البعض من أتباع معاوية حاول التستّر على جرائم الخليفة الأموي فرواه أنّ الحَكَم دعا على نفسه فمات وكذلك الربيع الحارثي.

نتيجة البحث:

إنّ الأقسام والنماذج التي ذكرناها للروايات غير الصحيحة تؤكّد لنا ضرورة القيام بدراسة وتحليل روايات الأحداث والأحاديث بموضوعيّة، طلباً للحقيقة، وأن لا ننبهر بشخصية الراوي ولا بسمعة صاحب الكتاب الذي ذكر الرواية، فإنّ الحقّ أحقّ أن يُتّبع.

الفصل الثالث

التنبيه على مقصود المتكلّم

أوّلاً: العَدل بين الزوجات.

ثانياً: تحريف الكتاب.

ثالثاً: مصحف فاطمة عليها السلام.

رابعاً: البَداء.

خامساً: حديث: «لا تتخذوا قبري قِبلةً ولا مسجداً».

مقدّمـة

توجد بين الطوائف والفرق والأشخاص اختلافات كثيرة، بعضها يرجع إلىٰ اختلاف الأذواق أو الاجتهادات أو المبادئ، وأكثر هذه الاختلافات متسبّب عن عدم فهم السامع أو القارئ لمقصود المتكلّم أو الكاتب. فقد وردت كلمات في القرآن الكريم والأحاديث الشريفة والأخبار يُقصد منها معنىً يختلف عن المعنىٰ الذي يتلقّاه بعض السامعين والقارئين وينصرف ذهنهم إليه، ففي هذه الحالة تَحْدُث لهم بعض الشبهات في القرآن الكريم أو الأشخاص أو الطوائف وهم منها براء. فمن الضروري للخطيب أن يُنبّه علىٰ المعنىٰ الذي يقصده المتكلّم من هذه الكلمات؛ وذلك كشفاً للحقيقة، ودرءاً للاختلاف وسوء التفاهم، ودفعاً للشبهات. فمن أمثلة ذلك:

١ ـ العَدل بين الزوجات:

٢ ـ تحريف الكتاب:

٣ ـ مصحف فاطمة عليها السلام:

٤ ـ البَداء:

٥ ـ حديث: «لا تتّخذوا قبري قِبْلَة ولا مسجداً»[١].

---

(١) وسائل الشيعة ٥: ١٦٢.

أوّلاً
العدل بين الزوجات

قال تعالىٰ: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا﴾(١).

وقال سبحانه: ﴿وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ﴾(٢).

إنّ القارئ أو السامع يتلقّىٰ (العدل) في الآيتين بمعنىً واحد، فيرىٰ بين الآيتين تناقضاً؛ لأنّ الرجل إذا كان لا يستطيع العدل بين النساء ولو حَرَص، فما معنىٰ ترخيصه بتعدّد الزوجات بشرط العدل بينهن؟

لنقرأ معاً ما ورد في كتاب الكافي عن هذه المسألة: «روىٰ علي بن إبراهيم عن أبيه عن نوح بن شعيب ومحمد بن الحسن قال: سأل ابن أبي العوجاء هشامَ بن الحكم فقال له: أليس الله حكيماً؟ قال: بلىٰ وهو أحكم الحاكمين.

---

(١) سورة النساء: ٣.

(٢) سورة النساء: ١٢٩.

قال: فأخْبِرْني عن قوله عزّ وجل: ﴿فَانكِحُوا ماطابَ لَكُم مِنَ النِساءِ مَثنىٰ وثُلاث ورُباعَ فَإِنْ خِفتُم ألّا تَعدِلُوا فَواحِدةً﴾(١) أليس هذا فرضاً؟ قال: بلىٰ. قال: فأخْبِرني عن قوله عزّ وجلّ: ﴿وَلَنْ تَستَطِيعُوا أَنْ تَعدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ المَيْلِ﴾(٢)، أيُّ حكيمٍ يتكلّم بهذا؟ فلم يكن عنده جواب.

فرحل [هشام] إلىٰ المدينة إلىٰ أبي عبد الله عليه السلام، فقال له [الإمام الصادق عليه السلام]: يا هشام: في غير وقتِ حجٍّ ولا عمرة؟ قال: نعم جُعلتُ فداك، لأمرٍ أهمّني، إنّ ابن أبي العوجاء سألني عن مسألة لم يكن عندي فيها شيء. قال: وما هي؟ فأخبره بالقصّة، فقال له أبو عبد الله عليه السلام: أمّا قوله عزّ وجلّ: ﴿فَانْكِحُوا ما طابَ لَكُم مِنَ النِساءِ مَثنىٰ وثُلاث ورُباعَ فَإِنْ خِفتُم ألّا تَعدِلُوا فَواحِدةً﴾(٣)، يعني في النفقة، وأمّا قوله: ﴿وَلَنْ تَستَطِيعُوا أَنْ تَعدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ المَيْلِ﴾(٤)، يعني في المودّة. قال: فلمّا قدم عليه هشام بهذا الجواب وأخبره قال [ابن أبي العوجاء]: والله ما هذا من عندك»(٥).

فالإمام بيّن له عدم وجود تعارض أو تناقض بين الآيتين؛ لأنّ متعلق العدل في الآية الأُولىٰ هو النفقة، أي في الغذاء والملبس والمسكن وما شابه ذلك، ممّا هو في مقدور الرجل. وأمّا متعلّق العدل في الآية الثانية هو المودّة، وهي أمر قلبي خارج عن اختيار الإنسان؛ ولذا لم يكلّفه الله تعالىٰ به.

(١) سورة النساء: ٣.
(٢) سورة النساء: ١٢٩.
(٣) سورة النساء: ٣.
(٤) سورة النساء: ١٢٩.
(٥) الفروع من الكافي للشيخ الكليني ٥: ٣٦٢.

ثانياً
تحريف الكتاب

وردت بعض الأحاديث عن النبي صلى الله عليه وآله وأئمة أهل البيت عليهم السلام وفيها عبارة (التحريف لكتاب الله) مثال ذلك:

١ ـ روىٰ جابر بن عبد الله الأنصاري قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «يجيء يوم القيامة ثلاثةٌ يشكُونَ إلىٰ الله عزّ وجلّ: المصحف، والمسجد، والعترة. يقول المصحف: يا ربّ حرّفوني ومزّقوني، ويقول المسجد: يا ربّ عطّلوني وضيّعوني، وتقول العترة: يا ربّ قتلونا وطردونا وشرّدونا، فأجثو للركبتين للخصومة، فيقول الله جلّ جلاله لي: أنا أولىٰ بذلك»[1].

٢ ـ روىٰ علي بن سويد قال: «كتبتُ إلىٰ أبي الحسن موسىٰ عليه السلام وهو في الحبس كتاباً أسأله عن حاله وعن مسائل كثيرة، فَاحْتبس الجواب عليّ أشهراً ثم أجابني بجواب هذه نُسختُه: (بسم الله الرحمن الرحيم... فاسْتَمْسِك بعروة الدين آل محمّد والعروة الوثقىٰ الوصي بعد الوصي، والمسالمة لهم والرضا بما قالوا، ولا تَلْتَمِسْ دين مَن ليس من شيعتك، ولا تحبّنّ دينهم، فإنّهم الخائنون الذين خانوا

---

(١) الخصال للشيخ الصدوق ١: ١٣٥، باب الثلاثة، الرقم ٢٣٢.

الله ورسوله وخانوا أماناتهم[١]، وتدري ما خانوا أماناتهم؟ ائتُمِنوا علىٰ كتاب الله فحرّفوه وبدّلوه، ودُلّوا علىٰ ولاة الأمر فانصرفوا عنهم...»[٢].

٣ـ وروىٰ جابر الجعفي قال: «قال أبو جعفر عليه السلام دعا رسولُ الله صلى الله عليه وآله أصحابَه بمنىٰ فقال: يا أيّها الناس إنّي تارك فيكم الثقلين أمَا إنْ تمسّكْتُم بهما لن تضلّوا: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، فإنّهما لن يفترقا حتىٰ يَرِدَا عليّ الحوض، ثم قال: يا أيّها الناس إنّي تارك فيكم حُرُمات الله: كتاب الله وعترتي والكعبة البيت الحرام».

ثم قال أبو جعفر عليه السلام: «أمّا كتاب الله فحرّفوا، وأما الكعبة فهدَموا، وأمّا العترة فقتلوا، وكلّ ودايع الله فقد تبّروا»[٣].

٤ـ روىٰ الكليني في روضة الكافي قال: «كتب أبو جعفر عليه السلام إلىٰ سعد الخير: بسم الله الرحمن الرحيم، أمّا بعد فإنّي أُوصيك بتقوىٰ الله فإنّ فيها السلامة من التلف، والغنيمة في المنقلب. إنّ الله عزّ وجلّ يقي بالتقوىٰ عن العبد ما عزب عنه عقله، ويُجلي بالتقوىٰ عنه عَماهُ وجهلَه، وبالتقوىٰ نجا نوحٌ ومَن معه في السفينة، وصالح ومَن معه من الصاعقة، وبالتقوىٰ فازَ الصابرون، ونجت تلك العُصَب من المهالك... فليس يَبتدِئ العبادَ بالغضب قبل أن يُغضبوه، وذلك مِن علم اليقين وعلم التقوىٰ، وكلّ أُمّة قد رفع الله عنهم عِلمَ الكتاب حين نبذوه، وولّاهم عدوّهم حين تولّوه، وكان من نبذهم الكتاب أنْ أقاموا حروفَه وحرّفوا حدودَه، فهُم يروونه

(١) إشارة إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لا تَخُونُوا اللهَ والرَّسُولَ وتَخُونُوا أَماناتِكُمْ وأَنْتُم تَعْلَمُونَ﴾ الأنفال: ٢٧.

(٢) روضة الكافي: ١٠٧ ـ ١٠٨، الحديث ٩٥.

(٣) بصائر الدرجات: ٤١٣، باب ١٧، الحديث ٣.

قال الطريحي في مجمع البحرين: (تبر): قوله تعالىٰ: تبّرناهم أي أهلكناهم، ويقال تبّره تتبيراً أي كسره وأهلكه. وفي رواية أُخرىٰ بسندٍ آخر «كلّ ودايع الله قد نبذوا، ومنها قد تبرّأوا». البيان للسيد الخوئي: ١٧٦.

ولا يرعونه، والجهّال يُعجبهم حفظهم للرواية، والعلماء يُحزنهم تركهم للرعاية، وكان من نبذهم الكتاب أن ولّوه الذين لا يعلمون فأوردوهم الهوىٰ، وأصدروهم إلىٰ الرَدىٰ، وغيّروا عُرىٰ الدين...»[(١)].

٥ ـ روىٰ الخوارزمي أنّ الحسين عليه السلام خطب القومَ يوم عاشوراء فقال: «... فقبحاً لكم، فإنّما أنتم من طواغيت الأُمّة، وشذّاذ الأحزاب، ونَبَذَةِ الكتاب، ونَفْثَة الشيطان، وعُصْبَة الآثام، ومُحرّفي الكتاب، ومُطفئي السُنن، وقَتَلَة أولاد الأنبياء، ومُبيري عترة الأوصياء...»[(٢)].

في هذه الروايات وردت عبارة (تحريف الكتاب)، فما المراد من تحريف الكتاب؟

نلتمس الجواب من علماء اللغة وعلماء التفسير، خصوصاً وأنّ القرآن الكريم وصف اليهود بقوله: ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الكَلِمَ عَن مَوَاضِعِهِ﴾[(٣)].

قال الفيروزآبادي: «التحريف: التغيير»[(٤)].

وقال الجوهري: «تحريف الكلام عن مواضعه: تغييره»[(٥)].

وقال ابن منظور: «تحريف الكلام عن مواضعه: تغييره، والتحريف في القرآنِ والكلمةِ: تغييرُ الحرف عن معناه، والكلمة عن معناها، وهي قريبة الشبه، كما كانت اليهود تُغيّرها في التوراة بالأشباه، فوصفهم الله بفعلهم فقال: ﴿يُحَرِّفون الكَلِمَ عن مَواضِعِه﴾»[(٦)].

---

(١) روضة الكافي: ٤٥ ـ ٤٦، الحديث ١٦.

(٢) مقتل الحسين للخوارزمي ٢: ٩.

(٣) سورة النساء: ٤٦.

(٤) القاموس المحيط: (حَرَفَ).

(٥) الصحاح: (حَرَفَ).

(٦) لسان العرب: (حَرَفَ).

وقال الراغب: «تحريفُ الشيء: إمالتُه، كتحريف القَلَم، وتحريفُ الكلام: أنْ تَجعلَه علىٰ حرفٍ (أي طَرَفٍ) من الاحتمال يُمكن حَملُه علىٰ الوجهين، قال عزّ وجلّ: ﴿يُحرّفون الكلم عن مواضعه﴾[(١)]».

وقال الطبرسي في تفسير قوله تعالىٰ: «﴿يُحرّفون الكَلِمَ عَن مَواضِعِه﴾ أي يفسّرونه علىٰ غير ما أُنزل، ويُغيّرون صفةَ النبيﷺ، فيكون التحريفُ بأمرين: أحدهما سوءُ التأويل، والآخر التغييرُ والتبديلُ، كقوله تعالىٰ: ﴿ويَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللهِ﴾[(٢)]»[(٣)].

وقال الشيخ محمّد عبده: «التحريفُ يُطلق علىٰ معنيين:

أحدهما: تأويلُ القولِ بحمله علىٰ غير معناه الذي وُضِعَ له وهو المتبادر؛ لأنّه هو الذي حملهم علىٰ مجاحدة النبيﷺ وإنكار نبوّته وهم يعلمون، إذ أوّلوا ولا يزالون يؤوّلون البشارات به إلىٰ اليوم، كما يؤوّلون ما ورد في المسيح ويحملونه علىٰ شخص آخر لا يزالون ينتظرونه.

ثانيهما: أخْذُ كلمةٍ أو طائفةٍ من الكَلِم من موضعٍ من الكتابِ ووضعُها في موضعٍ آخر، وقد حصل مثل هذا التشويش في كتب اليهود...»[(٤)].

وقال الزمخشري: «يُحرّفون الكَلِمَ عن مواضعه: يُميلونه عنها»[(٥)].

وقال في تفسير قوله تعالىٰ: «﴿وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحرّفُونَ الكَلِمَ عَن مَوَاضِعِهِ﴾[(٦)] بيانٌ لقسوة قلوبهم؛ لأنّه لا قسوة أشدّ من الافتراء علىٰ الله

(١) معجم مفردات ألفاظ القرآن: (حرف).
(٢) سورة آل عمران: ٧٨.
(٣) مجمع البيان ٣: ٢٩٨، تفسير الآية ١٣ من سورة المائدة.
(٤) تفسير المنار ٥: ١٤٠، تفسير الآية ٤٦ من سورة النساء.
(٥) الكشّاف للزمخشري ١: ٣٩٩.
(٦) سورة المائدة: ١٣.

وتغيير وحيه»[١].

فالخلاصة: أنّ معنىٰ التحريف عند اللغويين والمفسّرين هو: التغيير، وذلك:

إمّا بتفسير الكلام تفسيراً مغايراً لمقصود صاحبه وتأويله إلىٰ غير ما أُنزل، واللفظ إذا لم يُفسّر كما أراده صاحبه فقد أُميل به عن موضعه.

وإمّا بتبديل الكلمة إلىٰ أُخرىٰ تشابهها وهي ليست هي، فيتغيّر بـالضرورة المعنىٰ ويَختفي المعنىٰ المقصود.

بعد هذا العرض لأقوال علماء اللغة والتفسير في معنىٰ تحريف الكتاب ظَهَرَ لنا: «أنّ كلّ مَن فسّر القرآن بغير حقيقته، وحمَلَه علىٰ غير معناه فقد حـرّفه، فترىٰ كثيراً من أهل البدع والمذاهب الفاسدة قد حرّفوا القرآن بتأويلهم آياته علىٰ طبق آرائهم وأهوائهم»[٢].

فالمقصود من تحريف الكتاب في الروايات المذكورة في صدر البحث هو: «حَمْلُ الآيات علىٰ غير معانيها الذي يُلازم إنكار فضل أهل البيت عليهم السلام ونصب العداوة لهم وقتالهم، ويشـهد لذلك ـ صـريحاً ـ نسـبة التـحريف إلىٰ مـقاتلي أبي عبد الله عليه السلام في الخطبة المتقدّمة، ورواية الكافي التي تـقدّمت فـي صـدر البحث، فإنّ الإمام الباقر عليه السلام يقول فيها: (وكان مِن نَبْذِهم الكتاب أنْ أقاموا حروفه

---

(١) الكشاف للزمخشري ١: ٤٧٨.

(٢) البيان في تفسير القرآن: ١٣٦، فصل: صيانة القرآن من التحريف.

يقول الباحث: قال سبحانه وتعالىٰ: ﴿وَما يَعْلَمُ تَأْوِيـلَهُ إِلَّا اللهُ وَالرَّاسِـخُونَ فِـي العِـلْمِ﴾ آل عمران: ٧. وهم محمّد صلى الله عليه وآله والأئمة الطاهرون من أهل بيته عليهم السلام وفي هذا الصدد: قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «أيْنَ الَّذِينَ زَعَمُوا أَنَّهُمْ الرَّاسِخُونَ فِي العِلْم دُونَنا، كَذِباً وبَـغْياً عَلَيْنا، أَنْ رَفَعَنا اللهُ وَوَضَعَهُمْ، وَأعْطانا وَحَرَمَهُمْ، وأدخَلَنا وأَخْرَجَهُمْ. بِنا يُسْتَعطىٰ الهُـدىٰ، ويُسْتَجْلَىٰ العَمَىٰ. إنَّ الأئمَّةَ مِنْ قُرَيش غُرِسُوا فِي هذا البَطْنِ مِـن هـاشِمٍ؛ لا تَـصْلُحُ عـلىٰ سِوَاهُمْ، وَلا تَصْلُحُ الوُلاةُ مِن غَيرِهِمْ». نهج البلاغة، الخطبة ١٤٤.

وحرّفوا حدوده)، ولولا هذا التحريف لم تزل حقوق العترة محفوظة وحرمة النبي فيهم مرعيّة، ولَمَا انتهىٰ الأمر إلىٰ ما انتهىٰ إليه من اهتضام حقوقهم وإيذاء النبيﷺ فيهم»(١).

إنّ تأويل الكتاب علىٰ غير ما نزل هو من التحريف؛ لأنّه تغيير لمعناه الواقعي. وقد قام أعداء أهل البيت عليهم السلام بتأويل الآيات النازلة في حقّهم وفضلهم عليهم السلام؛ وذلك إخفاءً للحقيقة وستراً لفضائل ومقام أهل البيت عليهم السلام وخصوصاً الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، ويظهر هذا الأمر جليّاً من الحوار الذي جرىٰ بين عبد الله بن عباس ومعاوية بن أبي سفيان:

«قال معاوية [لابن عباس]: إنّا قد كتبنا في الآفاق ننهى عن ذكر مناقب عليّ وأهل بيته، فكفّ لسانك ـ يابن عباس ـ واربَع علىٰ نفسك(٢).

فقال له ابن عباس: أفتنهانا عن قراءة القرآن؟ قال: لا.

قال: أفتنهانا عن تأويله؟ قال: نعم.

قال: فنقرأه ولا نسأل عمّا عنى الله به؟ قال: نعم.

[قال:] فأيّما أوجب علينا، قراءته أو العمل به؟ قال معاوية: العمل به.

قال: فكيف نعمل به حتىٰ نعلم ما عنى الله بما أنزل علينا؟ قال: سل عن ذلك من يتأوّله علىٰ غير ما تتأوّله أنت وأهل بيتك.

قال: إنّما أُنزل القرآن علىٰ أهل بيتي فأسأل عنه آل أبي سفيان أو أسأل عنه آل أبي معيط أو اليهود والنصارىٰ والمجوس؟! قال له معاوية: فقد عدلتنا بهم.

---

(١) البيان في تفسير القرآن: ١٧٧.

(٢) وفي نسخة: «فإنّا كتبنا إلىٰ جميع البلدان والآفاق ننهىٰ عن رواية مناقب علي بن أبي طالب وفضله، وفضل أحدٍ من أهل بيته، فكفّ عنّا شرّك...». أُنظر كتاب سُليم بن قيس الهلالي ٢: ٧٨٢.

قال له ابن عبّاس: لعمري ما أعدلك[١] بهم غير أنّك نهيتنا أن نعبد الله بالقرآن وبما فيه من أمر ونهي أو حلال أو حرام أو ناسخ أو منسوخ أو عامّ أو خاصّ أو محكم أو متشابه، وإن لم تسأل الأُمّة عن ذلك هلكوا واختلفوا وتاهوا.

قال معاوية: فاقرأوا القرآن ولا ترووا شيئاً ممّا أنزل الله فيكم، وما قاله رسول الله فيكم، واروروا ما سوىٰ ذلك.

قال ابن عباس قال الله [تعالىٰ] في القرآن: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيأبىٰ الله إلّا أن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الكافِرونَ﴾[٢].

قال معاوية: يابن عباس، اكفني نفسك وكفّ عنّي لسانك، وإن كنت لابدّ فاعلاً فليكن ذلك سرّاً ولا يَسْمَعه أحدٌ منك علانية»[٣].

وقد بادر بعض العلماء بتأليف ما نزل في القرآن من آياتٍ بيّناتٍ في فضل أهل البيت عليهم السلام منها:

(شواهد التنزيل لقواعد التفضيل) للحافظ عُبيد الله بن عبد الله بن أحمد المعروف بالحاكم الحسكاني من أعلام القرن الخامس الهجري، تحقيق وتعليق الشيخ محمّد باقر المحمودي.

(تأويل الآيات الظاهرة في فضائل العترة الطاهرة) للفقيه المفسّر السيّد شرف الدين علي الحسيني من أعلام القرن العاشر.

(تأويل ما نزل من القرآن الكريم في النبي وآله صلّىٰ الله عليهم) لمحمّد بن

---

(١) وفي نسخة: «ما أعدلك بهم إلّا إذا نهيت الأمّة أن يعبدوا الله بالقرآن». أُنظر كتاب سُليم بن قيس ٢: ٧٨٣.

(٢) التوبة: ٣٢.

(٣) كتاب سُليم بن قيس الهلالي ٢: ٧٨٢ ـ ٧٨٤.

العباس بن علي بن مروان بن الماهيار البزّاز المعروف بابن الجُحام من أعلام القرن الرابع الهجري، تحقيق الشيخ فارس تبريزيان.

فمن الضروري أن يُبيّن الخطيب المعنىٰ المقصود من تحريف الكتاب الوارد في أحاديث النبي صلى الله عليه وآله وأهل البيت عليهم السلام ورواياتهم؛ لئـلّا يـلتبس المـعنىٰ مـع مصطلح تحريف الكتاب عند علماء القرآن، والذي معناه النقص أو الزيادة في كتاب الله العزيز الذي تعهّد سبحانه وتعالىٰ بحِفْظِهِ وصيانَتِهِ مِن أيّ باطل ومن التحريف، قال سبحانه: ﴿وإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ * لا يَأْتِيهِ البَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾[1]. والعزيز هو القوي الممتنع الذي لا يوصَل إليه بسوء. وقال سبحانه أيضاً: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[2]، والذكر هو القرآن الكريم.

وقد أكّد المحقّقون من علماء الإسلام من السنّة والشيعة علىٰ عدم وقـوع التحريف بهذا المعنىٰ في القرآن الكريم.

قال السيّد الخوئي في بحثه عن صيانة القرآن من التحريف: «المعروف بين المسلمين عدم وقوع التحريف في القرآن، وأنّ الموجود بأيـدينا هـو جـميع القرآن المُنزل علىٰ النبي الأعظم صلى الله عليه وآله، وقد صرّح بذلك كثيرٌ من الأعلام: منهم رئيس المحدّثين الصدوق محمّد بن بابويه [في اعتقاداته] وقد عَدّ القول بعدم التحريف من معتقدات الإمامية...»[3]،[4].

وقال الشيخ محمّد الغزّالي تحت عنوان (الشيعة وأهل السنّة): «يتّفق الفريقان

---

(١) سورة فصّلت: ٤١ ـ ٤٢.

(٢) سورة الحجر: ٩.

(٣) البيان في تفسير القرآن: ١٣٨.

(٤) أنظر كتاب الاعتقادات للشيخ الصدوق: ٨٤، في مجموعة مصنّفات الشيخ المفيد الجزء ٥.

في مؤتمر جامع علىٰ أنّ القرآن الكريم هو كتاب الإسلام المصون الخالد، والمصدر الأوّل للتشريع، وأنّ الله حفظه من الزيادة والنقص وكلّ أنواع التحريف، وأنّ ما يُتلىٰ الآن هو ما كان يتلوه النبيﷺ علىٰ أصحابه، وأنّه ليس هناك في تاريخ الإسلام كلّه غير هذا المصحف الشريف»[1].

وقد ألّف العلماء كتباً في نفي التحريف عن كتاب الله العزيز، منها:

التحقيق في نفي التحريف عن القرآن الشريف، للسيّد علي الحسيني الميلاني.

البرهان علىٰ عدم تحريف القرآن، للسيّد مرتضىٰ الرضوي.

القرآن الكريم وروايات المدرستين الكتاب الثالث، للسيّد مرتضىٰ العسكري.

حقائق هامّة حول القرآن الكريم للسيّد جعفر مرتضىٰ العاملي.

صيانة القرآن من التحريف، للشيخ محمّد هادي معرفة.

صيانة القرآن الكريم من التحريف «لجنة البحوث وأجوبة الشبهات» للسيد عبد الرحيم الموسوي.

أسطورة تحريف القرآن «لجنة البحوث وأجوبة الشبهات» للسيد عبد الرحيم الموسوي.

لقد صرّح أئمة أهل البيتعليهم السلام بوحدة القرآن الكريم وتواتره.

قال الصادقعليه السلام: **«القرآن واحد، نزل من عند واحد علىٰ واحد، وإنّما الاختلاف من جهة الرواة»**[2]،[3].

---

(١) دستور الوحدة الثقافية بين المسلمين: ١٠٩.

(٢) رواه الكليني في أُصول من الكافي ٢: ٦٣٠ مع بعض الاختلاف عن أبي جعفرعليه السلام قال: «إنّ القرآن واحد، نزل من عند واحد، ولكنّ الاختلاف يجيء من قبل الرواة.

(٣) الاعتقادات للشيخ الصدوق، باب الاعتقاد في مبلغ القرآن: ٨٤ و ٨٦، طُبع في ضمن مصنّفات الشيخ المفيد، المجلد ٥.

وجاء في الكتاب الذي كتبه الإمام الرضا عليه السلام للمأمون العباسي في محض الإسلام وشرائع الدين: «إن محض الإسلام شهادة أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، إلهاً واحداً أحداً فرداً صمداً قيّوماً سميعاً بصيراً قديراً قديماً قائماً باقياً، عالماً لا يجهل، قادراً لا يعجز، غنياً لا يحتاج، عدلاً لا يجور، وأنّه خالق كل شيء وليس كمثله شيء لا شبه له ولا ضد له ولا ندّ له ولا كفؤ له، وأنّه المقصود بالعبادة والدعاء والرغبة والرهبة.

وأنّ محمداً عبده ورسوله وأمينه وصفيّه وصفوته من خلقه، وسيد المرسلين، وخاتم النبيين، وأفضل العالمين، لا نبيّ بعده ولا تبديل لملّته ولا تغيير لشريعته، وأن جميع ما جاء به محمّد بن عبد الله هو الحق المبين، والتصديق به وبجميع مَن مضىٰ قبله من رسل الله وأنبيائه وحججه.

والتصديق بكتابه الصادق العزيز الذي ﴿لا يَأْتِيهِ البَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلاَ مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾(١)، وأنّه المهيمن علىٰ الكتب كلّها، وأنّه حقّ من فاتحته إلىٰ خاتمته، نؤمن بمحكمه ومتشابهه وخاصّه وعامّه ووعده ووعيده وناسخه ومنسوخه وقصصه وأخباره، لا يقدر أحد من المخلوقين أن يأتي بمثله»(٢).

وقال الإمام علي الهادي عليه السلام: «قد اجتمعت الأمّة قاطبةً لا اختلاف بينهم أنّ القرآن حقٌّ لا ريب فيه عند جميع أهل الفِرَق، وفي حال اجتماعهم مقرونٌ بتصديق الكتاب وتحقيقه مصيبون مهتدون، وذلك بقول رسول الله صلى الله عليه وآله: (لا تجتمع أُمّتي علىٰ ضلالة) فأخبرَ أنّ جميع ما اجتمعت عليه الأمّة كلّها حقّ، هذا إذا لم يخالف

(١) سورة فصّلت: ٤٢.
(٢) عيون أخبار الرضا ٢: ١٢٩، الباب ٣٥، الحديث ١.

بعضها بعضا. والقرآن حقّ لا اختلاف بينهم في تنزيله وتصديقه، فإذا شهد القرآن بتصديق خبر وتحقيقه وأنكر الخبر طائفة من الأمّة لزمهم الإقرار به ضرورة حين اجتمعت في الأصل علىٰ تصديق الكتاب، فإنْ هي جحدت وأنكرت لزمها الخروج من الملّة»[١].

وتحدّث علماء الشيعة في كتب العقائد والتفسير وعلوم القرآن وغيرها عن تواتر القرآن وحفظه من التحريف والتغيير وقدّموا الأدلّة الوافية في ذلك.

قال السيد المرتضىٰ: «إنّ العلم بصحة نقل القرآن، كالعلم بالبلدان. والحوادث الكبار، والوقائع العظام، والكتب المشهورة، وأشعار العرب المسطورة، فإنّ العناية اشتدت، والدواعي توفرت علىٰ نقله وحراسته، وبلغت إلىٰ حد لم يبلغه فيما ذكرناه، لأنّ القرآن معجزة النبوة، ومأخذ العلوم الشرعية، والأحكام الدينية، وعلماء المسلمين قد بلغوا في حفظه وحمايته الغاية، حتىٰ عرفوا كل شيء اختلف فيه من إعرابه، وقراءته، وحروفه، وآياته، فكيف يجوز أن يكون مُغَيّراً أو منقوصاً، مع العناية الصادقة، والضبط الشديد».

وذكر أيضاًﭬ: «أنّ القرآن كان علىٰ عهد رسول الله ﷺ مجموعاً مؤلفاً علىٰ ما هو عليه الآن، واستدل علىٰ ذلك بأنَّ القرآن كان يدرّس ويحفظ جميعه في ذلك الزمان حتىٰ عيّن علىٰ جماعة من الصحابة في حفظهم له، وأنّه كان يعرض علىٰ النبي ﷺ، ويُتلىٰ عليه، وأنّ جماعة من الصحابة مثل عبد الله بن مسعود، وأُبيّ بن كعب، وغيرهما، ختموا القرآن علىٰ النبي ﷺ عدّة ختمات. وكلّ ذلك يدلّ بأدنىٰ تأمل علىٰ أنّه كان مجموعاً مرتباً غير مبتور ولا مبثوث».

وذَكَرﭬ: «أنّ من خالف في ذلك من الإمامية والحشوية لا يعتد بخلافهم،

(١) تحف العقول عن آل الرسول: ٣٤١ ـ ٣٤٢.

فإن الخلاف في ذلك مضاف إلىٰ قوم من أصحاب الحديث، نقلوا أخباراً ضعيفة ظنوا صحّتها، لا يرجع بمثلها عن المعلوم المقطوع علىٰ صحّته»[١].

وقال الشيخ الصدوق: «اعتقادنا أنّ القرآن الذي أنزله الله تعالىٰ علىٰ نبيه محمدٍ ﷺ هو ما بين الدفّتين، وهو ما في أيدي الناس، ليس بأكثر من ذلك، ومَبلغُ سُوَرِه عند الناس مائة وأربع عشرة سورة.

وعندنا أنّ الضحىٰ وألم نشرح سورة واحدة، ولإيلاف وألم تر كيف سورة واحدة. ومَن نسب إلينا أنّا نقول إنّه أكثر من ذلك فهو كاذب.

وما رُوي من ثواب قراءة كلّ سورة من القرآن، وثواب مَن ختم القرآن كلّه[٢]، وجواز قراءة سورتين في ركعة نافلة، والنهي عن القِرَان بين سورتين في ركعة فريضة، تصديقٌ لما قلناه في أمر القرآن وأنّ مبلغه ما في أيدي الناس.

وكذلك ما رُوي من النهي عن قراءة القرآن كلّه في ليلةٍ واحدة، وأنّه لا يجوز أن يُختم في أقل من ثلاثة أيّام تصديقٌ لما قلناه أيضاً...»[٣].

كما كان أمير المؤمنين عليه السلام جَمَعَهُ، فلمّا جاءهم به قال: «هذا كتاب ربّكم كما أُنزل علىٰ نبيكم، لم يزد فيه حرف، ولم ينقص منه حرف». فقالوا: لا حاجة لنا فيه، عندنا مثل الذي عندك، فانصرف وهو يقول: ﴿فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوا بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾[٤].

---

(١) مجمع البيان ١: ٤٣، مقدّمة الكتاب عن جواب المسائل الطرابلسيات للشريف المرتضىٰ.

(٢) أُنظر الأُصول من الكافي ٢: ٦١١.

(٣) أُنظر الأُصول من الكافي ٢: ٦١٨ ـ ٦١٩.

(٤) سورة آل عمران: ١٨٧. وإنّما لم يقبلوه لأنّه كان يحتوي علىٰ أسباب النزول والمقصودين من بعض الآيات مدحاً أو ذماً.

وممّا يدلّ علىٰ اتّفاق المسلمين علىٰ صحّة الكتاب العزيز وتواتره: اعتباره المصدر الأوّل للتشريع عند جميع المسلمين، والمرجع والمقياس لمعرفة الأحاديث الصحيحة من غيرها.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله في حجّة الوداع: «قد كثرت عليّ الكذّابة وستكثر، فمن كذب عليّ متعمداً فليتبوّأ مقعده من النار. فإذا أتاكم الحديث فاعرضوه علىٰ كتاب الله وسنّتي، فما وافق كتاب الله وسنّتي فخذوا به، وما خالف كتاب الله وسنّتي فلا تأخذوا به»[1].

وقال أيضاً: «يا أيّها الناس، ما جاءكم عنّي يوافق القرآن فأنا قلته، وما جاءكم عنّي لا يوافق القرآن فلم أقله»[2].

وقال أيضاً: «إذا جاءكم عني حديث فاعرضوه علىٰ كتاب الله، فما وافقه فاقبلوه وما خالفه فاضربوا به عرض الحائط»[3].

روىٰ السكوني عن أبي عبد الله عليه السلام عن آبائه عن علي عليهم السلام قال: «إنّ علىٰ كلّ حقٍّ حقيقة، وعلىٰ كلّ صوابٍ نوراً، فما وافق كتاب الله فخذوا به، وما خالف كتاب الله فدعوه»[4].

وروىٰ محمّد بن مسلم عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «يا محمّد، ما جاءك في رواية من برٍّ أو فاجر يوافق القرآن فخذ به، وما جاءك في رواية من برّ أو فاجر يخالف القرآن فلا تأخذ به»[5].

---

(١) الاحتجاج للطبرسي ٢: ٤٧٧.
(٢) تفسير العيّاشي ١: ٨، باب ترك الرواية التي بخلاف القرآن، الحديث ١.
(٣) مجمع البيان، مقدّمة الكتاب ١: ٣٩.
(٤) المحاسن ١: ٣٥٤.
(٥) تفسير العيّاشي ١: ٨.

وروىٰ أيّوب بن حر قال: «سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: كلّ شيء، مردود إلىٰ الكتاب والسنّة، وكلّ حديثٍ لا يوافق كتاب الله فهو زخرف»[١].

وروىٰ كليب الأسدي قال: «سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: ما أتاكم عنّا من حديث لا يصدّقه كتابُ الله فهو باطل»[٢].

فلو لم يكن المصحف الشريف متواتراً ومقطوعاً بصحّته لما أمكن أن يكون مصدراً وحجّةً في التشريع، ولما صار مقياساً وميزاناً لمعرفة الصحيح والسقيم من الأحاديث والروايات.

---

(١) تفسير العياشي ١: ٩.

(٢) المصدر نفسه.

ثالثاً
مصحف فاطمةعليها السلام

ورد ذِكرُ مصحف فاطمةعليها السلام في روايات متعدّدة عن أئمة أهل البيتعليهم السلام منها:

الرواية الأُولىٰ: عن حمّاد بن عثمان قال: «سمعت أبا عبد اللهعليه السلام يقول: تظهر الزنادقة في سنة ثمان وعشرين ومائة، وذلك أنّي نظرت في مصحف فاطمةعليها السلام.

قال: قلتُ: وما مصحفُ فاطمة؟ قال: إنّ الله تعالىٰ لمّا قبض نبيهصلى الله عليه وآله دخل علىٰ فاطمةعليها السلام من وفاته من الحزن ما لا يعلمه إلّا الله عزّ وجلّ، فأرسل الله إليها مَلَكاً يُسلّي غمّها ويُحدّثها، فَشَكت (فحكت) ذلك إلىٰ أمير المؤمنينعليه السلام، فقال: إذا أحسستِ بذلك وسمعتِ الصوت قولي لي، فأعْلَمَتْهُ بذلك[1]، فجعل أميرُ المؤمنينعليه السلام يَكتب كلّ ما سمع حتىٰ أثبت من ذلك مصحفاً[2]، قال[3]: ثم قال[4]:

---

(١) أي لمّا أحسّت بالمَلَك وسمعت صوته أعلمت الإمامعليه السلام بذلك.

(٢) أي كتاباً.

(٣) أي الراوي.

(٤) أي الإمامعليه السلام.

أمَا إنّه ليس فيه شيء من الحلال والحرام، ولكن فيه علم ما يكون»[١].

الرواية الثانية: عن أبي عُبيدة قال: «سأل أبا عبد الله عليه السلام بعضُ أصحابنا عن الجَفْر، فقال: هو جلد ثورٍ مملوءٌ علماً، قال له: فالجامعة؟ قال: تلك صحيفة طولها سبعون ذراعاً في عرض الأديم مثل فخذ الفالِج[٢]، فيها كلّ ما يحتاج الناس إليه، وليس من قضيّة إلّا وهي فيها حتىٰ أَرْش الخَدش. قال: فمصحف فاطمة؟ فسكت طويلاً ثم قال: إنّكم لتبحثون عمّا تريدون وعمّا لا تريدون، إنّ فاطمة مكثت بعد رسول الله صلى الله عليه وآله خمسة وسبعين يوماً وكان دَخَلَها حزنٌ شديدٌ علىٰ أبيها، وكان جبرائيل عليه السلام يأتيها فيُحسن عزاءَها علىٰ أبيها ويطيّب نفسها ويُخبرها عن أبيها ومكانه، ويُخبرها بما يكون بعدها في ذرّيتها، وكان عليٌّ عليه السلام يكتب ذلك، فهذا مصحفُ فاطمة عليها السلام»[٣].

الرواية الثالثة: عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إنّ عندنا لمصحف فاطمة عليها السلام، وما يُدريهم ما مصحف فاطمة عليها السلام! قال: قلت: وما مصحف فاطمة عليها السلام؟ قال: مصحف فيه مثل قرآنكم هذا ثلاث مرات، واللهِ ما فيه من قرآنكم حرفٌ واحد»[٤].

الرواية الرابعة: عن محمّد بن مسلم، «قال: قال أبو عبد الله عليه السلام لأقوامٍ كانوا يأتونه ويسألونه عمّا خلّف رسولُ الله صلى الله عليه وآله إلىٰ علي عليه السلام وعمّا خلّف عليٌّ إلىٰ الحسن عليه السلام: ولقد خلّف رسولُ الله عندنا جلداً ما هو جلد جمل ولا جلد ثور

---

(١) الأُصول من الكافي ١: ١٨٦ ـ ١٨٧، الحديث ٢، وبصائر الدرجات: ١٥٧، الحديث ١٨. والمراد من علم ما يكون أي ما يحدث في المستقبل.

(٢) الأديم: الجلد، والفالِج: الجمل العظيم ذو السنامين.

(٣) الأُصول من الكافي ١: ١٨٧ ـ ١٨٨، الحديث ٥، وبصائر الدرجات: ١٥٣ الحديث ٦.

(٤) الأُصول من الكافي ١: ١٨٦، الحديث ١، وبصائر الدرجات: ١٥٢، الحديث ٣.

ولا جلد بقرة، إلّا (إنّه) إهاب شاة[١] فيه كلّ ما يُحتاج إليه، حتىٰ أرش الخدش والظِفْر، وخلَّفَتْ فاطمة مصحفاً ما هو قرآن ولكنّه كلامٌ من كلام الله أُنزل عليها، إملاء رسول الله وخطّ علي عليه السلام»[٢].

ما المقصود من المصحف في هذه الروايات؟

قال ابن منظور: «المُصحَف والمِصحَف: الجامع للصحف المكتوبة بين الدفّتين، والصُحُف: جَمعُ صحيفة، والصحيفةُ: التي يُكتب فيها»[٣].

وجاء في أقرب الموارد: «المُصحَف: اسمُ مفعولٍ: مجمع الصحف، أو ما جُمع منها بين دفّتي الكتاب المشدود. والصُحُف: جمع صحيفة، والصحيفة: قرطاسٌ مكتوبٌ»[٤].

وقال الراغب: «الصحيفة: التي يُكتب فيها، وجمعها: صحائف وصُحُف، قال [تعالىٰ]: ﴿صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ ومُوسَىٰ﴾[٥]. والمُصحَف: ما جُعل جامعاً للصُحُف المكتوبة، وجمعه مصاحف»[٦].

وجاء في مفردات القرآن: «الصُحُف: جمع الصحيفة، وهي الورقة التي من شأنها أن تُقلَب من جهة إلىٰ جهة لما فيها من الكتابة، ومنه المصحف وجمعه المصاحف». وقال أيضاً: «الصُحُف جمع صحيفة، والعرب تسمّي كلّ مكتوب

---

(١) إهاب ككتاب: الجلد. مجمع البحرين: (أهب).

(٢) بصائر الدرجات: ١٥٦، الحديث ١٤.

(٣) لسان العرب: (صحف).

(٤) أقرب الموارد: (صحف).

(٥) سورة الأعلىٰ: ١٩.

(٦) معجم مفردات ألفاظ القرآن: (صحف).

فيه صحيفة، كما تسمّيه كتاباً، رَقّاً[١] كان أو غيره»[٢].

بعد هذا العرض لمعنى المصحف تبيّن لنا أنّ المُصْحَف اسمٌ مُرادفٌ للكتاب، فكلّ كتابٍ مُصحَف، وكلّ مُصحَفٍ كتاب، وإنّما سُمّي القرآن الكريم مُصْحَفاً عند المسلمين لأنّه كتاب، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾[٣].

فالمقصود من مُصحَف فاطمة عليها السلام هو كتاب فاطمة عليها السلام، ولم يُقصد منه المُصحَف الشريف، أي القرآن الكريم وقد أكّد الإمام الصادق عليه السلام أنّ مصحف فاطمة عليها السلام ليس فيه من القرآن شيء، وإنّما هو كتابٌ فيه أخبار المستقبل، حيث قال: «مصحفُ فاطمة ما فيه شيء من كتاب الله، وإنّما هو شيءٌ أُلقي عليها بعد موت أبيها صلى الله عليهما»[٤]، وكذلك قوله عليه السلام: «وعندنا مصحف فاطمة عليها السلام، أمَا والله ما فيه حرفٌ من القرآن، ولكنّه إملاء رسول الله وخطّ علي»[٥]، وقوله أيضاً: «وخلَّفَتْ فاطمةُ مصحفاً ما هو قرآن ولكنّه كلامٌ من كلامِ الله أُنزل عليها، إملاء رسول الله وخطّ علي عليه السلام»[٦].

وقد عبّر الإمام الصادق عليه السلام في حديث له عن مصحف فاطمة عليها السلام بكتاب فاطمة عليها السلام، وأنّه مكتوب فيه أسماء مَن يملك في المستقبل. قال أبوعبدالله عليه السلام في حديث له: «وأمّا مُصحَفُ فاطمة عليها السلام ففيه ما يكونُ من حادثٍ وأسماءُ كلِّ من

---

(١) الرَق: جِلدٌ رقيق يُكتب فيه، والصحيفة البيضاء. أقرب الموارد: (رقق).
(٢) مفردات القرآن في مجمع البيان: (صحف).
(٣) سورة البقرة: ٢.
(٤) بصائر الدرجات: ١٥٩، الحديث ٢٧.
(٥) بصائر الدرجات: ١٥٧ ـ ١٥٨، الحديث ١٩.
(٦) بصائر الدرجات: ١٥٦، الحديث ١٤.

يملكُ إلى أن تقومَ السّاعةُ»[(١)]، وروىٰ الكليني بسنده عن فُضيل بن سُكَّرة، قال: «دخلتُ علىٰ أبي عبد الله عليه السلام فقال: «يا فُضيل أتدري في أيّ شيءٍ كنتُ أنظرُ قُبيل [مجيئك]؟ قال: قلت: لا، قال: كنتُ أنظرُ في كتاب فاطمة عليها السلام، ليس من مَلِكٍ يملكُ إلّا وهو مكتوبٌ فيه باسمه واسم أبيه، وما وجدت لوُلد الحسن فيه شيئاً»[(٢)].

بقي علينا أن نفهم أمرين:

الأوّل: حديثُ جبرائيل عليه السلام أو الملائكة مع الزهراء فاطمة عليها السلام:

إنّ حديث الملائكة مع الزهراء عليها السلام يُشبه حديث الملائكة مع مريم عليها السلام، قال تعالىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ ٱلْعَالَمِينَ * يَا مَرْيَمُ ٱقْنُتِي لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِي وَٱرْكَعِي مَعَ ٱلرَّاكِعِينَ﴾[(٣)].

وفاطمة الزهراء عليها السلام أفضل من مريم عليها السلام، وهذا ثابت عند علماء الإسلام[(٤)]، فلا غرابة من حديث الملائكة معها، وقد ثبت في الأخبار الصحيحة أنّ مريم عليها السلام كانت محدَّثة (أي تُحدِّثُها الملائكة)، وكذلك الزهراء عليها السلام محدَّثة، فقد ورد عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام أنّه قال: «لفاطمة تسعة أسماء: فاطمة،

---

(١) الإرشاد ٢: ١٨٦.

(٢) الأُصول من الكافي ١: ١٨٨، الحديث ٨، والمراد من وُلد الحسن عليه السلام أولاد الحسن المثنىٰ وأحفاده آنذاك، وهم عبد الله، وأولاده الأربعة: محمّد وإبراهيم ويحيىٰ وإدريس، وقد ثاروا جميعاً لتسلّم الحكم من بني العباس.

(٣) سورة آل عمران: ٤٢ ـ ٤٣.

(٤) قال الآلوسي في روح المعاني ٣: ١٥٥، بعد إيراده الأحاديث عن فضل مريم وغيرها من النساء قال: «والذي أميل إليه، أنّ فاطمة البتول أفضل النساء المتقدّمات والمتأخّرات من حيث أنّها بضعة رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم، بل ومن حيثيّات أُخر أيضاً... إذ البضعة من روح الوجود وسيد كل موجود لا أراها تقابل بشيء.

وأين الثريّا من يد المتناول

والصدِّيقة، والمباركة، والطاهرة، والزكيّة، والراضية، والرضيّة، والمحدَّثة، والزهراء»[١].

كما ذكر الشيخ الصدوق العلّة التي من أجلها سُمّيت فاطمة عليها السلام مُحدَّثة، فروىٰ بسنده عن إسحاق بن جعفر بن محمّد بن عيسىٰ بن زيد بن علي قال: سمعتُ أبا عبد الله الصادق عليه السلام يقول: إنّما سُمّيت فاطمة محدَّثة؛ لأنّ الملائكة كانت تهبط من السماء فتناديها كما تنادي مريم بنت عمران فتقول: يا فاطمة ﴿إِنَّ ٱللهَ ٱصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ ٱلعَالَمِينَ﴾، يا فاطمة ﴿ٱقْنُتِي لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِي وَٱرْكَعِي مَعَ ٱلرَّاكِعِينَ﴾، فتُحدّثُهم ويُحدّثُونها، فقالت لهم ذات ليلة: أليستِ المفضّلة علىٰ نساء العالمين مريم بنت عمران؟ فقالوا: إنّ مريم كانت سيدة نساء عالَمها، وإنّ الله عزّ وجلّ جعلكِ سيدةَ نساءِ عالَمِكِ وعالَمِها، وسيدةَ نساءِ الأوّلين والآخرين»[٢].

الثاني: معنىٰ قول الإمام الصادق عليه السلام: «ولكنّه إملاء رسول الله وخطّ علي»[٣]. وقوله عليه السلام: «ولكنّه كلامٌ من كلام الله أُنزل عليها، إملاء رسول الله وخطّ علي عليه السلام»[٤].

قال الشيخ المجلسي: «المراد برسول الله جبرئيل عليه السلام»[٥].

إنّ اسم رسول الله صلى الله عليه وآله يُطلق علىٰ جبرائيل وعلىٰ الملائكة المُرسَلين إلىٰ الخلق، قال تعالىٰ: ﴿اللهُ يَصْطَفِي مِنَ المَلَائِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاسِ﴾[٦].

(١) الخصال للشيخ الصدوق: ٤١٤، باب التسعة، الحديث ٣.
(٢) علل الشرائع ١: ١٨٢، الباب ١٤٦.
(٣) بصائر الدرجات: ١٥٨، الحديث ١٩.
(٤) بصائر الدرجات: ١٥٦، الحديث ١٤.
(٥) البحار ٢٦: ٤٢.
(٦) سورة الحج: ٧٥.

وقال سبحانه حاكياً كلام جبرائيل مع مريمعليها السلام: ﴿قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لأَهَبَ لَكِ غُلَاماً زَكِياً﴾(١)، وقال عزّ من قائل: ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ﴾(٢).

فالمقصود من رسول الله في قول الإمامعليه السلام: «**إملاء رسول الله وخطّ عليعليه السلام**» هو المَلَك المُرسَل من قِبَل الله سبحانه والمأمور بالتحدّث مع الزهراءعليها السلام. وممّا يدلّ علىٰ ذلك: أنّ المتعارف عند المحدِّثين إذا ذَكَروا رسولَ الله في الحديث يُصلّون عليه وعلىٰ آله، ولكنّهم في هذه الأحاديث لم يُصلّوا؛ لأنّ المقصود من رسول الله هنا المَلَك المُرسَل من عند الله تعالىٰ.

والجدير بالملاحظة أنّ في بعض الطبعات الحديثة أُضيفت جملةصلى الله عليه وآله بعد قول الإمامعليه السلام: «**إملاء رسول الله**» ظنّاً منهم أنّ المقصود هو نبيّنا الكريمصلى الله عليه وآله.

نتيجة البحث:

تبيّن مما ذكرناه أنّ المقصود من مصحف فاطمةعليها السلام هو: كتابٌ كان لفاطمةعليها السلام فيه بعض المعلومات المستقبلية التي تلقّتها من الملائكة، ولم يكن مُصحَفاً بالمعنىٰ المعروف من المُصحَف عند المسلمين (أي القرآن الكريم)، وقد صرّح بهذا مجموعة من علماء السنّة، منهم:

١ ـ المستشار عبد الحليم الجندي، قال تحت عنوان (**مصحف فاطمة**): «ومن التراث العلمي عند الشيعة ما يُسمّىٰ بمُصحَف فاطمة. حَدّثُوا عن الصادقعليه السلام إذ سُئِل عنه [قال]: (إنّ فاطمة مكثت بعد رسول الله خمسة وسبعين يوماً وكان

(١) سورة مريم: ١٩.

(٢) سورة العنكبوت: ٣١.

قد دخلها حزن علىٰ أبيها، وكان جبرائيل يأتيها فيحسن عزاءها ويطيّب نفسها، ويخبرها بما يكون بعدها في ذرّيتها، وكان علي يكتب ذلك. فهذا مصحف فاطمة). فليس هذا مُصحَفاً بالمعنىٰ الخاصّ بكتاب الله تعالىٰ وإنّما هو أحد المدوَّنات»[١].

٢ ـ الشيخ محمد الغزالي قال: «لا يَعرف التاريخُ إلّا قرآناً واحداً منشور النُسَخ بين جماهير المسلمين من ليلة القدر الأُولىٰ إلىٰ يوم الناس هذا. ولم يَحدُث خلاف علىٰ هذه الحقيقة خلال أربعة عشر قرناً مضت، فكتاب المسلمين واحد. وقد حاولَ بعضُ المستشرقين الصغار أن يختلق ريبةً حول ذلك، فزعَمَ أنّ عند الشيعة مصحفاً آخر، وهو زَعمٌ ساقط كان أقل مِن أنْ نُثبته هنا، ولكنّا ترخّصنا في ذكره ليَعلم مَن يجهل أنّ القرآن الذي يحفظه جميع المسلمين ويحتفظون بنُسَخِه في بيوتهم واحدٌ واحد.

ولم يؤثَر عن شيعيٍّ أو سنّيٍّ أو خارجيٍّ أو صوفيٍّ أنّ لديه قرآناً آخرَ غير هذا الكتاب الفذّ. إنّ المُصحَف يُطبع في القاهرة فيَقتنيه مسلمو إيران والهند من الشيعة دون أي تردّد عالِمين بأنّ هذا هو الوحي الذي نزلَ علىٰ نبيّهم»[٢].

ويقول الباحث: وممّا يدلّ علىٰ وحدة القرآن عند الشيعة وغيرهم ما نراه في بعض المكتبات والمتاحف من نُسَخٍ للقرآن بخطّ الإمام علي والإمام الحسن والإمام الرضاعليهم السلام وهو نفس مصحف عثمان. ويُضاف إلىٰ ذلك أنّ للشيعة عشرات التفاسير لمصحف عثمان ولم يُعثر لهم علىٰ تفسيرٍ لمصحف فاطمةعليها السلام، ولو كان لبان.

---

(١) الإمام جعفر الصادق: ١٩٠.

(٢) دستور الوحدة الثقافية بين المسلمين: ٢١.

رابعاً: البَداء

وردت بعضُ الأحاديث الشريفة عن الرسول الأعظم ﷺ وأئمة أهل البيت عليهم السلام فيها نسبة (البَداء) إلىٰ الله تعالىٰ، فمِن هذه الأحاديث:

روىٰ البخاري بإسناده عن عبد الرحمن بن أبي عمرة أنّ أبا هريرة حدّثه أنّه سمع رسول الله ﷺ يقول: «إنّ ثلاثة في بني إسرائيل: أبرص، وأعمىٰ، وأقرع، بدا لله عزّ وجلّ أن يبتليهم فبعث إليهم مَلَكاً فأتىٰ الأبرص، فقال: أيّ شيء أحبّ إليك؟ فقال لون حسن، وجلد حسن، قد قذّرني الناس. قال: فمسحه فذهب عنه [البرص] فأُعطي لوناً حسناً وجلداً حسناً، ثم قال له: أيّ المال أحبّ إليك؟ فقال: الإبل فأُعطي ناقة عشراء، فقال يبارك لك فيها.

وأتىٰ الأقرعَ فقال: أيّ شيء أحبّ إليك؟ قال: شَعر حسن ويذهب عني هذا [القرع] قد قذّرني الناس. قال: فمسحه فذهب عنه، وأُعطي شعراً حسناً، ثم قال له: أيّ المال أحبّ إليك؟ فقال: البَقَر، فأعطاه بقرةً حاملاً، وقال: يبارك لك فيها.

وأتىٰ الأعمىٰ فقال: أيّ شيء أحبّ إليك؟ قال يردّ الله إليّ بصري فأُبصر به الناس. قال فمسحه فردّ الله إليه بصره، فقال له أيّ المال أحبّ إليك؟ قال: الغنم، فأعطاه شاةً

والداً (ولوداً).

فأنتج هذان وولّد هذا، فكان لهذا وادٍ من إبل، ولهذا وادٍ من بَقَر، ولهذا وادٍ من الغنم.

ثم إنّه أتى [المَلَكُ الأبرصَ] في صورته وهيئته [السابقة]، فقال: رجل مسكين تقطّعت [قد انقطعت] بي الحبال في سفري [١]، فلا بلاغ اليوم إلّا بالله ثم بك، أسألك بالذي أعطاك اللون الحسن والجلد الحسن والمال، بعيراً أتبلّغ عليه في سفري، فقال له: إنّ الحقوق كثيرة، فقال له: كأنّي أعرفك، ألم تكن أبرص يقذرك الناس فقيراً فأعطاك الله! فقال لقد ورثت كابراً عن كابر، فقال: إنْ كنتَ كاذباً فصيّرك الله إلىٰ ما كنتَ [فرجع أبرصَ فقيراً].

وأتىٰ الأقرع في صورته وهيئته [السابقة]، فقال له مثلما قال لهذا، فردّ عليه مثلما ردّ عليه هذا، فقال: إنْ كنتَ كاذباً فصيّرك الله إلىٰ ما كنتَ [فرجع أقرعَ فقيراً].

وأتى الأعمىٰ في صورته [السابقة]، فقال: رجل مسكين وابن سبيل وتقطّعت بي الحبال في سفري، فلا بلاغ اليوم إلّا بالله ثم بك، أسألك بالذي ردّ عليك بصرك، شاة أتبلّغ بها في سفري، فقال: قد كنتُ أعمىٰ فردّ الله بصري، وفقيراً فأغناني، فخذ ما شئت، فوالله لا أجهَدُك اليوم بشيء أخذتَه لله، فقال: أمْسِكْ مالَك، فإنّما ابتُليتم [٢]، فقد رضي الله عنك وسخط علىٰ صاحبيك» [٣].

وروىٰ الكليني بإسناده عن الإمام الرضا عليه السلام أنّه قال: «ما بعث الله تعالىٰ نبيّاً

---

(١) في النهاية: «أنا رجل مسكين قد انقطعت بي الحبال في سفري. أي الأسباب من الحبل أي السبب». النهاية لابن الأثير: (حبل). قال الباحث: ومن قوله تعالى ﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفَرَّقُوا﴾ سورة آل عمران: ١٠٣.

(٢) أي امتُحنتم.

(٣) صحيح البخاري ٤: ٦٣٦، باب ٩٤٧، الحديث ١٦١٣.

قط إلّا بتحريم الخمرة وأنْ يُقرّ له بالبَداء»[١].

هذان حديثان شريفان نُسب فيهما البداء إلىٰ الله تعالىٰ: فما هو معنىٰ البداء في اللغة، وما هو المقصود من البداء في الأحاديث الشريفة؟

إنّ كلمة (البداء) تأتي بمعنيين:

الأوّل: الظهور. قال الفراهيدي: «بَدا الشيءُ يبدو بَدْواً وبُدُوّاً أي ظَهَر»[٢].

وقال الراغب: «بدا الشيءُ بَدواً وبَداءً، أي ظهر ظهوراً بَيِّناً، قال تعالىٰ: ﴿وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ * وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا﴾[٣]. ﴿فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا﴾[٤]»[٥].

الثاني: تَبدُّل الرأي ونشوء رأي جديد. قال الفرّاء: «بدا لي بداءٌ، أي ظهر لي رأيٌ آخر، وأنشد:

لو علىٰ العهدِ لم يَخُنْهُ لَدُمْنا ثُمّ لَمْ يَبدُ لي سواهُ بَداءُ»[٦]

وقال الجوهري: «بَدا له في هذا الأمر بَداءٌ: أي نشأ له فيه رأي»[٧].

وقال ابن الأثير: «البَداء استصواب شيءٍ عُلم بعد أن لم يُعلَم»[٨].

فالبَداء في اللغة هو: (تجديدُ الرأي، أو تغيّره، أو استصواب شيءٍ عُلم بعد أن لم يُعلَم)، وبهذا المعنىٰ لا يجوز نسبته إلىٰ الله تعالىٰ؛ لأنّ فيه نسبة الجهل إلىٰ

(١) الأُصول من الكافي ١: ١١٥، باب البداء.
(٢) ترتيب كتاب العين: (بدا).
(٣) سورة الزمر: ٤٧ ـ ٤٨.
(٤) سورة طه: ١٢١.
(٥) معجم مفردات ألفاظ القرآن: (بَدا).
(٦) لسان العرب: (بداء).
(٧) الصحاح: (بدا).
(٨) النهاية لابن الأثير: (بدا).

مَن هو بكل شيءٍ عليم، وبكل شيءٍ محيط، والعالِم بالماضي والحاضر والمستقبل، يعلم بالأشياء قبل وجودها وحين وجودها وبعد وجودها. وعلىٰ هذا الرأي جميع علماء الإسلام وأئمة الدين والمسلمون الواعون. قال الإمام الصادق عليه السلام: «مَن زَعَمَ أنّ اللهَ عزّ وجلّ يَبدو لَهُ في شيءٍ اليوم لَمْ يَعلَمْه أمس فابرأوا منه»[1].

وقال الإمام الرضا عليه السلام: «مَن قال بأنّ الله تعالىٰ لا يَعلَمُ الشيءَ إلّا بعد كونه فقد كفر وخرج عن التوحيد»[2].

وروىٰ الكليني بسنده عن منصور بن حازم قال: سألتُ أبا عبد الله، هل يكون اليوم شيء لم يكن في عِلم الله بالأمس؟ قال: «لا، مَن قال هذا فأخزاه الله». قلتُ: أرأيتَ ما كان وما هو كائن إلىٰ يوم القيامة أليس في علم الله؟ قال: «بلىٰ قبل أن يخلق الخلق»[3].

بعد هذا العرض لكلمة (البَداء) بمعنىٰ ظهور ونشوء رأي جديد، واتّفاق أئمة الهدىٰ وعلماء الإسلام علىٰ استحالته بالنسبة لله تعالىٰ، إذن كيف نُعالج الأحاديث التي نسبت البَداء إلىٰ الله عزّ وجلّ؟

الجواب: هناك عدّة معالجات لأحاديث البَداء:

المعالجة الأُولىٰ:

حَمْلُ البَداء علىٰ معناه اللغوي الأوّل، أي (الظهور) وتوجيه عبارة الحديث

---

(١) كمال الدين للشيخ الصدوق ١: ٩٩، والبحار ٤: ١١١ باب البداء.

(٢) التوحيد للشيخ الصدوق: ٣٢٥، والبحار ٤: ١١٥.

(٣) الأُصول من الكافي ١: ١١٥، باب البداء، الحديث ١١، والتوحيد للشيخ الصدوق: ٣٢٥.

بما يتّفق مع العقيدة الحقّة.

قال الشيخ المفيد: «تقول العرب: قد بدا لفلان عملٌ حَسَن، وبدا له كلامٌ فصيح، كما يقولون: بدا من فلان كذا، فيجعلون اللام قائمة مقامه[١]، فالمعنىٰ في قول الإماميّة: بدا لله في كذا أي ظهر له فيه، ومعنىٰ ظهر له فيه أي ظهر منه فيه، وليس المراد منه تعقّب الرأي، ووضوح أمرٍ كان قد خَفي عنه. وجميع أفعاله تعالىٰ الظاهرة في خلقه بعد أن لم تكن فهي معلومة له في ما لم يزل، وإنّما يوصَف منها بالبَداء ما لم يكن في الاحتساب ظهوره، ولا في غالب الظنّ وقوعه؛ فأمّا ما عُلم كونه، وغلب في الظنّ حصوله، فلا يُستعمل فيه لفظ البَداء»[٢].

المعالجة الثانية:

إبقاء البداء علىٰ معناه اللغوي أي الظهور، وتوجيه الظهور بما يناسب العقيدة الإسلاميّة.

قال الشيخ الصدوق: «البَداء ليس من ندامة[٣] وإنّما هو ظهور أمر، تقول العرب: بدا لي شخص في طريقي، أي ظهر، وقال الله عزّ وجلّ: ﴿وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾[٤] أي ظهر لهم؛ ومتىٰ ظهر لله تعالىٰ ذِكْرُهُ مِن عبدٍ صلةٌ لِرَحِمِهِ زاد في عمره، ومتىٰ ظهر له قطيعة رَحِم نقّص من عمره، ومتىٰ

(١) أي يجعلون لام بدا (له) قائمة مقام (منه)، فلمّا يقال: بدا لزيد عملٌ حسنٌ، أي بدا من زيد عملٌ حسن.
(٢) تصحيح الاعتقاد: ٦٥ ـ ٦٦، أُنظر مصنّفات الشيخ المفيد الجزء ٥.
(٣) أي الندامة علىٰ الأمر السابق.
(٤) سورة الزمر: ٤٧.

ظهر له من عبدٍ إتيان الزنا نقّص من رزقه وعمره، ومتىٰ ظهر له منه التعفّف عن الزنا زاد في رزقه وعمره»[١].

وقال الشيخ المفيد: «قد يكون الشيء مكتوباً بشرط فيتغيّر الحال فيه. قال الله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلاً وَأَجَلٌ مُسَمّىً عِنْدَهُ﴾[٢].

فتبيّن أنّ الآجال علىٰ ضربين: ضرب منها مشترط يصحّ فيه الزّيادة والنّقصان، ألا ترىٰ إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ﴾[٣].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا واتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ﴾[٤] فبيّن أنّ آجالهم كانت مشترطة في الامتداد بالبرّ، والانقطاع بالفسوق.

وقال تعالىٰ [فيما خبّر به] عن نوح خطابه لقومه: ﴿استَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً﴾[٥] إلىٰ آخر الآيات.

فاشتَرَطَ لهم في مدّ الأجل وسبوغ النّعم الاستغفار، فلمّا لم يفعلوه قطع آجالهم وبتر أعمارهم واستأصلهم بالعذاب.

فالبداء من الله تعالىٰ يختصّ[٦] ما كان مشترطاً في التقدير، وليس هو الانتقال من عزيمة إلىٰ عزيمة ولا من تعقّب الرأي، تعالىٰ الله عمّا يقول المبطلون علوّاً كبيراً»[٧].

---

(١) التوحيد للشيخ الصدوق: ٣٢٧.

(٢) سورة الأنعام: ٢.

(٣) سورة فاطر: ١١.

(٤) سورة الأعراف: ٩٦.

(٥) سورة نوح: ١٠ ـ ١١.

(٦) لعلّ العبارة: يختص بما...

(٧) تصحيح الاعتقاد: ٦٦ ـ ٦٧.

المعالجة الثالثة:

تأويل هذه الأحاديث وحملها علىٰ معانٍ تتّفق مع المسلّمات الدينيّة والحقائق الإسلاميّة، وهذه الطريقة جارية مع مجموعة من الكلمات والنصوص القرآنيّة والحديثيّة، مثال ذلك:

أ ـ نَسَبَتْ بعضُ الآيات الكريمة الغضبَ والنسيانَ إلىٰ الله تعالىٰ، وهما حالتان تطرءان علىٰ الإنسان، فيتغيّر من الرضا إلىٰ الغضب، ومن التذكّر إلىٰ النسيان، أمّا الله الحيّ القيّوم فلا يغيّره شيء، ولا يتغيّر من حالٍ إلىٰ حال، فلابدّ من تأويل هذه الكلمات إلىٰ معنىً مقبول. ومِن ثمّ قال العلماء: إنّ المقصود من غضب الله هو إبعاد العبد من رحمته، والمقصود من النسيان هو ترك المخلوق من دون أن تشمله عنايته(١).

قال الشيخ المفيد: «قال بعض أصحابنا: إنّ لفظ البَداء أُطلق في أصل اللغة علىٰ تعقّب الرأي، والانتقال من عزيمة إلىٰ عزيمة، وإنّما أُطلق علىٰ الله تعالىٰ علىٰ وجه الاستعارة، كما يُطلق عليه الغضب والرضا مجازاً غير حقيقة»(٢).

ب ـ في بعض الآيات القرآنيّة نُسب المكرُ والخداعُ إلىٰ الباري عزّ وجلّ،

---

(١) ورد في شرح الكافي ٤: ٣١٤ مايلي: «كلامنا في إطلاق هذا اللفظ [أي البَداء] علىٰ الله تعالىٰ نظير كلامنا في إطلاق الغضب والرضا والأسف، كما قال تعالىٰ: ﴿فلمّا آسفونا انتقمنا منهم﴾ الزخرف: ٥٥، والنسيان في قوله: ﴿نسوا الله فنسيهم﴾ التوبة: ٦٧، وقوله: ﴿وكذلك اليوم تُنسىٰ﴾ طه: ١٢٦، وأمثال ذلك، يجب تأويله بما يوافق المذهب والعقل، والجامع لجميع ذلك، أنّه تعالىٰ يُعامِل معاملة الراضي والغاضب والناسي والمحزون والنادم علىٰ ما فعل، لا أنّه تعالىٰ متّصف بهذه الصفات واقعاً.

(٢) تصحيح الاعتقاد: ٦٧، أُنظر مصنّفات الشيخ المفيد الجزء ٥.

كما في سورة آل عمران: ﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللهُ وَاللهُ خَيْرُ المَاكِرِينَ﴾[١]، وكما في سورة النساء: ﴿إِنّ المُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾[٢]، وهذه الصفات لا تليق بمقام الربوبيّة، فَحَمَل العلماءُ هذه الكلمات علىٰ معنىً مقبول وهو إبطال الله سبحانه مكرهم وخداعهم؛ وهذا شبيه قوله تعالىٰ: ﴿فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾[٣]، مع أنّ ردّ العدوان ليس بعدوان بل هو أخذ للحقّ.

ج ـ وردت في بعض الآيات الكريمة كلمة: اليد والوجه لله تعالىٰ، كما في سورة الفتح: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللهَ يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾[٤] وكما في سورة الرحمن: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الجَلَالِ وَالإِكْرَامِ﴾[٥]، وهما من صفات الأجسام والباري عزّ وجلّ مُنزّه عن الجسم، فأوّل العلماء كلمة اليد إلىٰ السلطة والقدرة، والوجه إلىٰ الذات الإلهيّة المقدّسة.

فبناءً علىٰ ما ذكرناه، من أنّ المعنىٰ الظاهري واللغوي لكلمة البَداء لا يتّفق مع الاعتقاد بأنّ الله تعالىٰ لا تخفىٰ عليه خافية وهو بكل شيءٍ عليم، فلابدّ من تأويلها إلىٰ معنىً يوافق العقيدة الحقّة؛ لذا قال ابن الأثير: «وفي حديث الأقرع والأبرص والأعمىٰ [قوله ﷺ:] (بَدا الله عزّ وجلّ أن يبتليهم) أي قضىٰ بذلك، وهو معنىٰ البداء هاهنا؛ لأنّ القضاء سابق، والبَداء استصواب شيءٍ عُلم بعد أن لم يُعلم، وذلك علىٰ الله غير جائز»[٦]. فابن الأثير أوّلَ كلمة (بدا لله) إلىٰ

---

(١) سورة آل عمران: ٥٤.
(٢) سورة النساء: ١٤٢.
(٣) سورة البقرة: ١٩٤.
(٤) سورة الفتح: ١٠.
(٥) سورة الرحمن: ٢٧.
(٦) النهاية لابن الأثير: ١٠٩ (بدا).

(قضىٰ الله) بأن يبتليهم.

وفي الحقيقة أنّ الله تعالىٰ بقضائه الجديد وهو (تغيير حالهم) لم يَظهر له علم جديد في أمر هؤلاء، فهو عالم بتغيّر حالهم قبل الابتلاء والامتحان، ولكنّ الباري عزّ وجلّ بابتلاء هؤلاء بالنعمة أظهر أمراً جديداً لهم لم يكن بالحسبان؛ إذ كان الناس يَظُنّون أنّهم سيبقون كما هُم ولم يتوقّعوا تغيّر حالهم، وإذا بهم تتغيّر أحوالهم إلىٰ مدّة، ثم رجع الأبرص والأقرع إلىٰ حالهما السابق؛ لأنّهما لم يشكرا نعمتهما، وبقي الأعمىٰ في نعمته؛ لأنّه شكر الباري.

فالمقصود من البَداء والظهور في الواقع هو الإبداء والإظهار.

قال السيّد أبو القاسم الخوئي: «إنّ البَداء بالمعنىٰ الذي يقوله أهل البيت وشيعتهم هو من الإبداء أي الاظهار حقيقةً، وإطلاق لفظ البَداء عليه مبنيٌّ علىٰ التنزيل والإطلاق، بعلاقة المشاكلة»[1].

وقال الشيخ محمّد رضا المظفر: «البَداء في الإنسان أن يبدو له رأيٌ في الشيء لم يكن له ذلك الرأي سابقاً، بأن يتبدّل عزمه في العمل الذي كان يريد أن يصنع؛ إذ يحدث عنده ما يغيّر رأيه وعلمه به، فيبدو له تركه بعد أن كان يريد فعله، وذلك عن جهلٍ بالمصالح وندامة علىٰ ما سبق منه.

والبَداء بهذا المعنىٰ يستحيل علىٰ الله تعالىٰ؛ لأنّه من الجهل والنقص وذلك محال عليه تعالىٰ ولا تقول به الإماميّة.

قال الصادق عليه السلام: (مَن زَعَمَ أنّ الله تعالىٰ بَدا له في شيءٍ بَداءَ ندامة فهو عندنا كافر بالله العظيم)[2].

---

(١) البيان في تفسير القرآن (البَداء في التكوين): ٢٧٦.

(٢) الاعتقادات للشيخ الصدوق، باب الاعتقاد بالبَداء: ٤١، أُنظر مصنّفات للشيخ المفيد.

وقال أيضاً: (مَن زَعَمَ أنّ الله بَدا له في شيءٍ ولم يَعلَمْه أمسِ فابرأوا منه)(١).

غير أنّه وردت عن أئمتنا الأطهار عليهم السلام روايات تُوهِم القول بصحّة البَداء بالمعنىٰ المتقدّم، كما ورد عن الصادق عليه السلام: (ما بدا لله في شيءٍ كما بدا له في إسماعيل ابني)(٢)؛ ولذلك نسب بعض المؤلفين في الفِرَق الإسلاميّة إلىٰ الطائفة الإماميّة القول بالبَداء طعناً بالمذهب وطريق آل البيت عليهم السلام، وجعلوا ذلك من جملة التشنيعات علىٰ الشيعة.

والصحيح في ذلك أن نقول كما قال الله تعالىٰ في محكم كتابه المجيد: ﴿يَمْحُو اللهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الكِتَابِ﴾(٣)، ومعنىٰ ذلك أنّه تعالىٰ قد يُظهر شيئاً علىٰ لسان نبيّه(٤) أو وليّه أو في ظاهر الحال لمصلحة تقتضي ذلك

---

(١) نص الحديث كما في كمال الدين للصدوق ١: ٩٩ عن الصادق عليه السلام: «مَن زَعَمَ أنّ الله يبدو له في شيءٍ اليوم لم يعلمه أمس فابرأوا منه».

والنص الثاني: عن الصادق عليه السلام أيضاً: «مَن زَعَمَ أنّ الله عزّ وجلّ يبدو له اليوم في شيء لم يعلمه أمس فهو كافر والبراءة منه واجبة».

(٢) كمال الدين للشيخ الصدوق ١: ٩٩، ونصّ الحديث في التوحيد للصدوق هو: «ما بدا لله بداء كما بدا له في إسماعيل ابني»: ٣٢٧، والبحار ٤: ١٠٩، سيأتي شرح هذا الحديث في تقسيم البَداء إلىٰ: البَداء في التكوين، والبَداء في التشريع.

(٣) سورة الرعد: ٣٩.

(٤) روىٰ الكليني في الفروع من الكافي ٤: ٥، بسنده عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام أنّه قال: «مرّ يهودي بالنبي صلى الله عليه وآله فقال: السّام عليك. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: عليك. فقال أصحابه: إنّما سلّم عليك بالموت، قال: الموتُ عليك. قال النبي صلى الله عليه وآله: وكذلك رددتُ، ثمَّ قال النبي صلى الله عليه وآله: إنَّ هذا اليهودي يعضّه أسود (أي أفعىٰ) في قفاه فيقتله. قال: فذهب اليهوديُّ فاحتطب حطباً كثيراً فاحتمله، ثمَّ لم يلبث أن انصرف [سالماً]. فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: ضَعْهُ، فوضع الحطب، فإذا أسود في جوف الحطب عاضّ علىٰ عود [وهو ميّت]، فقال صلى الله عليه وآله: يا يهوديّ ما عملتَ اليوم؟ قال: ما عملتُ عملاً إلّا حطبي هذا احتملته فجئت به ←

الإظهار، ثم يمحوه فيكون غير ما قد ظَهَرَ أَوَّلاً»(١). أي يُخبر النبي أو الولي عن حادثٍ سيقع، ولكنّه لم يقع لحدوث أسباب وشروط مَنعت من وقوعه، فيُظهر سبحانه أمراً وحادثاً خلاف ما أظهر وأخبر عنه النبي أو الولي؛ لأنّ الحوادث التي يُخبر الأنبياء والأولياء بوقوعها قسمان: قسم منها حتميّ الوقوع، وهذا القسم سيحدث حتماً وليس فيه بَداء وتغيير، وقسم آخر موقوف تحقّقه على عدم حدوث أسباب وشرائط جديدة توجب تغييره، «والبَداء إنّما يكون في القضاء الموقوف المعبَّر عنه بلوح المحو والإثبات»(٢).

أمّا القضاء المحتوم الذي يُعبَّر عنه بأُمّ الكتاب فلا بَداء فيه ولا تغيير. روىٰ العيّاشي في تفسيره عن عمار بن موسىٰ أنّ الإمام الصادق عليه السلام سُئل عن قول الله تعالىٰ: ﴿يَمْحُو اللهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الكِتَابِ﴾(٣) فقال: «إنّ ذلك الكتاب كتابٌ يمحو الله فيه ما يشاء ويُثبت، فمِن ذلك: الذي يردّ الدعاءُ القضاءَ، وذلك الدعاءُ مكتوبٌ عليه الذي يردّ به القضاء، حتىٰ إذا صار [القضاء] إلىٰ أُمّ الكتاب لم يُغنِ الدعاءُ فيه شيئاً»(٤).

وروىٰ أيضاً عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال: «إنّ الله يُقدّم ما يشاء ويؤخّر ما يشاء، ويمحو ما يشاء، ويُثبت ما يشاء وعنده أُمّ الكتاب. وقال: فكلّ أمر يريده الله فهو في علمه قبل أن يصنعه، وليس شيء يبدو له إلّا وقد كان في علمه، إنّ الله

← وكان معي كعكتان فأكلتُ واحدةً وتصدّقتُ بواحدة علىٰ مسكين. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله [لأصحابه]: بها دفع الله عنه. وقال: إنّ الصدقة تدفع ميتة السوء عن الإنسان».

(١) عقائد الإمامية: ٢٤ ـ ٢٥.

(٢) البيان في تفسير القرآن للسيّد الخوئي: ٢٧٥.

(٣) سورة الرعد: ٣٩.

(٤) تفسير العياشي ٢: ٢٢٠.

لا يبدو له مِن جهل»[١].

فالقضاء الموقوف علىٰ تحقّق شروطه هو الذي منع الأئمةعليهم السلام أن يُخبروا بوقوع قضايا كثيرة في المستقبل كانوا يعلمونها؛ لأنّها لم تكن حتميّة الوقوع، إذ ربّما يطرأ طارئ جديد فيستوجب تغيير القضاء؛ لذا روىٰ البزنطي عن الإمام الرضاعليه السلام أنّه قال: «قال أبو عبد الله، وأبو جعفر، وعلي بن الحسين، والحسين بن علي، والحسن بن علي، وعلي بن أبي طالب: والله لولا آية في كتاب الله لحدّثناكم بما يكون إلىٰ أن تقوم الساعة [وهي]: ﴿يَمْحُو اللهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الكِتَابِ﴾[٢]»[٣].

القضاء الحتمي والقضاء الموقوف:

إنّ القضاء الإلهي علىٰ قسمين: قِسْمٌ منه ثابت في أُمّ الكتاب حتميٌّ لا يتغيّر، والقسم الآخر قابلٌ للتغيير حسب مشيئة الله تعالىٰ وإرادته والمصلحة العامّة، تبعاً لأعمال الإنسان ومواقفه، قال سبحانه: ﴿إِنَّ اللهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِم﴾[٤]. وقال تعالىٰ: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُم إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِدْرَاراً * وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُم جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُم أَنْهَاراً﴾[٥].

فالأعمال الصالحة تُغيّر القضاء إلىٰ الأفضل والأحسن، فتدفع البلاء، وتطيل

---

(١) تفسير العياشي ٢: ٢١٨.
(٢) سورة الرعد: ٣٩.
(٣) قرب الاسناد: ٣٥٣ ـ ٣٥٤.
(٤) سورة الرعد: ١١.
(٥) سورة نوح: ١٠ ـ ١٢.

العمر، وتوسّع الرزق؛ والأعمال السيّئة تغيّر القضاء إلىٰ الأسوأ، فتقصّر العمر، وتجلب الشقاء، وتقلّل الرزق. قال تبارك وتعالىٰ: ﴿يَمْحُو اللهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الكِتَابِ﴾(١).

قال السيوطي: أخرج ابن مردويه وابن عساكر عن الإمام علي عليه السلام أنّه سألَ رسولَ الله عن هذه الآية، فقال له: لأقرَّنَّ عينيك بتفسيرها، ولأقرَّنَّ عين أُمّتي بعدي بتفسيرها: الصدقة علىٰ وجهها، وبرّ الوالدين، واصطناع المعروف، يحوّل الشقاء سعادةً، ويزيد في العمر، ويقي مصارع السوء»(٢).

فائدة الاعتقاد بالبداء:

للبداء فوائد كثيرة منها:

١ ـ إنّ الاعتقاد بالبَداء فيه تعظيم لله تعالىٰ وذلك باعتقاد أنّه سبحانه له الأمر والحكم والتصرّف في مخلوقاته، قال الإمام الصادق عليه السلام: «ما عُظّم الله بمثل البَداء»(٣).

٢ ـ إنّ الاعتقاد بالبداء يُشجّع الناس علىٰ الصالحات من الأعمال؛ لأنّ المعتقد به يؤمن بتأثير عمل الإنسان في تغيير القضاء؛ فهو عامل محرّك نحو الأعمال الصالحة والدعاء والتضرّع إلىٰ الله تعالىٰ، والإقلاع عن المعاصي والمنكرات، وبهذه الوسيلة يسعد الفرد والمجتمع؛ لذا قال الإمام الصادق عليه السلام: «ما عُبِدَ الله عزّ وجلّ بشيءٍ مثل البَداء»(٤)، وقال أيضاً: «لو يعلم الناسُ ما في

---

(١) سورة الرعد: ٣٩.

(٢) تفسير الدرّ المنثور لجلال الدين السيوطي ٤: ٦٦.

(٣) التوحيد للشيخ الصدوق: ٣٢٤.

(٤) التوحيد للشيخ الصدوق: ٣٢٤، والبحار للشيخ المجلسي ٤: ١٠٧.

القول بالبَداء من الأجر ما فَتَرُوا عن الكلام فيه»[١].

وفي الحقيقية أنّ البَداء يعتقد به كلّ المسلمين مع فارق المصطلح، فعند السنّة يُصطلح عليه (قاعدة المحو والإثبات)، وعند الشيعة يُسمّىٰ (البَداء).

لذا قال الشيخ الصدوق: «من أقرّ لله عزّ وجلّ بأنّ له أن يفعل ما يشاء، ويؤخّر ما يشاء، ويخلق مكانه ما يشاء، كيف يشاء، فقد أقرّ بالبَداء.

وما عُظّم الله عزّ وجلّ بشيء أفضل من الإقرار بأنّ له الخلق والأمر والتقديم والتأخير، وإثبات ما لم يكن، ومحو ما قد كان.

والبَداء هو ردٌّ علىٰ اليهود؛ لأنّهم قالوا: إنّ اللهَ قد فرغ من الأمر[٢]، فقلنا: إنّ الله كلّ يوم في شأن، يُحيي ويُميت، ويرزق، ويفعل ما يشاء»[٣].

البَداء في التكوين والتشريع:

قسّم العلماء البداء إلىٰ قسمين: البداء في التكوين، والبداء في التشريع.

١ ـ البداء في التكوين:

بحثناه مفصّلاً، وقلنا بأنّ الله تعالىٰ يمحو ما يشاء ويُثبت ما يشاء وله الأمر

---

(١) البحار ٤: ١٠٨.

(٢) إشارة إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿وقالتِ اليهودُ يدُ اللهِ مغلولةٌ غُلّتْ أيدِيْهم ولُعِنوا بِمَا قالوا بل يَداهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ المائدة: ٦٤؛ لأنّ اليهود قالوا بأنّ الله في الأزل خلق الخلق وقدّر الآجال والأرزاق والحظوظ وغير ذلك، فكلّ شيء باقٍ علىٰ ما قدّر له، أي كأنّ الله تعالىٰ أسير ما قدّره في الأزل لا يزيد ولا ينقص ولا يغيّر ولا يبدّل ولا يمحو ولا يثبت، هذا هو المراد من قولهم: (يَدُ الله مغلولة) أي عن البسط والقبض والمحو والإثبات والتغيير والتبديل، فَرَدَّ اللهُ تعالىٰ عليهم بقوله: ﴿بل يَداهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾، أي يمحو ويثبت ويعطي ويمنع و....

(٣) التوحيد للشيخ الصدوق: ٣٢٧.

والحكم، وأنّ بعض البَداء وتغيير القضاء يعتمد علىٰ عـمل الإنسـان، وبـعضه الآخر يعتمد علىٰ المصلحة العامّة والحكمة الإلهيّة، ومثاله قصّة إسماعيل ابن الإمام الصادقعليه‌السلام، فإنّه كان عالماً ورعاً فأماته الله في حياة أبيه لئلّا تحدث شبهة في أمره بعد وفاة والده. لذا قال أبو عبد اللهعليه‌السلام: «ما بدا لله في شيء كما بدا له في إسماعيل ابني». قال الشيخ الصدوق في تفسير كلام الإمام: «فإنّه يقول: ما ظهر لله أمرٌ كما ظهر له في إسماعيل ابني إذ اخترمه في حياتي ليعلم بذلك أنّه ليس بإمام بعدي»(١).

فمع أنّ إسماعيل كان فاقداً لمقوّمات الإمامة ومنها النصّ، فقد ادّعىٰ البعض إمامته، ولم ينصّ الرسولعليه‌السلام ولا الإمام الصادقعليه‌السلام علىٰ إمامته، وقـد نـصّ الرسول الأكرمصلى‌الله‌عليه‌وآله علىٰ الأئمة الاثني عشر من أهل بيتهعليهم‌السلام بأسمائهم، وليس فيهم إسماعيل.

روىٰ جابر بن يزيد الجعفي قال: «سمعت جابر بن عبد الله الأنصاري يقول:

---

(١) كمال الدين للشيخ الصدوق ١: ٩٩.

قال الشيخ محمّد جميل حمّود في الفوائد البهيّة في شرح عقائد الإماميّة ١: ٣٦٨: «علىٰ فرض صحّة الحديث المزبور فمعناه: أنّ الإمـامة فـي عـلمه تـعالىٰ هـي للإمـام مـوسىٰ الكاظمعليه‌السلام ولكنّه تعالىٰ أمر بإخفاء هذا الأمر لأحد أمرين:

إمّا خوفاً عليه من بني أُميّة وبني العباس، فـاقتضت المـصلحة أن تـتوجّه الأنـظار نـحو إسماعيل من أجل حفظ الإمام الكاظمعليه‌السلام من الأخطار المحدقة به.

وإمّا لأنّ البعض كان يعتقد بأنّ الإمامة لا تكون إلّا للابن الأكبر، فلمّـا تُوفّي إسماعيل في حياة أبيه ظهر أنّه ليس بإمام من الله سبحانه، فأظهر بموته بطلان ما كان يـظنّه أو يـعتقده بعض الناس بأنّه الإمام دون مولانا الكاظمعليه‌السلام».

وأضاف: «إنّ هذه الرواية منافية لِمَا استفاض في الأخبار بين الفريقين من أنّ النبيصلى‌الله‌عليه‌وآله قد نصّ علىٰ خلفائه الاثني عشر واحداً بعد واحد بأسمائهم، وأنّ جبرائيلعليه‌السلام نزل بـصحيفة من السماء فيها أسماؤهم واحداً بعد واحد فكيف تصحّ هذه الرواية؟»».

لمّا أنزل الله عزّ وجلّ علىٰ نبيّهﷺ: ﴿يا أيّها الذينَ آمَنُوا أطيعُوا اللهَ وأطيعُوا الرّسُولَ وأُولي الأمرِ مِنْكُم﴾(١) قلت: يا رسول الله، عرفنا الله ورسوله، فمَن أُولو الأمر الذين قرن الله طاعتهم بطاعتك؟ فقالﷺ: هم خلفائي يا جابر وأئمة المسلمين من بعدي: أوّلهم علي بن أبي طالبعليه السلام، ثم الحسن، ثم الحسين، ثم علي ابن الحسين، ثم محمّد بن علي المعروف في التوراة بالباقر، ستدركه يا جابر فإذا لقيته فاقرأه منّي السلام، ثم الصادق جعفر بن محمّد، ثم موسىٰ بن جعفر، ثم علي بن موسىٰ، ثم محمّد بن علي، ثم علي بن محمّد، ثم الحسن بن علي، ثم سميّي محمّد وكنيّي حجّة الله في أرضه وبقيّته في عباده ابن الحسن بن علي، ذاك الذي يفتح الله تعالىٰ ذِكْرُهُ علىٰ يديه مشارق الأرض ومغاربها، ذاك الذي يغيب عن شيعته وأوليائه غيبة لا يثبت فيها علىٰ القول بإمامته إلّا مَن امتحن الله قلبه للإيمان.

قال جابر: فقلت له: يا رسول الله فهل يقع لشيعته الانتفاع به في غيبته؟ فقالﷺ: إي والذي بعثني بالنبوّة إنّهم ليستضيئون بنوره، وينتفعون بولايته في غيبته كانتفاع الناس بالشمس وإن تَجلّلها سحاب، يا جابر هذا مِن مكنون سرّ الله ومخزون علم الله فاكْتُمْهُ إلّا عن أهله»(٢).

وروىٰ الإمام الصادقعليه السلام: عن أبيه، عن آبائهعليهم السلام قال: «قال رسول اللهﷺ: «حدّثني جبرائيل عن ربّ العزّة جلّ جلاله أنّه قال: مَن عَلِمَ أنْ لا إله إلّا أنا وحدي، وأنّ محمداً عبدي ورسولي، وأنّ علي بن أبي طالب خليفتي، وأنّ الأئمة من ولده حججي، أُدخله (أدخلتُه) الجنّة برحمتي، ونجّيتُه من النار بعفوي، وأبَحْتُ له جِواري، وأوجبتُ له كرامتي، وأتممتُ عليه نعمتي، وجعلتُهُ مِن خاصّتي

(١) سورة النساء: ٥٩.

(٢) كمال الدين للشيخ الصدوق ١: ٢٨٤.

وخالصتي، إنْ ناداني لبّيته، وإنْ دعاني أجبته، وإن سألني أعطيته، وإن سَكَتَ ابتدأتُهُ، وإنْ أساء رحمتُهُ، وإنْ فَرَّ منّي دعوتُه، وإنْ رجع إليَّ قبلتُه، وإن قرع بابي فتحتُه.

ومَن لم يشهد أنْ لا إله إلّا أنا وحدي أو شهد بذلك ولم يشهد أنّ محمّداً عبدي ورسولي، أو شهد بذلك ولم يشهد أنّ علي بن أبي طالب خليفتي، أو شهد بذلك ولم يشهد أنّ الأئمّة من ولده حججي، فقد جحد نعمتي، وصغّر عَظَمَتي، وكفر بآياتي وكُتبي، إنْ قَصَدَني حجبتُه، وإنْ سألني حرمتُه، وإنْ ناداني لم أسمع نداءَهُ، وإن دعاني لم أستجب دعاءَهُ، وإنْ رجاني خيّبتُهُ، وذلك جزاؤه منّي وما أنا بظلّامٍ للعبيد.

فقام جابر بن عبد الله الأنصاري فقال: يا رسول الله ومَن الأئمّة من ولد عليّ بن أبي طالب؟ قال: الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنّة، ثمّ سيّد العابدين في زمانه عليّ بن الحسين، ثمّ الباقر محمّد بن عليّ وستدركه يا جابر، فإذا أدركته فاقرأه منّي السلام، ثمّ الصادق جعفر بن محمّد، ثم الكاظم موسىٰ بن جعفر، ثم الرضا علي بن موسىٰ، ثم التقي محمد بن علي، ثم النقيّ عليّ بن محمّد، ثمّ الزكيّ الحسن بن علي، ثم ابنه القائم بالحقّ مهديّ أُمّتي الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما مُلئت جَوراً وظلماً.

هؤلاء يا جابر خلفائي وأوصيائي وأولادي وعترتي، مَن أطاعهم فقد أطاعني، ومَن عصاهم فقد عصاني، ومن أنكرهم أو أنكر واحداً منهم فقد أنكرني، بهم يُمسك الله عزّ وجلّ السماءَ أن تقع علىٰ الأرض إلّا بإذنه، وبهم يحفظ الله الأرض أن تَميد بأهلها»[1].

---

(١) كمال الدين ١: ٢٩٠، ماد الشيء يميد مَيْداً: تحرّك ومال، لسان العرب (ميد).

٢ ـ البَداء في التشريع:

قد يأمر الله تعالىٰ عبده بالقيام بعملٍ مّا اختباراً له ثم يرفع ذلك الأمر عنه، وهو ما يُسمّىٰ في المصطلح القرآني والفقهي بالنسخ. ومثاله: قصّة إبراهيم الخليل عليه السلام عندما أمره الله تعالىٰ بذبح ولده إسماعيل عليه السلام، فتهيّأ الخليل عليه السلام لذبح ولده، ووطّن إسماعيل نفسه علىٰ الذبح، ثم رفع الله عنهما هذا الأمر. وقد حكىٰ الله تعالىٰ قصّة إبراهيم وإسماعيل في سورة الصافّات فقال: ﴿فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ * فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللهُ مِنَ الصَّابِرِينَ * فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ * وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ * قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ * وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾[1].

وفي حادثة إبراهيم الخليل عليه السلام قال الإمام الصادق عليه السلام: «ما بدا لله بَداء كما بدا له في إسماعيل أبي إذ أمر أباه إبراهيم بذبحه ثم فداه بذبحٍ عظيم»[2]. وهو من البداء في التشريع.

خلاصة بحث البداء:

«إنّ البداء إنّما يكون في القضاء الموقوف المعبّر عنه بلوح المحو والإثبات. والالتزام بجواز البَداء فيه لا يستلزم نسبة الجهل إلىٰ الله سبحانه وليس في هذا الالتزام ما ينافي عظمته وجلاله.

(١) سورة الصافّات: ١٠١ ـ ١٠٧.
(٢) التوحيد للشيخ الصدوق: ٣٢٧ ـ ٣٢٨.

فالقول بالبَداء هو الاعتراف الصريح بأنّ العالَم تحت سلطان الله وقدرته في حدوثه وبقائه، وأنّ إرادة الله نافذة في الأشياء أزلاً وأبداً، بل وفي القول بالبَداء يتّضح الفارق بين العلم الإلهي وبين علم المخلوقِين، فعِلْمُ المخلوقِين ـ وإنْ كانوا أنبياء أو أوصياء ـ لا يُحيط بما أحاط به عِلمُه تعالىٰ، فإنّ بعضاً منهم وإن كان عالماً ـ بتعليم الله إيّاه ـ بجميع عوالم الممكنات لا يُحيط بما أحاط به علم الله المخزون الذي استأْثَرَ به لنفسه، فإنّه لا يَعلم بمشيئة الله تعالىٰ لوجود شيء [في المستقبل] أو عدم مشيئته إلّا حيث يخبره الله تعالىٰ به علىٰ نحو الحتم.

والقول بالبَداء يوجب انقطاع العبد إلىٰ الله وطَلَبِهِ إجابة دعائه منه وكفاية مهمّاته، وتوفيقه للطاعة، وإبعاده عن المعصية.

فإنّ إنكار البَداء والالتزام بأنّ ما جرىٰ به قلم التقدير كائن لا محالة ـ دون استثناء ـ يلزمه يأس المعتقد بهذه العقيدة عن إجابة دعائه. فإنّ ما يطلبه العبد من ربّه إن كان قد جرىٰ قلم التقدير بإنفاذه فهو كائن لا محالة، ولا حاجة إلىٰ الدعاء والتوسّل. وإن كان قد جرىٰ القلم بخلافه لم يقع أبداً، ولم ينفعه الدعاء ولا التضرّع.

وإذا يئس العبد من إجابة دعائه تَرَكَ التضرّع لخالقه، حيث لا فائدة في ذلك. وكذلك الحال في سائر العبادات والصدقات التي ورد عن المعصومين عليهم السلام أنّها تزيد في العمر أو في الرزق أو غير ذلك مما يطلبه العبد. وهذا هو سرّ ما ورد في روايات كثيرة عن أهل البيت عليهم السلام من الاهتمام بشأن البَداء»[١].

(١) البيان في تفسير القرآن للسيّد الخوئي: ٢٧٥ ـ ٢٧٦.

خامساً: حديث:
«لا تتّخذوا قبري قِبْلَة ولا مسجداً»[1]

في هذا الحديث كلمتان: (قبلة) و(مسجد) لا بدّ من معرفة المقصود منهما:

١ ـ قِبلة: قال الراغب: «القِبلة في الأصل اسمٌ للحالة التي عليها المُقابِل، نحو: الجِلْسة والقِعْدة، وفي التعارف صار اسماً للمكان المقابَل المتوجّه إليه للصّلاة، نحو: ﴿فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا﴾[2]»[3].

وقال الطبرسي: «القِبلة: مثل الجِلْسة للحال التي يقابِلُ الشيءُ غيرَه عليها، كما أنّ الجِلسة للحال التي يجلس عليها، وكان يُقال فيما حُكي: هو لي قِبلة وأنا له قِبلة، ثم صار عَلَماً علىٰ الجهة التي تُستقبل في الصلاة»[4].

فمن قولهﷺ: «لا تتخذوا قبري قبلةً»، استفاد بعض العلماء عدم جواز الصلاة خلف قبر الرسولﷺ، وإن كان المصلّي مستقبلاً للقبلة.

واستفاد آخرون النهي عن اتخاذ القبر قِبلة أي الصلاة إليه من كلّ الجهات

---

(١) وسائل الشيعة ٥: ١٦٢.

(٢) سورة البقرة: ١٤٤.

(٣) معجم مفردات ألفاظ القرآن: (قبل).

(٤) مجمع البيان ١: ٤١٣.

كما هو بالنسبة للكعبة المشرّفة. وأمّا الصلاة خلف القبر مستقبلاً للقِبلة المشرّفة فلا بأس بها وقد وردت بعض الروايات في جواز ذلك[١].

قال السيد الحكيم في مستمسك العروة الوثقىٰ: «والمَحكي عن المشهور كراهة استقبال القبر، وعن المفيد والحلبي المنع عنه... وكأنّ منشأ المنع ما ورد من النهي عن اتخاذ القبر قِبلة، وفي صحيح زرارة: (فإنّ رسول الله صلى الله عليه وآله نهىٰ عن ذلك، وقال صلى الله عليه وآله: لا تتّخذوا قبري قِبلة ولا مسجداً لكنّ الظاهر منها قصد كونه قِبلةً كالكعبة الشريفة[٢] لا مجرّد جعل المُصلّي له أمامه»[٣] وإن كان مستقبلاً للكعبة المشرّفة.

٢ ـ مسجداً: قال الراغب: «المسجد موضع الصلاة اعتباراً بالسجود، وقوله تعالىٰ: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ﴾[٤]، قيل عُني به الأرض؛ إذ قد جُعلت الأرض كلّها مسجداً وطهوراً كما رُوي في الخبر[٥]، وقيل المساجد مواضع السجود: الجبهة والأنف واليدان والركبتان والرجلان»[٦].

فمِن قوله صلى الله عليه وآله: «لا تتخذوا قبري قِبلةً ولا مسجداً» استفاد بعض العلماء عدم جواز اتخاذ مسجد عند القبر.

واستفاد آخرون عدم جواز السجود علىٰ القبر وذلك بوضع الجبهة علىٰ القبر، كما في قوله صلى الله عليه وآله: «جُعلَتْ لي الأرض مسجداً وطهوراً»، أي أُذن لي

---

(١) أنظر وسائل الشيعة ٥: ١٦٠، الباب ٢٦.

(٢) أي التوجّه إلىٰ القبر من كلّ الجهات.

(٣) مستمسك العروة الوثقىٰ ٥: ٤٦٧.

(٤) سورة الجن: ١٨.

(٥) إشارة إلىٰ قوله صلى الله عليه وآله: «جُعلَتْ لي الأرضُ مسجداً وطهوراً»، مسند أحمد بن حنبل ٧: ١٤٨، الحديث ٢١٦٢٤.

(٦) معجم مفردات ألفاظ القرآن: (سجد).

بالسجود على الأرض والتطهّر بها.

وقد ورد عن الإمام المهدي عليه السلام قوله: «أمّا السجود على القبر فلا يجوز في نافلة ولا فريضة ولا زيارة»[1]، وأمّا الصلاة عند القبر فلا بأس بها. فإنّ جميع المسلمين يتبرّكون بالصلاة عند قبر الرسول الملاصق للمسجد النبوي الشريف، وبعضهم يصلّي خلف القبر متوجّهاً إلى الكعبة المشرّفة.

فالمقصود من قوله صلى الله عليه وآله: «لا تتخذوا قبري... ولا مسجداً» هو النهي عن السجود على القبر الشريف، وليس المقصود النهي عن بناء مسجدٍ على قبره صلى الله عليه وآله لعبادة الله تعالى، ولو أراد ذلك لقال: لا تتخذوا قبري قبلةً ولا تبنُوا عليه مسجداً.

إنّ بناء مسجد على قبر الرسول صلى الله عليه وآله ومحل لعبادة الله الواحد الأحد الذي لا شريك له لم يَرِد فيه نهيٌّ، بل هو عملٌ حَسَنٌ في ذاته، وقد تحدّث القرآن الكريم عن أصحاب الكهف فقال: ﴿وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَاناً رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَسْجِداً﴾[2].

«والسياق يدل على أنّ الأوّل: قول المشركين، والثاني: قول الموحّدين، والآية طرحت القولين دون استنكار، ولو كان فيهما شيء من الباطل لكان من المناسب أن تشير إليه وتدل على بطلانه بقرينة ما، وتقريرها للقولين يدل على إمضاء الشريعة لهما، بل إنّها طرحت قول الموحّدين بسياق يفيد المدح، وذلك بدليل المقابلة بينه وبين قول المشركين المحفوف بالتشكيك، بينما جاء قول

(١) وسائل الشيعة ٥: ١٦٠، كتاب الصلاة الباب ٢٦ من أبواب مكان المصلي، الحديث: ١.
(٢) سورة الكهف: ٢١.

الموحّدين قاطعاً ﴿لنتخذنّ﴾ نابعاً من رؤية إيمانية، فليس المطلوب عندهم مجرد البناء، وإنّما المطلوب هو المسجد. وهذا القول يدلّ علىٰ أن أُولئك الأقوام كانوا عارفين بالله معترفين بالعبادة والصلاة.

قال الرازي في تفسير ﴿لنتّخذنّ عليهم مسجداً﴾ نعبد الله فيه، وستبقىٰ آثار أصحاب الكهف بسبب ذلك المسجد(١).

وقال الشوكاني: ذِكْرُ اتخاذ المسجد يُشعر بأنّ هؤلاء الذين غلبوا علىٰ أمرهم هم المسلمون... وقال أيضاً: قال الزجّاج: هذا يدل علىٰ أنّه لمّا ظهر أمرهم غلب المؤمنون بالبعث والنشور لأنّ المساجد للمؤمنين»(٢).

وإذا بقينا نحن والآية فقط فهي تتناول قبور نخبة من الصالحين الذين بلغ علوّ شأنهم حدّاً بحيث أصبحوا موضعاً لعناية القرآن الكريم ومدحه لهم وذكره إيّاهم، وهي تفيد في نتيجتها جواز الصلاة عند قبورهم، وجواز بناء المساجد والمشاهد عليها.

وممّا لا شك فيه أن شأن الأنبياء والأئمةعليهم‌السلام، أرفع من شأن أُولئك الفتية من النخبة الصالحة، فإذا جازت الصلاة عند قبور هؤلاء والبناء عليها، فبالأولىٰ جواز ذلك بالنسبة إلىٰ الأنبياء والأئمةعليهم‌السلام»(٣).

وإذا زُرنا المراقد المقدّسة للنبيّ وأهل بيته الأطهارعليهم‌السلام وجدناها عامرةً بالذاكرين لله تعالىٰ والتالين لكتابه والمصلّين والداعين والمتضرّعين إليه؛ بل

---

(١) تفسير الفخر الرازي

(٢) فتح القدير ٣: ٢٦٧ ـ ٢٦٨، وقال الآلوسي: «واستُدلّ بالآية علىٰ جواز البناء علىٰ قبور الصلحاء، واتخاذ مسجدٍ عليها، وجواز الصلاة في ذلك، وممّن ذكر ذلك الشهاب الخفاجي في حواشيه علىٰ البيضاوي». روح المعاني ١٥: ٢٣٧.

(٣) حكم البناء علىٰ القبور: ١١ ـ ١٢.

هي من أكثر الأماكن تجمّعاً ووجوداً للمؤمنين وذكراً وعبادةً لله سبحانه.

سبب النهي عن السجود على قبر النبيّ ﷺ

إنّ الله عزّ وجلّ أكرم نبيّه، ورفع ذِكْرَهُ، وقرن اسمه باسمه، وذِكْرَه بذكره. قال قتادة: «رفع الله ذكره في الدنيا والآخرة، فليس خطيبٌ ولا متشهّدٌ ولا صاحب صلاة إلّا وينادي بأشهد أن لا إله إلّا الله، وأشهد أنّ محمداً رسول الله». وفي الحديث عن أبي سعيد الخدري عن النبيّ ﷺ في هذه الآية: ﴿وَرَفَعْنا لَكَ ذِكْرَك﴾[1]، قال: «قال لي جبرائيل: قال الله عزّ وجلّ: إذا ذُكِرْتُ ذُكِرْتَ معي»، وفي هذا يقول حسّان بن ثابت يمدح النبيّ ﷺ:

أغرُّ عليه للنبوّةِ خاتمٌ ... مِنَ اللهِ مشهور يلُوحُ ويشهدُ
وضمَّ الإلهُ اسْمَ النبيِّ إلى اسْمِه ... إذا قالَ في الخَمْسِ المُؤذِّنُ أشْهَدُ
وشَقَّ لهُ مِن إسْمِهِ لِيُجِلَّهُ ... فَذُو العرشِ محمودٌ وهذا مُحمّدُ[2]

والنبيُّ الحبيب خاف أن يُغالي المؤمنون في حبّه فيتخذوا قبره قبلةً كما اتّخذوا الكعبة قبلةً، والمعلوم أنّ المؤمن أعظم حرمة وحقّاً من الكعبة المشرّفة[3]، فكيف برسول الله ﷺ الذي هو سيّد المؤمنين وأشرف الخلائق

---

(١) سورة الشرح: ٤.

(٢) أنظر الحديثين والشعر في مجمع البيان للطبرسي ١٠: ٣٨٩.

(٣) قال الإمام الصادق عليه السلام: «المؤمن أعظم حرمة من الكعبة» الخصال ١: ٢٧، ومشكاة الأنوار: ٨٣.

وقال الطبرسي: رُوي أنّ رسول الله ﷺ نظر إلى الكعبة وقال: «مرحباً بالبيت، ما أعظمك وما أعظم حرمتك على الله! والله للمؤمن أعظم حرمة منك، لأنّ الله حرّم منك واحدة ومن المؤمن ثلاثة: ماله ودمه وأن يُظن به ظن السوء». مشكاة الأنوار: ٧٨.

←

أجمعين ؟! فنهىٰ ﷺ عن اتّخاذ قبره قبلةً، كما نهىٰ عن السجود علىٰ قبره الشريف، فقال ﷺ: «لا تتخذوا قبري قبلة ولا مسجداً».

حكم وضع الوجه علىٰ قبر النبي ﷺ

إنّ وضع الوجه علىٰ القبر الشريف من دون نيّة السجود والعبادة، لا مانع منه.

ولم يرد فيه نهي، قال الحاكم النيسابوري في المستدرك: «حدّثنا أبو العباس محمّد بن يعقوب، ثنا[1] العباس بن محمّد بن حاتم الدوري، ثنا أبو عامر عبدالملك بن عمر العقدي، ثنا كثير بن زيد، عن داود بن أبي صالح، قال: أقبل مروان يوماً فوجد رجلاً واضعاً وجهه علىٰ القبر، فأَخَذ برقبته وقال: أتدري ما تصنع ؟ قال: نعم، فأقبل عليه فإذا هو أبو أيّوب الأنصاري رضي الله عنه، فقال: جِئْتُ رسولَ الله ﷺ ولم آتِ الحَجَر[2]، سمعتُ رسولَ الله يقول: لا تبكوا علىٰ الدين

← وفي رواية المتقي الهندي عن ابن عباس [قال:] «لا إله إلّا الله، ما أطيبك وأطيب ريحك وأعظم حرمتك، والمؤمن أعظم حرمة منك، الله جعلك حراماً، وحرّم من المؤمن ماله ودمه وعرضه وأن يُظنّ به ظناً سيئاً». كنز العمال ١: ١٦٤، الحديث ٨١٩.

وفي الحديث ٨١٧ عن ابن عمرو [قال:] «لقد شرّفك الله وعظّمك، والمؤمن أعظم حرمة منك».

وفي الحديث ٨١٨ عن ابن عباس [قال:] «مرحباً بك من بيت، ما أعظمك وأعظم حرمتك! وإن المؤمن أعظم حرمة منك».

وفي الحديث ٨٢٠ عن أبي هريرة [قال:] «يا كعبة ما أطيب ريحك! ويا حجر ما أعظم حقّك! والله للمسلم أعظم حقّاً منكما». كنز العمال ١: ١٦٤.

(١) أي: حدّثنا.

(٢) أي حجر القبر.

إذا وَلِيَهُ أهله ، ولكن ابكوا عليه إذا وَلِيَهُ غير أهله»[١] .

وبهذا الحديث يُعرّض أبو أيّوب بمروان الذي كان والياً آنذاك من قِبَل معاوية على المدينة المنوّرة. إذ ولي الدين وهو ليس من أهله.

نتيجة البحث

إنّ المتتبع للنماذج التي ذكرناها في هذا الفصل يظهر له بوضوح مدى الخلط والتخبّط الذي وقع فيه بعض المسلمين نتيجة عدم معرفة المقصود من هذه الكلمات والاصطلاحات بصورة دقيقة، فكفّروا بعض المؤمنين وفرّقوا كلمة المسلمين، وقام بعض المتطرفين الجُهّال منهم بالاعتداء على حياة الأبرياء بحجة الدفاع عن الإسلام العزيز، فأُزهقت الأرواح وهُتكت الحرمات.

نسأل الله العلي القدير أن يجمع كلمة المسلمين على الحق والهدى. آمين ربّ العالمين.

(١) المستدرك على الصحيحين للنيسابوري ٥: ٧٢٠، الحديث ٨٦١٨، ومسند أحمد ٧: ٧٨٥، الحديث ٢٣٩٨٣.

الخاتمة

الخاتمة

تناولَتْ هذه الرسالةُ المنبرَ الحسيني منذ نشأته حتىٰ عصرنا الحاضر، وسايَرَتْه عبر مراحله المختلفة، بدءاً بشعر الرثاء، وحديث المأساة، ثم الجمع بينهما، ثم إضافة المناقب والفضائل، فالتاريخ الإسلامي، فنهج البلاغة، وأخيراً العلوم القرآنية، والدراسات والمعارف الإسلاميّة، والعلوم الحديثة.

وتضمّنت معاني التوعية وأدواتها ووسائلَها وأهمّها المنبر الحسيني. واستعرَضَتْ خصائصَ المنبر ومزاياه، والأساليب التي أكّد أهل البيت عليهم السلام عليها بهدف إيصال مفاهيم الثورة الحسينيّة إلىٰ الناس وجذبهم إليها، وشدّ النفوس إلىٰ الإمام الحسين عليه السلام.

وتعرّضَتْ إلىٰ ذِكر الخطابة والخطيب والخطبة. وبما أنّ الخطابة رسالة شاقّة تتطلّب كفاءات ومؤهّلات خاصّة؛ لذا بادر الباحث إلىٰ ذِكر المؤهّلات والمواصفات الذاتيّة والعلميّة والأخلاقيّة الضروريّة للخطيب الحسيني، حتىٰ يمكنه أداء رسالته كاملةً وافية، ويُغذّي الجمهور بالوعي والثقافة، وينوّر أفكارهم بالعلم والمعرفة؛ لأنّ فاقد الشيء لا يُعطيه.

إنّ النتيجة التي توصّلَتْ إليها الرسالةُ في ضوء ما قدّمَتْهُ مِن دراسة عن (دور المنبر الحسيني في التوعية الإسلاميّة) هي: أنّ المنبر منذ نشأته كان موضع اهتمام أئمة أهل البيت عليهم السلام، والجمهور الشيعي، وأعلام الطائفة، فإنّهم كانوا جميعاً يساهمون في إحياء وتقويم مؤسّسة المنبر الحسيني، سواء بعقد المجالس أو نظم الشعر أو إنشاده أو تأليف كُتُب المقاتل وقصّة كربلاء أو قراءة المقتل أو التعزية الحسينيّة في العاشر من المحرّم الحرام في مجالس عامّة أو خاصّة، ومِن هؤلاء الأعلام: السيّد حسين البروجردي، والسيّد جعفر الشيرازي[1]، والشيخ محمد حسين كاشف الغطاء، والسيّد محمّد تقي بحرالعلوم، والسيّد عبدالكريم علي خان، والشيخ جعفر التستري، والسيّد عبدالرزاق المقرّم، والسيّد مهدي الشيرازي، والسيّد محمّد رضا الگلپايگاني، وغيرهم. كما أنّ مجموعة من العلماء والفضلاء والأُدباء تخصّصوا في الخطابة الحسينيّة وكانوا من أقطاب المنبر الحسيني.

(١) نقل لي بعض العلماء أنّ المرجع الديني السيّد عبد الهادي الشيرازي رأىٰ في منامه سيّدة النساء عليها السلام جالسةً في الإيوان الحيدري في النجف الأشرف وبيدها دفتر تتصفّحه، فسلّم وجلس عندها وسألها عن ذلك، فقالت: فيه أسماء خدّام ولدي الحسين (أي قرّاء التعزية الحسينيّة) قال السيّد: ورأيتُ أسماء جماعة أعرفهم، كما أنّني رأيت اسمين لشخصين أعرفهما من الخطباء ولكن قد خُطّ علىٰ اسميهما، فسألتُها عن سبب ذلك فقالت: إنّهما تركا الخدمة، وكانا قد عُيّنا نائبين في المجلس الوطني.
وأضاف السيّد: إنّي رأيت اسم السيّد جعفر الشيرازي ضمن أسماء خدّام الحسين عليه السلام فتعجبتُ من ذلك لأنّه كان من العلماء والفقهاء ولم يكن من رجال الخطابة والمنبر، فسألتُها عن ذلك فقالت: نعم هو يقرأ التعزية.
قال السيّد فلمّا اجتمعتُ بالسيّد جعفر سألته هل تقرأ التعزية الحسينيّة ؟ قال: نعم، إنّني في العشرة الأُولىٰ من شهر محرّم أجمع عيالي وأقرأ لهم التعزية من كتاب المقتل ونبكي معاً.

إنّ المنبر الحسيني مؤسّسة دينيّة ثقافيّة تُعنىٰ بنشر الوعي والثقافة في الأُمّة، وتقويم السلوك وبناء الشخصيّة الإسلاميّة، وهو الوسيلة الفُضلىٰ للتبليغ والدعوة إلىٰ الله تعالىٰ، والدفاع عن الإسلام المحمّدي الأصيل المتمثّل في مذهب أهل البيتعليهم السلام.

فالذي نَتَطَلّعُ إليه ويتطلّع إليه كلّ أتباع مدرسة أهل البيتعليهم السلام هو أن يرتقى المنبر إلىٰ مستوىٰ مسئوليّته، وينهض بأداء رسالته بصورة كاملة، فينشر الوعي والثقافة ويبثّ الهداية والإرشاد في الجمهور المسلم، ويحامي عن الإسلام ويُحيي مدرسة أهل البيتعليهم السلام.

فَلِكَي تتحقّق الأهداف السامية التي أسّس المنبر من أجلها لابدّ من رعاية الأُمور الآتية:

١ ـ أنْ يبيّن المنبرُ للجماهير حقيقةَ ثورة الحسينعليه السلام وأسبابها وأهدافها، وأنّها لم تكن بدافع شخصي أو قَبَلي أو طائفي، بل كانت بدافعٍ رسالي إسلامي، حيث نهض الإمام الحسينعليه السلام ليُنقذ الإسلام من سلطان بني أُميّة، ويُنجّي المسلمين من طغيانهم، ولو بقي بنو أُميّة يسيرون في الاتّجاه الذي تحرّكوا فيه، ولم يوقف سيدُ الشهداءعليه السلام حركتهم الانحرافيّة، ولم يَنتَزِع منهم الشرعيّة، لكان إسلامنا اليوم إسلام بني أُميّة، إسلام التَرَف والقصور، والفسق والفجور، والغناء والخمور، وكان مصير الشريعة الإسلاميّة مصير الشريعة اليهوديّة والمسيحيّة.

إنّ الإمام الحسينعليه السلام بثورته المباركة وتضحياته المقدّسة استطاع أن يَنتَزِع الشرعيّة من بني أُميّة، فأصبح الأُمويون بطربهم ولهوهم وأضاليلهم في جانب، والإسلام في جانب آخر، ولم تَعُدْ أعمال بني أُميّة تُحسَب علىٰ الإسلام بعد

عاشوراء سنة إحدىٰ وستّين، ولم تُعتَبر سنّةً متبعة، كما هي بالنسبة للخلفاء الراشدين.

فبعد حركة الحسينعليه‌السلام ظهر في الأُمّة الإسلاميّة اتّجاهان: اتّجاه رسمي تمثّله السّلْطة الحاكمة وأعوانهم، واتّجاه شرعي فقهي يمثّله الفقهاء الأبرار.

٢ ـ علىٰ المنبر الحسيني أن يُبيِّن للجماهير أنّ سيّد الشهداء لم ينهض من أجل فئة أو طائفة أو فرقة خاصّة، بل نهض يحمل هموم المسلمين، فهو إذاً ليس إماماً للشيعة وحدهم، بل هو إمام لجميع المسلمين، وقد ضحّىٰ من أجلهم ولحفظ كرامتهم، وسلامة دينهم، وإذا كان المسلمون اليوم يدينون بالإسلام فهو ببركة ثورة الحسينعليه‌السلام وتضحياته.

فالإمام الحسينعليه‌السلام له حقّ علىٰ جميع المسلمين، ومِن واجبهم جميعاً إحياء ذكراه، والإشادة بمواقفه، والاهتمام بثورته ومبادئه وأهدافه، فإنّه القائد الرائد، والمدافع عن كرامة الإسلام والمسلمين.

٣ ـ من رسالة المنبر التأكيد علىٰ أنّ واقعة كربلاء لم تكن حدثاً عابراً، بل هي قضيّة حيّةٌ معاشة، قضيّة الصراع بين الحقّ والباطل، بين الخير والشر، بين المبادئ السامية والمصالح المنحطّة، بين العدل والظلم، بين الإيثار والأَثَرَة، بين المصلحة العامّة والأنانيّة الخاصّة.

٤ ـ علىٰ المنبر الحسيني أن يوضّح المفهوم التي وردت في مواقف وكلمات سيّد الأحرار أبي عبد الله الحسينعليه‌السلام، منها: استنصاره الأفراد والجماعات يوم عاشوراء وقبل عاشوراء؛ فإنّ الإمام أراد من استنصاره إقامة الحجّة علىٰ المخاطبين، كما خاطب كذلك الأجيالَ القادمة واستنصرهم للدفاع عن الحقّ والوقوف في وجه الباطل.

فمن واجب المنبر أن يُجرّد هذه الدعوة، وهذا الاستنصار من إطار الزمن المحدود بيوم عاشوراء سنة إحدى وستّين، ويجعله استنصاراً عابراً للزمان والمكان، شاملاً لكلّ المسلمين والأحرار في العالَم، وأن يُبيّن طريقة نصرة الحسين عليه السلام في كلّ زمان ومكان، وأنّ كلّ من يعمل لإعلاء كلمة الله والدفاع عن دين الله ويطالب بحقوق عباد الله، فهو من أنصار الحسين عليه السلام ويسير علىٰ خطّ الحسين عليه السلام، وأنّ كلّ مَن يُخالف الإسلام ويعاديه فهو عدوّ للحسين عليه السلام، وهذا يشمل جميع الظالمين والمستكبرين وأعوانهم ومَن يسير في ركابهم ويتعاون معهم أو يرضىٰ بفعلهم عبر التاريخ. وهذه النظرة الشمولية يمثلها الشعار القائل «كل يوم عاشوراء وكل أرض كربلاء». إنّ يوم عاشوراء سنة إحدى وستين للهجرة وما وقع فيه عَيِّنةٌ لجميع حوادث التاريخ البشري والصراع القائم بين قوى الحق والخير من جهة وقوى الباطل والشر من جهة أُخرى.

٥ ـ إنّ المنبر الحسيني ليس مِلْكاً للخطيب حتىٰ يقول ما يشاء، ولا هو مِلْك لصاحب المجلس حتىٰ يفرض علىٰ الخطيب أن يتحدّث حسب هواه، بل هو مِلْك للإسلام وللنبي وآله الكرام عليهم أفضل الصلاة والسّلام. والخطابة مسئوليّة ورسالة، والمستمعون ومعتقداتهم أمانة لدىٰ الخطيب، فلا يجوز له بحالٍ من الأحوال أن يستغلّ صَفَاءَهُم وولاءَهُم لأهل البيت عليهم السلام فيُغالي في المناقب والفضائل، كما لا يجوز له التقصير في بيان منزلة أهل البيت عليهم السلام ومقامهم المحمود عند الله تعالىٰ، ولا أن يشكّك المؤمنين في مقدّساتهم ومسلّماتهم التي ورثوها من آبائهم الموالين عبر القرون إلىٰ عهد الأئمة عليهم السلام، أو يستهين بما قدّموه من تضحيات وتحمّلوه من عناء في

الحفاظ على ولائهم لآل محمّد عليهم السلام.

فالمنبر مسئولية كُبرىٰ والله تعالىٰ يسألنا معشر الخطباء عن كلّ ما نقوله، ولْنتذكّر كلمة الإمام زين العابدين عليه السلام عندما قال ليزيد: «**يا يزيد، إئذن لي حتّىٰ أصعدَ هذه الأعواد فأتكلّمَ بكلماتٍ فيهنّ لله رضاً ولهؤلاء الجالسين أجرٌ وثواب**»(١).

هذه قاعدةٌ وأصلٌ لكلّ خطبة وخطيب: أن يكون الكلام الذي يتناوله الخطيب فيه رضاً لله سبحانه ومنفعة للمستمعين، ولا يكون الهدف إرضاء فئة خاصّة أو جماعة أو شخصٍ مّا علىٰ حساب قول الحقّ.

قال الإمام الجواد عليه السلام: «**مَن أصغىٰ إلىٰ ناطق فقد عَبَدَهُ، فإن كان الناطق عن الله فقد عَبَدَ الله، وإن كان الناطق ينطق عن لسان إبليس فقد عَبَدَ إبليس**»(٢).

إنّ لمنبر الحسين عليه السلام ومجلسه قدسيّة خاصّة يجب أن تُراعىٰ. سمعتُ من أُستاذي الخطيب المرحوم السيّد إبراهيم البهبهاني أنّه قال: «كان الخطيب الورع الشيخ علي الحمّامي يقول: **مجلسُ الحسين حرَمُ الحسين، ومنبرُ الحسين قبرُ الحسين**»؛ ولذا فإنّ الكثير من الخطباء لا يصعد المنبر حتىٰ يتوضّأ؛ وذلك احتراماً لمجلس ومنبر الحسين عليه السلام، واعتقاداً بأنّ القراءة الحسينيّة من أفضل العبادات.

٦ ـ ينبغي للمنبر الحسيني أن يعرض الحقائق التي يؤيّدها العلم والعقل، وأن يُنَزَّه عن الخرافات والأساطير والمبالغات التي لا أصل لها ولا جدوى في ذكرها، فإنّ المستمعين اليوم علىٰ درجة عالية من الثقافة والمعرفة، وإذا سمعوا شيئاً خرافيّاً من خطيب شكّكوا في كلّ ما يقوله من حقائق، ولست أعني

(١) مقتل الحسين للخوارزمي ٢: ٧٦.

(٢) تحف العقول عن آل الرسول: ٣٩٣.

الاستجابة للبعض الذين يجعلون عقلهم القاصر وإدراكهم المحدود مقياساً للدين والحقائق الإسلاميّة، فينكرون كثيراً من الحقائق والواقعيّات الدينيّة متشدّقين بالوعي والمعرفة والعقل والثقافة.

٧ ـ إنّ مؤسسة المنبر الحسيني جامعة إسلاميّة تُلقىٰ فيها أنواع العلوم والمعارف المفيدة، وإنّ الخطباء الحسينيّين في الوقت الذي يتمتّعون بثقافة إسلامية واسعة، يميلُ كلّ واحدٍ منهم إلىٰ نوعٍ من العلم أكثر من غيره، فمثلاً هذا يغلب علىٰ خطابته الطابع التفسيري، وذاك الطابع التاريخي، وذاك الوعظي، وذاك المختلط وهكذا، ونحن لا يحقّ لنا أن نفرض عليهم أن يتّخذوا طابعاً خاصّاً في الخطابة وذلك لسببين:

الأوّل: لأنّ كلّ خطيب له هواية خاصّة قد تختلف مع هواية غيره، فهذا يحبُّ التاريخ وذاك التفسير وذاك الوعظ وهكذا.

والثاني: لأنّ المستمعين بحاجة إلىٰ ثقافة متنوّعة، فتَنَوُّع المنحىٰ الخطابي يُغطّي حاجات الجمهور المعرفيّة ولا يحصرها في حقلٍ خاصّ.

نَعَم، يجب أن تصبّ كلّ المناحي الخطابية في تثقيف الجمهور وتوعيته، وتوجيهه وتربيته، ورفع مستواه الفكري والسلوكي والفردي والاجتماعي.

٨ ـ بما أنّ من رسالة المنبر الحسيني رفع مستوىٰ الوعي والثقافة والمعرفة لدىٰ الجمهور، فمن أجْلِ النهوض بالمنبر إلىٰ مستوىٰ رسالته ينبغي له إعداد وتربية خطباء ذوي كفاءة ومؤهّلات علميّة لإثراء المنبر بالمضمون العلمي؛ لأنّ (فاقد الشيء لا يُعطيه)، وهذا يتطلّب تأسيس معاهد وكلّيات للخطابة والتبليغ، تُدرَّس فيها كلّ العلوم والفنون اللازمة للخطيب والمبلّغ، وذلك بإشراف العلماء، وبرعاية وتوجيه مراجع الدين حفظهم الله تعالىٰ.

٩ ـ من أجْلِ وضعِ حدٍّ للفوضىٰ والتخبّط في المنبر، وقطع الطريق علىٰ المتطفّلين الذين لا يملكون مؤهّلات الخطابة، فيشوّهون بتصرّفاتهم سمعة المنبر الحسيني وشيعة أهل البيتعليهم‌السلام، أرىٰ من الضروري تزويد مَن يملك أهلِيّة الخطابة والتبليغ شهادةً خاصّة صادرة من مؤسّسة علميّة معترف بها من قِبَل الحوزة العلميّة، تُعنىٰ بالخطابة والتبليغ، ويمكن إصدار شهادات مرحليّة حسب مراحل الدراسة، كما هي في المؤسّسات الثقافية الأُخر.

١٠ ـ نظراً إلىٰ أنّ المنبر بحاجة إلىٰ معرفة علوم وأفكار وآراء المذاهب الإسلاميّة، والأديان الأُخرىٰ، ومن أجْلِ أن نكون موضوعيّين في أحاديثنا وسائرين علىٰ المنهج العلمي، أرىٰ وضعَ كتب أو دروس خاصّة لخطباء المنبر والمبلّغين لعرض عقائد وأفكار الآخرين من مسلمين وغيرهم، وإجراء المقارنة بينها؛ وذلك لمعرفة آراء الآخرين واختيار الرأي الأصح.

١١ ـ بما أنّ روّاد المجالس يختلفون في ثقافاتهم وأعمارهم ومداركهم، فمن أجْلِ أن تكون الفائدة أكثر يُستحسن أن تكون المجالس علىٰ نوعين:

الأوّل: المجالس العامّة، وهي التي يحضرها الجميع، ولابدّ للخطيب أن يتكلّم بكلام يفهمه كلّ الحاضرين أو أكثرهم.

الثاني: المجالس الخاصّة، وهي التي تحضرها فئات خاصّة، مثلاً أن تُعقد مجالس للأطفال ويُتحدّث معهم بلغتهم التي يفهمونها، ومجالس للشباب، ومجالس للجامعيين، ومجالس للنساء، وهكذا[١].

١٢ ـ من الضروري إيجاد مجمع ثقافي أو رابطة ثقافيّة للخطباء، يتداولون

(١) أقيم مجلس للأطفال في الحسينية الكاظمية (البكّاي) في الكويت منطقة الشعب في العشرة الأُولى من شهر محرّم قبل سنوات قليلة، وكانت تجربة ناجحة ومفيدة، ولا يزال المجلس يقام في كلّ عام، كما أُقيمت مجالس أخرىٰ للأطفال في الكويت لنفس الهدف.

فيها الشئون الثقافيّة والاجتماعيّة، وما تتطلّبه الساعة والساحة في المناطق المختلفة، ويتدارسون ما ينبغي القيام به في مواسم الخطابة؛ حتىٰ ينطلقوا جميعاً عن رأي واحد، وهدف واحد، وبصوت واحد، يشدّ بعضهم أزر بعض علىٰ غرار ما يفعله خطباء الجمعة. وهذه الطريقة تشتمل علىٰ منافع كثيرة، منها:

أ ـ قطع الطريق علىٰ المستغلّين للمنبر، المتلاعبين بأفكار وعقول ومعتقدات الجماهير لصالح أغراضهم السيّئة.

ب ـ تفويت الفرصة علىٰ مَن يُريد اختراق صفوف الخطباء وزرع الخلاف والتفرقة فيما بينهم.

ج ـ توحيد كلمة الخطباء في كشف الحقائق ودحض الأباطيل، فلا يقول هذا شيئاً وينقضه الآخر، فيسبّب إرباكاً لأفكار الجمهور المؤمن.

وفي نهاية المطاف لابدّ لي من التأكيد علىٰ الحقيقة الآتية:

إنّ الخطيب الحسيني يقضي عمره في ذكر مناقب ومصائب النبي الكريم وأهل بيته الأطهار والدفاع عنهم، ونشر العقيدة الحقّة وردّ شبهات المبطلين، ويدعو المؤمنين إلىٰ الالتفاف حول العلماء ومراجع الدّين والقيام بمسئولياتهم الشرعيّة، فهو يتعرّض في كثير من الأحيان إلىٰ أزَمات سياسيّة أو اجتماعيّة أو اقتصاديّة، فمن الضروري رعايته ودعمه مادّياً ومعنوياً من قِبَل مراجع الدّين (أيّدهم الله تعالىٰ) وأولياء الأمر، وأخيار الطائفة، سواء أكان في أيّام قوّته ونشاطه أم أيّام شيخوخته وضعفه؛ وفي ذلك خدمة للدين وتكريم للإمام الحسين عليه السلام وخدامه، وأداء لحقّهم في العيش بعزّة وكرامة. (من أجل عينٍ ألف عين تُكرَم).

أرجو أن أكون قد وُفّقتُ في هذه الدراسة لبيان بعض أُصول الخطابة الحسينيّة وقواعدها وضوابطها، والمساهمة في تأليف موسوعة علميّة فنّية عن المنبر الحسيني.

إنّني أُهيب بإخواني الخطباء أن يقوموا بإعداد بحوث ودراسات عن المنبر الحسيني مستعينين بخبراتهم الخطابيّة وثقافتهم الواسعة؛ وذلك خدمةً للعلم والمعرفة، ونهوضاً بالمنبر الحسيني إلىٰ مستوىٰ رسالته العظيمة، ولئلّا تُهمل الطاقات والتجارب والمعلومات التي جمعها الخطيب طوال عمره الخطابي.

كما أُهيب بالخطباء الشباب الأعزاء أن يتسلّحوا بسلاح العلم في عصرنا المسمّىٰ بعصر المعلوماتية أو عصر المعلومات، وأن لا يكون أكثر المستمعين أفضل من الخطيب الذي يُفترض فيه أن يكون عالماً واعياً مثقّفاً يُستفاد منه، وأن ينشروا ثقافة الإمام الحسينعليه السلام وينوّروا الأفكار بنور الإسلام وينقذوا البشرية من جحيم المستكبرين اللئام ويهيّئوا النفوس الحرّة لاستقبال المصلح المنتظر عجّل الله فرجه الشريف.

وإنّي أضمُّ صوتي إلىٰ صوت الخطيب الشهيد الأُستاذ السيّد جواد شبّر حيث يقول:

أيا خطباءَ هذا العصر جدّوا ... فما بلغ المرام فتىً نؤومُ
فإنّ منابر الإسلام عطشىٰ ... إلىٰ خطباء زانتهم علوم
تُتَوّجُهم عقولٌ نيِّراتٌ ... يكون سنادها الذوق السليم
ويمزجهم بهذا الشعب ذوق ... كما امتزج المنادم والنديم
وإنّ شعارها الإخلاص مهما ... تجاهلت الأسافل والخصوم
لِيلمس منكم الشعبُ انطلاقاً ... إلىٰ أفق جلت عنه الغيوم

أروهم حلوة الإسلام تزهو | جوانبه ومنبعه العميم
فذا قرآنكم فيه كنوز | يحير بوصفها اللبُّ الحليم
وكان به اكتشاف وارتقاء | وكان به الصراط المستقيم
فكونوا للمنابر صوت حقٍّ | وسيفاً ليس يعروه ثلوم
خطيب القوم أرجحهم كمالاً | خبير بالسقام به عليم
يكوّن من شظايا القلب وعظاً | كأنّ عظاتِه جمعت كلوم[(١)]

اللهم اجعلنا من الدعاة إلى طاعتك، والقادة إلى سبيلك، وارزقنا كرامة الدنيا والآخرة.

اللهم ما عرّفتَنا من الحق فحمّلناه، وما قصرنا عنه فبلّغناه، بفضلك ومنّك يا أكرم الأكرمين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين، وصلّىٰ الله علىٰ سيّدنا ونبيّنا المصطفىٰ محمّد وعلىٰ آله الطيّبين الطاهرين.

خادم الحسين عليه السلام

محمد باقر المقدسي

قم المقدّسة ـ ١٤٣٠ هـ

(١) من قصيدة للأُستاذ الخطيب السيّد جواد شبّر، مقتل الحسين: ٢١.

دليل الفهارس

فهرس الآيات القرآنية



آل عمران (٣)

الأحزاب (٣٣)

الأحقاف (٤٦)

الإخلاص (١١٢)

الإسراء (١٧)

الأعراف (٧)

الأعلىٰ (٨٧)

الإنسان (٧٦)

الأنعام (٦)

الأنفال (٨)

ب

البقرة (٢)

ت

التحريم (٦٦)

التكاثر (١٠٢)

التوبة (٩)

ج

الجمعة (٦٢)

الجنّ (٧٢)

ح

الحاقّة (٦٩)

الحجّ (٢٢)

الحجر (١٥)

الحجرات (٤٩)

الحشر (٥٩)



الرّحمن (٥٥)

ز

الزّخرف (٤٣)

الزَّلزلة (٩٩)

الزّمر (٣٩)

ش

الشّرح (٩٤)

الشعراء (٢٦)

الشورىٰ (٤٢)

ص

ص (٣٨)

الفرقان (٢٥)

فصّلت (٤١)

ق

ق (٥٠)

القلم (٦٨)

القيامة (٧٥)

ك

الكهف (١٨)

ل

لقمان (٣١)

اللّيل (٩٢)

م

المائدة (٥)

المؤمنون (٢٣)

مريم (١٩)

ن

النبأ (٧٨)

النّحل (١٦)

النساء (٤)

النمل (٢٧)

نوح (٧١)

النّور (٢٤)



هود (١١)

ي

يوسف (١٢)

يونس (١٠)

فهرس الأحاديث



ت

ث

ج

ح

خ

د

ر

ز

س

ش

ط

ع

ف

ق

ك

م

ن

هـ

و

ي

فهرس الشعر

أ

ا ـ ىٰ

ب

ت

ح

د

ر

س

ص

ض

ع

ق

ف

ك

ل

م

٤٠٣ إنْ تُميِّزْهُما بلفظٍ مِن اسمٍ … لا تُميّزْهُما بعلمٍ وحلمِ

٣٩٧ إنْ يَخدِمِ القلمَ السيفُ الذي خضَعَتْ … لَهُ الرقابُ ودانَتْ خَوفَهُ الأُمَمُ

٥٢٠ أيا خطباءَ هذا العصر جدّوا … فما بلغ المرام فتىً نؤومُ

٣٩٨ تَعنُو له وزراءُ الملكِ خاضعةً … وعادةُ السيفِ أنْ يَستَخْدِمَ القَلَما

٣٩٨ حتّىٰ رجعتُ وأقلامي قوائلُ لي … المجدُ للسيف ليس المجدُ للقلمِ

٣٧٢ خيلٌ صيامٌ وخيلٌ غيرُ صائمةٍ … تحتَ العجاجِ وأُخرىٰ تَعلِكُ اللُّجُما

٢٩٧ لقد صبروا صبر الكرام وقد قَضَوا … علىٰ رغبة منهم أُصول المكارم

٨٥ لقد هدّ ركني رزءُ آل محمّدٍ … وتلك الرزايا والخطوبُ عِظامُ

٣١٣ من دمه الزاكي رمىٰ نحو السما … فما أجلّ لطفَه وأعظما

١٠٢ منّوا علىٰ طفلي بما … فقد ضرا فيه الظما

٣١٠ نَعَم لوت جيدها بالعتب هاتفةً … بقومها وحشاها مِلؤُه ضَرَمُ

٣٩٦ هَذِّبْ يَراعكَ وانْصُرْ دولةَ القلَمِ … واحمِلْ عَلَىٰ الدهر في جيشٍ مِن الكَلِمِ

٢٢٠ يا أيّها الرجلُ المعلّمُ غيره … هَلّا لنفسك كان ذا التعليمُ

٣٩١ يا باعةَ الخَمرِ كُفّوا عن مَفاخِركُم … لِمعشرٍ بَيعُهُم يومَ الهياجِ دمُ

٣٠٥ يكرّ عليهم مثلما كَرَّ حيدرٌ … علىٰ أهل بدر والنفيرِ المُزاحِمِ

ن

١٨٨ احفظ لسانك أيّها الإنسان … لا يلدغنّك إنّه ثعبانُ

١٠١ أما شجاك يا سكَنْ … قتلُ الحسين والحسَنْ

٢٩٧ إنّ الذي كان نوراً يُستضاءُ به … بكربلاء قتيلٌ غيرُ مدفونِ

هـ

ي

فهرس الأعلام



ب

ش

غ

فهرس المصادر والمراجع

١ ـ القرآن الكريم



٢ ـ ابوالشهداء الحسين بن علي، عباس محمود العقّاد.
منشورات الشريف الرضي، قم، ط ٢.

٣ ـ إثبات الوصية، علي بن الحسين بن علي المسعودي.
مؤسسة أنصاريان، قم، ١٤١٧ هـ.

٤ ـ الاحتجاج، أحمد بن علي الطبرسي، تحقيق: الشيخ إبراهيم البهادري والشيخ محمد هادي به، انتشارات الأُسوة قم، ١٤١٣ هـ.

٥ ـ الأخبار الطوال، أبو حنيفة أحمد بن داود الدنيوري، تحقيق: عبد المنعم عامر.
دار إحياء الكتب العربية، عيسىٰ البابي الحلبي وشركاؤه، القاهرة، ١٩٦٠.

٦ ـ الأخبار الموفّقيات، الزبير بن بكّار، تحقيق الدكتور سامي مكّي العاني.
انتشارات الشريف الرضي، سنة ١٤١٦ هـ.

٧ ـ **أخبار السيد الحميري**، محمد بن عمران المرزباني الخراساني.
تحقيق: محمد هادي الأميني.
منشورات دار الباقر، مطبعة النعمان، النجف، ١٣٨٥ هـ = ١٩٦٥ م.

٨ ـ **اختيار معرفة الرجال، المعروف برجال الكشي**، محمد بن الحسن الطوسي.
تصحيح وتعليق: المعلم الثالث ميرداماد الاسترابادي، تحقيق: السيد مهدي الرجائي، مؤسسة آل البيت عليهم السلام، قم، ١٤٠٤ هـ، مطبعة البعثة.

٩ ـ **اختيار معرفة الرجال، المعروف برجال الكشي**، محمد بن الحسن الطوسي.
تحقيق وتصحيح: محمّد تقي فاضل الميبدي، والسيد ابوالفضل الموسويان، منشورات مؤسسة النشر التابعة لوزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي.

١٠ ـ **آداب الكلام (فارسي)**، علي باشا صالح.
مؤسسة الوعظ والتبليغ الإسلامي، مطبعة جامعة طهران، ١٣٣٨ هـ. ش، ط ٢.

١١ ـ **أدب الطف أو شعراء الحسين**، السيد جواد شبر.
مؤسسة الأعلمي، بيروت، ١٣٨٨ هـ = ١٩٦٩ م.

١٢ ـ **الأدب النبوي**، محمد عبد العزيز الخولي.
دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٤ هـ = ١٩٨٤ م.

١٣ ـ **الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد**، الشيخ المفيد: محمد بن محمد بن النعمان البغدادي.
مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، قم، ١٤١٣ هـ.

١٤ ـ **الاستيعاب**، يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبدالبر القرطبي.
تحقيق وتعليق: الشيخ علي محمد معوّض والشيخ عادل أحمد عبدالموجود، دارالكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥ هـ = ١٩٩٥ م.

١٥ ـ **أسد الغابة في معرفة الصحابة**، علي بن محمد الجزري (ابن الأثير).

تحقيق: الشيخ علي محمّد معوّض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤ هـ = ٢٠٠٣ م، ط ٢.

١٦ ـ **الإسرائيليات وأثرها في كتب التفسير**، الدكتور رمزي نعناعة.

دار القلم دمشق، ودار البيضاء، بيروت، ١٣٩٠ هـ = ١٩٧٠ م.

١٧ ـ **الإصابة في تمييز الصحابة**، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني.

كلكتا، ١٨٥٣ م.

١٨ ـ **أصول البحث**، الدكتور عبد الهادي الفضلي.

دار المؤرخ العربي، بيروت، ١٤١٢ هـ = ١٩٩٢ م.

١٩ ـ **الأُصول العامة للفقه المقارن**، السيد محمّد تقي الحكيم.

دار الأندلس، بيروت، ١٩٦٣ م.

٢٠ ـ **الأُصول من الكافي**، محمد بن يعقوب الكليني.

تقديم وتعليق: علي اكبر الغفاري، منشورات المكتبة والمطبعة الإسلامية، طهران، ١٣٨٨ هـ.

٢١ ـ **أضواء على السنّة المحمدية**، الشيخ محمود أبو ريّة.

مؤسسة أنصاريان، قم، ١٤١٦ هـ = ١٩٩٥ م.

٢٢ ـ **اعلام الدين في صفات المؤمنين**، الحسن بن أبي الحسن الديلمي.

تحقيق ونشر: مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، قم، ١٤١٤ هـ، ط ٢.

٢٣ ـ **أعيان الشيعة**، السيد محسن الأمين.

تحقيق وإخراج واستدراك: حسن الأمين، دار التعارف، بيروت، ١٤٠٦ هـ، ١٩٨٦ م.

٢٤ ـ **الأغاني**، علي بن الحسين الأصبهاني.

مصوّر عن طبعة دار الكتب، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة، ١٣٨٣ هـ = ١٩٦٣ م.

٢٥ ـ **إقناع اللائم على إقامة المآتم**، السيد محسن الأمين.
مراجعة وتحقيق: محمود البدري، مؤسسة المعارف الإسلامية، قم، ١٤١٨هـ.

٢٦ ـ **إقبال الأعمال**، علي بن موسىٰ بن جعفر بن طاووس.
دار الكتب الاسلامية، طهران، ١٣٩٠، ط ٢.

٢٧ ـ **أقرب الموارد في فُصح العربيّة والشوارد**، سعيد الخوري الشرتوني اللبناني.
دار الأُسوة، منظمة الأوقاف والأُمور الخيريّة، ايران، ١٤١٦ هـ.

٢٨ ـ **إكسير العبادات في اسرار الشهادات**، الفاضل الدربندي الشيخ آغا بن عابد الشيرواني الحائري.
تحقيق: الشيخ محمد جمعة وعباس الجمري، شركة المصطفىٰ للخدمات الثقافية، المنامة، ١٤١٥هـ= ١٩٩٤ م.

٢٩ ـ **الأمالي**، الشيخ الصدوق : محمد بن علي بن الحسين بن موسىٰ بن بابويه القمي.
تحقيق: قسم الدراسات الإسلاميّة، مؤسّسة البعثة المكتبة الإسلامية، قم، ١٤١٧ هـ.

٣٠ ـ **الأمالي**، محمد بن الحسن الطوسي.
تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية، مؤسسة البعثة، دار الثقافة، قم، ١٤١٤ هـ.

٣١ ـ **الأمالي**، الشيخ المفيد : محمد بن محمد بن النعمان ابن المعلّم العُكبري البغدادي.
المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المفيد، الحوزة العلمية، قم، ١٤١٣ هـ.

٣٢ ـ **الإمام جعفر الصادق**، المستشار عبد الحليم الجندي.
تحقيق: كمال السيد، منشورات مؤسسة أنصاريان، قم، ١٤١٥هـ= ١٩٩٥ م.

٣٣ ـ **الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل**، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي.
مؤسسة البعثة، بيروت، ١٤١٠هـ= ١٩٩٠ م.

٣٤ ـ **الأنوار القدسية**، الشيخ محمد حسين الإصفهاني الغروي.
المطبعة الحيدرية، النجف.

ب

٣٥ ـ **البابليات**، الشيخ محمد علي اليعقوبي.
المطبعة العلمية، النجف، ١٣٧٤ هـ = ١٩٥٥ م.
٣٦ ـ **بحار الأنوار**، محمد باقر المجلسي.
دار الكتب الإسلامية، مطبعة الحيدري، طهران.
٣٧ ـ **البداية والنهاية**، إسماعيل بن كثير الدمشقي.
دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤١٣ هـ = ١٩٩٣ م.
٣٨ ـ **البرهان علىٰ عدم تحريف القرآن**، السيد مرتضىٰ الرضوي.
الإرشاد للطباعة والنشر، بيروت ١٤١١ هـ = ١٩٩١ م.
٣٩ ـ **بشارة المصطفىٰ لشيعة المرتضىٰ**، محمد بن أبي القاسم الطبري.
منشورات المطبعة والمكتبة الحيدرية، النجف، ١٣٨٣ هـ = ١٩٦٣ م.
٤٠ ـ **بصائر الدرجات**، محمد بن الحسن الصفار.
تصحيح وتعليق: الحاج ميرزا محسن كوچه باغي التبريزي، منشورات مكتبة آية الله العظمىٰ المرعشي، قم، ١٤٠٤ هـ.
٤١ ـ **البيان في تفسير القرآن**، السيد أبو القاسم الخوئي.
المطبعة العلمية، النجف، ١٣٧٧ هـ = ١٩٥٧ م.
٤٢ ـ **البيان والتبيين**، عمرو بن بحر بن محبوب الجاحظ.
تحقيق وشرح: حسن السندوبي المكتبة التجارية، القاهرة، ١٣٤٥ هـ = ١٩٢٦ م.
٤٣ ـ **البيان وفن الخطابة**، الشيخ محمد تقي الفلسفي.
ترجمة: عباس حسين الاسدي، مؤسسة البعثة، بيروت، ١٤١٢هـ=١٩٩٢م.

ت

٤٤ ـ **تاج العروس من جواهر القاموس**، محمّد مرتضى الزبيدي .
منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت.

٤٥ ـ **تاريخ الأدب الإيراني من قديم الزمان إلىٰ عهد الفردوسي**، البروفسور إدوار براون.
ترجمة علي باشا صالح، مكتبة ابن‌سينا، طهران، ١٣٣٥ هـ.ش = ١٩٥٦ م، ط ٢.

٤٦ ـ **تاريخ بغداد أو مدينة السلام**، أحمد بن علي الخطيب البغدادي.
تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٧هـ= ١٩٩٧ م.

٤٧ ـ **تاريخ الطبري**، محمد بن جرير الطبري.
تحقيق: محمد ابوالفضل ابراهيم، دار المعارف، مصر، ١٩٦١ م.

٤٨ ـ **تاريخ اليعقوبي**، أحمد بن أبي يعقوب.
مؤسسة الأعلمي، بيروت، ١٤١٣هـ= ١٩٩٣ م.

٤٩ ـ **التبيان في تفسير القرآن**، الشيخ محمد بن الحسن الطوسي.
تحقيق: أحمد حبيب قصير العاملي، مكتبة الأمين، مطبعة النعمان، النجف، ١٣٨٢هـ= ١٩٦٣ م.

٥٠ ـ **تجاربي مع المنبر**، الشيخ أحمد الوائلي.
دار الزهراء، بيروت، ١٤١٩ هـ= ١٩٩٨ م.

٥١ ـ **تحف العقول عن آل الرسول**، حسن بن علي بن الحسين بن شعبة الحراني.
المكتبة الحيدرية، النجف، ١٣٨٣هـ=١٩٦٣ م.

٥٢ ـ **التحقيق في نفي التحريف عن القرآن الشريف**، للسيد علي الحسيني الميلاني .
انتشارات الشريف المرتضىٰ، قم ١٤١٧ هـ، ط ٢.

٥٣ ـ **تخميس الازرية**، الشيخ جابر الكاظمي.

منشورات المطبعة الحيدرية، النجف، ١٣٧٠هـ= ١٩٥٠م.

٥٤ ـ **تذكرة خواصّ الأمة**، او **(تذكرة الخواص)**، يوسف بن قزغلي البغدادي.

المطبعة الحيدرية، النجف، ١٣٨٣ هـ= ١٩٦٤م.

٥٥ ـ **تذييل وتلخيص المستدرك علىٰ الصحيحين**، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي.

مكتبة المطبوعات الإسلامية، حلب، محمد امين دمج، بيروت.

٥٦ ـ **تراجيديا كربلاء**، سوسيولوجيا الخطاب الشيعي.

إبراهيم الحيدري، بيروت، ١٩٩٩م.

٥٧ ـ **ترتيب كتاب العين**، الخليل بن أحمد الفراهيدي.

تحقيق: الدكتور مهدي المخزومي والدكتور ابراهيم السامرائي، تصحيح الأُستاذ أسعد الطيب، انتشارات الأُسوة، قم، ١٤١٤هـ.

٥٨ ـ **تسلية المُجالس وزينة المَجالس**، السيد محمد بن أبي طالب الحسيني.

تحقيق: الشيخ فارس حسون كريم، مؤسسة المعارف الإسلامية، قم، ١٤١٨هـ.

٥٩ ـ **تصحيح الاعتقاد او شرح اعتقادات الصدوق**، للشيخ المفيد محمّد بن محمّد بن النعمان.

مصنّفات الشيخ المفيد المجلد ٥، قم، ١٤١٣هـ.

٦٠ ـ **تصنيف غُرر الحكم ودُرر الكَلِم**، عبد الواحد بن محمّد التميمي الآمدي.

تصنيف وتحقيق: مصطفىٰ الدرايتي، منشورات مكتب الإعلام الإسلامي في الحوزة العلميّة قم، ١٣٦٦هـ. ش.

٦١ ـ **تفسير العياشي**، محمّد بن مسعود بن عياش السلمي.

تحقيق وتصحيح: السيّد الهاشم الرسولي المحلاتي، المطبعة العلمية، قم.

٦٢ ـ **التفسير المنسوب إلىٰ الإمام العسكري**عليه‌السلام.

تحقيق ونشر: مدرسة الإمام المهدي، قم، ١٤٠٩هـ.

٦٣ ـ **التمهيد في علوم القرآن**، الشيخ محمّد هادي معرفة.
منشورات مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ١٤١٧ هـ.

٦٤ ـ **تنبيه الخواطر ونزهة النواظر**، المعروف بـ(مجموعة ورّام) الشيخ ورّام بن أبي فراس المالكي الأشتري.
مكتبة السيد أسد الله الطباطبائي والسيد محمود الصحفي، المدرسة الفيضية، قم، ١٣٧٥ هـ.

٦٥ ـ **تهذيب التهذيب**، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني.
ضبط ومراجعة: صدقي جميل العطار المكتبة التجارية، مصطفى أحمد الباز، دار الفكر، بيروت، ١٤٢١هـ = ٢٠٠١ م.

٦٦ ـ **تهذيب الوصول إلى علم الأصول**، العلّامة الحلّي الحسن بن يوسف بن المطهّر.
تحقيق: السيد محمّد حسين الرضوي الكشميري، مؤسسة الإمام علي عليه السلام، لندن، ١٤٢١هـ= ٢٠٠١ م.

٦٧ ـ **التوحيد**، الشيخ الصدوق محمد بن علي بن بابويه القمي.
تحقيق: السيد هاشم الحسيني الطهراني، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ١٤٢٢ هـ.

٦٨ ـ **توحيد المفضّل**، مفضّل بن عمر الجعفي.
انتشارات مكتبة الداوري، قم، ١٩٦٩م، ط ٣.

ث

٦٩ ـ **ثواب الأعمال وعقاب الأعمال**، الشيخ الصدوق: محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي.
منشورات الأعلمي، بيروت، ١٤١٠هـ= ١٩٨٩ م.

٧٠ ـ **ثورة الحسين أو فاجعة الحسين في الوجدان الشعبي**، محمد مهدي شمس الدين.

الدار الإسلامية، بيروت، ١٤٠٠هـ= ١٩٨٠ م.

٧١ ـ **ثورة الحسين: ظروفها الاجتماعية وآثارها الإنسانية**، محمد مهدي شمس الدين.

دار التعارف، بيروت، ١٤٠١ هـ= ١٩٨١ م.

ج

٧٢ ـ **جامع الأخبار**، الشيخ محمد بن محمد السبزواري.

تحقيق: علاء آل جعفر، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم، ١٤١٤هـ.

٧٣ ـ **جامع البيان في تفسير القرآن**، محمد بن جرير الطبري.

دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٩ هـ= ١٩٨٩ م.

٧٤ ـ **جامع السعادات**، محمد مهدي النراقي.

مطبعة النجف، النجف، ١٣٧٥ هـ= ١٩٥٥ م.

٧٥ ـ **الجداول**، إيليا أبو ماضي.

مطبعة الزهراء، بغداد.

٧٦ ـ **جواهر الأدب فيادبيات وإنشاء لغة العرب**، السيد أحمد الهاشمي.

مكتبة السعادة، مصر، ١٣٨٤ هـ= ١٩٦٤ م، ط ٢١.

٧٧ ـ **الجوهر النضيد في شرح منطق التجريد**، حسن بن يوسف بن مطهر الحلي.

منشورات مكتبة جار اللهي، طهران، ١٣١١ هـ.

ح

٧٨ ـ **حقائق الأُصول**، السيد محسن الطباطبائي الحكيم.

مكتبة بصيرتي، قم، ١٤٠٨ هـ ط ٥.

٧٩ ـ **حقائق هامّة حول القرآن الكريم**، السيد جعفر مرتضىٰ العاملي.

مؤسسة النشر الإسلامي، قم (لم تذكر سنة الطبع).

٨٠ ـ **حكم البناء علىٰ القبور**، لجنة البحوث وأجوبة الشبهات، الشيخ عبد الكريم البهبهاني، المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام، قم، ١٤٢٢ هـ.

٨١ ـ **حياة الإمام الحسن**، الشيخ باقر شريف القرشي.

مطبعة الآداب، النجف، ١٣٨٤ هـ = ١٩٦٥ م، ط ٢.

٨٢ ـ **حياة الإمام الحسين**، الشيخ باقر شريف القرشي.

مطبعة الآداب، النجف، ١٣٩٤ هـ = ١٩٧٤ م.

٨٣ ـ **حياة السيّدة زينب بنت الإمام أمير المؤمنين**، الشيخ جعفر النقدي.

منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٤١٩ هـ = ١٩٩٨ م.

٨٤ ـ **حياة الحيوان الكبرىٰ**، محمّد بن موسى الدميري.

مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.

خ

٨٥ ـ **الخرائج والجرائح**، قطب الدين الراوندي.

مؤسسة الإمام المهدي، قم، ١٤٠٩ هـ.

٨٦ ـ **الخصال**، الشيخ الصدوق محمّد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي.
تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ١٤١٦هـ.
٨٧ ـ **خصائص الخطبة والخطيب**، نذير محمد مكتبي.
٨٨ ـ **الخطابة**، الشيخ محمد أبو زهرة.
دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٨٠م، ط ٢.
٨٩ ـ **خطباء المنبر الحسيني**، حيدر المرجان.
مطبعة القضاء، النجف، ١٣٩٦هـ = ١٩٧٦م.
٩٠ ـ **الخطابة**، أرسطو.
ترجمة: الدكتور عبدالرحمن بدوي، دار الشؤون الثقافية العامّة، وزارة الثقافة والأعـلام، بغداد، ١٩٨٦م، ط ٢.
٩١ ـ **الخطبة والخطيب**،

د

٩٢ ـ **دار السلام في ما يتعلّق بالرؤيا والمنام**، ميرزا حسين النوري الطبرسي.
انتشارات المعارف الإسلامية، المطبعة العلمية، قم (لم تذكر سنة الطبع).
٩٣ ـ **الدراية في علم مصطلح الحديث**، الشهيد الأول زين الدين العاملي.
مطبعة النعمان، النجف.
٩٤ ـ **الدرّ النضيد في مراثي السبط الشهيد**، السيد محسن الأمين.
مطبعة الاتقان، دمشق، ١٣٦٥هـ = ١٩٤٦م.
٩٥ ـ **الدر المنثور في التفسير بالمأثور**، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي.
منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢١هـ = ٢٠٠٠م.
٩٦ ـ **الدروس الشرعية في فقه الإمامية**، الشهيد الأول: شمس الدين محمدبن مكي العاملي.

تحقيق ونشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم، ١٤١٧ هـ.

٩٧ ـ **دروس في الخطابة الحسينية**، السيد مجتبىٰ السويج.

مطبعة فروردين، ايران، ١٤١٥ هـ.

٩٨ ـ **دروس في علم الأُصول**، السيد محمد باقر الصدر.

دار الكتاب اللبناني، ١٩٧٨ م.

٩٩ ـ **دستور الوحدة الثقافية بين المسلمين**، محمد الغزالي.

دار الشروق، القاهرة، ١٤١٨ هـ = ١٩٩٧ م.

١٠٠ ـ **ديوان الإمام علي**، قطب الدين الكيدري.

تصحيح وتحقيق: الدكتور أبو القاسم الإمامي، قم، ١٣٧٩ هـ. ش، ط ٣.

١٠١ ـ **ديوان امير المؤمنين علي بن ابي طالب**، جمع السيد محسن الأمين.

مطبعة الإتقان، دمشق، ١٣٦٦ هـ = ١٩٤٧ م.

١٠٢ ـ **ديوان الإمام علي**، جمع وضبط وشرح نعيم زرزور.

دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٥ هـ = ١٩٨٥ م.

١٠٣ ـ **ديوان ابن الرومي**، علي بن العباس بن جريح.

شرح: الأُستاذ أحمد حسن بَسَج، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥ هـ = ١٩٩٤ م.

١٠٤ ـ **ديوان أبي فراس الحمداني**، حارث بن سعيد بن حمدان.

منشورات دار صادر، دار بيروت، بيروت، ١٣٨٥ هـ = ١٩٦٦ م.

١٠٥ ـ **ديوان الأزري الكبير**، الشيخ كاظم بن الحاج محمد التميمي البغدادي.

تحقيق: هادي شكر، دار التوجيه الإسلامية، بيروت، كويت، ١٤٠٠ هـ = ١٩٨٠ م.

١٠٦ ـ **ديوان البحتري**، الوليد بن عبيد الطائي.

دار صادر، بيروت، ١٣٨٥ هـ = ١٩٦٦ م.

١٠٧ ـ **ديوان التهامي**، علي بن محمد التهامي.

شرح وتحقيق: الدكتور علي نجيب عطوي، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٩٨٦ م.

١٠٨ ـ **ديوان الحاج هاشم الكعبي**، الحاج هاشم بن حردان الكعبي الدورقي.

تقديم وتعليق: السيد محمّد حسن آل الطالقاني، منشورات المكتبة الحيدرية، النجف، ١٣٨٥ هـ = ١٩٦٥ م، ط ٢.

١٠٩ ـ **ديوان دعبل الخزاعي**، دعبل بن علي بن رزين الخزاعي.

جمع وتحقيق: عبد الصاحب الدجيلي الخزرجي، مطبعة الآداب، النجف، ١٣٨٢ هـ = ١٩٦٢ م.

١١٠ ـ **ديوان السيد حيدر الحلي**، السيد حيدر بن سليمان بن داود الحلي.

اعتناء: علي الخاقاني، المطبعة الحيدرية، النجف، ١٣٦٩ هـ = ١٩٥٠ م.

١١١ ـ **ديوان السيد الحميري**، السيد اسماعيل بن محمد الحميري.

جمع وتحقيق وشرح: شاكر هادي شُكر، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت.

١١٢ ـ **ديوان السيد رضا الهندي**، السيد رضا بن محمد بن هاشم الموسوي الهندي، جمع: السيد موسىٰ الموسوي، دار الأضواء، بيروت، ١٤٠٩ هـ = ١٩٨٨ م.

١١٣ ـ **ديوان الشريف الرضي**، محمد بن الحسين الطاهر.

دار صادر، دار بيروت، ١٣٨٠ هـ = ١٩٦١ م.

١١٤ ـ **ديوان الشيخ صالح الكوّاز الحلي**.

مطبعة النجف، النجف، ١٣٨٤ هـ.

١١٥ ـ **ديوان المتنبي**، شرح أبي البقاء العكبري.

مكتبة ومطبعة البابي الحلبي، مصر، ١٣٧٦ هـ = ١٩٥٦ م.

١١٦ ـ **ديوان محمد مهدي الجواهري**.

مطبعة الأديب، بغداد، ١٩٧٤ م.

ذ

١١٧ ـ **الذريعة إلى تصانيف الشيعة**، الشيخ آقا بزرگ الطهراني.

دار الأضواء، بيروت، ١٤٠٣ هـ = ١٩٨٣ م، ط ٣.

١١٨ ـ **ذكرى الحسين**، الشيخ حبيب آل إبراهيم العاملي.

مطبعة العرفان، صيدا، ١٩٣٥ م.

ر

١١٩ ـ **رجال الطوسي**، محمد بن الحسن الطوسي.

تحقيق: جواد القيّومي الاصفهاني، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ١٤١٥ هـ.

١٢٠ ـ **رجال النجاشي**، أحمد بن علي بن أحمد النجاشي.

مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ١٤١٨ هـ، ط ٦.

١٢١ ـ **رسالة التسامح في ادلة السنن**، تقريرات الشيخ جعفر السبحاني.

بقلم: الشيخ علي أكبر الكلانتري الشيرازي، انظر (الرسائل الأربع)، مطبعة اعتماد، قم، ١٤١٥هـ.

١٢٢ ـ **الرسائل العشر في الأحاديث الموضوعة في كتب السنّة**، السيّد علي الحسيني الميلاني.

مطبعة ياران، قم، ١٤١٨ هـ.

١٢٣ ـ **الرسائل الأربع**، الشيخ جعفر السبحاني.

مؤسسة الإمام الصادق، قم، ١٤١٥ هـ.

١٢٤ ـ **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، السيد محمود الآلوسي البغدادي.

دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٥هـ = ١٩٨٥ م، ط ٤.

١٢٥ ـ **روضة الشهداء (فارسي)**، المولىٰ حسين الكاشفي.

تصحيح: الشيخ أبو القاسم الشعراني، المكتبة الإسلامية، طهران.

١٢٦ ـ **روضة الكافي**، محمد بن يعقوب الكليني.

تحقيق: علي أكبر الغفاري، دار الأضواء، بيروت.

١٢٧ ـ **الروضة المختارة**، شرح القصائد الهاشميات للكميت، والقصائد العلويات السبع لابن أبي الحديد.

مؤسسة النعمان، بيروت، ١٩٧٩ م.

١٢٨ ـ **روضة الواعظين**، الشيخ محمد بن الفتّال النيسابوري.

منشورات الشريف الرضي، قم.

س

١٢٩ ـ **سحر بابل و سجع البلابل**، السيد جعفر الحلي النجفي.

مطبعة العرفان، صيدا، ١٣٣١ هـ.

١٣٠ ـ **سفينة البحار**، الشيخ عباس القمي.

دار الأسوة، قم، ١٤١٤ هـ.

١٣١ ـ **سنن ابن ماجه**، محمد بن يزيد القزويني.

تحقيق: محمود محمد محمود حسن نصّار، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٩ هـ = ١٩٩٨ م.

١٣٢ ـ **سنن أبي داود**، سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي.

تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

١٣٣ ـ **سنن الترمذي**، محمد بن عيسىٰ بن سورة (الترمذي).

تحقيق: محمد محمود حسن نصّار، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢١ هـ= ٢٠٠٠ م.

١٣٤ ـ **السنن الكبرىٰ**، أحمد بن الحسين بن علي البيهقي.

دار الفكر، بيروت.

١٣٥ ـ **سنن النسائي**، أحمد بن شعيب النسائي، شرح الحافظ جلال الدين السيوطي.

دار الفكر، بيروت، ١٣٤٨ هـ= ١٩٣٠ م.

١٣٦ ـ **سمط النجوم العوالي**، عبدالملك بن حسين العصامي.

المكتبة السلفية، القاهرة، ١٣٧٩ هـ.

ش

١٣٧ ـ **شرح رسالة الحقوق للإمام زين العابدين**، السيد حسن القبانچي.

مطبعة الآداب، النجف، ١٣٨٣ هـ= ١٩٦٤ م.

١٣٨ ـ **شرح شافية أبي فراس في مناقب آل الرسول ومثالب بني العباس**، محمد بن أمير الحاج الحسيني.

تحقيق: صفاء الدين البصري، مؤسسة الطباعة والنشر وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، طهران، ١٤١٦ هـ.

١٣٩ ـ **شرح نهج البلاغة**، عبدالحميد بن محمد بن أبي الحديد المدائني.

تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٣٧٨ هـ= ١٩٥٩ م.

١٤٠ ـ **شرح نهج البلاغة**، عبدالحميد بن محمد بن أبي الحديد المدائني.
تقديم وتعليق: الشيخ حسين الأعلمي، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٤١٩ هـ= ١٩٩٩ م.

١٤١ ـ **شرح الهاشميات**، الكميت بن زيد الأسدي، شرح محمد محمود الرافعي.
مطبعة شركة التمدّن الصناعية، مصر، ط ٢.

١٤٢ ـ **شعراء الغري**، علي الخاقاني.
منشورات مكتبة آية الله المرعشي النجفي، قم، مطبعة بهمن، ١٤٠٨ هـ.

١٤٣ ـ **شواهد التنزيل لقواعد التفضيل**، الحافظ عبيد الله بن عبد الله بن أحمد المعروف بالحاكم الحسكاني الحنفي النيسابوري.
تحقيق: الشيخ محمّد باقر المحمودي، منشورات مؤسسة الأعلمي، بيروت ١٣٩٣ هـ= ١٩٧٤ م.

١٤٤ ـ **الشوقيات**، أحمد شوقي.
المكتبة التجارية الكبرىٰ، مطبعة الاستقامة بالقاهرة، ١٩٦١ م.

١٤٥ ـ **شيخ المضيرة**، الشيخ محمود أبو ريّة، ط ٢.

ص

١٤٦ ـ **الصحاح**، إسماعيل بن حماد الجوهري.
تحقيق: أحمد بن عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ١٤٠٧ هـ= ١٩٨٧ م، ط ٤.

١٤٧ ـ **صحيح البخاري**، محمد بن إسماعيل البخاري.
شرح وتحقيق: الشيخ قاسم الشماعي الرفاعي، دار القلم، بيروت، ١٤٠٧ هـ= ١٩٨٧ م.

١٤٨ ـ **صحيح مسلم**، مسلم بن الحجاج النيسابوري القشيري.

شرح: يحيىٰ بن شرف النووي دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢١هـ= ٢٠٠٠م.

١٤٩ ـ **الصواعق المحرقة**، أحمد بن حجر الهيثمي المكي.

تحقيق: عبدالوهاب عبد اللطيف، دار الطباعة المحمدية، مصر، ١٣٧٥ هـ.

١٥٠ ـ **صيانة القرآن من التحريف**، الشيخ محمّد هادي معرفة.

مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ١٤١٣ هـ.

١٥١ ـ **صيانة القرآن الكريم من التحريف**، لجنة البحوث وأجوبة الشبهات، السيد عبدالرحيم الموسوي.

المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام، قم، ١٤٢٢ هـ.

ط

١٥٢ ـ **الطليعة من شعراء الشيعة**، الشيخ محمّد السماوي.

تحقيق: كامل سلمان الجبوري، دار المؤرخ العربي، بيروت، ١٤٢٢هـ= ٢٠٠١م.

ظ

١٥٣ ـ **ظرافة الأحلام**، الشيخ محمّد السماوي.

انتشارات الشريف الرضي، قم، ١٤١١ هـ.ق = ١٣٦٩ هـ.ش.

ع

١٥٤ ـ **عبرات المصطفين في مقتل الحسين**، الشيخ محمد باقر المحمودي.
مجمع إحياء الثقافة الإسلامية، قم، ١٤١٧ هـ، ط ٢.

١٥٥ ـ **عدّة الداعي ونجاح الساعي**، الشيخ أحمد بن فهد الحلّي.
تصحيح وتعليق: أحمد الموحّدي القمي، مكتبة الوجداني، قم.

١٥٦ ـ **العروة الوثقىٰ**، السيّد محمّد كاظم الطباطبائي اليزدي.
تعليق: السيد أبو القاسم الموسوي الخوئي، تحقيق ونشر: مدينة العلم للسيد الخوئي، قم، ١٤١٤ هـ.

١٥٧ ـ **العرف الطيّب في شرح ديوان أبي الطيّب**، شرح الشيخ ناصيف اليازجي.
مكتبة دار البيان، بغداد، المطبعة الأدبية، بيروت، ١٣٠٥ هـ = ١٨٨٧ م.

١٥٨ ـ **علل الشرائع**، الشيخ الصدوق: محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي.
منشورات المكتبة الحيدرية، النجف، ١٣٨٣ هـ = ١٩٦٣ م.

١٥٩ ـ **عيون أخبار الرضا**، الشيخ الصدوق: محمد بن علي بن بابويه القمي.
منشورات الأعلمي، طهران، ١٣٩٠ هـ = ١٩٧٠م.

١٦٠ ـ **عيون الأخبار**، لأبي محمّد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدّينوري.
المؤسسة المصرية العامّة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، ١٣٨٣ هـ = ١٩٦٣ م.

غ

١٦١ ـ **الغدير في الكتاب والسنة والأدب**، الشيخ عبد الحسين الأميني.
تحقيق: مركز الغدير للدراسات الإسلامية، قم، ١٤١٦ هـ = ١٩٩٥ م.

١٦٢ ـ **غوالي اللآلي العزيزيّة في الأحاديث الدينية**، ابن أبي جمهور محمد بن علي بن ابراهيم الأحسائي.

تحقيق: الحاج آقا مجتبىٰ العراقي، مطبعة سيد الشهداء، قم، ١٤٠٣ هـ = ١٩٨٣ م.

ف

١٦٣ ـ **الفائق في غريب الحديث**، جار الله محمود بن عمر الزمخشري .

دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٧ هـ = ١٩٩٦ م.

١٦٤ ـ **فتح القدير**، محمّد بن علي بن محمّد الشوكاني .

مطبعة مصطفىٰ البابي الحلبي وأولاده بمصر، جمادىٰ الثانية، ١٣٥٠ هـ.

١٦٥ ـ **الفتوح**، أحمد بن أعثم الكوفي .

تحقيق : علي شيري، دار الأضواء، بيروت، ١٤١١ هـ = ١٩٩١ م.

١٦٦ ـ **فرائد السمطين في فضائل المرتضىٰ والبتول والسبطين والأئمة من ذريتهم**، إبراهيم بن محمد الجويني.

تحقيق: الشيخ محمد باقر المحمودي، مؤسسة المحمودي للطباعة والنشر، بيروت، ١٣٩٨ هـ = ١٩٧٨ م.

١٦٧ ـ **الفروع من الكافي**، محمد بن يعقوب الكليني.

تحقيق: علي أكبر الغفاري، دار الكتب الإسلامية، طهران، ١٣٧٥ هـ، ط ٥.

١٦٨ ـ **فضائل الخمسة من الصحاح الستة**، السيد مرتضىٰ الفيروزآبادي.

دار الكتب الإسلامية، النجف، ١٣٨٣ هـ.

١٦٩ ـ **فن الخطابة (كراس)** الشيخ محمد باقر المقدسي.

معهد الرسول الأعظم للخطابة والتبليغ، قم، ١٤٠٦ هـ.

١٧٠ ـ **فن الخطابة وإعداد الخطيب**، علي محفوظ.
دار النصر للطباعة الإسلامية، مصر، ١٩٨٤ م.

١٧١ ـ **الفوائد البهية في شرح عقائد الإمامية**، الشيخ محمّد جميل حمّود.
مركز العترة للدراسات والبحوث، بيروت، مؤسسة الأعلمي، ١٤٢١ هـ = ٢٠٠١ م، ط ٢.

١٧٢ ـ **في ظلال القرآن**، السيّد قطب.
١٣٨٦ هـ = ١٩٦٧ م، ط ٥.

ق

١٧٣ ـ **القاموس المحيط**، محمد بن يعقوب الفيروزآبادي.
المكتبة التجارية الكبرى، مصر.

١٧٤ ـ **القرآن الكريم وروايات المدرستين الكتاب الثالث**، السيّد مرتضىٰ العسكري.
انتشارات منير، المجمع العلمي الإسلامي، ١٤٢٠ هـ = ١٩٩٩ م.

١٧٥ ـ **قرب الاسناد**، عبد الله بن جعفر الحميري.
تحقيق: مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، قم، ١٤١٣ هـ.

١٧٦ ـ **قصص الأنبياء**، قطب الدين سعيد بن هبة الله الراوندي.
تحقيق: الميرزا غلام رضا عرفانيان اليزدي الخراساني، منشورات مؤسسة الهادي، قم، ١٤١٨ هـ.

١٧٧ ـ **القواعد البلاغية في ضوء المنهج الإسلامي**، محمود البستاني.
مجمع البحوث الإسلامية، مشهد، ١٤١٤ هـ.

ك

١٧٨ ـ **الكامل**، محمّد بن يزيد المبرَّد .

تحقيق: محمّد أبو الفضل إبراهيم والسيد شحاتة ، مكتبة ومطبعة نـهضة مـصر ، القـاهرة، ١٣٧٦هـ= ١٩٩٦ م .

١٧٩ ـ **كامل الزيارات** ، جعفر بن محمد بن قولويه القمي.

تحقيق: الشيخ جواد القيّومي، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ١٤١٧هـ.

١٨٠ ـ **الكبريت الأحمر في شرائط المنبر** ، محمد باقر القائني.

طهران، ١٣٧٧ هـ.

١٨١ ـ **كتاب سُليم بن قيس**، سُليم بن قيس الهلالي العامري الكوفي .

تحقيق: الشيخ محمد باقر الأنصاري الزنجاني الخوئيني.

نشر الهادي ، قم، ١٤١٥ هـ.ق = ١٣٧٣ هـ.ش .

١٨٢ ـ **كحل البصر في سيرة سيد البشر**، الشيخ عباس القمي.

مؤسسة نشر الكتب المذهبية، قم.

١٨٣ ـ **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل** ، محمود بن عمر الزمخشري.

مطبعة الاستقامة، القاهرة، ١٣٧٣ هـ = ١٩٥٣ م.

١٨٤ ـ **كشف الغمّة في معرفة الأئمة**عليهم السلام ، علي بن عيسىٰ بن أبي الفتح الإربلي .

تعليق: السيد هاشم الرسولي ، الناشر مكـتبة بـني هـاشمي ، تـبريز، ١٣٨١ هـ، المـطبعة العلمية، قم.

١٨٥ ـ **كمال الدين وتمام النعمة** ، الشيخ الصدوق : محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي.

تحقيق: علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ١٤٢٢ هـ.

١٨٦ ـ **الكنىٰ والألقاب**، الشيخ عباس القمي.
المطبعة الحيدرية، النجف، ١٣٧٦هـ= ١٩٥٦ م.
١٨٧ ـ **كنز العمال**، علي المتقي بن حسام الدين الهندي.
مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٥هـ= ١٩٨٥، ط ٥.

ل

١٨٨ ـ **لأكون مع الصادقين**، محمد التيجاني.
باريس، ١٩٨٧ م.
١٨٩ ـ **لسان العرب**، محمد بن مكرم بن منظور.
نشر أدب الحوزه، قم، ١٤٠٥ هـ.
١٩٠ ـ **لسان الميزان**، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني.
منشورات مؤسّسة الأعلمي، بيروت، ١٤٠٦ هـ= ١٩٨٦ م، ط ٣.
١٩١ ـ **لقد شيّعني الحسين**، إدريس الحسيني.
مطبعة مهر، قم، ١٤١٥ هـ.
١٩٢ ـ **اللؤلؤ والمرجان**، الشيخ حسين النوري الطبرسي.
منشورات عابدي، طهران، (لم تذكر سنة الطبع).
١٩٣ ـ **اللهوف في قتلىٰ الطفوف**، علي بن موسىٰ بن جعفر بن طاووس.
منشورات الشريف الرضي، قم، ١٣٦٤ هش، ط ٢.

م

١٩٤ ـ **مثير الأحزان**، محمد بن جعفر بن هبة الله بن نما الحلي.

المطبعة الحيدرية، النجف، ١٣٦٩ هـ= ١٩٥٠ م.

١٩٥ ـ **المحاسن**، الشيخ أحمد بن محمد البرقي.

تحقيق: السيد مهدي الرجائي، المجمع العالمي لأهل البيت، قم، ١٤١٦ هـ، ط ٢.

١٩٦ ـ **المجالس السَنيّة**، السيد محسن الأمين العاملي.

مطبعة ابن زيدون، دمشق، ١٩٤٥ م، ط ٣.

١٩٧ ـ **مجمع الأمثال**، أحمد بن محمد الميداني.

تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة التجارية، مطبعة السعادة، مصر، ١٣٧٩ هـ= ١٩٥٩ م، ط ٢.

١٩٨ ـ **مجمع البحرين**، الشيخ فخر الدين الطريحي.

تحقيق وتصحيح: أحمد علي الحسيني، منشورات دار الإحياء للكتب الإسلامية، النجف.

١٩٩ ـ **مجمع البيان في تفسير القرآن**، الفضل بن الحسن الطبرسي.

مؤسسة الأعلمي، بيروت، ١٤١٥ هـ= ١٩٩٥ م.

٢٠٠ ـ **مجمع الزوائد**، علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي.

٢٠١ ـ **مجموعة رسائل فقهية وأصولية**، للشيخ الأنصاري والسيّد الشيرازي والشهيد النوري والشيخ الكلانتر الطهراني.

تحقيق: الشيخ عباس الحاجياني، منشورات مكتبة المفيد، قم، ١٤٠٤هـ.

٢٠٢ ـ **مختلف الشيعة**، الحسن بن يوسف بن المطهّر الأسدي (العلّامة الحلّي).

تحقيق ونشر: مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ١٤١٨ هـ.

٢٠٣ ـ **مرآة الرشاد في الوصية إلىٰ الأحبّة والذرية والأولاد**، الشيخ عبد الله المامقاني.

تحقيق: الشيخ محيي الدين المامقاني، الناشر، مولود كعبة، قم، ١٤٢٠ هـ، ط ٦.

٢٠٤ ـ **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، علي بن الحسين بن علي المسعودي.

تنقيح وتصحيح: شارل پلّا، انتشارات الشريف الرضي، ١٤٢٢ هـ.

٢٠٥ ـ **المزار الكبير**، محمد بن جعفر المشهدي.

تحقيق: جواد القيّومي الإصفهاني، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ١٤١٩ هـ.

٢٠٦ ـ **المسائل الشرعيّة**، السيد أبو القاسم الخوئي.

دار الزهراء، بيروت، ١٤١٦ هـ = ١٩٩٦ م.

٢٠٧ ـ **مستدرك الوسائل**، الشيخ حسين النوري.

تحقيق: مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، مشهد، ١٤٠٧ هـ.

٢٠٨ ـ **المستدرك علىٰ الصحيحين**، الحاكم النيسابوري: محمد بن عبد الله بن محمّد.

مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، محمد أمين دَمَج، بيروت.

٢٠٩ ـ **مستطرفات السرائر**، محمد بن أحمد بن إدريس الحلي.

مؤسسة الإمام المهدي، قم، ١٤٠٨ هـ.

٢١٠ ـ **المستطرف في كلّ فنّ مستظرف**، محمد بن أبي الفتح الأبشيهي.

دار الكتب العلميّة، بيروت، ١٤٠٦ هـ = ١٩٨٦ م، ط ٢.

٢١١ ـ **مستمسك العروة الوثقىٰ**، السيد محسن الطباطبائي الحكيم.

دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٨٤ هـ.

٢١٢ ـ **مسند الإمام علي**، السيد حسن القبانچي.

ضبط وتخريج: السيد طاهر السلامي، دار الأُسوة، قم، ١٤٢٠هـ.

٢١٣ ـ **مسند أحمد بن حنبل**.

تحقيق: السيد أبو المعاطي النوري و...، منشورات عالم الكتب، بيروت، ١٤١٩ هـ = ١٩٩٨ م.

٢١٤ ـ **مستند العروة الوثقىٰ**، السيد أبو القاسم الخوئي.

تأليف: الشيخ مرتضىٰ البروجردي، المطبعة العلمية، قم، ١٣٦٤ هـ.ش.

٢١٥ ـ **مشكاة الأنوار في غرر الأخبار**، علي بن حسن الطبرسي.

دار الكتب الإسلامية، قم، ١٣٨٥هـ = ١٩٦٥ م، ط ٢.

٢١٦ ـ **مصادر نهج البلاغة واسانيده**، السيد عبد الزهراء الحسيني الخطيب.

منشورات مؤسسة الأعلمي، بيروت، ١٣٩٥هـ = ١٩٧٥ م.

٢١٧ ـ **مصباح الشريعة ومفتاح الحقيقة**، عبدالرزاق الگيلاني.

تعليق وتصحيح: السيد جلال الدين المحدّث (الارموي)، منشورات مكتبة صدوق، ١٣٦٠ هـ.ش.

٢١٨ ـ **المصباح المنير**، أحمد بن محمد بن علي المقري الفيّومي.

دار الهجرة، قم، ١٤٠٥ هـ.

٢١٩ ـ **مصنفات الشيخ المفيد**، محمّد بن محمّد بن النعمان البغدادي.

الناشر: المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المفيد، ١٤١٣ هـ.

٢٢٠ ـ **معالم الأصول**، الشيخ حسن ابن الشهيد الثاني.

تصحيح: الشيخ علي محمدي، دار الفكر، قم، ١٣٧٤ هـ.

٢٢١ ـ **معالم المدرستين**، السيد مرتضىٰ العسكري.

المجمع العلمي الإسلامي، ١٤١٦هـ = ١٩٩٥ م، ط ٥.

٢٢٢ ـ **معالي السبطين في أحوال الحسن والحسين**، الشيخ محمد مهدي الحائري.

مؤسسة النعمان، بيروت.

٢٢٣ ـ **معاني الأخبار**، الشيخ الصدوق محمد بن علي بن بابويه القمي.

تصحيح: علي أكبر الغفاري، المنشورات الإسلامية، جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، قم، ١٣٦١ هـ. ش.

٢٢٤ ـ **معاهد التنصيص على شواهد التلخيص**، الشيخ عبد الرحيم بن أحمد العباسي.
تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، منشورات عالم الكتب، بيروت، ١٣٦٧ هـ = ١٩٤٧ م.
٢٢٥ ـ **معاوية بن أبي سفيان في الميزان**، عباس محمود العقّاد.
دار الكتاب العربي، بيروت، ١٣٨٦ هـ = ١٩٦٦ م، ط ٣.
٢٢٦ ـ **معجم الأدباء**، ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي.
دار الفكر، بيروت، ١٤٠٠ هـ = ١٩٨٠ م، ط ٢.
٢٢٧ ـ **معجم رجال الحديث وتفصيل طبقات الرواة**، السيد أبو القاسم الموسوي الخوئي.
منشورات مدينة العلم، قم، بيروت ١٤٠٣ هـ = ١٩٨٣ م، ط ٣.
٢٢٨ ـ **معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيت**، عبد الجبّار الرفاعي.
مؤسسة الطباعة والنشر، وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، طهران، ١٣٧١ هـ.ش.
٢٢٩ ـ **معجم ألفاظ غرر الحكم ودرر الكلم**، مصطفى درايتي.
مركز الأبحاث والدراسات الإسلامية، مكتب الإعلام الإسلامي، قم، ١٤١٣ هـ.
٢٣٠ ـ **معجم البُلدان**، ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي.
دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٥٥ م، ط ٢.
٢٣١ ـ **المعجم الذهبي (فارسي عربي)**، الدكتور محمّد التونجي.
دار العلم للملايين، بيروت ١٩٦٩ م.
٢٣٢ ـ **معجم شعراء الحسين** عليه السلام، الشيخ جعفر الهلالي.
مؤسسة أمّ القرى للتحقيق والنشر، بيروت، ١٤٢٣ هـ = ٢٠٠٢ م
٢٣٣ ـ **المعجم الفلسفي**، الدكتور جميل صليبا.
الشركة العالمية للكتاب، بيروت، ١٤١٤ هـ = ١٩٩٤ م.

٢٣٤ ـ **معجم مفردات ألفاظ القرآن**، الشيخ حسين بن محمد بن المفضل الراغب الإصفهاني.

تحقيق: نديم مرعشلي، دار الكاتب العربي، انتشارات اسماعيليان، ١٣٩٢هـ= ١٩٧٢ م.

٢٣٥ ـ **المعجم الوسيط**، الدكتور ابراهيم أنيس، الدكتور عبدالحليم المنتصر، عطية صوالحي، محمد خلف الله أحمد.

مكتب نشر الثقافة الإسلامية، قم، ١٣٧٥ هـ، ط ٦.

٢٣٦ ـ **معجم رجال الفكر والأدب في النجف خلال ألف عام**، الدكتور الشيخ محمّد هادي الأميني.

١٤١٣هـ= ١٩٩٢ م، ط ٢.

٢٣٧ ـ **مفاتيح الجنان المعرّب**، الشيخ عباس القمي.

ترجمة: السيد محمد رضا النوري، منشورات الاستقلال، طهران.

٢٣٨ ـ **مفاتيح الغيب**، فخر الدين الرازي : محمد بن عمر القرشي الطبرستاني . المطبعة البهية، مصر .

٢٣٩ ـ **مفردات القرآن في مجمع البيان**، الياس كلانتري.

منشورات مؤسسة المستضعفين (بنياد مستضعفان)، طهران، ١٤٠٧ هـ.

٢٤٠ ـ **مقاتل الطالبيين**، أبو الفرج الإصفهاني : علي بن الحسين بن محمد المرواني.

شرح وتحقيق: أحمد صقر، دار احياء الكتب العربية، القاهرة، ١٣٦٨هـ= ١٩٤٩ م.

٢٤١ ـ **المقبولة الحسينية**، الشيخ هادي آل كاشف الغطاء.

تحقيق: السيد جعفر الحسيني، منشورات أنوار الهدىٰ، قم، ١٤١٦ هـ.

٢٤٢ ـ **مقتل الحسين**، الموفق بن أحمد المكي أخطب خوارزم.

تحقيق: الشيخ محمد السماوي، منشورات أنوار الهدىٰ، قم، ١٤٢٣هـ= ١٩٤٨ م، ط ٢.

٢٤٣ ـ **مقتل الحسين أو حديث كربلاء**، السيد عبدالرزاق المقرم.

دار الكتاب الإسلامي، بيروت، ١٣٩٩هـ= ١٩٧٩ م، ط ٥.

٢٤٤ ـ **مكارم الأخلاق**، الحسن بن الفضل الطبرسي.

تصحيح وتعليق: السيد علاء الدين العلوي الطالقاني، منشورات دار الكتب الإسلامية، طهران، ١٣٧٦ هـ.

٢٤٥ ـ **الملحمة الحسينية**، الشيخ مرتضىٰ المطهري.

ترجمة: المركز العالمي للدراسات الإسلامية، قم، ١٤١١ هـ = ١٩٩٠ م، ط ٢.

٢٤٦ ـ **الملل والنحل**، عبد الكريم الشهرستاني.

تصحيح وتعليق: الشيخ أحمد فهمي المحامي الشرعي بالجيزة، دار السرور، بيروت، ١٣٦٧ هـ = ١٩٤٨ م.

٢٤٧ ـ **الملهوف علىٰ قتلىٰ الطفوف**، علي بن موسىٰ بن جعفر بن طاووس.

تحقيق: الشيخ فارس تبريزيان (الحسون)، منشورات دار الأُسوة، قم، ١٤١٤ هـ.

٢٤٨ ـ **مناقب آل ابي طالب**، محمد بن علي بن شهراشوب السروي.

تحقيق: الدكتور يوسف البقاعي، منشورات ذوي القربىٰ، قم، ١٤٢١ هـ.

٢٤٩ ـ **مناقب أمير المؤمنين علي بن ابيطالب**، محمد بن سليمان الكوفي.

تحقيق: الشيخ محمد باقر المحمودي، مجمع إحياء الثقافة الإسلامية، قم، ١٤١٢ هـ.

٢٥٠ ـ **مناظرات في الإمامة**، عبدالله الحسن.

نشر: أنوار الهدىٰ، قم، ١٤١٥ هـ.

٢٥١ ـ **مناهج البكاء في فجائع كربلاء**، الشيخ حسين بن علي الفرطوسي الحويزي.

١٤٠٥ هـ.

٢٥٢ ـ **المنتخب في جمع المراثي والخطب**، المعروف بالفخري، الشيخ فخرالدين الطريحي.

المكتبة العلمية، النجف، ١٣٧٣ هـ.

٢٥٣ ـ **المنجد في اللغة والأدب والعلوم**، الأب لويس معلوف اليسوعي.

المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٥٦ م، ط ٥.

٢٥٤ ـ **المنطق**، الشيخ محمد رضا المظفر.
مطبعة النعمان، النجف، ١٣٨٨ هـ، ط ٣.

٢٥٥ ـ **من لا يحضره الخطيب**، السيد داخل السيد حسن.
مؤسسة البلاغ، بيروت، ١٩٩١ م = ١٤١١ هـ.

٢٥٦ ـ **منهج في الانتماء المذهبي**، صائب عبدالحميد.
مركز الغدير للدراسات الإسلامية، قم، ١٤١٤ هـ = ١٩٩٤ م، ط ٥.

٢٥٧ ـ **منية المريد في آداب المفيد والمستفيد**، الشهيد الثاني زين الدين بن علي العاملي.
تحقيق: رضا المختاري، مكتب الإعلام الإسلامي، قم، ١٤٠٩ هـ.

٢٥٨ ـ **موسوعة العتبات المقدّسة**، جعفر الخليلي.
منشورات مؤسسة الأعلمي، بيروت، ١٤٠٧ هـ = ١٩٨٧ م، ط ٢.

٢٥٩ ـ **الميزان في تفسير القرآن**، السيد محمّد حسين الطباطبائي.
مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٤١١ هـ = ١٩٩١ م.

٢٦٠ ـ **ميزان الحكمة**، محمدي ري شهري.
مكتب الإعلام الإسلامي، قم، ١٤٠٣ هـ = ١٣٦٢ هـ. ش.

٢٦١ ـ **ميزان الذهب في صناعة شعر العرب**، السيد أحمد الهاشمي.
مطبعة السعادة، مصر، ١٣٥٧ هـ = ١٩٣٨ م.



٢٦٢ ـ **النزاع والتخاصم فيما بين بني أمية وبني هاشم**، أحمد بن علي المقريزي الشافعي.
المطبعة الإبراهيمية، مصر، ١٩٣٧ م.

٢٦٣ ـ **نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة**، المحسن بن علي التنوخي.

تحقيق: عبود الشالجي، ١٣٩١هـ= ١٩٧١ م.

٢٦٤ ـ **نفثة المصدور، آخر كتاب نفس المهموم**، الشيخ عباس القمّي.

دار المحجّة البيضاء، بيروت، ١٤١٢هـ= ١٩٩٢ م.

٢٦٥ ـ **النهاية في غريب الحديث**، محمد بن محمد بن عبدالكريم الشيباني الجزري.

المكتبة الإسلامية، القاهرة، ١٣٨٣هـ= ١٩٦٣ م.

٢٦٦ ـ **نهج الفصاحة: مجموعة الكلمات القصار للرسول الأعظم**ﷺ.

مؤسسة طبع ونشر جاويدان، قم، ط ١٠.

٢٦٧ ـ **نهج البلاغة**، السيد محمد بن حسين الشريف الرضي.

تحقيق: الدكتور صبحي صالح، منشورات دار الهجرة، قم.

٢٦٨ ـ **النوادر**، فضل الله بن علي الحسني الراوندي.

تحقيق: سعيد رضا علي عسكري، الناشر دار الحديث، قم، ١٣٧٧ هـ.ش.

٢٦٩ ـ **النور المبين في قصص الأنبياء والمرسلين**، السيّد نعمة الله الجزائري.

منشورات الرضيّ، زاهدي، مطبعة أمير، قم.

٢٧٠ ـ **نيل الأماني**، للشيخ حسن الدمستاني.

مكتبة العلوم العامة، المنامة، البحرين، (لم تذكر سنة الطبع).

هـ

٢٧١ ـ **الهدىٰ إلىٰ دين المصطفىٰ**، الشيخ محمد جواد البلاغي.

انتشارات المكتبة الحيدريّة، قم، ١٤٢١ هـ.

و

٢٧٢ ـ **الوافي**، محمد محسن الفيض الكاشاني.

مكتبة الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام، اصفهان، ١٤٠٦ هـ.

٢٧٣ ـ **وسائل الشيعة**، محمد بن الحسن الحر العاملي.

مؤسسة آل البيت، قم، ١٤٠٩ هـ.

٢٧٤ ـ **وفيات الأعيان**، شمس الدّين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلّكان.

تحقيق: الدكتور إحسان عباس، منشورات الشريف الرضي، قم، ١٣٦٤ هـ.ش، ط ٢.

٢٧٥ ـ **وقائع الأيام**، الشيخ عباس القمي.

مؤسسة النشر، طهران، ١٣٥١ هـ. ش.

٢٧٦ ـ **وقعة الحسين يوم عاشوراء**، السيد عبد الرزاق المقرم.

المطبعة الحيدرية، النجف، ١٣٦٧ هـ.

فهرس المحتويات

الباب الثاني
الخطابة الحسينية

الباب الثالث
أهمّ الطرق المساعدة في التفهيم والتوعية

الخاتمة